الجزء الاول من التبيان

في تفسير القرآن تصنيف الشيخ السعيد العالم ابي جعفر الطوسي رضي الله تعالى عنه

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقتي

الحمد لله اعترافاً بتوحيده واخلاصاً لربوبيته واقراراً بجزيل نعمه واذعاناً لعظيم منته وشكراً على جميل مواهبه وكريم فواضله وصلى الله على خيرته من خلقه محمد والطاهرين من عترته والطيبين من ارومته وسلم تسليماً

اما بعد فان الذي حملني على الشروع في عمل هذا الكتاب اني لم اجد احداً من اصحابنا قديماً وحديثاً من عمل كتاباً يحتوي على تفسير جميع القرآن ويشتمل على فنون معانيه وانما سلك جماعة منهم في جميع ما رواه ونقله وانتهى اليه في الكتب المروية في الحديث ولم يتعرض احد منهم لاستيفاء ذلك وتفسير ما يحتاج اليه فوجدت من شرع في تفسير القرآن من علماء الأمة بين مطيل في جميع معانيه واستيعاب ما قيل فيه من فنونه كالطبري وغيره وبين مقصر اقتصر على ذكر غريبه ومعاني الفاظه وسلك الباقون المتوسطون في ذلك مسلك ما قويت فيه منتهم وتركوا ما لا معرفة لهم به فان الزجاج والفراء وما اشبههما من النحويين افرغوا وسعهم فيما يتعلق بالاعراب والتصريف ومفضل بن سلمة وغيره استكثروا من علم اللغة واشتقاق الالفاظ والمتكلمين كابي علي الجبائي وغيره صرفوا همتهم الى ما يتعلق بالمعاني الكلامية ومنهم من اضاف الى ذلك الكلام في فنون علمه فادخل فيه ما لا يليق به من بسط فروع الفقه واختلاف الفقهاء كالبلخي وغيره واصلح من سلك في ذلك مسلكاً جميلاً مقتصداً محمد بن بحر ابو مسلم الاصفهاني وعلي بن عيسى الرماني فان كتابيهما اصلح ما صنف في هذا المعنى غير انهما اطالا الخطب فيه واوردا فيه كثيراً مما لا يحتاج اليه وسمعت جماعة من اصحابنا قديماً وحديثاً يرغبون في كتاب مقتصد يجتمع على جميع فنون علم القرآن والمعاني والاعراب والكلام على المتشابه والجواب عن مطاعن الملحدين فيه وانواع المبطلين كالمجبرة والمشبهة والمجسمة وغيرهم وذكر ما يختص اصحابنا به من الاستدلال بمواضع كثيرة منه على صحة مذاهبهم في اصول الديانات وفروعها وانا ان شاء الله اشرع في ذلك على وجه الايجاز والاختصار ولكل فن من فنونه ولا اطيل فيمله الناظر فيه ولا اختصر اختصاراً يقصر فهمه عن معانيه واقدم امام ذلك فصلاً يشتمل على ذكر جمل لا بد من معرفتها دون استيفائها فان الاستيفاء الكلام فيها مواضع هي اليق به من الله استمد المعونة واستهديه الى طريق الرشاد بمنه وقدرته ان شاء الله تعالى

يشتمل من القرآن

فصل

فصل في ذكر جمل لا بد من معرفتها قبل الشروع (في تفسير القرآن)

اعلم ان القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي عليه السلام بل هو من اكبر المعجزات واشهرها غير ان الكلام في اعجازه وجهة اعجازه واختلاف الناس فيه لا يليق بهذا الكتاب لانه يتعلق بالكلام في الاصول وقد ذكره علماء اهل التوحيد والمتبوانبه واستوفوه غاية الاستيفاء وقد ذكرنا منه طرفاً صالحاً في شرح الجمل لا يليق بهذا الموضع لان استيفاءه يخرج به عن الغرض واختصاره لا يأتي على المطلوب فالاحالة عليه اولى والمقصود من هذا الكتاب علم معانيه وفنون اغراضه واما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يليق به ايضاً لان الزيادة فيه مجمع على بطلانه والنقصان منه فالظاهر ايضاً من مذهب المسلمين خلافه وهو الاليق بالصحيح من مذهبنا وهو الذي نصره المرتضى رحمة الله عليه وهو الظاهر في الروايات غير انه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ونقل شيء منه من موضع الى موضع طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً والاولى الاعراض عنها وترك التشاغل بها لانه يمكن تأويلها ولو صحت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين فان ذلك معلوم صحته لا يعترضه احد من الامة ولا يدفعه ورواياتنا بالحث على قراءته والتمسك بما فيه ورد ما يرد من اختلاف الاخبار في الفروع اليه وعرضها عليه فما وافقه عمل عليه وما خالفه تجنب ولم يلتفت اليه وقد روي عن النبي صلى الله عليه واله رواية لا يدفعها احد وانه قال اني مخلف فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض وهذا يدل على انه موجود في كل عصر لانه لا يجوز ان يأمرنا بالتمسك بما لا نقدر على التمسك به كما ان اهل البيت ومن يجب اتباع قوله حاصل في كل وقت واذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته فينبغي ان نتشاغل بتفسيره وبيان معانيه ونترك ما سواه . واعلم ان الرواية ظاهرة في اخبار اصحابنا بان تفسير القرآن لا يجوز الا بالاثر الصحيح عن النبي صلى الله عليه واله وعن الائمة عليهم السلام الذين قولهم حجة كقول النبي صلى الله عليه واله وان القول فيه بالرأي لا يجوز . وروى العامة ذلك عن النبي صلى الله عليه واله انه قال من فسر القرآن برأيه واصاب الحق فقد اخطأ وكره جماعة من التابعين وفقهاء المدينة القول في القرآن بالرأي كسعيد بن المسيب وعبيدة السلماني ونافع ومحمد بن القسم وسالم بن عبد الله وغيرهم . وروي عن عائشة انها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه واله يفسر القرآن الا بعدد بآي يأتي بهن جبرئيل ع والذي نقول في ذلك انه لا يجوز ان يكون في كلام الله تعالى وكلام نبيه تناقض وتضاد وقد قال الله تعالى انا جعلناه قرآناً عربياً وقال بلسان عربي مبين . وقال وما ارسلنا الا بلسان قومه . وقال فيه تبيان كل شيء وقال ما فرطنا في الكتاب من شيء فكيف يجوز ان يصفه بانه عربي مبين

متناهم

وانه بلسان قومه وانه بيان للناس ولا يفهم بظاهره شيء وهل ذلك الا وصف له باللغو والهذي الذي لا يعلم المراد
به الا بعد تفسيره وبيانه وذلك منزه عن القران وقد مدح الله تعالى اقواما على استخراج معاني القران فقال لعلمه
الذين يستنبطونه منهم وقال في قوم يذمهم حيث لم يتدبروا القران ولم يتفكروا في معانيه افلا يتدبرون
القران ام على قلوب اقفالها . وقال النبي صلى الله عليه واله اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله واهل وعترتي
اهل بيتي فبين ان الكتاب حجة كما ان العترة حجة وكيف يكون الحجة ما لا يفهم به شيء وروي عنه
عليه السلام انه قال اذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فاقبلوه وما خالفه
فاضربوا به عرض الحائط . وروي مثل ذلك عن ائمتنا عليهم السلام وكيف يمكن العرض على كتاب الله
وهو لا يفهم به شيء وكل ذلك يدل على ان ظاهر هذه الاخبار متروك والذي نقول ان معاني القران
على اربعة اقسام احدها اختص الله تعالى بالعلم به فلا يجوز لاحد تكلف القول فيه ولا تعاطي معرفته وذلك
مثل قوله تعالى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ومثل
قوله ان الله عنده علم الساعة الى اخرها فتعاطي معرفتهما اختص الله بالعلم خطأ . وثانيها ما كان ظاهره
مطابقا لمعناه فكل من عرف اللغة التي خوطب بها عرف معناها مثل قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي
حرم الله الا بالحق ومثل قوله قل هو الله احد وغير ذلك . وثالثها ما هو مجمل لا ينبئ ظاهره عن المراد به
مفصلا مثل قوله اقيموا الصلوة واتوا الزكوة . وقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
وقوله واتوا حقه يوم حصاده . وقوله وفي اموالهم حق معلوم وما اشبه ذلك فان تفصيل اعداد الصلوة وعدد
ركعاتها وتفصيل مناسك الحج وشروطه ومقادير النصاب في الزكوة لا يمكن استخراجه الا ببيان النبي عليه
السلام ووحي من جهة الله تعالى فتكلف القول في ذلك خطأ ممنوع منه يمكن ان يكون الاخبار متناولة
له . ورابعها ما كان اللفظ مشتركا بين معنيين فما زاد عليهما ويمكن ان يكون كل واحد منهما مرادا فانه لا ينبغي
ان يقدم احد به فيقول ان مراد الله منه بعض ما يحتمل الا بقول نبي او امام معصوم بل ينبغي ان يقول ان الظاهر
يحتمل الامور وكل واحد يجوز ان يكون مرادا على التفصيل والله اعلم بما اراد ومتى كان اللفظ مشتركا بين شيئين
او ما زاد عليهما ودل الدليل على انه لا يجوز ان يريد الا وجها واحدا جاز ان يقال انه هو المراد ومتى قسمنا هذه
الاقسام يكون قد قبلنا هذه الاخبار ولم نردها على وجه يوحش نقلها والمتمسكين بها ولا منعنا بذلك من الكلام
في تأويل الاي جملة ولا ينبغي لاحد ان ينظر في تفسير اية لا ينبئ ظاهرها عن المراد مفصلا او يقلد احدا من المفسرين
الا ان يكون التأويل مجمعا عليه فيجب اتباعه لمكان الاجماع لان من المفسرين من حمدت طرائقه ومدحت مذاهبه
كابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم ومنهم من ذمت مذاهبهم كابي صالح والسدي والكلبي وغيرهم
هذا في الطبقة الاولة واما المتأخرون فكل واحد منهم نصر مذهبه وتأول على ما يطابق اصله

ولا يجوز

ولا يجوز لاحد ان يقلد احدا منهم بل ينبغي ان يرجع الى الادلة الصحيحة اما العقلية او الشرعية من اجماع عليه او نقل متواتر
به عمن يجب اتباع قوله ولا يقبل في ذلك خبر واحد وخاصة اذا كان مما طريقه العلم ومتى كان التأويل يحتاج الى شاهد
من اللغة فلا يقبل من الشاهد الا ما كان معلوما بين اهل اللغة شائعا بينهم واما طريقه الاحاد من الابيات الشاردة
او الالفاظ النادرة فانه لا يقطع بذلك ولا يجعل شاهدا على كتاب الله وينبغي ان يتوقف فيه ويذكر ما يحتمله
ولا يقطع على المراد منه بعينه فانه متى قطع على المراد كان مخطئا وان اصاب الحق كما روي عن النبي صلى الله عليه واله
لانه قال ذلك تخمينا وحدسا ولم يصدر ذلك عن حجة قاطعة وذلك باطل بالاتفاق . واعلموا ان العرف من
مذهب اصحابنا والشائع من اخبارهم ورواياتهم ان القران نزل بحرف واحد على نبي واحد غير انهم
اجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء وان الانسان مخير باي قراءة شاء قرأ وكرهوا تجريد قراءة
بعينها بل اجازوا القراءة بالمجاز الذي يجوز بين القراء ولم يبلغوا بذلك حد التحريم والحظر وروى المخالفون
لنا عن النبي صلى الله عليه واله انه قال نزل القران على سبعة احرف كلها شاف كاف وفي بعضها على
سبعة ابواب وكثرت في ذلك رواياتهم ولا معنى للتشاغل بايرادها . واختلفوا في تأويل الخبر فاختار
قوم ان معناه على سبعة معان امر ونهي ووعد ووعيد وجدل وقصص وامثال
وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه واله انه قال نزل القران على سبعة احرف امر وزجر
وترغيب وترهيب وجدل وقصص وامثال . وقال اخرون نزل على سبعة احرف اي سبع لغات
لغات مختلفة مما لا يغير حكما في تحليل ولا تحريم مثل هلم وتعال من لغات مختلفة ومعانيها مؤتلفة وكانوا
مخيرين في اول الاسلام في ان يقرأوا بما شاؤا منها ثم اجمعوا على احدها فصار ما اجمعوا عليه مانعا
مما اعرضوا عنه وقال اخرون نزل على سبع لغات من اللغات الفصيحة لان القبائل بعضها افصح
من بعض وهو الذي اختاره الطبري وقال بعضهم هي على سبعة اوجه من اللغات متفرقة
في القران لانه لا يوجد حرف قرئ على سبعة اوجه وقال بعضهم وجه الاختلاف في القراءات سبعة
اولها اختلاف اعراب الكلمة او حركة بنائها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها نحو
قوله هؤلاء بناتي هن اطهر لكم بالرفع والنصب وهل نجازي الا الكفور بالنصب والنون وهل يجازى
الا الكفور بالياء والرفع وبالبخل والبخل برفع الباء ونصبها وميسرة وميسرة بنصب السين ورفعها
والثاني الاختلاف في اعراب الكلمة وحركات بنائها مما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب مثل قوله
ربنا باعد بين اسفارنا على الخبر وربنا باعد على الدعاء واذ تلقونه بالسنتكم بالتشديد وتلقونه
بكسر اللام والتخفيف والوجه الثالث الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها مما يغير معناها

وروى ابو قلابة عن النبي انه قال نزل القران على سبعة احرف زجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال

ولا يزيل صورتها نحو قوله ان كانت الا صيحة واحدة على كيف ننشزها بالزاي المعجمة وبالراء الغير المعجمة والرابع الاختلاف في
الكلمة مما يغير صورتها ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الا صيحة واحدة والا زقية وكالصوف المنفوش وكالعهن والخامس
الاختلاف في الكلمة مما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله وطلح منضود وطلع والسادس الاختلاف بالتقديم والتاخير نحو
قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت والسابع الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله وما عملت ايديهم
وما عملته باسقاط الهاء واثباتها. ونحو قوله فان الله هو الغني الحميد وان الله الغني الحميد في سورة الحديد وهذا الخبر
عندنا وان كان خبرا واحدا لا يجب العمل به والوجه الاخير اصلح الوجوه على ما روي عنهم عليهم السلام من جواز القراءة
بما اختلف القراء فيه. واما القول الاول فهو على ما تضمنه لان تاويل القران لا يخرج عن احد الاقسام السبعة
اما امر او نهي او وعد او وعيد او خبر او قصص او امثال وهو الذي ذكره اصحابنا في اقسام
تفسير القران فاما ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ما نزل من القران من اية الا لها ظهر وبطن وقد رواه
ايضا اصحابنا عن الائمة عليهم السلام فانه يحتمل ذلك وجوها احدها ما روي في اخبارنا عن الصادقين عليهم السلام
وحكي ذلك عن ابي عبيدة ان المراد بذلك القصص باخبار هلاك الاولين وباطنها عظة للاخرين والثاني
ما حكي عن ابن مسعود انه قال ما من اية الا وقد عمل بها قوم ولها قوم يعملون بها والثالث ان ظاهرها معناه
لفظها وباطنها تاويلها ذكره الطبري واختاره البلخي. والرابع ما قاله الحسن البصري انك اذا فتشت عن
باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها وجميع اقسام القران لا يخلو من ستة محكم ومتشابه
وناسخ ومنسوخ وخاص وعام فالمحكم هو ما انبا لفظه عن معناه من غير اعتبار امر ينضم اليه
سواء كان اللفظ لغويا او عرفيا ولا يحتاج الى ضروب من التاويل وذلك نحو قوله لا يكلف الله نفسا
الا وسعها وقوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله وقوله قل هو الله احد وقوله لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد وقوله وما ربك بظلام للعبيد وقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ونظائر ذلك
والمتشابه ما كان المراد منه لا يعرف بظاهره بل يحتاج الى دليل وذلك ما كان محتملا لامور كثيرة
او امرين ولا يجوز ان يكون الجميع مرادا فانه من باب المتشابه وانما سمي متشابها لاشتباه المراد منه بما ليس
بمراد وذلك نحو قوله يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وقوله والسماوات مطويات بيمينه وقوله فاعمى
واعمى ابصارهم وقوله تجري باعيننا وقوله يضل من يشاء وطبع الله على قلوبهم ونظائر ذلك من الاي التي المراد
منها غير ظاهرها فان قيل هلا كان القران كله محكما يستغني بذلك عن تكلف ما يدل على المراد منه حتى لا يحصل
على كثير من المخالفين التمويه فيه وتمسكوا بظاهره على ما يعتقدونه من الباطل فتقولون ان ذلك لم يفعله
قيل الجواب عن ذلك من وجهين احدهما ان خطاب الله تعالى مع ما فيه من الفوائد المصلحة معتبرة في الفاظه
فلا يمتنع ان يكون المصلحة الدينية متعلقة بان يستعمل الالفاظ المحتملة ويجعل الطريق الى معرفة المراد به

قيل
لم يكن مقصود الله تعالى هذا
هو القول بتجزيه او تقولوا
هو مقصود لو لم يفعل ذلك

ضربا

٢

ضربا من الاستدلال ولهذه العلة اطال في موضع واسهب واختصر في اخر واوجز واقتصر في ذكر قصة في موضع واعادها
في موضع اخر ولاختلاف ايضا مقادير الفصاحة فيه وتفاضلت مواضع منه بعضه على بعض والجواب الثاني ان الله تعالى
انما خلق عباده تعريضا لثوابه وكلفهم لينالوا اعلى المراتب واشرفها ولو كان القران كله محكما لا يحتمل التاويل ولا يمكن
فيه الاختلاف لسقطت المحنة وبطل التفاضل وتساوت المنازل ولم تبن منزلة العلماء من غيرهم وانزل الله
القران بعضه متشابها ليعمل اهل العقل افكارهم ويتوصلوا بتكليف المشاق والنظر والاستدلال الى فهم
المراد فليستحقوا به عظيم المنزلة وعالي المرتبة. فان قيل كيف تقولون ان القران فيه محكم ومتشابه وقد
وصفه الله تعالى بانه اجمع محكم ووصفه في مواضع اخر بانه متشابه وذكر في موضع اخر ان بعضه محكم وبعضه
متشابه كما زعمتم وذلك نحو قوله الر كتاب احكمت اياته وقال في موضع اخر الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها وقال في موضع اخر وهو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر
متشابهات وهل هذا الا ظاهر التناقض قلنا لا تناقض في ذلك لان وصفه بانه محكم كله المراد به انه
بحيث لا يتطرق عليها الفساد والتناقض والاختلاف والتباين والتعارض بل لا شيء منه الا وهو في غاية
الاحكام اما بظاهره او بدليله على حد لا مجال للطاعنين عليه ووصفه بانه متشابه معناه انه يشبه
بعضه بعضا في باب الاحكام الذي اشرنا اليه وانه لا خلل فيه ولا تباين ولا تضاد ولا تناقض ووصفه
بانه بعضه محكم وبعضه متشابه ما اشرنا اليه من ان بعضه ما يفهم المراد بظاهره فيسمى محكما
ومنه ما يشتبه المراد منه بغيره وان كان على المراد والحق منه دليل فلا تناقض في ذلك بحال. واما
الناسخ فهو كل دليل شرعي يدل على زوال مثل الحكم الثابت بالنص الاول في المستقبل على وجه
لولاه لكان ثابتا بالنص الاول مع تراخيه عنه اعتبرنا الدليل الشرعي لان دليل العقل اذا دل على
زوال مثل الحكم الاول الثابت بالنص الاول لا يسمى نسخا الا ترى ان المكلف للعبادات اذا عجز
او زال عقله زالت عنه العبادة بحكم العقل ولا يسمى ذلك الدليل ناسخا واعتبرنا مثل زوال الحكم
ولم نعتبر الحكم نفسه لانه لا يجوز ان ينسخ نفس ما امر به لان ذلك يؤدي الى البداء وانما اعتبرنا
ان يكون الحكم ثابتا بنص شرعي لان ما ثبت بالعقل اذا ازاله الشرع لا يسمى بانه نسخ حكم
العقل الا ترى ان الصلوة والطواف لولا الشرع لكان قبيحا فعله في العقل واذا ورد الشرع
بهما لا يقال نسخ حكم العقل واعتبرنا مع تراخيه عنه لان ما يقترن به لا يسمى ناسخا وربما
يكون تخصيصا ان كان اللفظ عاما ومعنيا ان كان اللفظ خاصا الا ترى انه لو قال اقتلوا
المشركين الا اليهود لم يكن قوله الا اليهود نسخا لقوله اقتلوا المشركين وكذلك لو قال فسيحوا
في الارض اربعة اشهر فقيد بهذه الغاية لا يقال لما بعدها انه نسخ. وكذلك لما قال في اية

الزنا فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة لا يقال لما زاد عليها منسوخ لانه مفيد في اللفظ والنسخ
يصح دخوله في الامر والنهي بلا خلاف والخبر ان تناول ما يصح تغييره عن صفته جاز دخول النسخ فيه
لانه في معنى الامر الا ترى ان قوله ولله على الناس حج البيت خبر وقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن
اخبار وكذلك قوله ومن دخله كان امنا خبر ومع ذلك يصح دخول النسخ فيه فاما ما لا يصح تغييره
عن صفته فلا يصح دخول النسخ فيه نحو الاخبار عن صفات الله تعالى وصفات الاجناس لما لم
يصح عليه التغيير لم يصح فيه النسخ غير ان العبادة بالاخبار عنه بانه قادر عالم سميع بصير يصح دخول
النسخ فيه لانه يمتنع دخول النسخ في الاخبار وان كان المخبر لا يصح تغييره في نفسه ولا يخلو النسخ في القرآن
من اقسام ثلثة احدها نسخ حكمه دون لفظه كاية العدة في المتوفى عنها زوجها المتضمنة للسنة
فان الحكم منسوخ والتلاوة باقية وكاية النجوى واية وجوب ثبات الواحد للعشرة فان الحكم
مرتفع والتلاوة باقية وهذا يبطل قول من منع جواز النسخ في القرآن لان الوجود بخلافه والثاني
ما نسخ لفظه دون حكمه كاية الرجم فان وجوب على المحصنة لا خلاف فيه والاية التي كانت متضمنة له الرجم
منسوخة بلا خلاف وهي قوله والشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة فانهما قضيا الشهوة
نكالا من الله والله عزيز حكيم . والثالث ما نسخ لفظه وحكمه وذلك نحو ما رواه المخالفون
عن عائشة انه كان فيما انزل الله ان عشر رضعات يحرمن ونسخ ذلك بخمس عشرة فنسخت التلاوة
والحكم واما الكلام في شرائط النسخ وما يصح منها وما لا يصح وما يصح ان ينسخ به القرآن وما لا يصح
ان ينسخ به فقد ذكرناه في كتاب العدة في اصول الفقه لا يليق ذلك بهذا المكان . وحكى البلخي
في كتاب التفسير فقال قوم ليسوا ممن يعتبرون ولكنهم من الامة على حال ان الايمة المنصوص عليهم
مفوض اليهم نسخ القرآن وتبديله وتجاوز بعضهم حتى خرج من الدين بقوله ان النسخ قد يجوز على
وجه البداء وهو ان يامر الله عز وجل عندهم بالشيء ولا يبدو له ثم يبدو له فيغيره ولا يريد في وقت
امره به ان يغيره هو ويبدله وينسخه لانه عندهم لا يعلم الشيء حتى يكون الا ما يقدره فيعلمه علم تقدير
ونحو قولهم زعموا ان ما نزل بالمدينة ناسخ لما نزل بمكة واظن انه عنى بهذا القول اصحابنا الامامية لانه ليس
في الامة من يقول بالنص على الائمة عليهم السلام سواهم فان كان عناهم فجميع ما حكاه عنهم باطل وكذب
عليهم لانهم لا يجيزون النسخ على احد من الائمة عليهم السلام ولا احد منهم يقول بحدوث العلم وانما يحكى
عن بعض من تقدم من شيوخ المعتزلة كالنظام والجاحظ وغيرهما وذلك باطل . وكذلك لا يقولون ان المتاخر
ينسخ المتقدم الا بالشرط الذي يقوله جميع من اجاز النسخ وهو ان يكون بينهما تضاد وتناف لا يمكن الجمع بينهما
واما على خلاف ذلك فلا يقوله محصل منهم والوجه في تكرير القصة بعد القصة في القرآن ان رسول الله صلى الله عليه خلاف

والہ

ل

وآله كان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الانباء والقصص مكررة لوقعت قصة موسى الى
قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم اخرين فاراد الله بلطفه ورحمته ان يشهر هذه القصص في اطراف
الارض ويلقيها في كل سمع ويثبتها في كل قلب ويزيد الحاضرين في الافهام وتكرار الكلام من جنس واحد وبعضه كل
يجري على بعض كتكراره في قل يا ايها الكافرون وسورة المرسلات والرحمن والوجه فيه ان القرآن نزل بلسان
القوم ومذهبهم في التكرار ارادة للتوكيد وزيادة في الافهام معروف كما من مذهبهم الايجاز والاختصار ارادة
للتخفيف وذلك ان افتنان المتكلم والخطيب في الفنون وخروجه من شيء الى شيء احسن من اقتصاره من
المقام الى فن واحد وقد يقول القائل والله لا افعله ثم قال والله لا افعله اذا اراد التوكيد كما يقول افعله في الحذف
لا اذا اراد الايجاز قال الله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقال فان مع العسر يسرا ان
مع العسر يسرا وقال تعالى اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى وقال وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك
ما يوم الدين كل هذا يراد به التوكيد وقد يقول القائل لغيره اعجل اعجل والرامي ارم ارم قال الشاعر كم
نعمة كانت لكم كم كم وكم وقال الاخر هلا سألت جموع كندة يوم ولوا اين اينا وقال عوف بن
الخرزج وكادت فزارة تصلى بنا فاولى فزار فاولى فزارا فاما تكرار معنى بلفظين مختلفين كقوله واحد
الرحمن الرحيم وقوله يسمع سرهم ونجواهم والنجوى هو السر فالوجه فيه ايضا ما ذكرناه من ان
عادة القوم تكرير معنى واحد بلفظين مختلفين اتساعا في اللغة كقول الشاعر كذبا ومينا وهما بمعنى واحد
وقول الاخر لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثاث وفي انيابها شنب واللمى سواد في الشفتين
والحوة واللعس كلاهما سواد في الشفتين وكرر لاختلاف اللفظ والشنب تحزز في الانياب كالمنشار
وهو نعت لها ورحمن ورحيم مشتقان من الرحمة وقوله فيما نجد فيهما وقوله فغشاها ما غشى وقوله فغشيهم
من اليم ما غشيهم وقوله ولا طائر يطير بجناحيه على ما قلناه من التوكيد كما يقول القائل كلمته بلساني ونظرت
اليه بعيني ويقال بين زيد وبين عمرو وانما البين واحد والمراد بين زيد وعمرو وقال الشاعر
اوس بن حجر الم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم والقمر الواجب والشمس لا تكون الا نهارا ذكره
فاكد هذه الجملة تنبيها عن الجواب عما لم نذكره ولعلنا نستوفيه فيما بعد اذا جرى ما يقتضي ذكره ولولا
عناد الملحدين وتحيرهم لما احتيج الى الاحتجاج بالشعر وغيره لشيء من المشتبه في القرآن لان غاية ذلك
ان يستشهد عليه ببيت شعر جاهلي او لفظ منقول عن بعض الاعراب او مثل سائر عن بعض البادية ولا يكون
منزلة النبي صلى الله عليه وآله وحاشاه من ذلك اقل من منزلة واحد من هؤلاء ولا ينقص عن رتبة
النابغة الجعدي وزهير بن كعب وغيرهم من طرائف الامور ان المخالف اذا ورد عليه شعر من ذكرناه
ومن هو دونهم سكنت نفسه واطمأن قلبه وهو لا يرضى بقول محمد بن عبد الله بن عبد المطلب .

ومهما شك الناس في نبوته فلا مرية في نسبه وفصاحته فانه نشأ بين قومه الذين هم الغاية القصوى في الفصاحة
ويرجع اليهم في معرفة اللغة ولو كان المشركون من قريش وغيرهم وجدوا متعلقا عليه في اللحن والغلط او التناقض
لتعلقوا به وجعلوا ذلك حجة ودريعة الى اطفاء نوره وابطال امره واستغنوا بذلك عن تكلف ما تكلفوه من المشاق
في بذل النفوس والاموال ولو فعلوا ذلك لظهر واشتهر ولكن حب الالحاد والاستثقال لتحمل العبادات
والميل الى الفواحش اعماهم واصمهم فلا يدفع احد من الملحدين وان جحد نبوته عليه السلام انه اتى
بهذا القران وجعله حجة لنفسه وقرأه على العرب وقد علمنا انه ليس بادون الجماعة في الفصاحة وكيف يجوز
ان يحتج بشعر الشعراء عليه ولا يجوز ان يحتج بقوله عليهم وما هذا الا عناد محض وعصبية صرف وانما
يحتج علماء الموحدين بشعر الشعراء وكلام البلغاء اتساعا في العلم وقطعا للشغب وازاحة للعلة ولا
فكان يجب الا ينفق للجميع ما يطعن عليه لانهم ليسوا بان يجعلوا عيارا عليه باولى من ان يجعل هو
عليه السلام عيارا عليهم . وروى عن ابن مسعود انه قال كان الرجل منا اذا تعلم عشر ايات لم يجاوزهن
لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن وروى عنه انه استعمل علي عليه السلام عبد الله بن عباس
على الحج فخطب خطبة لو سمعها الترك والروم لاسلموا ثم قرأ عليهم سورة النور وروى سورة البقرة ففسرها
فقال رجل لو سمعت هذا الديلم لاسلمت . ويروى عن سعيد بن جبير انه قال من قرأ القران
ثم لم يفسره كان كالاعجمي والاعرابي

فصل في ذكر اسامي القران وتسمية السور والايات

سمى الله تعالى القران باربعة اسماء سماه قرانا في قوله انا جعلناه قرانا عربيا وفي قوله شهر رمضان
الذي انزل فيه القران وغير ذلك من الاي وسماه فرقانا في قوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا وسماه الكتاب في قوله الحمد لله الذي نزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما وسماه
الذكر في قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وتسميته بالقران يحتمل امرين احدهما ما روى عن
ابن عباس انه قال هو مصدر قرات قرانا اي تلوته مثل غفرت غفرانا وكفرت كفرانا . والثاني ما
حكي عن قتادة انه قال هو مصدر قرات الشيء اذا جمعت بعضه الى بعض . قال عمرو بن كلثوم
ذراعي عيطل ادماء بكر هجان اللون لم تقرا جنينا اي لم تضم جنينها في رحمها وقال قطرب في
معناه قولان احدهما هذا وعليه اكثر المفسرين وقال قولا اخر معناه لفظت به مجموعا وقال
معنى البيت ايضا اي لم تلقه مجموعا وتفسير ابن عباس اولى لان قوله تعالى ان علينا جمعه وقرانه
فاذا قراناه فاتبع قرانه والوجه المختار ان يكون المراد فاذا تلوناه عليك وبيناه لك فاتبع تلاوته
ولو حملناه على الجمع على ما قال قتادة لكان يجب الا يلزم اية اية من القران النازلة في كل وقت

اتباع

وكان

فاتبع قرانه

وكان يقف وجوب الاتباع على حين الجمع لانه علقه بذلك على هذا القول لانه قال فاذا قراناه يعني جمعناه
على ما قالوه فاتبع قرانه وكان يقف وجوب الاتباع على تكامل الجميع وذلك خلاف الاجماع فالاولى
ان قيل كيف يسمى القران قرانا وانما هو مقرو قلنا سمى بذلك كما سمي المكتوب كتابا بمعنى كتاب الكاتب
قال الشاعر في صفة طلاق كتبه لامراته تؤمل رجعة مني وفيها كتاب مثل ما لصق الغراء
يعني طلاقا مكتوبا وتسميته بانه فرقان لانه يفرق بين الحق والباطل والفرقان هو الفرق بين
الشيئين وانما يقع الفرق بين الحق والباطل بادلته الدالة على صحة الحق وبطلان الباطل وتسميته
بالكتاب لانه مصدر من قولك كتبت كتابا كما تقول قمت قياما وسمي كتابا وانما هو مكتوب كما قال الشاعر
في البيت المقدم والكتابة ماخوذة من الجمع من قولهم كتبت السقاء اذا جمعته بالخرز قال الشاعر
لا تامنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار والكتبة الخرزة وكلما ضممت بعضه الى بعض
على وجه التقارب فقد كتبته والكتيبة من الجيش من هذا الانضمام بعضها الى بعض وتسميته
بالذكر يحتمل امرين احدهما انه ذكر من الله تعالى ذكرهم به عبادة فعرفهم فيه فرائضه وحدوده
والاخر انه ذكر وشرف لمن امن به وصدق بما فيه كقوله وانه لذكر لك ولقومك واما السورة
بغير همز وهي منزلة من منازل الارتفاع ومن ذلك سور المدينة سمي بذلك الحائط الذي
يحويها لارتفاعه عما يحويه غير ان سور المدينة لم يجمع سورا وسورة القران تجمع سورا وهذه
اليق بتسمية سور القران سورة قال النابغة الم تر ان الله اعطاك سورة ترى كل ملك
دونها يتذبذب يعني منزلة من منازل الشرف التي قصرت عنها الملوك واما من همز السورة من
القران فانه اراد به القطعة التي انفصلت من القران عما سواها وابقيت وسؤر كل شيء بقيته
يقال اسارت في الاناء اي ابقيت فيه قال الاعشى بن ثعلبة يصف امراة فبانت وقد اسارت
في الفؤاد صدعا على نايها مستطارا . وتسمية الاية بانها اية يحتمل وجهين احدهما لانها
علامة يعرف بها تمام ما قبلها ومنه قوله تعالى انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا
لاولنا واخرنا واية منك يعني علامة لاجابتك دعاءنا . والاخر ان الاية القصة والرسالة
قال كعب بن زهير الا ابلغا هذا المعرض اية ايقظان قال القول اذ قال ام حلم يعني
رسالة فيكون الايات بمعنى القصص قصة تتلو قصة . روى واثلة بن الاسقع ان النبي
صلى الله عليه واله قال اعطيت مكان التورية السبع الطول واعطيت مكان الزبور المئين
واعطيت مكان الانجيل المثاني وفضلت بالمفصل فالسبع الطول البقرة وال عمران
والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس في قول سعيد بن جبير . وروى مثل ذلك

عن ابن عباس قال وسميت السبع الطول لطولها على سائر القران واما المئون وهي كل سورة
تكون مائة اية او يزيد عليها شيئا يسيرا او ينقص عليها شيئا يسيرا واما المثاني فهي ما ثنا
للمئين فتلاها فكان المئون لها اوائل وكان المثاني لها ثوان وقيل انها سميت بذلك لتثنية
الله فيها الامثال والحدود والقران والفرائض وهو قول ابن عباس وقال قوم المثاني
سورة الحمد لانها تثنى قراءتها في كل ركعة وبه قال الحسن البصري وهو المروي في اخبارنا
قال الشاعر حلفت بالسبع اللواتي طولت وبمئين بعدها قد امئيت وبمثان ثنيت وكررت
وبالطواسين التي قد ثلثت وبالحواميم التي قد سبعت وبالمفصل اللواتي فصلت
وسميت المفصل مفصلا لكثرة الفصول بين سورها ببسم الله الرحمن الرحيم وسمي
المفصل محكما لما قيل انه لم ينسخ وقال اكثر اهل العلم اول المفصل من سورة محمد صلى الله
عليه واله الى سورة الناس وقال اخرون من قاف الى الناس وقالت فرقة ثالثة وهو
المحكي عن ابن عباس انه من سورة الضحى الى الناس وكان يفصل من الضحى بين كل
سورتين بالتكبير وهو قراءة ابن كثير وان قيل ما وجه الحكمة في تفصيل القران
على السورة قيل فيه وجوه من الصواب احدها ان القارئ اذا خرج من فن الى
فن كان احلى في نفسه واشهى لقراءته ومنها ان يجعل الشيء مع شكله وما هو اولى
به هو الترتيب الذي يحمل عليه. ومنها ان الانسان قد يضعف عن حفظ الجميع
فيحفظ منه سورة تامة ويقتصر عليها وقد يكون ذلك سببا يدعوه الى غيرها
ومنها ان التفصيل ابين اذ كان الاشكال مع الاختلاط والالتباس اكثر ومنها
ان كلما ترقى الى الجهاد حجة ودرجة ومنزلة منزلة كانت القوة عليه اشد والوصول
اليه اسهل وانما السورة منزلة يرتفع منها الى منزلة. روي عن النبي صلى الله عليه
واله انه سماها ام القران وفاتحة الكتاب والسبع المثاني فسميت فاتحة الكتاب لانه
يفتتح بكتابتها المصاحف وبقراءتها في الصلوة فهي فاتحة لما يتلوها من سور القران في
الكتابة والقراءة. وسميت ام القران لتقدمها على سائر القران وتسمي العرب كل
جامع امرا او متقدم لامر اذا كانت له توابع تتبعه اما فيقولون للجلدة التي تجمع الدماغ
ام الدماغ الراس وتسمي لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها اما ومن ذلك قول
ذي الرمة واسمر قوام اذا نام صحبتي خفيف الثياب لا توارى له ذرا على راسه ام
لنا نقتدي بها جماع امور لا نعاصي لها امرا يعني راية معقودة على قناة يجتمع تحتها

هو

هو وجيه وقيل مكة سميت ام القرى لتقدمها امام جميعها وجمعها ما سواها
وقيل انما سميت بذلك لان الارض دحيت منها فصارت لجميعها اما ومن ذلك
قول حميد بن ثور الهلالي اذا كانت الخمسون امك لم تكن لدائك الا ان تموت طبيب
لان الخمسين جامعة ما دونها من العدد فسماها اما للذي بلغها وسميت السبع لانها
سبع ايات بلا خلاف في جملتها وسميت مثاني لانها تثنى بها في كل صلوة فرض
ونفل وقيل في كل ركعة وليس اذا سميت بانها مثاني منع ذلك تسمية غيرها بالمثاني
من سور المئين على ما مضى القول فيه واتفق القراء على التلفظ باعوذ بالله من الشيطان
الرجيم قبل التسمية ومعنى ذلك استجير بالله دون غيره لان الاستعاذة هي الاستجارة
وقوله من الشيطان فالشيطان في اللغة كل متمرد من الجن والانس والدواب ولذلك
قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن فجعل من الانس
شياطين كما جعل من الجن وانما سمي المتمرد شيطانا لمفارقة اخلاقه وافعاله اخلاق
جميع جنسه وبعده من الخير وقيل هو مشتق من قولهم شطنت داري من دارك
اي بعدت ومنه قول نابغة بني ذبيان نات بسعاد عنك نوى شطون فبانت
والفؤاد بها رهين والشطون البعيد فيكون شيطانا على هذا فيعالا من شطن
على وزن بيطار وغيداق قال امية بن ابي الصلت ايما شاطن عصاه عكاه ثم يلقى
في السجن والاكباد ولو كان مشتقا من شاط لقال شائط ولما قال شاطن علم انه
مشتق من شطن والشطن الحبل. واما الرجيم فهو فعيل بمعنى مفعول كقولهم كف
خضيب ولحية دهين ورجل لعين يراد مخضوبة ومدهونة وملعون ومعنى الرجيم
المشتوم فكل مشتوم بقول ردي فهو مرجوم واصل الرجم الرمي بقول كان او فعل ومنه
قوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك ويجوز ان يكون الشيطان رجيما لان الله طرده من
سمائه ورجمه بالشهب الثاقبة. وسورة الحمد مكية في قول قتادة ومدنية
في قول مجاهد وليس فيها ناسخ ولا منسوخ

بسم الله الرحمن الرحيم

عندنا اية من الحمد ومن كل سورة بدلالة اثباتهم لها في المصاحف بالخط الذي كتب
به المصحف مع تجنبهم اثبات الاعشار والاخماس كذلك وفي ذلك خلاف ذكرناه
في خلاف الفقهاء ولا خلاف انها بعض اية في سورة النمل ما القراء فترك

الفصل بين السورة بالتسمية حمزة وخلف ويعقوب واليزيدي الا القرطي عن سجادة
والا ابن اللبان عن مدين والمعدل الا الوسى من طريق ابن حبش والباقون يفصلون
بالتسمية الا بين الانفال والتوبة وعندنا من تركها في الصلوة بطلت صلوته لان الصلوة
عندنا لا تصح الا بفاتحة الكتاب وهي من تمامها سواء كانت الصلوة فرضا او نافلة وفيه
خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء ومن قال انها ليست من القران قال ان الله ادب
نبيه وعلمه تقديم ذكر اسم الله امام جميع افعاله واقواله ليقتدي به جميع الخلق في صدور
رسالاتهم وامام حوائجهم قالوا والدليل على انها ليست من القران انها لو كانت من نفس
الحمد لوجب ان يكون قبلها مثلها لتكون احداهما افتتاحا للسور حسب الواجب في
سائر السور والاخرى اول اية منها وهذا عندنا ليس بصحيح لانا قد بينا انها اية من كل
سورة ومع هذا لم يتقدمها غيرها على انها لا يمتنع ان يكون من نفس التلاوة وان
تعبدنا باستعمالها في استفتاح جميع اموره ومن قال ان قوله الرحمن الرحيم بعد قوله
الحمد لله رب العالمين يدل على ان التي افتتح بها ليست من الحمد والا كان يكون ذلك
تكرارا بلا فصل شيء من الايات فبلغ ذلك وليس بموجود في شيء من القران فقوله باطل
لان قد حصل الفصل بقوله الحمد لله رب العالمين وقد ورد مثله في قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون
ما اعبد لكم دينكم ولي دين وكرر ايتين بلفظ واحد فصل بينهما باية واحدة وقد ذكرنا
الادلة على صحة ما ذهبنا اليه في خلاف الفقهاء ومن جعلها اية جعل من قوله صراط الذين
انعمت عليهم الى اخرها اية ومن لم يجعلها كذلك جعل صراط الذين انعمت عليهم اية
وعندنا يجب الجهر بها فيما يجهر فيه بالقراءة ويستحب الجهر بها فيما لا يجهر فيه وقوله
بسم الله يقتضي فعلا يتعلق به الباء ويجوز ان يكون ذلك الفعل قوله ابدوا او اقراوا
بسم الله او شهرا او قولوا بسم الله ولم يذكر لدلالة الكلام عليه وحذفت الالف
في اللفظ لانه الف الوصل تسقط في الدرج وحذفت ههنا وحدها في الخط لكثرة
الاستعمال ولا تحذف في قوله تعالى اقرا باسم ربك وقوله فسبح باسم ربك وما
اشبه ذلك لقلة استعمالها هناك وذكر ابو عبيدة ان اسم صلة والمراد هو الله
الرحمن الرحيم واعتقد قوم لاجل ذلك ان الاسم هو المسمى واستدلوا بقول لبيد
الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر قال

معناه

معناه السلام عليكما فاسم السلام هو السلام وهذا خطأ عظيم ذكرناه في شرح الجمل في
الاصول ومعنى قول الشاعر ثم اسم السلام انه اراد به اسم الله لان السلام من اسماء
الله في قوله السلام المؤمن المهيمن وهذا كما قال عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله
هو الدهر اي ان الله هو الفاعل لما تضيفونه الى الدهر وتسبونه لاجله ونظير ذلك ايضا
قول القائل اذا سمع غيره يشتم زيدا وهو يريد عمرا زيد في هذا المكان هو عمرو اي
هو المراد بالشتم دون زيد ويحتمل ان يكون اراد اسم الله عليكما اي الزماه وانما رفع
اغرو عليكما كما قال الشاعر يا ايها المائح دلوي دونكا اني رايت الناس يحمدونكا
والمراد دونك دلوي فكيف يكون الاسم هو المسمى وقد يعرف الاسم من لا يعرف المسمى
والاسم يكون مدركا وان لم يدرك المسمى والاسم يكتب في مواضع كثيرة والمسمى لا يكون
الا في موضع واحد ولو كان الاسم هو المسمى لكان اذا قال القائل نارا احترق لسانه و
اذا قال عسل وجد الحلاوة في فمه وذلك تجاهل ومن قال ان ذلك تسمية وليس في ذلك
باسم قوله باطل لان القائل لو قال اكلت اسم العسل لكان جاهلا . وقال قوم ان اسم
ليس بصلة والمراد ابتدى بتسمية الله فوضع الاسم موضع المصدر ويكون موضع
اسم نصبا قالوا لان العرب تجري المصادر المبهمة على اسماء مختلفة كقولهم اكرمت
فلانا كرامة واهنت فلانا هوانا وكلمته كلاما وكان يجب اكرمته اكراما واهنته اهانة ان يكون
وكلمته تكليما ومنه قول الشاعر اكفرا بعد رد الموت عني وبعد عطائك المائة الرتاعا
وقال اخر فان كان هذا البخل منك سجية لقد كنت في طولي رجاءك اشعبا اراد في اطالتي رجاءك
فيكون على هذا التقدير الكلام اقرا مبتديا بتسمية الله او ابتدى قراءتي بسم الله فجعل الاسم
مكان التسمية وهذا اولى لان المامور ان يفتتح العباد امورهم بتسمية الله لا بالخبر عن عظمته
وصفاته كما امروا بالتسمية على الذبائح والصيد والاكل والشرب وكذلك امروا بالتسمية عند
افتتاح تلاوة تنزيل الله تعالى ولا خلاف ان القائل لو قال عند الذباحة بالله ولم يقل بسم الله
لكان مخالفا للمامور والاسم مشتق من السمو وهو الرفعة والاصل فيه سمو بالواو وجمعه اسماء
مثل قنو واقناء وحنو واحناء واذا صغرته قلت سمي قال الراجز باسم الذي في كل سورة سمه
وسمه ايضا ذكره ابو زيد وغيره وقيل انه مشتق من وسمت وذلك غلط لان ما حذفت واو
الفعل منه لا يدخله الف الوصل نحو عدة ووعد وزنة ووزن لما حذفت الفاء لم يدخل عليه الالف

وايضا وكان يجب اذا صغر ان يرد الواو فيقال وسيم كما قيل وعيدة ووزينة ووصيلة في
عدة وزنة وصلة والامر بخلافه. وحكي عن ابن كيسان انه قال انه لقب فلذلك ابتدئ به
واتبع بالرحمن لانه يختص به ثم بالرحيم لانه يشاركه فيه غيره والصحيح انه ليس بلقب لان اللقب انما
يجوز على من يجوز عليه الغيبة والحضور وهما لا يجوزان عليه ولانه يمكن وصفه بصفة
لا يشاركه فيها غيره ولا معنى للقب لانه عيب والصحيح انه اسم مفيد لكنه لا يطلق على غيره
تعالى وقيل في معناه قولان احدهما ان اصله لاه كما قال الشاعر كحلفة من ابي رياح
يسمعها لاهه الكبار ثم دخل عليه الالف واللام والثاني اصله الاله فدخلت عليه الالف
واللام ثم خففت الهمزة وادغمت احد اللامين في الاخرى فقيل الله والاله معناه انه يحق له العبادة
لانه قادر على خلق الاجسام واحيائها والانعام عليها بما يستحق به العبادة ولذلك يوصف فيما لم
يزل بانه اله ولا يجوز ان يكون الها للاعراض ولا للجواهر لاستحالة ان ينعم عليهما بما يستحق به العبادة
وهو اله الاجسام حيوانها وجمادها لانه قادر ان ينعم على كل جسم بما معه يستحق العبادة وليس
الاله من يستحق العبادة لانه لو كان كذلك لما وصف فيما لم يزل بانه اله لانه لم يفعل الانعام الذي يستحق
به العبادة ومن قال انه اله للجماد فقد اخطأ لما قلناه من انه عبارة عمن يستحق العبادة وهو انه قادر على
اصول النعم التي يستحق بها العبادة دون ان يكون عبارة عمن يستحق العبادة ولا يجوز ان يوصف بهذه الصفة
غير الله وفي الناس من قال انه مشتق من الوله لان الخلق يولهون اليه اي يفزعون اليه في امورهم فقيل
للمألوه اله كما قيل للمؤتم امام وقال بعضهم هو مشتق من الولهان وهذا غلط لان الولهان الهيمان
وذلك لا يجوز في صفات الله تعالى على ان التصريف بلزوم الهمزة يشهد بفساد هذا على ما
قاله الاخرون وقال قوم هو مشتق من الالهية التي هي العبادة يقال منه اله اي متعبد.
قال رؤبة لله در الغانيات المده سبحن واسترجعن من تألهي
اي من تعبدي وقرأ ابن عباس ويذرك والهتك يعني عبادتك ويقال اله الله فلان
الاهة كما يقال عبده عبادة. وقيل انه مشتق من الارتفاع يقول العرب للشيء المرتفع
لاه يقولون طلعت لاها اي الشمس وغربت ايضا وقيل لصفته تعالى لانه
لا تدركه الابصار ومعناه لاه اي احتجب عنا قال الشاعر لاه ربي عن الخلائق طرا
خالق الخلق لا يرى ويرانا وقيل سمي الله لانه يوله قلوب العباد بحبه الرحمن الرحيم
هما اسمان مشتقان من الرحمة وهي النعمة التي يستحق بها العبادة وهو موضوعان

للمبالغة

للمبالغة وفي رحمان خاصة مبالغة يختص الله بها وقيل ان تلك المزية من حيث فعل النعمة التي
يستحق بها العبادة لا يشاركه في هذا المعنى سواه والاصل في باب فعل يفعل وفعل يفعل ان يكون
اسم الفاعل منه فاعلا فان ارادوا المبالغة حملوا على فعلان وفعيل كما قالوا غضب فهو
غضبان وسكر فهو سكران اذا امتلأ غضبا وسكرا وكذلك قالوا رحم فهو رحمن تخصه
به تعالى لما قلناه وكذلك قالوا علم فهو عليم ورحم فهو رحيم وعلى هذا الوجه لا يكونان للتكرار
كقولهم ندمان ونديم بل التزايد فيه حاصل والاختصاص فيه بين وقيل في معنى الرحيم انه لا يكلف
عباده جميع ما يطيقونه فان الملك لا يوصف بانه رحيم اذا كلف عبيده جميع ما يطيقونه ذكره
ابو الليث وانما قدم الرحمن على الرحيم لان وصفه بالرحمن بمنزلة الاسم العلم من
حيث لا يوصف به الا الله تعالى فصار بذلك كاسم العلم في انه يجب تقديمه على صفته
وورد الاثر بذلك روى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه واله ان
عيسى بن مريم قال الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الاخرة وروي عن بعض
التابعين انه قال الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة ووجه عموم الرحمن بجميع
الخلق هو انشاؤه اياهم وجعلهم احياء قادرين وخلق فيهم الشهوات وتمكينهم من المشتهيات
وتعريضهم بالتكليف لعظيم الثواب ووجه خصوص الرحيم بالمؤمنين ما فعل الله تعالى
بهم في الدنيا من الالطاف التي لم يفعلها بالكفار وما يفعله بهم في الاخرة من عظيم الثواب
فهذا وجه الاختصاص وحكي عن عطاء انه قال الرحمن كان يختص الله تعالى به فلما تسمى
مسيلمة بذلك صار الرحمن الرحيم مختصين به تعالى ولا يجتمعان لاحد وهذا الذي ذكره
ليس بصحيح لان تسمي مسيلمة بذلك لا يخرج الاسم من ان يكون مختصا به تعالى لان المراد بذلك
استحقاق هذه الصفة وذلك لا يثبت لاحد كما انهم سموا اصنامهم الهة ولم يخرج بذلك
من ان يكون الله يختص بالوصف به وقال بعضهم ان لفظة الرحمن ليست عربية وانما
هي ببعض اللغات كقوله تعالى القسطاس فانه بالرومية واستدل على ذلك بقوله
تعالى قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا انكارا منهم لهذا الاسم حكى ذلك عن ثعلب
والصحيح انه معروف واشتقاقه من الرحمة على ما بيناه. قال الشنفرى الا ضربت
تلك الفتاة هجينها الا ضرب الرحمن ربي يمينها وقال سلامة بن جندل الطهوي
عجلتم علينا قد عجلنا عليكم وما يشاء الرحمن يعقد ويطلق وحكي عن ابي عبيدة
انه قال رحمن ذو الرحمة ورحيم معناه انه راحم وكرر لضرب من التأكيد كما قالوا

خدمان وبذيم وانما قدم الله في اسم لانه الاسم الذي يختص به من يحق له العبادة وذكر بعده لصفته
ولاجل ذلك اعرب باعرابه وبدا بالرحمن لما بينا ان فيه المبالغة وما روى عن ابن عباس
من انهما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر فالرحمن الرقيق والرحيم العطاف على عباده
بالرزق محمول على انه بالفضل بعد الفضل وبالنعمة بعد النعمة لانه تعالى لا يوصف برقة
القلب ودلت هذه الاية على التوحيد لان وصفه بالرحمن يقتضي مبالغة في الوصف بالرحمة
على وجه يعم جميع الخلق وذلك لا يقدر عليه غير الله القادر لنفسه وذلك لا يكون الا واحد
ولان وصفه بالالهية مفيد انه يحق له العبادة وذلك لا يكون الا للقادر للنفس وهي
تدل على العدل لان وصفه بالرحمة التي وسعت كل شيء يعم كل محتاج الى الرحمة من مؤمن
وكافر وطفل وبالغ من كل حي وذلك يبطل قول المجبرة الذين قالوا ليس لله على الكافر
نعمة ولانها صفة مدح تنافي وصفه بانه يخلق الكفر في الكافر ثم يعذبه عليه لان هذه
صفة ذم ·

الحمد لله رب العالمين ٥ اية

اجمع القراء على ضم الدال من الحمد وكسر اللام الاولى من لله وكان يجوز ان نفتح الدال
مع كسر اللام ويكسر الدال واللام لكن لم يقراه الا البوادي ومن نصب فعلى المصدر و
من كسرهما اتبع كسرة الدال كسرة اللام ومن ضمهما اتبع ضمة الدال بضمة اللام ونصب
الدال لغة في قريش والحارث بن اسامة بن لوي وكسرها لغة في تميم وغطفان وضمها
لغة في ربيعة توهموا انه حرف واحد مثل الحلم وقوله لله مخفوض بالاضافة ورب العالمين
مخفوض كانه نعت ويجوز نصبه على الحال والنداء وما قرئ به والعالمين مخفوض بالاضافة
ونونها مفتوحة لانها نون الجمع فرقا بينها وبين نون التثنية وبعض تميم يحذف الالف التي قبل
الهاء ويختلس الهاء وينشده وتقصرها انشد بعضهم الا لا بارك الله في سهيل اذا ما بارك
الله في الرجال اختلس الاولى واشبع الثانية ولا يقرا بهذا ومعنى الحمد لله الشكر لله خالصا
دون سائر ما يعبد بما انعم على عباده من ضروب النعم الدينية والدنياوية وقال بعضهم الحمد لله ثناء
عليه باسمائه وصفاته وقوله الشكر لله ثناء على نعمه واياديه والاول اصح في اللغة لان
الحمد والشكر يوضع كل واحد منهما موضع صاحبه ويقال ايضا الحمد لله شكرا فنصب
شكرا على المصدر ولو لم يكن في معناه لما نصبه ودخول الالف واللام فيه لفائدة
الاستيعاب فكانه قال جميع الحمد لله لان التالي مخبر بذلك ولو نصبه فقال
حمدا لله افاد ان القائل هو الحامد فحسب وليس ذلك المراد ولذلك اجتمعت

القراء

١٠

القرا على ضم الدال على ما بينا · والتقدير قولوا الحمد لله واذا كان الحمد هو الشكر والشكر هو
الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم والمدح ليس من الشكر في شيء وانما هو القول المبني عن عظم
حال الممدوح مع القصد اليه فاما الرب فله معان في اللغة فيسمى السيد المطاع ربا قال
لبيد بن ربيعة فاهلكن يوما رب كندة وابنه ورب معد بين خبت وعرعر يعني
سيد كندة · ومنه قوله تعالى اما احدكما فيسقي ربه خمرا يعني سيده ويسمى الرجل
المصلح ربا · قال الفرزدق بن غالب كانوا كسالئة حمقاء اذ حقنت سلاءها في اديم
غير مربوب يعني غير مصلح ومنه قيل فلان يرب ضيعته اذا كان يحاول اتمامها
والربانيون من هذا من حيث كانوا مدبرين لهم واشتق رب من التربية يقال ربيته
وربيته بمعنى واحد والربا الشاة ولدت حديثا لانها تربي وقوله رب العالمين
اي المالك لتدبيرهم والمالك للشيء يسمى ربه ولا يطلق هذا الاسم الا على الله تعالى
واما في غيره فيقيد فيقال رب الدار ورب الضيعة وقيل انه مشتق من التربية ومنه
قوله تعالى وربائبكم اللاتي في حجوركم ومتى قيل في الله انه رب بمعنى انه سيد فهو
من صفات ذاته واذا قيل انه مدبر مصلح فهو من صفات الافعال والعالمين جمع عالم
بمعنى
وعالم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والجيش وغير ذلك والعالم في عرف اللغة عبارة
عن الجماعة من العقلاء لانهم يقولون جاءني عالم من الناس ولا يقولون جاءني عالم من
البقر وفي عرف الناس عبارة عن جميع المخلوقات وقيل انه ايضا اسم لكل صنف من الاصناف
واهل كل زمن من كل صنف يسمى عالما ولذلك جمع وقيل عالمون لعالم كل زمان قال العجاج
فخندف هامة هذا العالم · وهذا قول اكثر المفسرين كابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة
وغيرهم واشتقاقه من العلامة من العلامة لانه علامة ودلالة على الصانع تعالى ·
وقيل انه مشتق من العلم على ما روى ابن عباس قال هم صنف من الملائكة والانس
والجن لانه يصح ان يكون كل صنف منهم عالما فان قيل كيف يجوز ان يقول الحمد لله وقائله
هو الله تعالى وانما كان يجب ان يقول الحمد لنا قيل العالي الرتبة اذا خاطب من دونه لا يقول
كما يقول للنظير الا ترى ان السيد يقول لعبده الواجب ان تطيع سيدك ولا تعصيه
وكذلك يقول العبد الاب لابنه يلزمك ان تبر اباك والمنة لابيك والخلفاء يكتبون
عن انفسهم ان امير المؤمنين راى كيت كيت ليقع ذلك موقع اجلال واكرام وعظم
على انا قد بينا ان المراد بذلك قولوا الحمد لله وحذف لدلالة الكلام عليه · الرحمن الرحيم

مخفوضان لانهما نعت لله وقد مضى معناهما . وقوله مالك يوم الدين انه قرا عاصم والكسائي
وخلف ويعقوب مالك بالالف الباقون ملك بغير الف ولم يمل احد الف مالك وكسر
جميعهم الكاف وروى عن الاعمش انه فتحها على النداء وربيعة بن نزار يخففون
ملك ويسقطون الالف فيقولون ملْك بتسكين اللام وفتح الميم كما قال ابو النجم تمشى
الملك عليه حلله والالف ساقطة في الخط في القراءتين والمعول على الاوليين دون
واسكان اللام ومعنى ملك يوم الدين باسقاط الالف انه الملك يومئذ لا ملك غيره
وانه لا يحظى في ذلك الوقت احد الملك كما آتاه في الدنيا وقوى ذلك بقوله تعالى لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار وبانه يطابق ما تقدم من قوله رب العالمين الرحمن الرحيم ومن
قرا مالك بالف معناه انه مالك يوم الدين والحساب لا يملكه غيره ولا يليه سواه والمالك
هو القادر على التصرف فيما له ان يتصرف فيه على وجه ليس لاحد منعه منه ويوصف العاجز
بانه مالك من جهة الحكم والملك فهو القادر الواسع المقدرة الذى له السياسة والتدبير
ويقال ملك بين الملك مضمومة الميم ومالك بين الملك بفتح الميم وكسرها وضم الميم فيه لغة
شاذة ذكرها ابو على الفارسى ويقال طالت مملكته الاسر ومملكتهم بكسر اللام وفتحها ولى
ملكه وملكه اذا طال رقه واعطانى من ملكه وملكه فلى من هذا الوادى ملك وملك
وملك ويقال نحن عبيد مملكة ولسنا بعبيد قن اى سبينا لم يملك في الاصل ويقال
شهدنا املاك فلان وملكه ولا يقال ملاكه واصل الملك الشد من قول الشاعر
ملكت بها كفى وانهرت فتقها اى شددت وملكت العجين اى شددت عجنه ويقال
هذا املك فلان اذا كان له التصرف فيه على ما بيناه فاما من رجح قراءة ملك من حيث
انه وصف نفسه بانه مالك كل شيء بقوله رب العالمين فلا فائدة في تكريرها فقد مضى
ابعد لان في القرآن له نظائر تقدمها العام وذكر بعده الخاص اقرا باسم ربك الذى
خلق خلق الانسان من علق فعم في الاول ثم خص ذكر الانسان تنبيها على تامل ما فيه من
اتقان الصنعة ووجوه الحكمة كما قال وفى انفسكم افلا تبصرون ولذلك نظائر كثيرة وفي
الناس من قال ان الملك ابلغ في المدح من مالك لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا
وقال ثعلب ان مالك ابلغ من ملك لانه قد يكون الملك على من لا يملك كما قال ملك
العرب وملك الروم وان كان لا يملكهم ولا يكون مالكا الا على ما يملك وقال بعضهم مالك
ابلغ في المدح للخالق من ملك وملك ابلغ في مدح المخلوقين من مالك لان مالك من المخلوقين

فقد يكون

قد يكون غير ملك واذا كان الله تعالى مالكا كان ملكا والاقوى ان يكون ملك ابلغ في المدح
فيه تعالى لانه ينفرد بالملك ويملك جميع الاشياء فكان ابلغ وقوله يوم الدين مجرور
بالاضافة في القراءتين معا وهو من باب يا سارق الليلة اهل الدار اتسع في الظرف
فنصب نصب المفعول به ثم اضيف على هذا الحد وليس ذلك مثل قوله وعنده علم الساعة
مفعول بها على الحقيقة ولا ان جعل الظرف مفعولا على السعة لان الظرف اذا جعل مفعولا
على السعة فمعناه معنى الظرف ولو جعل ظرفا لكان المعنى يعلم في الساعة وذلك لا يجوز
لانه تعالى يعلم في كل وقت والمعنى انه يعلم الساعة اى يعرفها ومن نصبا فما هرب
ان يخرج من خطاب الغائب الى المواجه في قوله اياك وليس ذلك ببديع لانه مستعمل
في القرآن وفي الشعر قال الله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم فعدل عن خطاب
المواجه الى الكناية عن الغائب وقال الشاعر كذبتم وبيت الله لا تنكحونها
بنى شاء قرناها تنضو وتحلب وقال ابو كبير الهذلى يا لهف نفسى كان جلدة خالد
وبياض وجهك للتراب الاعفر وقال لبيد بن ربيعة باتت تشكى الى النفس مجهشة
وقد حملتك سبعا بعد سبعينا فرجع الى المخاطبة نفسه وقد تقدم الاخبار عنها وقال
الكسائى التقدير قولوا اياك نعبد فيكون على حكاية ما امروا به والدين الحساب
والدين الجزاء ايضا قال كعب بن جعيل اذا ما رمونا رميناهم ودناهم دون
ما يقرضونا وقال اخر واعلم وايقن ان ملكك زائل[2] يعنى ما تجزى تجزى و
قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين يعنى بالجزاء وقوله فلولا ان كنتم غير مدينين اى غير
مجزيين وبهذا قال جماعة من التابعين كسعيد بن جبير وقتادة وروى عن ابن عباس
ومجاهد وابى جعفر انه الحساب والدين ايضا الطاعة وقال عمرو بن كلثوم وايام
لنا غر طوال عصينا الملك فيها ان ندينا . والدين الملك قال زهير لئن حللت بجو في
بنى اسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك والدين القهر والاستعلاء قال الاعشى
هو دان الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وصقال يعنى ذللهم للطاعة والدين
العبادة قال المثقب العبدى تقول وقد درات لها وضينى اهذا دينه ابدا ودينى
ويوم الدين عبارة عن زمان الجزاء كله وليس المراد به ما بين المشرق والمغرب طلوع الشمس الى
غروبها اياك نعبد واياك نستعين اياك نصب بوقوع الفعل عليه وموضع
الكاف في اياك خفض باضافة ايا اليها وايا اسم للضمير المنصوب الا انه ظاهر مضاف

واعلم بانك ما تدين تدان

الى سائر المضمرات نحو قولك اياك ضربت واياه ضربت واياى ضربت ولو قلت ايا زيد حدثت كان قبيحًا
لانه خص به المضمر وقد روى الخليل جوازه وهو قولهم اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب
وقال الاخفش لا موضع للكاف من الاعراب لانها حرف الخطاب وهو قول ابن السراج واختاره
الرمانى لان المضمر معرفة تمتنع من الاضافة كما تمتنع من الصفة وحملوا ما رواه الخليل على
الشذوذ ولو قلت نعبد اياك لم يجز لانك تقدر على ضمير متصل بان تقول نعبدك فلا يجب
ان تاتى بضمير منفصل ولانه لو اخر لكان قد قدم ذكر العابد على المعبود وليس بجيد ومن قال
اياك بكماله اسم فقد اخطأ لانه لو كان كذلك لما اضيف كما حكينا من قولهم اياه وايا الشواب
لانهم جروا الها فيجرى الهاء فى عصاه والنون مفتوحة من نعبد . وقد روى عن يحيى بن
وثاب انه كان يكسرها وهى لغة هذيل يقولون نعلم ونستعين ونفتعل فلا يقولون يبيض ويطمس
بكسر الياء بل يفتحونها والدال والنون مرفوعان لان فى اوله احد الزوائد الاربع فاعرب والعبادة
ضرب من الشكر مع ضرب من الخضوع ولا يستحق الا باصول النعم التى هى خلق الحياة والقدرة
والشهوة ويفيدك من النعم لا يوازيه نعمة منعم فلذلك اختص الله سبحانه بان يعبد وان استحق بعضنا
على بعض الشكر . والعبادة فى اللغة هى الذلة يقال طريق معبد اذا كان مذللا بكثرة
الوطى وبعير متعبد اى مذلل بالركوب وقيل اصله اذا طلى بالقطران وسمى العبد عبدا
لذلته لمولاه ومن العرب من يقول هياك فيبدل الالف هاء كما يقولون هيه وايه .
ونستعين اى نطلب منك المعونة على طاعتك وعبادتك واصله نستعون لانه من العون
فقلبت الواو ياء لثقل الكسرة عليها ونقلت كسرتها الى العين قبلها وبقيت الياء ساكنة
والتقدير فى اول السورة والى ههنا اى قل يا محمد هذا كما قال ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا
رؤسهم عند ربهم ربنا ابصرنا اى يقولون ربنا وكما قال والملائكة يدخلون عليهم من
كل باب سلام عليكم اى ويقولون سلام عليكم وحمزة والكسائى اذا وقفا اشما
الدال الرفع وكذلك فى سائر القران فاما اذا وقفا على الرفع لنصب تخير الكسائى الاشمام
وتركه اجود ومن استدل بهذه الاية على ان القدرة مع الفعل من حيث ان القدرة لو
كانت متقدمة لطلب المعونة وجبرا اذا كان الله قد فعلها فيه فقد اخطأ لان الرغبة فى
ذلك يحتمل امرين احدهما ان يسال الله تعالى من الطافه وما يقوى دواعيه ويسهل الفعل
عليه وما ليس بحاصل ومتى لطف له بان يعلمه ان له فى عاقبته الثواب العظيم والمنازل الجليلة
زاد ذلك فى نشاطه ورغبته والثانى ان يطلب بقاء كونه قادرا على طاعاته المستقبلة بان يجدد

له

ان

وضل واعلم وتخاف وتنام وبكون
اوائل هذه الحروف كلها ولا
الياء ولا فى ليستفعل

لما كان

له القدرة حالا بعد حال عند من لا يقول ببقائها او لا يفعل ما يضادها وينفيها عند من قال
ببقائها فان قيل هلا قدم طلب المعونة على فعل العبادة لان العبادة لا تتم الا بتقدم المعونة
اولا قيل فى الناس من قال المراد به التقديم والتاخير فكانه قال اياك نستعين واياك نعبد
ومنهم من قال ليس يتغير بذلك المعنى كما ان القائل اذا قال احسنت الى فقضيت حاجتى
او قضيت حاجتى فاحسنت الى فى انه فى الحالين المعنى واحد وقال قوم انهم سالوا المعونة
على عبادة مستانفة لا على عبادة واقعة منهم وانما حسن طلب المعونة وان كان لا بد منها
مع التكليف على وجه الانقطاع اليه كما قال رب احكم بالحق ولانه قد لا يكون فى دوام التكليف
اللطف ولا فى فعل المعونة الا بعد تقدم الدعاء من العبد وانما كرر اياك لان الكاف التى
فيها هى كاف الضمير التى كانت تكون بعد الفعل فى قوله نعبدك فلما قدمت زيد عليها
ايا لان الاسم اذا انفرد لا يمكن ان يكون على حرف واحد فقيل اياك ولما كانت الكاف
يلزم تكرارها لو كررها الفعل وجب مثل ذلك فى اياك الا ترى انه لو قال نعبدك ونستعينك
ونستهديك لم يكن بد من تكرير الكاف وكذلك لو قدم فقيل اياك نعبد واياك نستعين
وفيه تعليم لنا ان نجدد ذكره عند كل حاجة ومن قال انه يجرى مجرى قول عدى بن
زيد العبادى وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا
وكقول اعشى همدان بين الاشج وبين قيس باذخ بخ بخ لوالده وللمولود .
وكرر لفظ بين فقد اخطأ لان فى البيتين لو لم يكرر بين لكان الفعل مستحيلا .
الا ترى انه لو قال الشمس قد فصلت بين النهار لم يكن كلاما صحيحا وكذا للبيت الاخر
وليس كذلك الاية لانه لو قال اياك نعبد وسكت لكان مستقلا بنفسه وهذا طعن من
بعض الملحدين وعندى ان هذا ليس بطعن لانه مغالطة لانه لو قال بين النهار والليل
لكان كلاما صحيحا وانما كرر بين وكذلك لو قال اياك نعبد ونستعين كان كلاما صحيحا
وانما كررها اياك تاكيدا والعلة ما ذكرناه اولا قوله تعالى ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾
اية قرا ابن كثير فى رواية ابن مجاهد عن قنبل والكسائى من طريق ابن احمد ويعقوب
من طريق رويس بالسين وكذلك فى سراط فى جميع القران الباقون بالصاد زاد واشم الصاد
حمزة فى الموضعين خاصة فى رواية على بن سالم . وفى رواية الدورى وخلاد اشما
الزاى ما كان فيه الف ولام . واما الصاد اذا سكنت وكان بعدها دال نحو يصدق
وفاصدع ويصدفون فاشم الصاد الزاى حيث وقع حمزة والكسائى وخلف ورويس

اهدنا مبني على الوقف لانه امر والهمزة مكسورة لان ثالث المضارع منه مكسور في نحو يهدي
وموضع النون والالف من اهدنا نصب لانه مفعول به والصراط منصوب لانه مفعول
ثان فمن قرا بالسين فلانه الاصل من غير سبب يمنع منه ومن قرا باشمام الزاي فللمواخاة
بين السين والطا بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاي من غير ابطال له اصله
ومن قرا بالصاد فللمواخاة بين الصاد والطاء بالاستعلاء والاطباق بحرف من مخرج
السين التي هي الاصل والقراءة بالصاد احسن لان فيها جمعا بين المتشاكلين في المسموع
ومعنى اهدنا يحتمل امرين احدهما ارشدنا كما قال طرفة للفتى عقل يعيش به حيث
يهدي ساقه قدمه والثاني وفقنا كما قال الشاعر فلا تعجلن هداك المليك
فان لكل مقام مقالا اي وفقك والاية تدل على بطلان قول من يقول لا يجوز
الدعاء بان يفعل الله ما يعلم انه يفعله لانه عبث لان النبي صلى الله عليه واله كان
عالما بان الله يهديه الى الصراط المستقيم وانه قد فعل ذلك ومع ذلك كان يدعو به وقد تكون
الهداية بمعنى ان يفعل بهم اللطف الذي يدعوهم الى فعل الطاعة والهدى ايضا يكون
بمعنى الحكم لصاحبه لانه مهتد على وجه المدح والهدى يكون بان يهديه الى طريق الجنة
كما قال تعالى وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا واصل الهداية في اللغة الدلالة على طريق
الرشد فان قيل ما معنى المسالة في ذلك وقد هداهم الله الصراط المستقيم ومعلوم انه
تعالى يفعل بهم ما هو اصلح لهم في دينهم قيل يجوز ان يكون ذلك تعبدا وانقطاعا
اليه تعالى كما قال رب احكم بالحق وان علمنا انه لا يحكم الا بالحق ويكون لنا ذلك مصلحة
كسائر العبادات وكما تعبدنا بان نكرر تسبيحه وتحميده والاقرار بتوحيده ولرسوله
بالصدق وان كنا معتقدين لجميع ذلك ويجوز ان يكون المراد بذلك الزيادة في الالطاف
كما قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه
ويجوز ان يكون الله تعالى يعلم ان اشياء كثيرة تكون اصلح لنا وانفع لنا اذا سالناه
واذا لم نساله لا يكون ذلك مصلحة وكان ذلك وجها في حسن المسالة ويجوز ان
يكون المراد استمرار التكليف والتعريض للثواب لان ادامته ليست بواجبة بل هو تفضل
محض جاز ان يرغب فيه بالدعاء ويلزم المخالف ان يقال له اذا كان الله تعالى قد علم
انه يفعل ذلك لا محالة فما معنى سؤاله ما علم انه يفعله فما اجابوا به فهو جوابنا والصراط
المستقيم هو دين الحق الذي امر الله به من توحيده وعدله وولاية من اوجب طاعته

قال جرير

قال جرير امير المومنين على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم اي على طريق واضح وقال
الشاعر فصد عن نهج الصراط الواضح وقيل انه مشتق من مسترط الطعام وهو ممره في الحلق القاصد
والصاد لغة قريش وهي اللغة الجيدة وعامة العرب يجعلونها سينا والزاي لغة لعذرة
وكعب وبني القين يقولون ازدق فيجعلونها زايا اذا سكنت واهل الحجاز يؤنثون
الصراط كالطريق والسبيل والزقاق والسوق وبنو تميم يذكرون هذا كله والاصل
الاستقامة والتقويم والاستواء في جهة الانتصاب وهو ضد الاعوجاج فمنه القوام
والتقويم والتقوم ومنه المقاومة لانه بمنزلة المماثلة مما هو كالاستواء وتقاوموا في الامر
اذا تماثلوا والاستقامة المرور في جهة واحدة وقيل في معنى قوله الصراط المستقيم وجوه
احدها انه كتاب الله روي ذلك عن النبي صلى الله عليه واله وعن علي عليه السلام
وابن مسعود والثاني انه الاسلام حكي ذلك عن جابر وابن عباس والثالث
انه دين الله عز وجل الذي لا يقبل من العباد غيره والرابع انه النبي صلى الله عليه واله
والائمة القائمون مقامه صلوات الله عليهم وهو المروي في اخبارنا والاولى حمل
الاية على عمومها لانا اذا حملناها على العموم دخل جميع ذلك فيه فالتخصيص لا معنى
له قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم ٥ معناه
بيان الصراط المستقيم اذ كان كل طريق من طرق الحق صراطا مستقيما والمعنى صراط
من انعمت عليهم بطاعتك وقرا حمزة بضم الهاء من ذلك وفي ايديهم واليهم
حيث وقع وروى الدوري عنه بضم الهاء في قوله فعليهم غضب من الله
وقرا يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة في التثنية والجمع المذكر والمؤنث
نحو عليهما وفيهما وعليهن وفيهن وضم ميم الجمع ووصلها بواو في اللفظ ابن كثير
وابو جعفر ومن نافع فيه خلاف كثير وعن غيره لا نطول بذكره وهو مذكور
في كتب القراءات فمن قرا بكسر الهاء واسكان الميم قال انه امن اللبس اذا
كانت الالف في التثنية قد دلت على الاثنين ولا ميم في الواحد فلما لزمت الميم الجمع
حذفوا الواو واسكنوا الميم طلبا للتخفيف وحجة من قرا عليهم انهم قالوا ضم الهاء
هو الاصل لان الهاء اذا انفردت من حرف متصل بها قيل هم فعلوا ومن ضم الميم
اذا لقيها ساكن بعد الهاء المكسورة قال لما احتجت الى الحركة رددت الحرف الى
اصله فضممت وتركت الهاء على كسرتها لانه لم يات ضرورة تحوج الى ردها الى الاصل

ومن كسر الميم فالساكن الذى قبلها والهاء مكسورة ثم اتبع الكسرة الكسرة والذين فى موضع جر
بالاضافة ولا يقال فى الرفع اللذون لانه اسم ليس بمتمكن وقد حكى اللذون شاذا كما قيل الشياطون
وذلك فى حال الرفع ولا يقرابه . وقرأ صراط من انعمت عليهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن الزبير
وروى ذلك عن اهل البيت عليهم السلام والمشهور الاول والنعمة التى انعم بها على المذكورين
وان لم يذكر فى اللفظ فالكلام يدل عليه لانه لما قال اهدنا الصراط المستقيم وبينا المراد
بذلك ثم بين ان هذا صراط من انعمت عليهم بها فلم يحتج الى اعادة اللفظ كما يقال النابغة الذبياني
كانك من جمال بنى اقيش يقعقع خلف رجليه بشن لما ان لجمال بنى اقيش جمل
يقعقع خلف رجليه ونظير ذلك كثير جدا وقوله تعالى غير المغضوب
عليهم ۝ اجمع المفسرون والقراء على جر غير لانه نعت للذين وانما جاز ان يكون نعتا
للذين والذين معرفة وغير نكرة لان الذين بصلتها ليست بالمعرفة الموقتة كالاسماء التى هى
اعلام كزيد وعمرو وانما هى كالنكرات اذا عرفت كالرجل والبعير فلما كانت الذين كذلك كانت
صفتها كذلك ايضا وجاز ان يكون نعتا للذين كما يقال لا اجلس الا الى العالم غير الجاهل ولو كانت
بمنزلة الاعلام لما جاز كما لم يجز فى قولهم مررت بزيد غير الظريف فلا يجر على النعت وان نصبته
فى مثل هذا على الحال . ويحتمل ايضا ان يكون مجرورا بتكرير العامل الذى خفض الذين فكانك
قلت صراط الذين انعمت عليهم صراط غير المغضوب عليهم ويتقارب معناهما لان الذين انعمت
عليهم الذين لم يغضب عليهم . وقرأ فى الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب ووجهها ان
تكون صفة للهاء والميم اللتين فى عليهم العائدة على الذين لانها وان خفضت بعلى فهى فى موضع
نصب بوقوع الانعام عليه ويجوز ان يكون نصبا على الحال وقال الاخفش والزجاج
انه نصب على وجه الاستثناء من معانى صفة الذين انعمت عليهم وتقديره اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم الا المغضوب عليهم الذين لم تنعم عليهم فى اديانهم فلا
تجعلنا منهم ويكون استثناء من غير الجنس كما قال النابغة الذبياني وقفت فيها اصيلا
لا اسائلها اعيت جوابا وما بالربع من احد الا اوارى لايا ما ابينها والنوى كالحوض
بالمظلومة الجلد وقال الفراء وثعلب هذا خطأ لانه لو كان كذلك لما قال ولا الضالين
لان لا نفى وجحد ولا يعطف على الجحد الا بجحد ولا يعطف بالجحد على الاستثناء وانما
يعطف بالاستثناء على الاستثناء وبالجحد على الجحد يقولون قام القوم الا اخاك
والا اباك ولا قام اخوك ولا ابوك ولا يقولون ما قام القوم الا اخاك ولا ابوك فعلى

يقعقع ومعناه يجل

جاز

هذا

هذا يكون غير بمعنى لا وكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين قال الرمانى من نصب على
الاستثناء جعل لا صلة كما انشد ابو عبيدة . فى بئر لا حور سرى وما شعر اى فى بئر هلكة والمغضوب
عليهم هم اليهود عند جميع المفسرين الخاص والعام لانه تعالى قد اخبر انه غضب عليهم وجعل منهم
القردة والخنازير ولا الضالين هم النصارى لانه قال وضلوا عن سواء السبيل وقال
لعن الذين كفروا يعنى النصارى وروى ذلك عن النبى صلى الله عليه واله وقال بعضهم لا
زائدة تقديره غير المغضوب عليهم والضالين كما قال ما منعك الا تسجد معناه ان تسجد وقال
ابو النجم فما الوم البيض الا تسخرا لما راين الشمط القفندرا يعنى ان تسخر وتكون غير بمعنى سوى
وقد بينا ضعف هذا عند الكوفيين لما مضى ولانه انما يجوز ذلك اذا تقدمه نفى كقول الشاعر
ما كان يرضى رسول الله فعلهم والطيبان ابو بكر ولا عمر واما الغضب من الله فهو ارادة
العقاب المستحق بهم ولعنهم وبراءته منهم واصل الغضب للشدة ومنه الغضبة الصخرة الصلبة
الشديدة المركبة فى الجبل المخالفة له ورجل غضوب شديد الغضب والغضوب الحية الخبيثة
لشدتها والغضوب الناقة العبوس واصل الضلال الهلاك ومنه قوله ائذا ضللنا فى الارض
اى هلكنا ومنه قوله تعالى واضل اعمالهم اى اهلكها والضلال فى الدين الذهاب عن الحق والاضلال
الدعاء الى الضلال والحمل عليه ومنه قوله تعالى واضلهم السامرى والاضلال الاخذ بالعاصين
الى النار والاضلال الحكم بالضلال والاضلال التحيير بالضلال بالتشكيك لينعدل عنه واليهود وان
كانوا ضلالا والنصارى وان كانوا مغضوبا عليهم وانما خص الله تعالى
كل فريق منهم بسمة يعرف بها وتميز بينه وبين غيره بها وان كانوا مشتركين فى صفات كثيرة وقيل
انه اراد بالمغضوب عليهم ولا الضالين جميع الكفار وانما ذكرهم بالصفتين لاختلاف الفائدتين
وروى جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه واله قال الله تعالى قسمت
الصلوة بينى وبين عبدى فله ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدنى عبدى
واذا قال الرحمن الرحيم قال اثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال فخرنى عبدى هذا
لى وله ما بقى ولا يجوز عندنا ان يقول القارى عند خاتمة الحمد امين فان قال ذلك فى
الصلوة متعمدا ابطلت صلوته لانه كلام لا يتعلق بالصلوة ولانه كلام لا يستقل بنفسه وانما
يفيد اذا كان تامينا على ما تقدم ومتى قصد بما تقدم الدعاء لم يكن تاليا للقرآن فتبطل صلوته
وان قصد التلاوة لا يكون داعيا فلا يصح التامين وان قصدهما فعند كثير من الاصوليين
ان المعنيين المختلفين لا يصح ان يراد بلفظ واحد ومن اجاز ذلك وهو الصحيح منهم قياسا

مع

سورة البقرة

وهي مائتان وست وثمانون اية في الكوفي وسبع بصري وخمس مكي وروي ان قوله واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله نزلت في حجة الوداع الم اية عند الكوفيين

واختلف العلماء في معنى اوائل السور مثل الم والمص وكهيعص وطه وص وحم وق وغير ذلك على وجوه فقال بعضهم انها اسم من اسماء القران ذهب اليه قتاده ومجاهد وابن جريج وقال بعضهم هو فواتح يفتح بها القران روى ذلك عن مجاهد ايضا واختاره البلخي وفائدتها ان يعلم ابتداء السورة وانقضاء ما قبلها وذلك معروف في كلام العرب وانشد بعضهم وبلدة ما الانس من اهلها ويقول الاخر بل ما هيج احزانا وشجوا قد شجا وقوله بل ليس من الشعر وانما اراد ان يعلم انه قطع كلامه واخذ في غيره وانه مبتدئ الذي فيه غير ناسق له على ما قبله وقال بعضهم هو اسم للسورة روى ذلك عن زيد بن اسلم والحسن وقال بعضهم هو اسم الله الاعظم وروى ذلك عن السدي اسماعيل وعن الشعبي وقال بعضهم هو قسم اقسم الله به وهو من اسمائه وروى ذلك عن ابن عباس وعكرمه وقال قوم هو حروف منقطعة من اسماء وافعال كل حرف من ذلك بمعنى غير معنى الحرف الاخر يعرفها النبي صلى الله عليه واله نحو قول الشاعر نادوهم ان الجموا الا تا قالوا جميعا كلهم الا فا يريد الا تركبون قالوا الا فاركبوا . وقال الاخر قلنا لها قفي فقالت قاف بمعنى انا واقفه روى ذلك ابو الضحى عن ابن عباس وعن ابن مسعود وجماعة من الصحابة . وقال بعضهم هي حروف هجا موضوع روى ذلك عن مجاهد وقال بعضهم هي حروف يشتمل كل حرف على معان مختلفة روى ذلك عن انس واختاره الطبري وقال بعضهم هي حروف من حساب الجمل وقال بعضهم لكل كتاب سر وسر القران في فواتحه هذه اقوال المفسرين . فاما اهل اللغة فانهم اختلفوا فقال بعضهم هي حروف المعجم استغنى بذكر ما ذكر منها في اوائل السور عن ذكر بواقيها التي هي تمام ثمانية وعشرين حرفا كما يستغنى بذكر ا ب ت ث عن ذكر الباقي وبذكر قفا نبك عن ذكر باقي القصيدة قالوا ولذلك رفع ذلك الكتاب لان معناه الالف واللام والميم من الحروف المقطعة وقوله ذلك الكتاب الذي انزلته اليك مجموعا لا ريب فيه وكما قالوا في ابجاد وفي ا ب ت ث ولم يذكروا الباقي الحروف وقال راجز بني اسد لما رايت امرها في حطي اخذت منها بقرون شمط فوارد الخبر عن المراة بانها في ابي جاد فاقام قوله في حطي مقامه

لدلالة الكلام عليه . وقال اخرون بل ابتدئت بذلك اوائل السور ليفتح لاستماعه اسماع المشركين اذ تواصوا بالاعراض عن القران حتى اذا استمعوا له تلا عليهم الم . وقال بعضهم الحروف التي هي اوائل السور حروف يفتتح الله كلامه بها وقال ابو مسلم المراد بذلك ان هذا القران الذي عجزتم عن معارضته ولم تقدروا على الاتيان بمثله هو من جنس هذه الحروف التي تتحاورون بها في كلامكم وخطابكم فحيث لم تقدروا عليه فاعلموا انه من فعل الله وانما كررت في مواضع استظهارا في الحجة وحكى ذلك عن قطرب . وروي في اخبارنا ان ذلك من المتشابه الذي لا يعلم تاويله الا الله واختاره الحسين بن علي المغربي واحسن الوجوه التي قيلت قول من قال انها اسماء للسور جعلها الله تعالى بعض السور سلك كما قيل المعوذتين للمقشقشتان اي تبريان من النفاق وكما سميت الحمد ام القران وفاتحة الكتاب ولا يلزم الا تشترك سورتان او ثلث في اسم واحد وذلك انه كما يشترك جماعة من الناس في اسم واحد فاذا اريد التمييز يزيد في صفته وكذلك اذا ارادوا تمييز السورة قالوا الم ذلك الم الله الم وغير ذلك وليس لاحد ان يقول كيف تكون اسماء للسورة والاسم غير المسمى وكان يجب الا يكون هذه الحروف من السورة وذلك خلاف الاجماع قيل لا يمتنع ان يسمى الشيء ببعض ما فيه الا ترى انهم قالوا البقرة وال عمران والنساء والمائدة ولا خلاف انها اسماء للسور وان كانت بعضا للسورة ومن فرق بين الاشخاص وغيرها في هذا المعنى فاوجب في الاشخاص ان يكون الاسم غير المسمى ولم يوجبه في غيرها فقد ابعد لانه لا فرق بين الموضعين على ما مضى القول فيه ولا يلزم ان يسمى كل سورة بمثل ذلك لان المصلحة في ذلك معتبرة وقد سمى الله كل سورة بتسمية تخصها وان لم تكن من هذا الجنس كما انه لما سمى الحمد باسمائه لم يلزم ذلك في كل سورة وقيل انها اسماء يعلم النبي عليه السلام تمامها والغرض بها نحو ما رويناه عن ابن عباس كما قال الشاعر سالتها الوصل فقالت قاف يعني وقفت وقال الاخر بالخير خيرات وان شرا فا يريد فشرا وقال الاخر ولا اريد الشر الا ان تا . يعني الا ان تشاء . وقال اخر ما للظليم غال كيف لا يا ينقد عنه جلده اذا يا يعني اذا يفزع فعلى هذا يحتمل ان يكون الالف انا واللام الله والميم اعلم وكذلك القول في باقي الحروف وعلى هذا لا موضع لالف لام ميم من الاعراب وعلى قول من قال انها اسماء السور موضعه الرفع كانه قال هذه الم او يكون ابتداء ويكون خبره

ذلك الكتاب واجمع النحويون على ان هذه الحروف وجميع حروف الهجا مبنية على الوقف
لا تعرب كما بني العدد على الوقف ولاجل ذلك جاز ان يجمع بين ساكنين كما جاز ذلك
في العدد فيقول واحد اثنان ثلثه اربعه فيقطع الف اثنين وهي الف وصل ويذكر
الها في ثلثه واربعه فلولم ينو الوقف لقلت ثلثه بالتا. وحكي عن عاصم في اسناد
وغيره الم الله بقطع الهمزة والباقون بفتح الميم وقالوا فتح الميم لالتقا الساكنين وقال
قوم لانه نقل حركة الهمزة اليه واختار ابو علي الاول لان همزة الوصل تسقط في الوصل فلا يبقى
هناك حركة تنقل وانشد في نقل حركة همزة الوصل قول الشاعر اقبلت من عنده زياد كالخرف
تخط رجلاي بخط مختلف تكتبان في الطريق لام الف ومتى اجريتها مجرى الاسما لا لحكاية
واخبرت قلت هذه كاف حسنة وهذا كاف حسن وكذلك باقي الحروف فتذكر وتؤنث
فمن انث قصد الكلمة ومن ذكر قصد الحرف فاما اعراب ابي جاد وهواز وحطي وكلمن
فزعم سيبويه انها مصروفات تقول علمت ابا جاد ونفعني ابو جاد وانتفعت بابي جاد وكذلك
هواز وهوازا وهواز وحطي وحطيا وحطي واما كلمن وسعفص وقرشيات فانهن
تقول هذه كلمن وتعلمت كلمن وانتفعت بكلمون وكذلك سعفص وقرشيات اسم للجمع
مصروفة لاجل الالف والياء واما معنى ابي جاد فقال الضحاك انها اسماء الايام الستة التي
خلق الله فيها الدنيا وقال الشعبي انها اسما ملوك مدين وانشد الا يا شعيب قد نطقت
مقالة سببت بها عمرا وحي بني عمرو ملوك بني حطي وهواز منهم وسعفص اهل للمكارم
والفخر هم صبحوا اهل الحجاز بغارة كمثل شعاع الشمس او مطلع الفجر وروي عن ابن عباس
ان لابي جاد حديثا عجيبا ابي ادم جد في اكل الشجرة وهواز نزل ادم فهوى من السما
الى الارض واما حطي فحطت عنه خطيئته واما كلمن فاكل من الشجرة ومن عليه بالتوبة
وسعفص عصى ادم فاخرج من النعيم الى النكد وقرشيات اقر بالذنب فسلم من العقوبة
وهذا خبر ضعيف لانه يتضمن وصف ادم وهو نبي لا يليق به وقال قوم انها حروف من اسما
الله روى ذلك معوية بن قرة عن النبي صلى الله عليه واله **ذلك الكتاب**
ذلك لفظة يشار بها الى ما قرب وذلك الى ما بعد وذاك الى ما بينهما ويحتمل ان يكون معنى
ذلك ها هنا هذا على قول عكرمة وجماعة من اهل العربية كالاخفش وابي عبيدة
وغيرهما قال اقول له والرمح ياطر متنه تامل خفافا انني انا ذالكا اي انني انا هذا وقال
ذلك عالم الغيب والشهادة وهو موجود في الحال وانما جاز ان يستعمل هذا وهي اشارة للحاضر بمعنى ذلك

وهي

وهي اشارة الى غائب لانه كالحاضر عند الغائب الا ترى ان الرجل يحدث حديثا فيقول السامع هذا
كما قلت وربما قال ان ذلك كما قلت وانما كان ذلك لقرب جوابه من كلام المخبر وكذلك لما قال تعالى
الم وذكر معنى ذلك قال للنبي صلى الله عليه واله يا محمد هذا الذي ذكرته وبينته ذلك الكتاب حسن وضع ذلك في
مكان هذا لانه اشارة الى ماضي . وقال قوم ان معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به على لسان
موسى وعيسى كما قال الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم يعني هذا ذلك الكتاب
وقال قوم انما اشار الى ما كان نزل من القران بمكة من السور فقال ذلك والاول اقوى لانه اشبه
باقوال المفسرين واما من حمل ذلك على انه اشارة الى التورية والانجيل فهذا باطل لانه وصفه بانه لا ريب
فيه وانه هدى للمتقين ووصف ما في ايديهم بانه مغير محرف في قوله يحرفون الكلم عن مواضعه
قوله تعالى **لا ريب فيه** قرا ابن كثير فيه بوصل الها بياء في اللفظ
وكذلك كل هاء كناية قبلها ياء ساكنة فان كان قبلها ساكن غير الياء وصلها بالواو ووافقه
حفص في قوله فيه مهانا ووافقه المسيبي في قوله واشركه في امري ووافقه قتيبة في قوله فملاقيه
وسا صليه فمن كسر الها مع ان الاصل فيها الضمة فلاجل اليا والكسرة اللتين قبلها والها تشبه
الالف لانها من حروف الحلق ولانها من الخفا فكما نحوا بالالف نحو اليا بالامالة لاجل الكسرة والياء
كذلك كسروا الها للكسرة واليا لتجانس الصورتان وذلك حسن وتركوا الاشباع كراهة
اجتماع المقاربة كما كرهوا اجتماع الامثال ومن اشبع واتبعها اليا فان الها وان كانت خفية
فليس يخرجها ذلك من ان تكون كغيرها من حروف المعجم التي لا خفاء فيها نحو الراء والصاد وان
الها والنون عند الجميع في وزن الشعر بمنزلة الراء والصاد وان كان في الراء تكرير وفي الصاد
استطالة فاذا كان كذلك كان جمعها بين الساكنين كجمع غيرها من الحروف التي لا خفاء فيها
ومعنى لا ريب فيه اي لا شك فيه والريب الشك وهو قول ابن عباس ومجاهد وعطاء
وغيرهم وقيل هو اشد الشك وهو مصدر رابني الشيء يريبني قال ساعد بن جوية الهذلي
وقالوا تركنا الحي قد حصروا به فلا ريب ان قد كان ثم لحيم اي الطوا به واللحيم القتيل
يقال لحم اذا قتل والها في فيه عائدة الى الكتاب ويحتمل ان يكون لا ريب فيه خبرا والمعنى
انه حق في نفسه ولا يكون المراد به انه لا يقع فيه ريب لان من المعلوم ان الريب واقع
فيه من الكفار وفي صحته ويجري ذلك مجرى الخبر اذا كان مخبره على ما هو به في انه يكون صدقا
وان كذب فيه قوم ولم يصدقوه ويحتمل ان يكون معناه الامر اي تيقنوه ولا ترتابوا فيه
قوله تعالى **(هدى للمتقين)** معناه نورا وضياء ودلالة للمتقين من

من الضلالة واختص المتقين بذلك وان كان هدى لغيرهم من حيث انهم هم الذين اهتدوا به
وانتفعوا به كما قال انما تنذر من اتبع الذكر وان كان انذر من لم يتبع الذكر ويقول القائل في
هذا الامر موعظة لي او لك وان كان فيه موعظة لغيرهما ويقال هديت فلانا الطريق اذا ارشدته
ودللته عليه اهديه هداية ويحتمل ان يكون منصوبا على الحال من الكتاب وتقديره ذلك الكتاب
هاديا للمتقين وذلك يكون مرفوعا بالم والكتاب نعت لذلك ويحتمل ان يكون حالا من الهاء
في فيه كانه قال لا ريب فيه هاديا ويحتمل ان يكون رفعا من وجوه اولها ان يكون خبرا بعد خبر
كانه قال هذا الكتاب هدى اي قد جمع انه الكتاب الذي وعد به وانه هدى كما يقولون
هذا حلو حامض يريدون انه قد جمع طعمين ويحتمل ان يكون رفعا بانه خبر ابتدا محذوف و
تقديره هو هدى لان الكلام الاول تم ويحتمل ان يكون رفعه على قولك ذلك الكتاب لا ريب كانك
قلت ذلك الكتاب حقا لان لا شك بمعنى حق ثم قال بعد ذلك فيه هدى للمتقين وهدى
يذكر في جميع اللغات حكي عن بعض بني اسد هذه هدى حسنة ويدغم النون في اللام
عند الاكثر والمتقين مجرور باللام والمتقي هو الذي يتقي بصالح اعماله عذاب الله مأخوذ
من اتقاء المكروه بما يجعله حاجزا بينه وبينه كما قال ابو حية النميري والقت قناعا دونه
الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم وقيل ان المتقين هم الذين اتقوا
ما حرم عليهم وفعلوا ما وجب عليهم وقيل ان المتقين هم الذين يرجون رحمة الله
ويحذرون عقابه وقيل ان المتقين هم الذين اتقوا الشرك وبرئوا من النفاق وهذا
الوجه ضعيف لانه يلزم عليه وصف الفاسق المتهتك بانه متق اذا كان بريا من
الشرك والنفاق واصل الاتقاء الحجز بين الشيئين ومنه اتقاه بالترس لانه جعله حاجزا
بينه وبينه واتقاه بحقه كذلك ومنه الوقاية لانها تحجز بين الراس والاذى ومنه التقية
في اظهار خلاف الابطان والفرق بينه وبين النفاق ان المنافق يظهر الخير ويبطن
الشر والمتقي يظهر القبيح ويبطن الحسن ويقال وقاه يقيه وقاية وتوقاه توقيا ٥

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون آية بلا خلاف ٥

الذين في موضع خفض لانه نعت للمتقين ويجوز ان يكون رفعا على الابتداء ويؤمنون
رفع لانه فعل مستقبل والواو والنون في موضع رفع لانه كناية عن الفاعل والنون الاخيرة
مفتوحة لانها نون الجمع والصلوة نصب لانها مفعول بها والايمان في اللغة هو التصديق

ومنه

ومنه قوله وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لنا وقال يؤمنون بالجبت والطاغوت وكذلك
هو في الشرع عند اكثر المرجئة والمراد بذلك التصديق بجميع ما اوجب الله او ندب اليه
او اباحه وهو المحكي عن ابن عباس في هذه الاية لانه قال الذين يصدقون بالغيب وحكي
عن الربيع بن انس انه قال الذين يخشون الغيب وقال معناه يطيعون الله في السر
والعلانية وقيل ان الايمان مشتق من الامان والمؤمن من يؤمن نفسه من عذاب الله
والله المؤمن لاوليائه من عقابه وذلك مروي في اخبارنا وقالت المعتزلة باجمعها الايمان
هو فعل الطاعة ومنهم من اعتبر فرائضها ونوافلها ومنهم من اعتبر الواجب منها لا غير واعتبروا
اجتناب الكبائر من جملتها وروي عن الرضا عليه السلام ان الايمان هو التصديق بالقلب
والعمل بالاركان والقول باللسان وقد بينا الاقوى من ذلك في كتاب الاصول واما
الغيب فحكي عن ابن عباس انه قال ما جاء من عند الله وقال جماعة من الصحابة كابن مسعود وغيره
ان الغيب ما غاب عن العباد علمه من امر الجنة والنار والارزاق والاعمار وغير ذلك وهو اولى
لانه عام ويدخل فيه ما رواه اصحابنا من زمان الغيبة ووقت خروج المهدي صلى الله عليه وآله وقال
قوم الغيب هو القرآن حكي ذلك عن زر بن حبيش وذكر البلخي ان الغيب كلما ادرك بالدلائل
والآيات مما يلزم معرفته وقال الرماني الغيب خفاء الشيء عن الحس قرب او بعد الا انه قد كثرت
صفة الغائب عن البعيد الذي لا يظهر للحس واصل الغيب من غاب يقولون غاب فلان
يغيب وليس الغيب ما تغيب عن الادراك لان ما هو معلوم وان لم يكن مشاهدا لا يسمى
غيبا والاولى ان تحمل الاية على عمومها في جميع من يؤمن بالغيب وقال قوم انها متناولة
لمؤمني العرب خاصة دون غيرهم من مؤمني اهل الكتاب قالوا بدلالة قوله فيما بعد والذين
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك قالوا ولم يكن للعرب كتاب قبل الكتاب الذي
انزله الله على نبيه تدين بتصديقه وانما الكتاب لاهل الكتاب وهذا غير صحيح لانه لا يمتنع
ان يكون الاية الاولى عامة في جميع المؤمنين المصدقين بالغيب وان كانت الاية الثانية
خاصة في قوم دون قوم لان تخصيص الثانية لا يقتضي تخصيص الاولى وقال قوم انها
مع الايتين اللتين بعدهما اربع آيات نزلت في مؤمني اهل الكتاب لانه ذكرهم في بعضها
وقال قوم ان الاربع آيات من اول السورة نزلت في جميع المؤمنين وآيتان نزلتا
في نعت الكافرين وثلاث عشرة في المنافقين وهذا اقوى الوجوه لانه حمل على عمومه
وحكي ذلك عن مجاهد وقوله يقيمون الصلوة فاقامتها اداؤها بحدودها وفرائضها و

وولجبايتها كما فرضت عليهم يقال اقام القوم سوقهم اذا لم يعطلوها من البيع والشرا
قال الشاعر اقمنا لاهل العراقين سوق الضراب فخاموا وولوا جميعا وقال ابو مسلم
محمد بن بحر معنى يقيمون الصلوة يديمون اذا فرضها يقال للشيء الراتب قائم ولفاعله
مقيم ومن ذلك فلان يقيم ارزاق الجند وقيل انه مشتق من تقويم الشيء من قولهم
قام بالامر اذا احكمه وحافظ عليه وقيل انه مشتق مما فيه من القيام ولذلك قيل قد
قامت الصلوة فاما الصلوة فهي الدعاء في اللغة قال الشاعر وقابلها الريح في دنها
وصلى على دنها وارتسم اى دعا لها. وقال الاعشى لها حارس لا يبرح الدهر بيتها
فان ذبحت صلى عليها وزمزما يعني دعى لها واصل الاشتقاق في الصلوة من اللزوم
من اللزوم من قوله تصلى نارا حامية والمصلى الصلا ومنه اصطلا بالنار اذا لزمها
والمصلي الذي يجيء في اثر السابق للزوم اثره ويقال في العظم الذي في العجز صلا وهما
صلوان فاما في الشرع ففي الناس من قال انها تخصصت بالدعاء والذكر في موضع مخصوص كما خصوصه
ومنهم من قال وهو الصحيح انها في الشرع عبارة عن الركوع والسجود على وجه مخصوص واركان واذ
وقيل انها سميت صلوة لان المصلي متعرض لاستنجاح طلبته من ثواب الله ونعمه مع ما يسال
ربه فيها من حاجاته واما الرزق فهو ما للحي الانتفاع به على وجه لا يكون لاحد منعه منه وهذا
لا تطلق الا فيما هو حلال فاما الحرام فلا يكون رزقا لانه ممنوع منه بالنهي ولصاحبه منعه ايضا
منه ولانه ايضا مدحهم بالانفاق مما رزقهم والمغصوب والحرام يستحق الذم على انفاقه فلا يجوز
ان يكون رزقا وقوله ومما رزقناهم ينفقون حكي عن ابن عباس انه الزكوة المفروضة
يؤتيها احتسابا وحكي عن ابن مسعود انه نفقة الرجل على اهله لان الاية نزلت قبل وجوب الزكوة
وقال الضحاك هو التطوع بالنفقة فيما قرب من الله والاولى حمل الاية على عمومها فيمن اخرج الزكوة
الواجبة والنفقات الواجبة وتطوع بالخيرات واصل الرزق الحظ لقوله وتجعلون رزقكم
انكم تكذبون اى حظكم فيما جعل حظا لهم فهو رزقهم. والانفاق اصله الاخراج ومنه قيل
نفقت الدابة اذا خرجت روحها والنافقاء جحر اليربوع من ذلك لانه يخرج منها ومنه
النفاق لانه يخرج الى المؤمن بالايمان والى الكافر بالكفر قوله تعالى

والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
وبالاخرة هم يوقنون ٥ اية لا تمد القراء الالف من ما الا
حمزة فانه مدها وقد لحن في ذلك وكان يقف قبل الهمزة فيقرأ وبالاخرة لتمكنا

على

على اللام شيئا ثم يبتدى بالهمزة وكذلك الارض وشيء يقطع عند اليا من شيء كانه
يقف ثم يهمز وموضع ما خفض بالباء ويكره الوقف على ما لان الالف حرف منقوص
وقال قتادة ما انزل اليك القران وما انزل من قبلك الكتب الماضية وقد بينا
ان الاولى حمل الاية على عمومها في المؤمنين وذكرنا الخلاف فيه. والاخرة صفة
الدار فحذف الموصوف قال الله تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان ووصفت بذلك
لمصيرها اخرة لاولى كانت قبلها كما يقال جئت مرة بعد اخرى ويجوز ان يكون سميت بذلك
لتاخيرها عن الخلق كما سميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وايقانهم ما جحد المشركون
من البعث والنشور والحساب والثواب والعقاب وروى ذلك عن ابن عباس
والايقان بالشيء هو العلم به وسمي يقينا لحصول القطع عليه وسكون النفس اليه
قوله تعالى اولئك على هدى من ربهم و
اولئك هم المفلحون اية اولئك بهمزتين ومنهم من يخففها
وهمزة بين اولئك واولئك اسم
مبهم يصلح لكل حاضر تعرفه الاشارة كقولك ذاك في الواحد واولاء جمع ذا في المعنى و
من قصر قال اولا واولاك واذا مددته لم يجز زيادة اللام لئلا يجتمع ثقل الهمزة و
ثقل الزيادة ويقول اولا للقريب فهؤلاء ولئك للبعيد واولئك للمتوسط واضيف
الهدى الى الله لاحد امرين احدهما ما فعله بهم من الدلالة على الهدى والايضاح له
والدعاء اليه. والثاني لانه يثيب عليه فعلى هذا اضاف الايمان بانه هداية من
الله وهدى في موضع خفض بعلى ومعنى على هدى اى على حق وخير هداية الله
اياهم ودعائه لهم الى ما قالوا به ومن قال هم على نور واستقامة او بيان ورشد فهو داخل
تحت ما قلنا والاولى ان يكون ذلك عاما فيمن تقدم ذكره في الايتين ومن خص ذلك
فقد ترك الظاهر لان فيهم من خصها بالمعنيين في الاية الاولى وفيهم من خصها بالمذكورين
في الاية الثانية وقد بينا ان الجميع محمول على العموم وحملها على العموم في الفريقين محكيا
عن ابن عباس وابن مسعود. والمفلحون هم المنجحون الذين ادركوا ما طلبوا من عند الله
باعمالهم وايمانهم والفلاح النجاح قال الشاعر اعقلي ان كنت لما تعقلي ولقد افلح من
كان عقل يعني من ظفر بحاجته واصاب خيرا ويقول افلح يفلح افلاحا وتقول فلح يفلح فلا
وفلاحا والفلاح البقاء ايضا قال لبيد نحل بلادا كلها حل قبلنا ونرجو الفلاح بعد عاد وحمير

يعنى البقاء واصل الفلح القطع فكانه قطع لهم بالخير ومنه قيل للاكار فلاح لانه يشق الارض
والفلاح المكارى لانه يقطع الارض قال الشاعر ان الحديد بالحديد يقطع يفلح وفى اولئك
لغات فلغة اهل الحجاز اوليك بالياء واهل نجد قيس وربيعة واسد يقولون اولئك
بهمزة وبعض بنى سعيد من بنى تميم يقولون الاك مشدودة وبعضهم يقول الالك قال
الشاعر اولالك قوم لم يكونوا اشابة وهل يعظ الضليل الا الالكا وهم يخلف الله الفضل

قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ آية

نزلت فى ابى جهل وخمسة من قومه
من قادة الاحزاب قتلوا يوم بدر فى قول الربيع بن انس واختاره البلخى و المغربى قال ابن عباس
نزلت فى قوم باعيانهم من احبار اليهود الذين حول المدينة وقال قوم نزلت فى مشركى العرب الله اعلم
واختار الطبرى قول ابن عباس والذى نقوله انه لا بد ان يكون الاية مخصوصة لان حملها على العموم غير
لانا قد علمنا ان فى الكفار من يؤمن فلا يمكن العموم واما القطع على واحد مما قالوه فلا دليل عليه ويجب
تجويز كل واحد من هذه الاقوال ومن مات منهم على كفره يقطع على انه مراد بالاية فعلى هذا قادة الاحزاب
مرادون على ما قال ربيع بن انس ومن قتل يوم بدر كذلك ومن قال ان الاية مخصوصة بكفار اهل
الكتاب قال لان ما تقدمها تختص بمؤمنيهم فيجب ان يكون ما يعقبها مختصا بكفارهم وقد قلنا
ان الاية الاولى حملها على عمومها اولى ولو كانت خاصة بهم لم يجب حمل هذه الاية على الخصوص
لما تقدم فيما مضى والذين نصب بان والكفر هو الجحود والستر ولذلك سمى الليل كافرا الظلمة
قال الشاعر فتذكرا نقلا رشيدا بعدما القت ذكاء يمينها فى كافر وقال لبيد فى
ليلة كفر النجوم غمامها يعنى غطاها والكافور اكمام الكرم الذى يكون فيه والكفرى وعاء الطلعة
لانه يستر اللب ومنه قوله تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وسمى الزارع كافرا لتغطيته البذر
ويقال فلان متكفر بالسلاح اذا تغطى به وفى الشرع عبارة عمن جحد ما اوجب الله عليه معرفته
من توحيده وعدله ومعرفة نبيه والاقرار بما جاء به من اركان الشرع فمن جحد شيئا من ذلك
كان كافرا وربما تعلقت به احكام مخصوصة من منع الموارثة والمناكحة والدافنة و الصلوة
عليه وربما لم يتعلق بحسب الدليل عليه قوله تعالى سواء عليهم اانذرتهم جمع بين
الهمزتين اهل الكوفة وابن عامر الا الحلوانى وكذا لكل همزتين فى كلمة واحدة اذا كانت
الاستفهام فى مواضع مخصوصة نذكرها فيما بعد الباقون بتخفيف الاولى وتليين
الثانية وفصل بينهما بالالف اهل المدينة الا الورش وابا عمرو والحلوانى عن هشام

وذكرهم باعيانهم من اليهود

ومعنى

بالمنهيين جار وصفه

ذلك يخوف الله به عباده فاذ لجاز وصفه بلفظ يشتمل عليهما وانذرت فعل متعد الى مفعولين
كقوله تعالى انذرتكم صاعقة وانا انذرناكم عذابا قريبا وقد ورد معدى بالباء في قوله
تعالى قل انما انذركم بالوحي وقيل الانذار هو التحذير من مخوف يتسع زمانه للاحتراز فان
لم يتسع زمانه للاحتراز كان اشعارا ولم يكن انذارا قال الشاعر انذرت عمرا وهو في مهل
قبل الصباح فقد عصى عمرو فان قيل الذين علم الله منهم انهم لا يؤمنون هل كانوا
قادرين على الايمان ام لا فان قلتم ما كانوا قادرين وقد كلفهم الله تعالى الايمان فقد
كلفهم ما لا يقدرون عليه وهذا لا يجوز فان كانوا قادرين عليه فقد قلتم انهم كانوا
قادرين على تجهيل الله قلنا هذا يلزم المخالف مثله فانه لا خلاف انهما مأمورون بالايمان
فيقال لهم انه لا يجب ذلك كما لا يجب اذا كانوا مأمورين بالايمان ان يكونوا مأمورين ان ليس
الله قد علم انه لا يقيم القيامة اليوم اتقولون انه قادر على اقامتها ام لا فان قلتم انه لا يقدر
فقد عجزتم الله وان قلتم انه يقدر فقد قلتم انه يقدر على ان يجهل نفسه والجواب الصحيح
عن ذلك ان العلم يتناول الشيء على ما هو به ولا يجعله على ما هو به فليس يمتنع ان يعلم حصول
شيء بعينه وان كان غيره مقدورا الا ترى ان من خير بين الصدق والكذب وقد
علم ان كل واحد منهما يقوم مقام صاحبه في باب العرض وقد علم قبح الكذب وحسن الصدق
لا يجوز ان يختار الكذب على الصدق وان كان قادرا على الكذب فبان بذلك صحيح قلناه

قوله تعالى خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٥ آية

اجمع القراء السبعة على كسر الغين وضم التاء وروى عن بعض القراء فتح الغين وعن
الحسن ضم الغين وحكي عن عاصم في الشواذ غشاوة بنصب التاء ولا يقرأ بجميع ذلك
ختم الله على قلوبهم اي شهد عليها بانها لا تقبل الحق بقول القائل اراك تختم على كلما يقوله
فلان اي تشهد به وتصدقه وقد ختمت عليك بانك لا تعلم اي شهدت وذلك
استعارة وقيل ان ختم بمعنى طبع فيها اثر الذنوب كالسمة والعلامة لتعرفها الملائكة
فيتبرؤا منهم ولا يوالوهم ولا يستغفروا لهم مع استغفارهم للمؤمنين وقيل
المعنى في ذلك انه ذمهم بانها كالمختوم عليها في انها لا يدخلها الايمان ولا يخرج
عنها الكفر قال الشاعر لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

اي كانه

اي كانه لا حيوة فيه والختم آخر الشيء ومنه قوله تعالى ختامه مسك ومنه خاتم النبيين اي آخرهم
ومنه ختم الكتاب لانه آخر حال الفراغ منه والختم الطبع والخاتم الطابع وما يختم الله على القلوب من
السمة والعلامة التي ذكرناها ليست بمانعة من الايمان كما ان ختم الكتاب والظرف والوعاء
لا يمنع من اخذ ما فيه وحكي عن مجاهد انه قال الرين ايسر من الطبع والطبع ايسر من الختم

ابن علي

ومن الاقفال والقفل اشد من ذلك وقيل ان قوله تعالى ختم الله اخبار عن تكبرهم
واعراضهم عن الاستماع لما دعوا اليه من الحق كما يقال فلان اصم عن هذا الكلام اذا امتنع
عن سماعه ورفع نفسه عن توهمه والغشاوة الغطاء وفيها ثلث لغات فتح الغين وضمها
وكسرها وكذلك غشوة فيها ثلث لغات ويقال تغشاني الهم اذا تجللني وكل شيء اشتمل على
الشيء مبني على فعالة كالعمامة والقلادة والعصابة وكذلك في الصناعة كالخياطة والقصارة
والصياغة والنساجة وغير ذلك وكذلك من استولى على شيء كالخلافة والامارة وغير ذلك
وكذلك من استولى على شيء كالخلافة والامارة وغير ذلك قال ابو عبيدة وعلى سمعهم معناه
اسماعهم ووضع الواحد موضع الجمع لانه اسم جنس كما قال يخرجكم طفلا بمعنى اطفالا ويجوز
ان يكون اراد المصدر لانه يدل على القليل والكثير فمن رفع التاء قال الكلام الاول قد تم

موضع سمعهم فحذف لدلالة الكلام عليه ويجوز ان يكون اراد

عند قوله وعلى سمعهم واستأنف وعلى ابصارهم غشاوة وتقديره غشاوة على ابصارهم ومن نصب
قدره بمعنى جعل على ابصارهم غشاوة كما قال الشاعر علفتها تبنا وماء باردا وقال الآخر متقلدا سيفا
ورمحا لما دل الكلام الاول عليه فاذا لم يكن في الكلام ما يدل عليه لا يجوز اضماره ولا يجوز
ان ينصب بالفعل الاول الذي هو الختم لان الختم لا يطلق على البصر كما ذكر في قوله تعالى
وختم على سمعه وقلبه ثم قال وجعل على بصره غشاوة فلم يدخل البصر في معنى الختم وقال
قوم ان ذلك على وجه الدعاء عليهم لا للاخبار عنهم وهذا يمكن في قوله تعالى ختم الله على
قلوبهم وعلى سمعهم فمن نصب غشاوة فاما من رفع ذلك فلا يكون دعاء والاقوى ان
ذلك خبر لانه خرج مخرج الذم لهم والازراء عليهم وكيف يحمل على الدعاء ويحتمل ان يكون
المراد بهم انه سيختم ويكون الماضي بمعنى المستقبل كما قال ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار
وعلى هذا يسقط سؤال المخالف والقلب جعل الشيء على خلاف ما كان يقال قلبه
يقلبه قلبا والقليب البئر لان الماء ينقلب اليها وما به قلبة اي انقلاب عن صحة وفلان
حول قلب اذا كان يتقلب الامور برايه ويحتال عليها والقلوب الذئب لتقلبه في الحيلة
على الصيد بخبثه وسمي القلب قلبا لتقلبه بالخواطر قال الشاعر ما سمي القلب الا من تقلبه

والراى يعرف والانسان اطوار والبصر مصدر بصر به يبصر بصرا بمعنى ابصر والبصيرة اعتبار
الابصار للحق بالقلب والبصائر قطع الدم لانها ترى كثيرة للقتل ولهم عذاب عظيم بالاظهار
التنوين لان النون تبين عند حروف الحلق وهي ستة احرف العين والغين والحاء والخاء
والهمزة والهاء ومن هذه الاحرف ما لا يجوز الا التبيين وهي العين كقوله من عند الله ومن
عليها ونحو قوله من خلفهم والهمزة نحو قوله غثاء احوى والخاء والغين يجوز اخفاؤهما عندهم
على ضعف فيه من قوله والمنخنقة ونارا خالدا فيها فان خفتم وميثاقا غليظا ماء غدقا
قولا غير الذي قال القراء اهل العراق يبينون واهل الحجاز يخفون وكل صواب
فان قيل اذا قلتم ان الله ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فكيف يكونون
قادرين على الايمان قيل يكونون قادرين عليه لان الختم والغشاوة ليسا بشيئين
يفعلهما الله في القلب والعين يصدهما عن الايمان ولكن الختم شهادة على ما فيها
من الله عليهم بانهم لا يؤمنون وعلى قلوبهم بانها لا تعي الذكر ولا تعي الحق وعلى اسماعهم
لانها لا تصغي الى الحق وهذا اخبار عمن يعلم انه لا يؤمن والغشاوة هي الفهم بحبهم
له ولم يقل تعالى انه جعل على قلوبهم غشاوة بل اخبر انه كذلك ومن قرا بالنصب و
ان كان شاذا احتمل ان يكون اراد معنى قوله ان السورة زادتهم رجسا الى رجسهم
والسورة لم تزدهم ولكنهم ازدادوا عندها وسنوضح ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى
ولهم عذاب عظيم بتقذرهم بما هم عليه من خلافك عذاب عظيم وحكى ذلك عن ابن عباس
واصل العذاب الاستمرار بالشيء عذبه تعذيبا اذا استمر به الالم وعذب الماء عذوبة
اذا استمر في الحلق وحمار عاذب وعذوب اذا استمر به العطش ولم ياكل من شدة العطش و
فرس عذوب مثل ذلك والعذوب الذي ليس بينه وبين السماء ستر وعذبته عن الشيء
بمعنى فطمته وعذبة السوط طرفه والعذاب استمرار الالم واصل العظم عظم الشخص ومنه عظيم
الشان المعنى بالشيء عن غيره وعظماء الله تعالى كبرياؤه والعظام من العظم لانه من اكبر ما

قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم
الاخر وما هم بمؤمنين اية

من لفظه يخبر بها عن واحد من العقلاء
والاثنين وجماعة فلما قال وما هم بمؤمنين دل على انه اراد الجمع وانما يقول بلفظ الواحد حملا
له على اللفظ قال الشاعر وكن مثل من يا ذئب يصطحبان وقيل في معنى الناس وجهان احدهما
ان يكون جمعا لا واحد له من لفظه وواحدهم انسان والانثى انسانة والثاني ان اصله

اناس

اناس فاسقطت الهمزة منها لكثرة الاستعمال اذا دخلها الالف واللام للتعريف ثم
ادغمت لام التعريف في النون كما قيل لكنا هو الله واصله لكن انا وقال بعضهم
الناس لغة في اناس لقيل في التصغير نويس فرد الى اصله واشتقاقه من النوس
وهو الحركة ناس ينوس نوسا اذا تحرك والنوس تذبذب الشيء في الهواء و
منه نوس القرط في الاذن لكثرة حركته ولا خلاف بين المفسرين ان هذه الاية وما
بعدها نزلت في قوم من المنافقين من الاوس والخزرج وغيرهم روى ذلك عن
ابن عباس وذكر اسماءهم ولا فائدة في ذكرها وكذلك ما بعدها الى قوله وما كانوا
مهتدين كلها في صفة هؤلاء المنافقين والمنافق هو الذي يظهر الاسلام بلسانه
وينكره بقلبه واليوم الاخر هو يوم القيمة وانما سمي اليوم الاخر لانه يوم لا يوم
بعده سواه وقيل لانه بعد الدنيا ايام واول ايام الاخرة فان قيل كيف لا
يكون بعده يوم ولا انقطاع للاخرة ولا فناء قيل اليوم في الاخرة سمي يوما بليلته
التي قبله فاذا لم يتقدم النهار ليل لم يسم يوما فيوم القيمة يوم لا ليل بعده فلذلك سمي
اليوم الاخر وانما قال وما هم بمؤمنين مع قوله من يقول امنا بالله تكذيبا لهم فيما اخبروا
عن اعتقادهم من الايمان والاقرار بالبعث والنبوة فبين ان ما قالوه بلسانهم مخالف
ما في قلوبهم وذلك يدل على ان الايمان لا يكون مجرد القول على ما قالته الكرامية
يقول من القول ومنه يقول اذا تحرص القول واما ال فهو مقيال اذا اخذ نفعا الى نفسه بالقول
او دفع به ضررا عنها والمقول اللسان يقوله تقويلا اذا طالبه باظهار القول قوله تعالى

يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم
وما يشعرون

قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو بضم الياء وبالالف والباقون
بفتح الياء بلا الف في قوله وما يخادعون قال ابو زيد خدعت
الرجل اخدعه خدعا بكسر الخاء وخديعة ويقال في المثل انك لا تخدع من ضب حرشته وقال خِدعا
ابن الاعرابي الخادع الفاسد من الطعام ومن كل شيء وانشد ابيض اللون لذيذ
طعمه طيب الريق اذا الريق خدع اي تغير وفسد وقال ابو عبيدة يخادعون بمعنى
يخدعون قال الشاعر وخادعت المنية عنك سرا فلا جزع الاوان ولا رواعا
وخداع المنافق اظهاره بلسانه من القول او التصديق خلاف ما في قلبه من الشك
والتكذيب وليس لاحد ان يقول كيف يكون المنافق لله ولرسوله وللمؤمنين مخادعا

وهو لا يظهر بلسانه خلاف ما هو له معتقد الا تقيه وذلك لان العرب تسمي من اظهر بلسانه
غير ما في قلبه لينجوا مما يخاف مخادعا لمن تخلص منه بما اظهر من التقية فلذلك سمي المنافق مخادعا
من حيث انه نجى من اجرا حكم الكفر عليه بما اظهره بلسانه فهو وان كان مخادعا للمؤمنين في الدنيا
فهو لنفسه مخادع لانه يظهر لها بذلك انه يعطيها امنيتها وهو يوردها بذلك اليم العذاب وشديد
الوبال فلذلك قال وما يخدعون الا انفسهم. وقوله وما يشعرون يدل على بطلان قول من قال
ان الله لا يعذب الا من كفر عنادا بعد علمه بوحدانيته ضرورة لانه اخبر عنهم بالنفاق وانهم
لا يعلمون ذلك والمفاعلة وان كانت تكون من اثنين من كل واحد منهما لصاحبه مثل ضاربت
وقاتلت وغير ذلك وقد ورد من هذا الوزن فاعل بمعنى فعل مثل قاتله الله وطارقت النعل
وعافاه الله وغير ذلك وقد حكينا ان معناه يخدعون كما قال في البيت المقدم وقيل انه
لم يخرج بذلك عن الباب ومعناه ان المنافق يخادع الله بكذبه بلسانه على ما تقدم والله
يخادعه بخلافه بما فيه نجاة نفسه كما قال انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين و
حكي عن الحسن [2] يخادعون الله انهم يخادعون نبيه لان [3] طاعة الله ومعصيته معصية الله
كما قال وان يريدوا ان يخدعوك قيل معناه انهم يعملون عمل المخادع كما يقال فلان يسخر من
نفسه ومن قرا يخادعون بالف طلب المشاكلة والازدواج كما قال وان عاقبتم فعاقبوا
وكما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وكما قال الشاعر الا لا يجهلن احد علينا .
فنجهل فوق جهل الجاهلينا . وقال تعالى يسخرون منهم سخر الله منهم ومثله كثير
وقيل في حجة من قرا يخادعون بالف هو ان ينزل ما يخطر بباله ويهجس في نفسه من
الخداع بمنزلة اخر يجازيه ذلك ويفاوضه وكان الفعل من اثنين كما قال الشاعر يذكر
حمارا اراد الورود تذكر مرانا ومن ابن شربه نوازع نفسه لدى الهجمة الابل فجعل ما
يكون منه من وروده الماء وترك الورود والتمثيل بينهما بمنزلة نفسين وقال الاخر وهل
نطيق وداعا ايها الرجل وعلى هذا قول من قرا قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فنزل
مخاطب نفسه ونظاير ذلك كثيرة وانما دعاهم الى المخادعة امور احدها التقية وخوف القتل
والثاني ليكرموهم اكرام المؤمنين الثالث ليانسوا اليهم في اسرارهم فينقلوها الى اعدائهم
والخداع مشتق من الخدع وهو اخفاء الشيء مع ايهام غيره ومنه المخدع البيت الذي يخفى
فيه الشيء فان قيل اليس الكفار قد خدعوا المؤمنين بما اظهروا بالسنتهم حتى حقنوا بذلك
دماءهم واموالهم وان كانوا مخدوعين في امر اخرتهم قيل لا نقول خدعوا المؤمنين لان الطلاق

ذلك

[2] ان معنى
[3] طاعته

لان الطلاق ذلك يوجب حقيقة الخديعة لكن نقول خادعوهم وما خدعوهم بل خدعوا انفسهم كما قال تعالى في الآية
ولو ان انسانا قاتل غيره فقتل نفسه جاز ان يقال انه قاتل فلانا فلم يقتل الا نفسه فتوجب مقاتلة صاحبه وينفي عنه قتله
والنفس مأخوذة من النفاسة لانها اجل ما في الانسان تقول نفس ينفس نفاسة اذا ضن به وتنافسوا في
في الامر اذا تشاحوا والنفس الروح ونفس عنه تنفيسا اذا روح عن نفسه والنفس الدم ومنه النفساء والنفس
المراة والنفس خاصة الشيء وقوله وما يشعرون اي وما يعلمون يقال ما شعرت لان بهذا الامر وهو لا يشعر به
اذا لم يدر به شعرا وشعورا ومشعورا قال الشاعر عقوا بسهم فلم يشعر به احد ثم استفادوا وقالوا حبذا
الوضح يعني لم يعلم به احد واصل الشعر الدقة شعر به يشعر اذا علم بامر دقيق ومنه الشعر والشعرة لانها
في راسها كالشعر في الدقة والمشاعر العلامات في مناسك الحج كالموقف والطواف وغيرهما والشعار البدنة
اذا اعلمتها انها هدي والشعار ما يلي الجسد لانه يلي شعر البدن الا انفسهم نصب على الاستثناء قوله تعالى

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون

اية اما الزاي ابن عامر الا الحلواني وحمزة وقرا اهل الكوفة بفتح الياء يكذبون مخففا يقال زاد يزيد
زيادة قال الشاعر كذلك زيد المرء بعد انتقاصه وزدت فعل يتعدى الى مفعولين قال تعالى وزدناهم
هدى وزدناهم عذابا فوق العذاب وزاده بسطة في العلم والجسم وقوله فزادهم ايمانا والمعنى زادهم قول
الناس لهم ايمانا اضمر المصدر في الفعل واسند الفعل اليه كما قال ما زادهم الا نفورا اي ما زادهم مجيء النذير
والمعنى انهم ازدادوا عنده وقال ابو عبيدة المرض الشك والنفاق وقيل في قوله فيطمع الذي في قلبه مرض اي
فجور وقال سيبويه مرضته قمت عليه ووليته وامرضته جعلته مريضا وقيل ان المرض الغم والوجع من الجسد و
العداوة لكم فزادهم الله مرضا دعاء عليهم كما قال تعالى ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم واصل المرض السقم في البدن
فشبه ما في قلوبهم من النفاق والشك بمرض الاجساد والاليم بمعنى المولم الموجع فعيل بمعنى مفعل مثل بديع بمعنى مبدع
ومكان حريز بمعنى محرز قال ذو الرمة يصك وجوهها وهج اليم فان قيل اذا كان معنى قوله في قلوبهم مرض اي شك
ونفاق ثم قال فزادهم الله مرضا ثبت ان الله يفعل الكفر بخلاف ما يذهبون اليه قيل ليس الامر على ما ذكرتم بل معناه
ان المنافقين كانوا كلما انزل الله اية او سورة كفروا بها فازدادوا بذلك كفرا الى كفرهم وشكا الى شكهم فجاز
كذلك ان يقال فزادهم الله مرضا لما ازدادوا هم عند نزول الايات ومثل ذلك قوله حكاية عن نوح رب اني
قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا وهم الذين ازدادوا فرارا عند دعائه ومثل قوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم وانما ارادوا انهم ازدادوا عند نزول الاية وكقوله فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري والمؤمنون
ما انسوهم ذكر الله بل كانوا يدعونهم اليه تعالى لكن لما انسوا ذكر الله عند ضحكهم من المؤمنين واتخاذهم اياهم
سخريا جاز ان يقال ان المؤمنين انسوهم ويقول القائل لغيره اذا وعظه فلم يقبل النصيحة فلكنت شرا لك وزاد

نضيجي شرا واغا يريد انه ازداد عنده فلما كان المنافقون قد مرضت قلوبهم بما فيها من الشك ثم ازدادوا شكا
وكفرا عند ما كان يتجدد من امر الله ونهيه وما ينزل من اياته جاز ان يقال فزادهم الله مرضا فان قيل على هذا
ينبغي ان يكون انزال الايات مفسدة لانهم يزدادون عند ذلك الكفر قلنا لا يوجد المفسدة ما وقع عندها
الفساد وانما المفسدة ما وقع عندها الفساد ولولاها لم يقع ولم يكن تمكينا وهذا عكس لهم من النظر
وذلك لم يكن استفسادا ولو كان الامر على ما قالت المجبرة ان الله يخلق فيهم الكفر لقالت الكفار ربنا
والله تعالى يخلق فينا الكفر ويمنعنا من الايمان فلم تلوموننا على ما فعله الله وكانت تكون الحجة لهم لا عليهم
وذلك باطل والتقدير في الاية في اعتقاد قلوبهم الذي يعتقدونه في الدين والتصديق بنبيه مرض وحذف
المضاف واقام المضاف اليه مقامه قال الشاعر هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلمي
يعني اصحاب الخيل كما قال يا خيل الله اركبي يعني اصحاب خيل الله وكما قال واسأل القرية وانما اراد اهلها وروي عن ابن
عباس ان المرض المراد به الشك والنفاق وبه قال قتادة وعبد الرحمن بن زيد والكذب ضد الصدق وهو
الاخبار عن الشيء لا على ما هو به يقال كذب يكذب كذبا وكذابا خفيف وثقيل مصدران والكذب كا
والكذاب كالكتاب والاكذاب جعل الفاعل على صفة الكذب والتكذب التخلي بالكذب وحجة من
ضم الياء وشدد الذال انه ذهب الى انهم استحقوا العذاب بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليا
ومن فتح الياء وخفف الذال فلانه قال يكذبهم وهو اشبه بما تقدم وهو قولهم امنا بالله وباليوم
الاخر فاخبر الله عنهم فقال وما هم بمؤمنين ولذلك يحمل يكذبهم وادخل كان ليعلم ان ذلك كان فيما مضى كقول
القائل ما احسن ما كان زيد او قال بعض الكوفيين لا يجوز ذلك لان حذف كان انما اجازوه في التعجب لان
الفعل قد تقدم فكانه قال حسنا كان زيد ولا يجوز ذلك ههنا لان كان تقدمت الفعل قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ آية

قرأ ضم القاف فيه وفي اخواتها الكسائي وهشام ورويس ووافقهم ابن ذكوان في السين والحاء
حيل وسيق وسيئت ووافقهم اهل المدينة في سيء وسيئت فمن ضم ذهب الى ما حكي عن بعض العرب قد قول زيد بوع
المتاع بدل قيل وبيع ومن كسرها فلان الياء الساكنة لا تكون بعد حرف مضموم ومن اشم قال الصل قول ستثقل
الضمة فقلبت كسرة واشمت ليعلم ان الاصل كانت الضمة وروي عن سلمان رحمة الله عليه انه قال لم يجئ هؤلاء
وقال اكثر المفسرين انها نزلت في المنافقين الذين فيهم الايات المتقدمة وهو الاقوى ويجوز ان يراد بها من يعمل عملهم
صوفهم فيحمل قول سلمان على انه اراد بعد انقراض المنافقين تناولتهم الاية ومعنى قولهم انما نحن مصلحون يحتمل
امرين احدهما ان يقولوا ان هذا الذي عندكم فساد هو صلاح عندنا لانا اذا قابلناهم اسلم عشنا
الى الحق في الدين والثاني ان يجحدوا ذلك المبالغ والافساد ماخوذ من الفساد وهو كلما تغير عن استقامة

الحال يقول فسد يفسد فسادا والافساد احداث الفساد والمفاسدة المعاملة بالفساد والتفاسد تعاطي الفساد
بين اثنين والافساد الطا وعنه على الفساد لا تفسد وافي الارض فيقولون انما نحن مصلحون وقال لهم امنوا كما امن الناس
فيقولون انؤمن كما امن السفهاء فليس هو كلا منافقين بل هم يظهرون يكفرهم والاية في المنافقين قيل المنافقون كانوا
يظهرون الايمان للنبي صلى الله عليه وآله فانهم كانوا لا يالون المسلمين خبالا وكانوا يثبطون عن النبي ومن
الى عدوه يتمون تفقون باسماعهم منهم ومن يظنون ذلك فيهما صادقوا المؤمن النهي فنهيهم باذكر الله تعالى
لخبراولئك النبي عليه السلام ثم ذكروه ما قالوا وعاتبهم النبي عادوا الى اظهار الايمان والندم عليه وكذبوا
قائله والحاكي عنهم وكان لا يجوز في الدين الا قبول ذلك منهم بما يظهرون وخاصة في صدر الاسلام
والحاجة الى تالف قلوبهم ما تبين من قراءة الاخبار فتبين صحة ما قلناه والافساد في الارض العمل فيها بما نهى الله
عنه وتضييع ما امر الله بحفظه كما قال تعالى حاكيا عن الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها يعني من
يعصيك ويخالف امرك وهذه صفة المنافقين والارض هي المستقر للحيوان ويقال القوائم البعير ارض و
كذلك الفرس اي قوي والارض الرعدة وقال ابن عباس ءادري ازلزلت الارض ام بي ارض اي رعدة
والارض دويبة تاكل الخشب والصلاح استقامة الحال فالاصلاح الاستقامة والاصطلاح الاجتماع
والتصالح التمالي على الصلاح ومنه الصالح والاستصلاح والصالح المستقيم الحال والمصلح المقوم للشيء على الاستقامة

قوله تعالى أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ آية

الا فيه تنبيه ومعناها الاستفتاح الكلام ومثله اما ترى اما تسمع واصله لا دخل عليه الف الاستفهام
والالف اذا دخل على الجحد اخرجه الى الايجاب نحو قوله أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى لانه لا يجيب الا ببلى
بلى والهاء والميم في موضع النصب بان وهم فصل عند البصريين وتسميه الكوفيون عمادا وقوله لا يشعرون
قد فسرناه وفيها دلالة على من قال بان الكفار معاندون عالمون بخطاياهم عليه وان المعرفة ضرورة
فوصفهم بانهم هم المفسدون لا يمنع من وصف غيرهم بانه مفسدون لان ذلك دليل الخطاب وحكي عن
عن ابن عباس ان معنى قولنا انما نحن مصلحون انما يريد الاصلاح بين الفريقين من المؤمنين واهل
الكتاب وحكي عن مجاهد انهم اذا ركبوا معصية الله قيل لهم لا تفعلوا هذا قالوا انما نحن مصلحون اي انما
نحن على الهدى وكلا الامرين محتمل لانهما جميعا عندهم اصلاح اتى في الدين وان كان ذلك افسادا عند الله
ومن حيث انه خلاف لما امرهم به وانما جاز تكليف ما لا يشعر انه على ضلال لانه له طريقا الى العلم به

قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ آية

قرأ ابن عامر واهل الكوفة بتحقيق
الهمزتين وكذلك كل همزتين مختلفتين من كلمتين. الباقون بتخفيف الاولى وتليين الثانية
المعنى بهذه الاية هم الذين وصفهم تعالى بانهم يقولون امنا بالله وباليوم الاخر وما هم بمؤمنين والمعنى

جعل الحال على استقامة

لا يجوز

اذا قيل لهم امنوا بمحمد وبما جاء من عند الله كما امن الناس يعني المؤمنين حقا لان الالف واللام ليسا فيه للاستغراق
بل دخلا للعهد وكانه قيل امنوا كما امن الناس الذين تعرفونهم باليقين والتصديق بالله ونبيه صلى الله عليه وآله
وبما جاء من عنده والالف في قوله انؤمن الف انكار واصلها الاستفهام ومثله انطعم من لو يشاء الله اطعمه وكقول
القائل اضيع ديني وانتم تروني وكل هذا جواب لكن قد وضع السؤال فيه موضعا فاسد الوصف اي الذين يدعوننا اليه سفهاء
وموضع الكاف نصب في تقديره قيل لهم ذلك قالوا انؤمن فالعامل فيه قالوا والسفهاء جمع سفيه مثل علماء وعليم وحكماء وحكيم
والسفيه الضعيف الرأي الجاهل القليل المعرفة بمواضع المنافع والمضار ولذلك سمى الله الصبيان والنساء سفهاء
بقوله لا تؤتوا السفهاء اموالكم فقال عامة اهل التاويل هم النساء والصبيان لضعف ارائهم واصل السفه خفة الحلم
وكثرة الجهل يقال ثوب سفيه اذا كان رقيقا باليا وقد سفهته الريح اذا طيرته كل مطير وفي اخبارنا ان شارب الخمر
سفيه فامر الله تعالى ان يؤمنوا كما امن المستبصرون فقالوا انؤمن كما امن الجهال ومن لا راي له ومن لا
عقل له كالصبيان والنساء فحكم الله عليهم حينئذ بانهم السفهاء باخباره عنهم بذلك وهو من تقدم ذكره من
المنافقين والسفيه انما سمي مفسدا من حيث انه يظن انه يصلح ويضيع من حيث يرى انه يحفظ وكذلك
يعصي سيده من حيث يظن انه يطيعه ويكفر به من حيث انه يؤمن به والالف واللام في السفهاء للعهد كما قلنا
في الناس وهذه الاية فيها دلالة على من قال ان الكافر لا يكون الا معاندا لانه قال ولكن لا يعلمون
قوله تعالى
وَاِذَا لَقُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا قَالُوا اٰمَنَّا وَاِذَا خَلَوْا اِلٰى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا اِنَّا مَعَكُمْ
اِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اية قرأ في الشواذ واذا لاقوا الذين قرأها اليماني وفي القراء
من همز مستهزؤن ومنهم من ترك الهمزة حكي عن ابن عباس انه قال هذه في صفة المنافقين وكان الواحد
منهم اذا لقي اصحاب النبي قال انا معكم اي على دينكم واذا خلوا الى شياطينهم يعني اصحابهم قالوا انا نحن مستهزؤن
يعني نسخر منهم يقال خلوت اليهم وخلوت به وخلوت الى فلان في قضاء الحاجة لا غير وخلوت له معنيان احدهما هذا والآخر
نسخر منه قال الاخفش وقد تكون الى في موضع الباء وعلى في موضع عن وانشد اذا رضيت علي بنو قشير
لعمر الله اعجبني رضاها فعلى هذا يحتمل ان يكون الى بمعنى مع وقال الرماني بين اللقاء والاجتماع ان اللقاء
لا يكون الا على وجه المجاورة والاجتماع قد يكون كاجتماع العرضين في محل وقد بينا معنى الشيطان فيما مضى معكم
ومعكم بفتح العين وسكونها لغتان وترك الهمز لغة قريش وعامة غطفان وكنانة وبعضها يجعلها بمنزلة تنفصلو
ويستعدون يحذفونها وبعض بني تميم وقيس يشيرون الى الياء بالرفع بين الرفع والكسر وهذيل وكثير من تميم يخففون
الهمز وقال بعض الكوفيين ان معناه خلوا اذا انصرفوا الى المنافقين فلاجل ذلك قال الى شياطينهم على المعنى وهو
مليح وقيل ان شياطينهم رؤساؤهم وقيل انهم اصحابهم من الكفار وروي عن ابي جعفر انهم كهانهم والاستهزاء
طلب الهزء بايهام امر ليس له حقيقة ممن يظن فيه الغفلة والهزء ضد الجد يقال هزئ به هزوا والتهزي طلب الهزء
بالشيء وغرضهم كان ان يستهزءوا مع علمهم بقبحه وحضرتهم ما يتم باظهار الايمان واذا خلوا الى شياطينهم كشفوا ما في نفوسهم
قوله تعالى اَللّٰهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ اية الله رفع
بالابتداء وخبره يستهزئ بهم والله تعالى لا يجوز عليه حقيقة الاستهزاء لانها انما تجري على ما بيناها

يقول عقيب ذلك الله يستهزئ بهم يراد به ان استهزاءهم لم يضر سواهم وانه دمر عليهم واهلكهم يقول
القائل اراد فلان ان يخدعني فخدعته اي دبر علي امرا فرجع ضرره عليه وحكي عن بعض من تقدم
انه قال اذا تخادع لك انسان ليخدعك فقد خدعته وقيل ايضا ان الاستهزاء من الله
هو الاملاء الذي يظنونه اغفالا وقيل انه لما كان ما اظهره من اجراء احكام الاسلام عليهم في الدنيا
بخلاف ما اجراه عليهم في الاخرة من العقاب وكانوا فيه على اغترار به كان كالاستهزاء وروي
في الاخبار انه يفتح لهم باب جهنم فيظنون انهم يخرجون منها فيزدحمون للخروج فاذا انتهوا
الى الباب ردتهم الملائكة حتى يرجعوا فهذا نوع من العقاب وكان كالاستهزاء كما قال الله تعالى
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وقوله ويمدهم حكي عن ابن عباس وابن مسعود
انهما قالا معناه يملي لهم بان نطول اعمارهم وقال مجاهد يزيدهم وقال بعض النحويين
يمدهم كما يقولون يلعب الكعاب اي بالكعاب وحكي ان مد وامد لغتان وقيل مددت
له وامددت له يقال مد البحر فهو ماد وامد الجرح فهو ممد قال الجرمي ما كان من الشر فهو
مددت وما كان من الخير فهو امددت فعلى هذا ان اراد تركهم فهو من مددت و
اذا اريد اعطاؤهم يقال امدهم وقرئ في الشواذ ويمدهم بضم الياء وقال بعض الكوفيين
كل زيادة حدثت في الشيء من نفسه فهو مددت بغير الف كما يقولون مد النهر ومد نهر
آخر فصار منه اذا اتصل به وكل زيادة حدثت في الشيء من غيره فهو امددت بالالف
كما يقال امد الجرح لان المدة من غير الجرح وامددت الجيش واقوى الاقوال ان يكون المراد
به يمدهم على وجه الاملاء والترك في عتوهم كما قال انما نملي لهم ليزدادوا اثما كما قال ويزيدهم
في طغيانهم يعمهون يعني يتركهم فيه والطغيان الفعلان من قولك طغى فلان يطغى طغيانا
اذا تجاوز حده ومنه قوله كلا ان الانسان ليطغى اي يتجاوز حده والطاغية الجبار
العنيد وقال امية بن ابي الصلت ودعا الله دعوة لات هنا بعد طغيانه
فظل مشيرا يعني لاهنا ومعناه في الاية في كفرهم يترددون والعمه التحير يقال
عمه يعمه عمها فهو عمه وعامه اي جائر عن الحق قال رؤبة
ومهمه اطرافه في مهمه اعمى الهدى بالجاهلين العمه
جمع عامه فان قيل كيف يخبر الله انه يمدهم في طغيانهم يعمهون وانهم يقولون انما ابقاهم
ليؤمنوا لا ليكفروا وانه اراد منهم الايمان دون الكفر قيل معناه انه يتركهم وما هم فيه لا يحول

بينهم وبين ما يفعلونه ولا يفعل بهم من الالطاف التي يؤتيها المومنين فيكون ذلك عقوبة لهم
واستصلاحا ونظير ذلك قول القايل لاخيه اذا هجره اخوه متجنيا عليه اذا استعتبه فلم يراجعه
سامدلك في الهجران مدا يريد ساتركك وما صرت اليه تركا يتهكك على قبح فعلك لا انه يريد
بذلك ان يهجر اخوه ولكن على وجه الغضب والاستصلاح والتنبيه قوله تعالى اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ضم جمع القرا الواو من اشتروا
الضلالة ÷ وروى السوجردي عن زيد بن اسماعيل بتخفيف ضمة الواو وكذلك نظايره
نحو لتبلون وتمنوا الموت ÷ وروى عن يحيى بن يعمر في الشواذ انه كسرها شبهها بواو لو
في قوله لو استطعنا لخرجنا وضم يحيى بن وثاب واو لو واو فيما ذكرناه شبهها بواو الجمع وا
لصحيح ما عليه القرا لان الواو في الاية ونظايرها واو الجمع تحركت بالحركة التي من جنسها
لالتقاء الساكنين وهذه الاية الاشارة بها الى من تقدم ذكره من المنافقين وقال
ابن عباس اشتروا الكفر بالايمان وقال قتادة استحبوا الضلالة على الهدى ÷ وقال
ابن مسعود اخذوا الضلالة وتركوا الهدى ÷ وقال مجاهد امنوا ثم كفروا وهذه
الاقوال متقاربة المعاني ÷ فان قيل كيف اشترى هولاء القوم الضلالة بالهدى وانما كانوا
منافقين لم يتقدم نفاقهم ايمان فيقال فيهم باعوا ما كانوا عليه بضلالتهم التي استبدلوها
منه والمفهوم من الشراء اعتياض شيء ببدل شيء مكانه عوضا منه وهولاء ما كانوا قط
على هدى قلنا من قال ان الاية مخصوصة بمن كفر بعد ايمانه فقد تخلص من
هذا السوال غير ان هذا لا يصح عندنا من ان من امن بالله لا يجوز ان يكفر وان
حملنا على اظهار الايمان لم يكن في الاية توبيخ ولا ذم والاية تتضمن التوبيخ على ما هم
عليه لانها اشارة الى ما تقدم من تلك صفات المنافقين والجواب عن ذلك ان نقول
ان من ارتكب الضلالة وترك الهدى جاز ان يقال ذلك فيه ويكون معناه كان
الهدى الذي تركه هو الثمن المشترى به كما قال الشاعر

احذت بالجمة راسا ازعرا ÷ وبالثنايا الواضحات الدردرا
كما اشترى المسلم اذ تنصرا

ومنهم من قال استحقوا الضلالة على الهدى انما قال ذلك بقوله تعالى واما ثمود
فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فحمل هذه الاية عليه ÷ ومن حملها على انهم

التي جعلوها عوضا عن الضلالة التي اختاروها فيكون الشري على هذا النحو مكان الثمن

انهم اختاروا الضلالة على الهدى حمل هذه الاية فان ذلك مستعمل في اللغة يقولون اشتريت كذا
على كذا واشتريته يعنون اخترته ÷ قال اعشى بني تغلبة ÷ فقد اخرج الكاعب المسترا ÷
من خدرها واشيع القمارا ÷ يعني الخمارة ÷ وقال ذو الرمة في معنى الاختيار بدن ÷
القضايا من سراة كانها حماهم يحتث الدجنات الهواضب ÷ وقال اخر

ان الشراء رويقد الاموال ÷ وحوزة القلب خيار المال

والاول اقوى لقوله فما ربحت تجارتهم فبين ان ذلك بمعنى الشراء والبيع الذي يتعارفه الناس
والربح وان اضافه الى التجارة فالمراد به التاجر لانهم يقولون ربح بيعك وخسر بيعك وذلك
يحسن في البيع والتجارة لان الربح والخسران يكون فيهما ومتى التبس فلا يجوز اطلاقه لا يقال ربح
عبدك اذا اراد ربح في عبده لان العبد نفسه قد يربح ويخسر فلما اوهم لم يطلق ذلك فيه
وقيل ان المراد فما ربحوا في تجارتهم كما يقال خاب سعيك اي خبت في سعيك وانما قال ذلك هاهنا
لان المنافقين بشرايهم الضلالة خسروا ولم يربحوا لان الرابح من استبدل بسلعة ما هو ارفع منها
فاما اذا استبدل بها ما هو دون منها فانما يقال خسر فلما كان المنافق استبدل بالهدى الضلالة
وبالرشاد الخيبة عاجلا وفي الاخرة الثواب بالعقاب كان خاسرا غير رابح وانما قال وما كانوا
مهتدين لانه قد يخسر التاجر ولا يربح ويكون على هدى فاراد الله تعالى ان ينفي عنهم الربح والهداية
فقال فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين باستبدالهم الكفر بالايمان واشترايهم النفاق
بالتصديق والاقرار بها ÷ فان قيل لم قال فما ربحت تجارتهم في موضع ذهبت رووس اموالهم
قيل لانه قد ذكر الضلالة بالهدى فكانه قال طلبوا الربح فما ربحوا لما هلكوا وفيه معنى ذهبت
رووس اموالهم ÷ ويحتمل ان يكون ذكر ذلك على التقابل وهو ان الذين اشتروا الضلالة
بالهدى لم يربحوا كما ان الذين اشتروا الهدى بالضلالة ربحوا قوله تعالى
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و
تركهم في ظلمات لا يبصرون ايه ان قيل كيف قال مثلهم اضاف المثل الى الجمع
ثم شبهه بالواحد في قوله كمثل الذي استوقد نارا وهلا قال كمثل الذين استوقدوا نارا
يكنى به عن جماعة من الرجال والنساء والصبيان والذي لا يعبر به الا عن واحد مذكر ولو جاز
ذلك جاز ان يقول قايل كان اجسام هولاء ويشير الى جماعة عظيم القامة نخلة وقد علمنا
ان ذلك لا يجوز ÷ قلنا في الموضع الذي جعله مثلا لافعالهم نجا بن حسن وله نظاير كقوله

تدور اعينهم كالذى يغشى عليه من الموت والمعنى كدوران عين الذى يغشى عليه من الموت ÷ وكقوله
له ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة ومعناه الا كبعث نفس واحدة لان التمثيل وقع بالفعل الفعل
فاما ان تمثيل الاجسام لجماعة من الرجال فى تمام الخلق والطول بالواحد من النخل فغير جايز ولا فى نظايره
والفرق بينهما ان معنى الاية ان مثل استضاءة المنافقين بما اظهروه من الاقرار بالله وبمحمد صلى الله عليه
والدوما جاء به قولا وهم به مكذبون اعتقادا كمثل استضاءة الموقد ثم اسقط ذكر الاستضاءة و
اضاف المثل اليهم كما قال الشاعر وهو نابغة جعدة

وكيف تواصل من اصبحت ❁ خلالته كابى مرحب ❁

اى كخلالة ابى مرحب واسقط لدلالة الكلام عليه ÷ واما اذا اراد تشبيه الجماعة من بنى آدم
واعيان ذوى الصور والاجسام بشى فالصواب ان يشبه الجماعة بالجماعة والواحد بالواحد
لان عين كل واحد منهم غير اعيان الاخر كما قال تعالى كانهم خشب مسندة وقال كانهم اعجاز
نخل خاوية واراد جنس النخل ÷ ومثل ذلك قولهم ما افعالهم الا كفعل الكلب ثم تحذف
الفعل فيقال ما افعالكم الا كالكلب ÷ وقيل ان الذى بمعنى الذين كقوله والذى جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المفلحون ÷ وقال الشاعر ÷ وان الذى حانت بفلج دماؤهم
÷ هم القوم كل القوم يا ام خالد ÷ وانما جاز ذلك لان الذين منهم يحتمل ÷ الوجوه المختلفة و
ضعف هذا الوجه من حيث ان فى الاية الثانية وفى البيت دلالة على انه اريد به الجمع وليس
ذلك فى الاية التى نحن فيها وقيل فيه وجه ثالث وهو ان التقدير مثلهم كمثل اتباع الذى
استوقد نارا كما قال واسال القرية وانما اراد اهلها وفى الاية حذف طغيت عليهم النار
وقولهم استوقد نارا معناه اوقد نارا كما يقال استجاب بمعنى اجاب قال الشاعر

وداع دعى يا من يجيب الى الندى ❁ فلم يستجبه عند ذاك مجيب ❁

يريد فلم يجبه ÷ الوقود الحطب والوقود مصدر وقدت النار وقودا والاستيقاد طلب
الوقود والايقاد ايقاد النار والتوقد التوهج والايقاد التهاب النار وزند منقاد
سريع الورى وقلب وقاد سريع الذكاء والنشاط وكل شى يتلالا فهو يتقد وفى الحجر نار
لا تتقد لانه لا يقبل الاحتراق والوقود ظهور النار فيما يقبل الاحتراق ÷ واصل النار
واستنار طلب اظهار نوره ÷ والمنار العلامات والنار السمت وضاءت النار ظهر ضوؤها
وكلما وضح فقد اضاء ÷ واضاء القمر الدار كقوله اضاءت ما حوله ÷ قال الشاعر اضاءت

اضاءت لهم احسابهم ووجوههم ÷ دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه ÷ وقوله حوله ماخوذ من الحول
وهو الانقلاب يقال حال الحول اذا انقلب الى اول السنة ÷ واحال فى كلامه اذا صرفه عن وجهه
وحوله عن المكان اى نقله الى مكان آخر وتحول تنقل ÷ واحتال عليه وحاوله طالبه بالانقلاب
الى مراده وتحول بالعين بالفتح والحول بالكسر الانقلاب عن الامر ومنه قوله لا يبغون عنها حولا و
الحوالة انقلاب الحق عن شخص الى غيره ÷ والمحالة البكرة والحيلة ايهام الامر للخديعة ÷ وحال بينه
وبينه مانع ÷ والحائل الناقة التى انقطع حملها ÷ والحائل العرق ÷ وحوله الصبا اى ناحيته ÷ ذهب به
واذهبه اى اهلكه لا ذهابه الا الى مكان يعرف ومنه ذهب الله بنورهم والمذهب الطريقة فى الامر
والذهبة المطرة الجود ÷ وقوله وتركهم فى ظلمات اى اذهب النور بالظلمات وتاركه متاركة و
تتاركوا انقابلوا فى الترك واترك اتراكا اعتمد الترك والتريكة والتريكة بيضة النعام المنفردة لتركها
وحدها والظلمات جمع ظلمة الجواد احتمل انتقاص الحق لكرمه ومن اشبه اباه فما ظلم اى ما انتقص حق
الشبه ÷ وظلمت الناقة اذا نحرت من غير علة ÷ والظلم ماء الاسنان من اللون لا من الريق ÷ والظلم
الثلج ÷ وقوله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ÷ قال ابن عباس انهم يبصرون الحق ويقولون به حتى
اذا خرجوا من ظلمة الكفر اطفوه بكفرهم به فتركهم فى ظلمات الكفر فهم لا يبصرون هدى ولا يستقيمون
على حق ÷ وروى عنه ايضا انه قال هذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين انهم كانوا يعتزون بالاسلام
فناكحهم المسلمون ويولدنهم ويقاسمونهم الفى فلما ماتوا سلبهم الله ذلك العز كما سلب صاحب النار
ضوءه وتركهم فى عذاب وهو احسن الوجوه ÷ وقال ابو مسلم معناه الله لا نور لهم فى الاخرة ÷
وانما اظهروه فى الدنيا يضمحل سريعا كاضمحلال هذه اللمعة وحال يقع فى الظلمة بعد الضياء
اشق فى الحيرة فكذلك حال المنافقين فى حيرتهم بعد اهتدائهم ويزيد استضرارهم على استضرار من
من طفيت ناره بسوء العاقبة ÷ وروى عن ابن مسعود وغيره ان ذلك فى قوم كانوا اظهروا
الاسلام ثم اظهروا النفاق فكان النور الايمان والظلمة نفاقهم ÷ وقيل فيها وجه يقارب
وما قلناه وتقديره بعد قوله فلما اضاءت ما حوله انطفأت لدلالة الكلام عليه كما قال ابو
ذويب الهذلى

عصيت اليها القلب انى لامره ❁ سميع فما ادرى ارشد طلابها ❁

وتقديره ارشد طلابها ام غى ÷ وقال الفراء يقال ضاء القمر يضى واضاء يضى لغتان وهو
الضوء والضوء بفتح الضاد وضمها وقد اظلم الليل وظلم الليل وظلم بفتح الظاء وكسر اللام وظلمات
على وزن عرفات وحجرات وخطوات فاهل الحجاز وبنو اسد يثقلون وتميم وبعض قيس يخففون

والكسائى بضم الهاء الرفع بعد نصب اللام فى قوله حوله ولجمع عظامه فى حال الوقف الباقون لا يشمون وهو احسن قوله تعالى صم بكم عمى فهم لا يرجعون آية
بلا خلاف قال قتادة صم لا يسمعون الحق بكم لا ينطقون به عمى لا يرجعون عن ضلالتهم صم رفع على انه خبر ابتداء محذوف وتقديره هؤلاء الذين ذكرناهم فى القصة صم بكم عمى والاصم هو الذى ولد كذلك وكذلك الابكم هو الذى ولد اخرس ويقال الابكم المسلوب الفؤاد والجوزاء الجمع صم صمانا مثل اسود وسودان واصل الصم السد الاذن بما لا يقع معه سمع وقناة صما مكسرة الجوف صلبه لسد جوفها بامتلائها وفلان اصم لسد خروق مسامعه عن ادراك الصوت وحجر اصم اى صلب وفتنة صماء اى شديده
٢ والتصميم العظم الذى هو قوام العضو لسد الخلل به واصل البكم الخرس وقيل هو الذى يولد اخرس وبكم عن الكلام اذا امتنع منه جهلا او تعمدا كالخرس وقيل هو الذى يولد اخرس
وبكم والابكم الذى لا يفصح لانه كالاخرس واصل العمى ذهاب الادراك بالعين
والعمى فى القلب كالعمى فى العين بافة تمنع من الفهم واعماه اذا اوجد فى عينه عمى وعمى الكتاب تعمية وتعامى عن الامر تعاميا وتعمى الامر تطمس كان به عمى وما اعماه من عمى القلب ولا يقال ذلك من الجارحة والعماية الغواية والعما السحاب الكثيف المطبق والرجوع مصدر رجع يرجع رجوعا ورجعه رجعا والارتجاع اجتلاب الرجوع والاسترجاع طلب الرجوع و تراجع تحامل وترجع تعمد الرجوع ورجع كثر فى الرجوع ورجع الجواب رده والمرجوعة جواب الرسالة والرجع المطر ومنه قوله والسماء ذات الرجع والرجع بنت الربيع والرجوع عن الشئ الخلاف الرجوع اليه والمعنى انهم صم عن الحق لا يعرفونه لانهم كانوا يسمعون با ذانهم وبكم عن الحق لا ينطقون مع ان السنتهم صحيحة عمى لا يعرفون الحق واعينهم صحيحة كما قال وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فهم لا يرجعون ويحتمل امرين احدهما ما روى عن ابن عباس انه على الذم والاستبطاء والثانى ما روى عن ابن مسعود انهم لا يرجعون
الى الاسلام وقال قوم انهم لا يرجعون عن شراء الضلالة بالهدى وهو اليق بما تقدم وهذا يدل على ان قوله ختم الله على قلوبهم وطبع الله عليها ليس هو على وجه الحيلولة بينهم وبين الايمان لانه وصفهم بالصم والبكم والعمى مع صحة حواسهم وانما اخبر بذلك عن الفهم الكفر واستثقالهم للحق والايمان كانهم ما سمعوه ولا راوه فلذلك قال طبع الله

فند الصم سد

والتصميم المضى فى الامر والعظام راس القارورة لسد راسها والفعل صمم

الله على قلوبهم واضلهم واصمهم واعمى ابصارهم وجعل على قلوبهم اكنة فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وكان ذلك اخبارا عما احدثوه عند امتحان الله اياهم وامره لهم بالطاعة والايمان لانه ما فعل بهم ما منعهم من الايمان وقد يقول الحقوق والقيام بما يجب عليه قبل اصم واعماه وكما قيل فى المثل حبك للشئ يعمى ويصم ويريدون به ما قلناه وقال مسكين الدارمى

اعمى اذا ما جارتى خرجت ۞ حتى يوارى جارتى الجدر
وتصم عما كان بينهما ۞ اذنى وما فى سمعها وقر

وقال اخر

اصم عما ساءه سميع يجمع الوصفين وانما جاز صم بكم بعد وصف حالهم فى الاخرة كما فى قوله وتركهم فى ظلمات لا يبصرون لامرين احدهما ان المعتمد من الكلام على ضرب المثل لهم فى الدنيا فى الانتفاع باظهار الايمان الثانى انه اعتراض بين شيئين بما يحقق حالهم فيهما على ما يرامرها وقيل ان معناه التقديم والتاخير قوله تعالى او كصيب من السماء ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين آية الصيب على فيعل من صاب يصيب واصله صيوب لكن استقبلتها ياء ساكنة فقلبت الواو ياء وادغمتا كما قيل سيد من ساد يسود وجيد من جاد يجود وقباسا مطرجا والصيب المطر وكل نازل من علو الى سفل يقال فيه صاب يصوب قال الشاعر كانهم صابت عليهم سحابة صواعقها الطيرهن دبيب وقال عبيد بن الابرص

حى عفاها صيب رعده ۞ دانى النواحى مغدق وابل

وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين كان المعنى او كاصحاب صيب فجعل كفر الاسلام لهم مثلا فيما ينالهم فيه من الشدائد والخوف وما يستضيئون به من البرق مثلا لما يستضيئون به من الاسلام وما ينالهم من الخوف فى البرق بمنزلة ما يخافونه من القتل بدلالة قوله يحسبون كل صيحة عليهم وقال ابن عباس الصيب القطر و قال عطاء هو المطر وبه قال ابن مسعود وجماعة من الصحابة وبه قال قتادة وقال مجاهد الصيب الربيع وتاويل الاية ان مثل استضاءة المنافقين بضوء اقرارهم بالاسلام مع استسرارهم الكفر كمثل موقد نار بضوء ناره او كمثل مطر مظلم ودقه يجرى

٧ الرجل حب المال قد اعمى فلانا واصمه ولا تريد بذلك نفى حواسه لكن اذا شغله عن الحقوق

فيه ظلمات

من السماء تحمله مزنة ظلماء في ليلة مظلمة ÷ فان قيل فان كان المثلان للمنافقين فلم قال
او كصيب واو لا يكون الا للشك ان كان مثلهم واحدا منهما فما وجه ذكر الاخر باو وهي موضوعة
للشك من المخبر عما اخبر به قيل ان او قد يستعمل بمعنى الواو كما يستعمل للشك بحسب ما يدل سياق
الكلام عليه قال توبة بن الحمير ÷ وقد زعمت ليلى باني فاجر ÷ لنفسي تقاها
او عليها فجورها ÷ ومعلوم ان توبة لم يقل ذلك على وجه الشك وانما وصفها موضع الواو
وقال جرير ÷ نال الخلافة او كانت له قدرا ÷ كما اتى ربه موسى على قدر ومثله
كثير ÷ قال الزجاج معنى او في الاية التخيير كانه قال انكم مخيرون بان تمثلوا المنافقين
تارة بموقد النار وتارة بمن حصل في الطريق قال جالس الحسن او ابن سيرين اي انت مخير في
مجالسة من شئت منهما ÷ والرعد قال قوم هو ملك موكل بالسحاب يسبح روى ذلك
عن مجاهد وابن عباس وابي صالح وهو المروي عن ائمتنا عليهم السلام ÷ وقال قوم هو ريح
يختنق تحت السماء رواه ابو مخلد عن ابن عباس وقال قوم هو اصطكاك اجرام
السحاب فمن قال انه ملك قدر فيه صوته كانه قال فيه ظلمات وصوت رعد لانه روي
انه يزعق به كما يزعق الراعي بغنمه ÷ والصيب اذا كان مطرا والرعد اذا كان صوت ملك كان
يجب ان يكون الصوت في المطر لانه قال فيه والهاء راجعة اليه والمعلوم خلافه لان الصوت
في السحاب والمطر في الجو الى ان ينزل ويمكن ان يجاب عن ذلك بان يقال لا يمتنع ان يحمل الصوت
المطر حين انفصاله من السحاب لا مانع يمنع منه ÷ ويحتمل ان يكون المراد في مع كانه
قال معه ظلمات ورعد وقد بينا جوازه فيما مضى ÷ واما البرق فروي عن علي عليه
السلام انه قال مخاريق الملئكة من حديد تضرب بها السحاب فتنقدح منه النار ÷
وروي عن ابن عباس انه سوط نور يزجر به الملك السحاب ÷ وقال قوم انه ما رواه
ابو مخلد عن ابن عباس ÷ وقال مجاهد هو مصع ملك والمصاع المجالدة بالسيوف
وبغيرها ÷ قال الاعشى بن ثعلبة يصف جواري لعبن بحليهن

اذا هن نازلن اقرانهن ۞ كان المصاع بما في السحون

يقال منه ماصعه مصاعا والمعاني مقاربة لان قول علي عليه السلام انه مخاريق وقول
ابن عباس انه سياط يتقاربان ÷ وما قال مجاهد انه مصاع قريب لانه لا يمتنع انه
اراد مصاع الملك بذلك وان جاء به ÷ والصواعق جمع صاعقة وهو الشديد من

من صوت الرعد فيقع منه قطعة نار تحرق ما وقعت فيه ÷ والصاعقة صيحة العذاب
والصعاق الصوت الشديد للثور والحمار صوت الصاعقة صعق فهو صعق ومنه قوله
وخر موسى صعقا ÷ وروى شهر بن حوشب ان الملك اذا اشتد غضبه طارت النار من فيه
فهي الصواعق وقيل ان الصواعق نار تنقدح من اصطكاك الاجرام ÷ وقريش وغيرهم من الفصحاء
يقولون صاعقة وصواعق والقوم يصعقون ÷ وبنو تميم وبعض ربيعة يقولون صواقع والقوم
يصقعون ÷ وفي تاويل الاية وتشبيه المثل اقاويل ÷ وروي عن ابن عباس انه مثل للقران
شبه المطر المنزل من السماء بالقران وما فيه من الظلمات بما في القران من الابتلاء ÷ وما
فيه من الرعد بما في القران من الزجر وما فيه من البرق بما فيه من البيان ÷ وما فيه من
الصواعق بما في القران من الوعيد اجلا والدعاء الى الجهاد عاجلا وقيل انه مثل الدنيا
وما فيها من الشدة والرخاء والبلاء كالصيب الذي يجمع نفعا وضرا فان المنافق يدفع
عاجل الضرر بطلب اجل النفع ÷ والثالث انه مثل القيمة لما يخافونه من وعيد الاخرة
لشكهم في دينهم وما فيه من البرق بما فيه من اظهار الاسلام من حقن دمائهم ومناكحهم
ومواريثهم ÷ وما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في العاجل
والاجل ÷ والرابع انه ضرب الصيب مثلا لظاهر ايمان المنافق ومثل ما في الظلمات
بضلالته ÷ وما فيه من البرق بنور ايمانه ÷ وما فيه من الصواعق بهلاك نفاقه والوجه
الاخير اشبه بالظاهر واليق بما تقدم ÷ وروي عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة
ان رجلين من المنافقين من اهل المدينة هربا من رسول الله صلى الله عليه واله فاصابهما
المطر الذي ذكره الله فيه رعد شديد وصواعق وبرق فجعلا كلما اصابهما الصواعق
جعلا اصابعهما في اذانهما من الفرق ان تدخل الصواعق في اذانهما فتقتلهما واذا لمع البرق
مشيا في ضوئه واذا لم يلمع لم يبصرا وقاما مكانهما لا يمشيان فجعلا يقولان ليتنا قد اصبحنا
فناتي محمدا فنضع ايدينا في يده فاصبحا فاتياه فاسلما وحسن اسلامهما فضرب الله
شان هذين المنافقين مثلا لمنافقي المدينة وانهم اذا حضروا النبي عليه السلم جعلوا اصابعهم
فرقا من كلام النبي عليه السلم ان ينزل فيهم شيء كما قاما ذانك المنافقان يجعلان اصابعهما
في اذانهما واذا اضاء لهم مشوا فيه ÷ يعني اذا كثرت اموالهم واصابوا غنيمة وفتحا
مشوا فيه وقالوا دين محمد صحيح ÷ واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا هلكت اموالهم وولد

صعق صعاقا والصعق الموت من صوت الصاعقة والصعق الغشي من صوت

البرق

البنات واصابهم البلاء قالوا هذا من اجل دين محمد وارتدوا كما قام ذلك للمنافقان اذا اظلم البرق عليهما ÷ ويقوى عندى ان هذا مثل اخر ضربه الله بالرعد والبرق لما هم فيه من الحيرة والالتباس يقول لا يرجعون الى الحق الا خلسا كما يلمع البرق ثم يعودون الى ضلالهم وما هم عليه ثابتون والبرق يرجعون للكفر كظلمة الليل والمطر الذى يعرض فى خلالهما البرق لمعا وهم فى اثناء ذلك يحذرون الوعيد والعذاب العاجل ان اظهروا الكفر كما يحذرون الصواعق من الرعد فيضعون اصابعهم فى اذانهم ارتياعا وانزعاجا فى الحال ثم يعودون الى الحيرة و الضلال حذر الموت نصب على التمييز وتقديره من حذر الموت ويجوز ان يكون نصبا لانه مفعول له فكانه قال يفعلون هذا لاجل حذر الموت ويحتمل ان يكون نصبا على الحال والموت ضد الحيوة والاماتة فعل يعد الموت ÷ والميتة ما لم تدرك ذكاته والميتة والموت فى حال مخصوص من ذلك ميتة سوء ÷ والموتان وقوع الموت فى المواشى وموت المواشى اذا كثر فيها الموت ÷ وموتان وقوع الموت الارض التى لم تزرع ÷ والحذر طلب السلامة من المضرة حذر يحذر حذرا وحاذر محاذرة والحذر به المكان الغليظ لانه يحذر منه وقوله محيط بالكافرين يحتمل امرين احدهما انه عالم بهم وان كان عالما بغيرهم وانما خصهم لما فيه من التهديد ÷ والثانى انه المقتدر عليهم وان كان مقتدرا على غيرهم لانه تقدم ذكرهم وما فيه من الوعيد والمحيط القادر ÷ وقال الشاعر

احطنا بهم حتى اذا ما تيقنوا بما قدروا مالوا جميعا الى السلم

اى قدرنا عليهم ÷ فاما الاحاطة بمعنى كون الشى حول الشى ما يحيط به فلا تجوز على الله تعالى لانها من صفات الاجسام والذى تجوز الاحاطة بمعنى الاقتدار والملك كما يقال احاط ملكك بمال عظيم يعنون انه يملك مالا عظيما ويقال حاطه يحوطه حوطا اذا حفظه من سوء يلحقه ÷ ومنه الحائط لانه يحيط بما فيه واحاط به جعل عليه كالحائط الدائر ÷ والاحتياط الاجتهاد فى حفظ الشى

قوله تعالى يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شىء قدير ايه ÷ معنى يكاد يقارب وفيه مبالغة فى القرب وحذفت منه ان لانها للاستقبال قال الفرزدق

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم يخطف

يخطف فيه لغتان يقال خطف يخطف وخطف يخطف والاول افصح وعليه القراء ÷ وروى عن الحسن يخطف بكسر الخاء وكسر الطاء ÷ ويروى يخطف بكسر الياء والخاء والطاء ÷ والخطف السلب ومنه الحديث انه نهى عن الخطفة يعنى النهبة ومنه قيل الخطاف ÷ والذى يخرج به الدلو من البير خطاف لاختطافه واستلابه قال نابغة بنى شيبان خطاطيف حجن فى حبال متينة ÷ يخطف

تمد بها ايد اليك نوازع جعل ضوء البرق وشدة شعاع نوره كضوء اقرارهم بالسنتهم بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله واليوم الاخر ÷ ثم قال كلما اضاء لهم مشوا فيه يعنى كلما اضاء البرق لهم وجعل البرق مثلا لايمانهم واضاءة الايمان ان يروا فيه ما يعجبهم فى عاجل دنياهم من صابة الغنائم والنصرة على الاعداء فلذلك اضاء لهم لانهم انما يظهرون بالسنتهم ما يظهرونه من الاقرار ابتغاء ذلك ومدافعة عن انفسهم واموالهم كما قال ومن الناس من يعبد الله على حرف فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه واذا اظلم عليهم يعنى ضوء البرق على السائرين فى الصيب الذى ضربه مثلا للمنافقين وظلام المنافقين ان يروا فى الاسلام ما لا يعجبهم فى دنياهم من ابتلاء الله المؤمنين بالضراء وتمحيصه اياهم بالشدايد والبلاء من اخفاقهم فى مغزاهم او ادالة عدوهم منهم او ادبار دنياهم عنهم اقاموا على نفاقهم وثبتوا على ضلالهم كما ثبت السائرون فى الصيب الذى ضربه اذا اظلم وخفت ضوء البرق فحار فى طريقه فلم يعرف منهجه ÷ وقوله ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم انما خص الله ذكر السمع والبصر انه لو شاء لذهب بهما دون ساير اعضائهم لما جرى من ذكرهما فى الايتين من قوله ÷ يجعلون اصابعهم فى اذانهم من الصواعق حذر الموت ÷ وفى قوله يخطف ابصارهم فلما جرى ذكرهما على وجه المثل عقب بذكر ذلك بانه لو شاء اذهبه من المنافقين عقوبة لهم على نفاقهم وكفرهم كما توعد فى قوله محيط بالكافرين ÷ وقوله بسمعهم قد بينا فيما تقدم انه مصدر يدل على الجمع ÷ وقيل انه واحد موضوع للجمع فكانه اراد باسماعهم ÷ قال الشاعر

كلوا فى نصف بطنكم تعيشوا ÷ فان زمانكم زمن خبيب ÷

اراد البطون ويقال ذهبت به واذهبته ÷ وحكى اذهب به وهو ضعيف ذكره الزجاج ÷ والمعنى ولو شاء الله لاظهر على كفرهم فدمر عليهم واهلكهم لانه على كل شىء قدير اى قادر وفيه مبالغة ÷

قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون

انه افصح اللغات فتح الهاء يا ايها وبعض بنى مالك من بنى اسد رهط شقيق بن سلمة

يقولون يا ايُّه الناس ويا ايته المراة ويا ايه الرجل ولا يقرايها ومن رفعها توهم ها اخر الحرف
وقد حذفت الالف في الكتابة من ثلثة مواضع ايه المومنون ÷ ويا ايه الساحر ÷ و
ايه الثقلان وسنذكر خلاف القراء في التلفظ به ÷ وروي عن علقمة والحسن ان كلما
في القرآن يا ايها الذين امنوا بالمدينه وما فيه يا ايها الناس نزل بمكة ÷ واعلم ان انزل
ايا اسم مبهم ناقص جعل صلة الى نداء ما فيه الالف واللام ويلزمه ها التي للتنبيه لا
بهامه ونقصه ÷ واجاز المازني يا ايها الظريف قياسا على يا زيد الظريف ولم يجزه غيره
لان ايا ناقص والنصب عطفا على الموضع بالحمل على المعنى ولا يحمل على التاويل الا بعد التمام
وهذا هو الصحيح عندهم ÷ وهذه الاية متوجهة الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم لحصول
العموم فيها الا من ليس بشرائط التكليف من المجانين والاطفال ÷ وروي عن ابن عباس انه
قال قوله تعالى اعبدوا ربكم اي وحدوه ÷ وقال غيره ينبغي ان يحمل على عمومه في كل ما
هو عبادة لله من معرفته ومعرفة انبيائه والعمل بما اوجبه عليهم وندبهم اليه وهو
الاقوى ÷ وقوله تعالى لعلكم تتقون اي تتقوا عذابه بفعل ما اوجبه عليكم عطف
كما قال واتقوا النار التي اعدت للكافرين ÷ وقوله والذين في موضع نصب لانه على
الكاف والميم في قوله خلقكم وهو مفعول به ÷ من قبلكم اي من تقدم زمانكم من الخلايق
والبشر ÷ وقال مجاهد تتقون تطيعون والاول اقوى والخلق هو الفعل على
تقدير لخلق الله السموات فعلها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة ولا انقصان
ومثله الورق والخلق الطبع والخليقه الطبيعه وخليق به شبيه به والخلاق النصيب
والاخلاق افعال الكلاب والخلق البالي والاخلق الاملس ومعنى لعلكم سقوا قال الشاعر

و قلتم لنا كفوا الحروب لعلنا ۞ فكف ووثقتم لنا كل موثق
فلما كففنا الحرب كانت عهودكم ۞ كلمح سراب في الملا متالق

يعني قلتم لنا كفوا لنكف لانه لو كان شاكا لما كانوا وثقوا كل موثق ويقول القايل اقبل
قولي لعلك ترشد وادخاله لعل ترفيق للموعظة وتقريب لها من قلب الموعظ يقول
القايل لاجيره اعمل لعلك تاخذ الاجرة وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتاخذ
اجرتك ÷ وقال سيبويه انما وردت ذلك على شك المخاطبين كما قال تعالى
فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى واراد بذلك الابهام على موسى وهرون ÷
وفايدة ايراد لفظة لعل هو ان يجعل العبد ابدا بمحل الامن المدل لكي يزداد حرصا على

العمل وحذرا من تركه ÷ واكثر ما جاءت لعل وغيرها من معاني التشكيك فيما يتعلق بالاخرة
في دار الدنيا فاذا ذكرت الاخرة مفردة جاء اليقين وهذه الايه يمكن الاستدلال بها على ان
الكفار مخاطبون بالعبادات لدخولهم تحت الاسم ÷ وقال بعضهم معنى قوله لعلكم
تتقون لكي تتقوا النار في ظنكم ورجائكم لانهم لا يعلمون انهم يوقون النار في الاخرة لان ذلك
من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله قال لعلكم تتقون ذلك في ظنكم ورجائكم واجرى لعل
على العباد دون نفسه تعالى الله عن ذلك وهذا قريب مما حكيناه عن سيبويه ÷ ولعل في
الاية يجوز ان يكون متعلقه بالتقوى ويجوز ان تكون متعلقه بالعبادة في قوله اعبدوا و
هو الاقوى ÷ قوله تعالى الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من
السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون
ايه واحدة الذين في موضع نصب لانه نعت لقوله ربكم في قوله اعبدوا ربكم وهي
مثل الذي قبلها فانهما جميعا نعتان لربكم ÷ فراشا يعني مهادا ووطاء لا حزنة غليظة
لا يمكن الاستقرار عليها ÷ وتقديره اعبدوا ربكم الخالقكم والخالق الذين من قبلكم ÷
الجاعل لكم الارض فراشا فذكر بذلك عباده نعمه عليهم والايه لديهم ليذكروا اياديه
عندهم فيثبتوا على طاعته تعطفا منه بذلك عليهم ورافة منه بهم ورحمة لهم من غير ما
حاجة منه الى عبادتهم ليتم نعمته لعلهم يهتدون ÷ وسمي السماء سماء لعلوها على
الارض وعلو مكانها من خلقه وكل شي كان فوق شي فهو لما تحته سماء لذلك وقيل
لسقف البيت سماء لانه فوقه ÷ وسمي السحاب سما ويقال سمى فلان لفلان اذا اشرف
له وقصد نحوه عاليا عليه ÷ كما قال الفرزدق

سمونا لنجران اليماني واهله ۞ ونجران ارض لم تدبث مقاوله

وقال النابغة الذبياني

سمت لي نظرة فرايت منها ۞ تحت الخدر واضعة القرام

يريد بذلك اشرفت لي نظرة وبدت ÷ وقال الزجاج كل ما على الارض
فهو بناء لامساك بعضها بعضا فيامنوا بذلك سقوطها فخلق السماء بلا عمد
وخلق الارض بلا سند يدل على توحيده وقدمه لان المحدث لا يقدر على مثل ذلك
وانما قابل بين السماء وبين الفراش لا من احدهما ما حكاه ابو زيدان بنيان ÷

البيت سماؤه وهو اعلاه وكذلك سماوه وانشد

بنا السماء فسواها ببنيتها ولم تمد باطناب ولا عمد

يريد ببنيتها علوها ؛ والثاني ان سماء البيت لما كان قد يكون بناء وغير بناء اذا كان من شعر او وبر او غيره قيل جعلها بناء ليدل على العبرة برفعها وكانت المقابلة في الارض والسماء باحكام هذه بالفرش وتلك بالبناء ؛ وقوله من السماء اي من ناحية السماء ؛ قال الشاعر ؛ امسك البرق ارقبه مهاجا ؛ اي من ما جنبك فبنا السماء على الارض كهيئة القبة وهي سقف على الارض ؛ وانما ذكر السما والارض فيما عدد عليهم من نعمه التي انعمها عليهم لان فيها اقواتهم وارزاقهم ومعايشهم وبهما قوام دنياهم واعلمهم ان الذي خلقهما خلق جميع ما فيهما من انواع النعم هو الذي يستحق العبادة والطاعة والشكر دون الاصنام والاوثان التي لا تضر ولا تنفع ؛ وقوله ١٠
وانزل من السماء ماء يعني مطرا فاخرج بذلك المطر مما انبتوه في الارض من زرعهم وغروسهم ثمرات رزقا لهم وغذاء وقوتا بنبهما على انه هو الذي خلقهم وانه الذي يرزقهم ويكلفهم دون من جعلوه ندا وعدلا من الاوثان والالهة ؛ ثم زجرهم ان يجعلوا له ندا مع علمهم بان ذلك كما اخبرهم وانه لا ند له ولا عدل ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه ؛ قال ابن عباس بقوله فلا تجعلوا لله اندادا والند العدل والمثل قال حسان ابن ثابت ؛ اتهجوه ولست له بند ؛ فشركما لخيركما الفداء ؛ اي لست له بمثل ولا عدل ؛ وقال جرير

اتيما تجعلون الي ندا ؛ وما تيم لذي حسب نديد ؛ وقال المفضل بن سلمة الند الضد والندود الشرود كما يند البعير ؛ ويوم التناد يوم التنافر ؛ والتنديد التقليل والفراش البساط والفرش البسط فرش يفرش فرشا وافترش افتراشا ؛ وفراش الراس طرايق رقاق من القحف والفراش فراش القاع والطين بعدما ينسع على وجه الارض والفراش الذي يطير وجارية فريش قد افترشها الرجل والفرش صغار النعم ورجل فرهشة خفيف والفرش من الشجر دقه ؛ واصل الماء موه لانه يجمع امواها ويصغر مويه وماهت الركية تموه موها واماهها صاحبها اذا اكثر ماءها اماهة ؛ وروي عن ابن مسعود وغيره من الصحابة ان معنى

معنى الاية لا تجعلوا لله اكفاء من الرجال يطيعونهم في معصية الله ؛ وقال ابن عباس انه خاطب بقوله ولا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون جميع الكفار من عباد الاصنام واهل الكتابين لان معنى قوله وانتم تعلمون انه لا رب لكم يرزقكم غيره وان ما تعبدون لا يضر ولا ينفع ؛ وروي عن مجاهد انه عنى بذلك اهل الكتابين لانهم الذين كانوا يعلمون انه لا خالق لهم غيره ولا منعم عليهم سواه ؛ والعرب ما كانت تعتقد وحدانيته تعالى فقال تعالى حكاية عنهم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ؛ ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ؛ وقال قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فحمل الاية على عمومها اولى ويطابق اول الاية وقد بينا انها خطاب لجميع الخلق واستدل ابو علي الجبائي بهذه الاية على ان الارض بسيطة ليست كرة كما يقول المنجمون والبلخي بان قال جعلها فراشا والفراش البساط لبسطها يداه اباها والكرة لا يكون مسطوحة مبسوطة ؛ قال والعقل يدل ايضا على بطلان قولهم لان الارض لا يجوز ان يكون كروية مع كون البحار فيها لان الماء لا يستقر الا فيما له جنبان يتساويان لان الماء لا يستقر فيه كاستقراره في الاواني فلو كانت له ناحية في البحر مستعلية على الناحية الاخرى لصار الماء من الناحية المرتفعة الى الناحية المنخفضة كما يصير كذلك اذا امتلا الاناء الذي فيه الماء وهذا الا يدل على ما قاله لان قول من قال الارض كروية معناه ان لجميعها شكل الكرة ؛ وقوله وانتم تعلمون يحتمل امرين احدهما انكم تعلمون انه لا خالق لكم ولا منعم بما عدده من انواع النعم سوى الله وان من اشركتم به لا يضر ولا ينفع ؛ والثاني انه اراد وانتم علماء بامور معايشكم وتدبير حروبكم ومضاركم ومنافعكم لستم باغفال ولا جهال ؛ وقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين اية بلا خلاف ؛ هذه الاية فيها احتجاج الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه واله على مشركي قوم من العرب والمنافقين وجميع الكفار من اهل الكتابين وغيرهم لانه خاطب اقواما عقلاء الباء في الذروة العليا من الفصاحة والغاية القصوى من البلاغة واليهم المفزع في ذلك فجاءهم بكلام من جنس كلامهم

والاول اقوى لان الله تعالى قد اخبر ان العرب قد كانت تعتقد وحدانيته تعالى

وجعل عجزهم عن مثله حجة عليهم و دلالة على بطلان قولهم و تحديهم و تقريعهم و امهالهم المدة الطويلة وقال
لهم فاتوا بعشر سور مثله مفتريات ÷ ثم قال فاتوا بسورة مثله ÷ وقال في موضع اخر بسورة من
مثله وجزمهم ان عجزهم انما هو عن النظم والجنس مع انه ولد بين اظهرهم وتسامعهم ولم يفارقهم في سفر ولا
حضر وهو من لا يخفى عليهم حاله لشهرته وموضعه وهم اهل الحمية والانفة ياتي الرجل منهم بسبب كلمة على
القبيلة فبذلوا اموالهم ونفوسهم في اطفاء امره ولم يتكلفوا معارضته بسورة ولا خطبة فدل ذلك
على صدقه وقد ذكرنا ذلك في الاصول ÷ وقوله تعالى بسورة من مثله قال قوم انها بمعنى التبعيض
وتقديره فاتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة ÷ وقال اخرون هي بمعنى تبيين الصفة كقوله
فاجتنبوا الرجس من الاوثان ÷ وقال قوم ان من زائدة كما قال في موضع اخر فأتوا
بسورة مثله يعني مثل هذا القران ÷ وقال اخرون اراد بذلك من مثله في كونه بشرا
امياً طريقه مثل طريقه ÷ والاول اقوى لانه تعالى قال في سورة اخرى بسورة مثله ومعلوم
ان السورة ليست محمداً عليه السلام ولا له بنظير ÷ ولان في هذا الوجه تضعيفاً لكون القران
معجزة ودلالة على النبوة ÷ وقوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله قال ابن عباس
اراد اعوانكم على ما انتم عليه ان كنتم صادقين ÷ وقال الفراء اراد ادعوا الهتكم
÷ وقال مجاهد وابن جريج اراد قوما يشهدون لكم بذلك ممن يقبل قولهم ÷ وقول ابن عباس
اقوى ÷ وقوله تعالى مثله اراد به ما يقاربه في فصاحته ونظمه وحسن ترصيفه وتاليفه
ليعلم انه اذا عجزوا عنه ولم يتمكنوا منه انه من فعل الله تعالى جعله تصديقا لنبيه عليه السلام
وليس المراد ان القران له مثل عند الله ولولاه لم يصح التحدي لان ما قالوه لا دليل عليه والاعجاز
يصح وان لم يكن له مثل اصلا بل ذلك ابلغ في الاعجاز لان ذلك جار مجرى قوله هاتوا برهانكم
وانما اراد نفي البرهان اصلا ÷ والدعاء اراد به الاستعانة قال الشاعر

وقبلك رب خصم قد تمالوا ... علي فما جزعت ولا دعوت

وقال اخر ÷ فلما التقت فرساننا ورجالنا ÷ دعوا يا لكعب واعتزينا لعامر
يعني انتصروا بكعب واستعانوا بهم ÷ وشهداء جمع شهيد مثل شريك وشركاء وخطيب و
خطباء ÷ والشهيد يسمى به الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه وقد يسمى به الشاهد
للشيء كما يقال جليس فلان يريد به مجالسه ومنادمه فعلى هذا تفسير ابن عباس اقوى
وهو ان معناه استنصروا اعوانكم على ان ياتوا بمثله وشهداءكم الذين يشاهدونكم ويعا

ويعاونونكم على تكذيب الله ورسوله ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم ان كنتم محقين ÷ وما قاله
مجاهد وابن جريج في تاويل ذلك لا وجه له لان القوم على ثلاثة اصناف فبعضهم اهل ايمان صحيح وبعضهم اهل
كفر صحيح وبعضهم اهل نفاق ÷ فاهل الايمان اذا كانوا مومنين بالله ورسوله فلا يجوز ان يكونوا
شهداء للكفار على ما يدعونه ÷ واما اهل النفاق والكفر فلا شك انهم اذا دعوا الى تحقيق الباطل
وابطال الحق سارعوا اليه مع كفرهم وضلالهم فمن اي الفريقين كانت تكون شهداء لكن يجري ذلك
مجرى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرا ÷ وقد اجاز قوم هذا الوجه ايضا قالوا لان العقلاء لا يجوز ان يحملوا انفسهم
على الشهادة بما يفتضحون به في كلام انه مثل القران ولا يكون مثله كما لا يجوز ان يحملوا انفسهم على
ان يعارضوا ما ليس بمعارض في الحقيقة ومعنى الاية ان كنتم في شك من صدق محمد صلى الله عليه
واله فيما جاءكم به من عندي فاتوا بسورة من مثله فاستنصروا بعضكم بعضا على ذلك ان كنتم
صادقين في زعمكم حتى اذا عجزتم وعلمتم انه لا يقدر على ان ياتي به محمد صلى الله عليه واله
ولا احد من البشر يصح عندكم انه من عند الله تعالى ÷ قوله تعالى فان لم تفعلوا و
لن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين
اية ÷ معنى فان لم تفعلوا ان لم تاتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم انتم وشركاؤكم عليه واعوانكم
وقد تبين لكم بامتحانكم واختباركم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندي ثم اقمتم على التكذيب
به ÷ وقوله فان لم تفعلوا لا موضع له من الاعراب وانما هو اعتراض بين المبتدا والخبر كقولك
زيد فافهم ما اقول رجل صدق وانما لم يكن له موضع اعراب لانه لم يقع موضع المفرد ÷ ومعنى
ولن تفعلوا اي لن تاتوا بسورة من مثله ابدا لان لن تنفي على التابيد في المستقبل ÷ وفي قوله
ولن تفعلوا دلالة على صحة نبوته لانه يتضمن الاخبار عن حالهم في المستقبل بانهم لا يفعلون
ولا يجوز لعاقل ان يتقدم على جماعة من العقلاء يريد تبكيتهم فيقول انتم لا تفعلون الا وهو
واثق بذلك ويعلم ان ذلك متعذر عندهم ÷ وينبغي ان يكون الخطاب خاصا لمن علم
الله انه لا يؤمن ولا يدخل فيه من آمن فيما بعد والا كان كذبا ÷ وقوله تعالى فاتقوا
النار التي وقودها الناس والحجارة والوقود بفتح الواو اسم لما يوقد والوقود بضمها المصدر ÷
وقيل انهما بمعنى واحد في المصدر واسم الحطب حكاه الزجاج والبلخي والاول اظهر ÷ اتقوا
الله مشددة لغة اهل الحجاز ÷ وبنو اسد وتميم يقولون تقوا الله خفيفة بحذف الالف

كه الحجارة قيل انها حجارة الكبريت لانها احر شي اذا أحميت ؟ وروى ذلك عن ابن عباس
وابن مسعود ؟ والظاهر ان الناس والحجارة وقود النار وحطبها كما قال انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم تهيباً وتعظيماً بانها تحرق الحجارة والناس ؟ وقيل ان اجسادهم
تبقى على النار بقاء ؟ والحجارة التي توقدها النار بالقدح ؟ وقال قوم معناه انهم
يعذبون بالحجارة المحماة مع النار والاول اقوى والبق بالظاهر وانما جاز ان يكون قوله
فاتقوا النار جواب الشرط مع لزوم الاتقاء من النار كيف تصرفت الحال لانه لا يلزمهم الا
الاتقاء على التصديق بالنبوة الا بعد قيام المعجزة فكانه قال فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت
الحجة ووجب اتقاء النار بالمخالفة وقوله اعدت للكافرين لا يمنع من اعدادها لغير الكافرين
من الفساق كما قال وان جهنم لمحيطة بالكافرين ولم يمنع ذلك من احاطتها بالفساق والزناة والزبانية
وقال قوم هذه نار مخصوصة للكافرين لا يدخلها غيرهم والفساق لهم نار اخرى و ١٠
قد استدل بهذه على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقليات قيل كما احتج الله تعالى على الكافرين بما
ذكره على الكافرين في هذه الايه والزمهم به تصديق النبي عليه السلام والمعجزات القران كلامه لانه
قال ان كان هذا القران كلام محمد فاتوا بسورة من مثله ودلهم بعقولهم انه لو كان كلام محمد لتهيا
لهم مثل ذلك لانهم الذين يوخذ عنهم اللغة واذا كان لم تتهيا لهم ذلك علموا بعقولهم انه من
كلام الله وهذا هو معنى الاحتجاج بالعقول فيجب ان يكون ذلك صحيحاً من كل واحد ؟
قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من
تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به
متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون الاية البشارة هي الاخبار بما
يسر المخبر به اذا كان سابقا لكل خبر سواه لان الثاني لا يسمى بشارة ؟ وقد قيل ان الاخبار
بما يغم ايضا يسمى بشارة كما قال تعالى فبشرهم بعذاب اليم والاولى ان يكون ذلك مجازا وهي
ماخوذة من البشرة وهي ظاهر الجلد لتغيرها باول الخبر ؟ ومنه تباشير الصبح اوله وكذلك
تباشير كل شي ؟ المبشرات الرياح التي تجي بالسحاب والبشر الانسان والبشرة اعلى جلدة
الجسد والوجه من الانسان والمباشرة ملاصقة البشرة والبشرتين الجلد ؟ والجنات
جمع جنة والجنة البستان والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من اشجارها واثمارها وغروسها
دون ارضها فلذلك قال تجري من تحتها الانهار لانه جار تحت الاشجار والغروس والثمار

معطوف ... ان المراد الخبر عن ثمارها وانهارها انها جارية تحت الاشجار والغروس وعلى الثمار

والثمار لا انه جار تحت ارضها لان الماء اذا كان تحت الارض جاريا فلا حظ فيها للعيون الا
بكشف الساتر بينه وبينها على ان الذي يوصف من انهار الجنة انها جارية في غير اخاديد روى
ذلك عن مسروق رواه عنه ابو عبيدة وغيره ؟ وجنات منصوب بان وكسرت التاء لانها تاء التانيث
في جمع السلامة وهي مكسورة في حال النصب بالخفض ؟ وموضع ان نصب بقوله وبشر الذين وقال
الخليل والكسائي موضعه جر بالباء كانه قال بشرهم بان لهم ؟ وقال المفضل الجنة كل بستان فيه نخل
وان لم يكن شجر غيره وان كان فيه كرم فهو فردوس كان فيه شجر غير الكرم او لم يكن ؟ من ثمرة من
زايده والمعنى كلما ارزقوا ثمرة ومنها المعنى من الجنات والمعنى اشجارها وتقديرها كلما رزقوا من
اشجار البساتين التي اعدها الله للمومنين وقال الرماني هي بمعنى التبعيض لانهم يرزقون
بعض الثمرات في كل وقت ؟ ويجوز ان يكون بمعنى تبيين الصفة وهو ان يبين الرزق من
اي جنس هو ؟ وقوله هذا الذي رزقنا من قبل روي عن ابن عباس وابن
مسعود وجماعة من الصحابة انه الذي رزقنا في الدنيا ؟ وقال مجاهد معناه
اشبهه به ؟ وقال بعضهم ان ثمار الجنة اذا جنيت من اشجارها عاد مكانها فاذا راوا
ما عاد بعد الذي جني اشتبه عليهم فقالوا هذا الذي رزقنا من قبل وهذا قول ابي عبيد
ويحيى بن ابي كثير ؟ وقال قوم هذا الذي رزقنا وعدنا به في الدنيا ؟ وقد بينا
فيما تقدم ان الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به على وجه لا يكون لاحد المنع منه ؟ وقال
المفضل ذلك يختص الاقوات وقال قوم هذا الذي رزقنا من قبل المشابهته في اللون وان
خالفه في الطعم واقوى الاقوال قول ابن عباس وان معنى هذا الذي رزقنا في الدنيا لانه
قال كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل نعم ولم يخص فاول
ما اتوا به لا يتقدر هذا القول فيه الا بان يكون اشارة الى ما تقدم رزقه في الدنيا لا انا
فرضناه اولا وليس في الايه تخصيص ويكون التقدير هذا مثل الذي رزقنا في الدنيا لان
ما رزقوه اولا قد عدم واقام المضاف اليه مقام المضاف كما ان القايل اذا قال لغيره عندك
لك طعاما ووصفه له يحسن ان يقول هذا طعام كل وقت يريد مثله ومن جنسه و
نوعه ؟ وقوله واوتوا به متشابها قال الضحاك اذا راوه قالوا هو الاول
في النظر واللون واذا طعموا وجدوا له طعما غير طعم الاول ؟ وقوله واتوا به معناه
جيئوا به وليس معناه اعطوه ؟ وقال قوم واتوا به متشابها اي يشبه بعضه

بعضاً الا في المنظر والطعم اي كل واحد منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للاخر في نحوه ذكره الا
خفش وهذا كقول القائل وقد جي بثوب او اسباب ابراها فاضله فاشتبهت عليه في الفضل
فقال ما ادري واختار منها كلها عندي فاضل قال الشاعر
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
يعني انهم تساووا في الفضل والسودد وروي هذا عن الحسن وابن جريج وقال
قتاده معناه يشبه ثمار الدنيا غير انها اطيب وقال ابن زيد والاشجعي ان التشابه
في الاسماء دون الالوان والطعوم فلا يشبه ثمار الجنة شي من ثمار الدنيا في لون ولا طعم و
اوط هذه الاقوال ان يكون المراد به متشابها في اللون والنظر على ان الطعم مختلف لما قدمنا
من ان هذا يقولونه في اول الحال ايضا وما نقدر عليه غيره وبعد هذا قول من قال معناه
ان كلها جياد لا رذال فيه وقال بعض المتاخرين في قوله هذا الذي رزقنا
من قبل معناه هذا الذي اعطينا بعبادتنا من قبل وقال ابو علي معنى ذلك ١٠
ما يوتون به في كل وقت من الثواب مثل الذي يوتي في الوقت الذي قبله من غير زيادة
ولا نقصان لانه لا ابدان تتساوى مقادير الاستحقاق في ذلك وقال ايضا
يجب ان يسوي بينهم في الاوقات في مقدار ما يتفضل به عليهم في وقت ويزادون في و
اخر قال لان ذلك يودي الى ان التفضل اعظم من الثواب وهذا الذي ذكره غير
صحيح لان العقل لا يدل على مقادير الثواب في الاوقات ولا يعلم ذلك غير الله بل عندنا لا
يدل العقل على دوام الثواب وانما علم ذلك بالسمع والاجماع واما التفضل فلا شك انه يجوز
ان يزيد في وقت على ما فضله في وقت اخر ولا يودي ذلك الى مساواته للثواب لان
الثواب يتميز من التفضل المقارنة التعظيم له والتبجيل ولاجل ذلك يتميز كل جزء من الثواب
من كل جزء من التفضل ولا زيادة هناك وقوله ولهم فيها ازواج مطهرة قيل في
الابدان والاخلاق والافعال ولا يحضن ولا يلدن ولا يذهبن الى غائط وهو قول
جماعة المفسرين وقوله وهم فيها خالدون اي دائمون يبقون ببقاء الله
لا انقطاع لذلك ولا نفاد قوله تعالى ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما
بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا
فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين آية

آية واحدة اختلف اهل التاويل في سبب نزول هذه الاية فروي عن ابن مسعود
وابن عباس ان الله تعالى لما ضرب هذين المثلين للمنافقين وهو قوله كمثل الذي استو
قد نارا وقوله او كصيب من السماء قال المنافقون الله اجل من ان يضرب مثلا الى
اخر الاية وقال الربيع بن انس هذا مثل ضربه الله للدنيا لان البعوضة تحيى ما
جاعت فاذا سمنت ماتت فشبه الله تعالى هولاء بانهم اذا امتلوا اخذهم الله كما قال
تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي الى اخر الاية الى ان قال حتى اذا فرحوا
بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال قتاده معناه ان الله
لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها اي لا يستحي من الحق ان يذكر منه شيا ما
قل او كثر ان الله تعالى حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال اهل الضلالة ماذا
اراد الله من ذكر هذا فانزل الله تعالى ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضة
فما فوقها الاية وكل هذه الوجوه حسنة واحسنها قول ابن عباس لانه يليق بما تقدم
وبعده ما قال قتادة وليس لاحد ان يقول هذا المثل لا يليق بما تقدم من حيث
لم يتقدم للبعوضة ذكر وقد جرى ذكر الذباب والعنكبوت في موضع اخر في تشبيه
الهتهم بها وان يكون المراد بذلك اولى وذلك ان قوله ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا
ما بعوضة فما فوقها انما هو خبر منه تعالى انه لا يستحي تعالى ان يضرب مثلا في الحق من الامثال
صغيرها وكبيرها لان صغير الاشياء عنده وكبيرها بمنزلة واحدة من حيث لا يسهل الصغير
ولا يصعب الكبير وان في الصغير من الاحكام والاتقان ما في الكبير فلما تساوى الكل في قدرته
جاز ان يضرب المثل بما شاء من ذلك فيستيقن بذلك المومنون ويسلمون وان ضل به الفاسقون
بسوء اختيارهم وهذا المعنى مروي عن مجاهد وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليه
السلام انه قال انما ضرب الله المثل بالبعوضة لان البعوضة على صغر حجمها خلق فيها
جميع ما في الفيل مع كبره وزيادة عضوين اخرين فاراد الله ان ينبه بذلك المومنين
على لطف خلقه وعجيب عظم صنعه ويستحي لغة اهل الحجاز وعامة العرب بيائين و
بنو تميم يقولون بياء واحدة احضرتها قالوا لم يك ولا ادر ومعنى يستحي قال بعضهم
انه لا يخشى ان يضرب مثلا كما قال وتخشى الناس والله احق ان تخشه معناه و
تستحي الناس والله احق ان تستحيه فيكون الاستحياء بمعنى الخشية والخشية بمعنى الا

وقال قوم لا يترك وهو قريب
الاستحيا، وقال الفضل بن سلمه معناه لا يمتنع وقال
من الثاني واصل الاستحيا الانخزال والانقماع والارتداع متقارب المعنى وضد الحياء الوقحة
ومعنى الاستحيا في الآية انه ليس في ضرب المثل بالحقير عيب
يستحى منه وكانه قال لا يخل ضرب المثل بالبعوضة فهو
ان يصف ويمثل ويبين كما قال تعالى ضرب لكم مثلا من انفسكم معناه وصف لكم كما قال
الكميت وذلك ضرب اخماس اريدت لاسداس عسى ان لا يكونا والمعنى
وصف اخماس وضرب المثل بمثله يقال من اي ضرب هذا اي من اي جنس لون والضروب الامثال
والمثل الشبه ويقال مثل ومثل كما قالوا شبه وشبه كقول كعب بن زهير كانت مواعيد
عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل يعني شبها ففي الآية ان الله لا
يستحي ان يصف شبها لما شبه به واما اعراب بعوضة فنصب من وجهين على قول الزجاج احدهما
ان تكون ما زايده كانه قال ان الله لا يستحي ان يضرب بعوضة مثلا او مثلا بعوضة و
يكون ما زايده كقوله فبما رحمة من الله والثاني ان يكون ما نكرة ويكون المعنى
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا شيا من الاشيا بعوضة فما فوقها قال الفراء
يجوز ان يكون معناه ما بين بعوضة الى ما فوقها كما يقول القايل مطرنا ما بين زبالة
فالثعلبيه وله عشرون ما ناقة فجملا وهي احسن الناس ما قرنا فقدما يعنون
ما بين في جميع ذلك وقال بعضهم ما بمعنى الذي ويكون التقدير الذي هو بعوضة
لانها من صلة الذي فاعربها باعرابه كما قال حسان بن ثابت
فكفى بنا فخرا على من غيرنا حب النبي محمد ايانا
فاعرب غيرنا باعراب من ويجوز ذلك في من وما لانهما يكونان تارة معرفة
وتارة نكرة والبعوضة من صغار البق وقوله فما فوقها اي في الصغر والقلة
كما يقول القايل ان هذا الامر لصغير فيقول المجيب وفوق ذلك اي هو اصغر مما قلت
وكلاهما جايزان فمن قال بالاول قال لان البعوضة غاية في الصغر ومن قال
بالثاني قال يجوز ان يكون ما هو اصغر منها وحكى عن رؤبة بن العجاج انه
رفع بعوضة وانشد بيت النابغة قالت

قالت الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا او نصفه فقد
بالرفع فاعمل ما ولم يعمل ليت قال وهي لغة تميم يعملون آخر الاداتين وقال الزجاج
الرفع كان يجوز وما قرى به اذا كانت ما بمعنى الذي ويقدر بعدها هو ويكون تقديره مثلا الذي
هو بعوضة كمن قراتماما على الذي هو احسن وقد قرى به وهو ضعيف عند سيبويه وفي
الذي اقوى لانه اطول ولانها لا تستعمل الا في الاسماء وقوله فاما الذين امنوا العرب
جميعا بالتشديد وكثير من بني عامر وتميم يقولون ايما فلان ففعل الله به وانشد لبعضهم
مسلم هيفاء ايما وشاحها فيجري واما الحجل منها فلا يجري
امنوا فيعلمون انه الحق والفاء جواب لا وما فيها معنى الشرط والجزاء والمعنى ان المؤمنين بالله
على الحقيقة يعلمون ان هذا المثل حق من عند الله وانه من كلامه واما الذين كفروا
يعني جاحدين فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا على ما بينا وانتصب مثلا عند ثعلب
بالقطع وعند غيره انه تفسير وقال قوم انه نصب على الحال وذا مع ما بمعنى
الذي اراد الله بهذا مثلا فعلى هذا يكون الجواب رفعا كقولك البيان الحال الذي ضرب
المثل ويحتمل ان يكون رفعا ذا وما بمنزلة اسم واحد فيكون الجواب ايضا كقولك البيان
بحال الممثل به وورد القران بهما جميعا قال تعالى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا وفي موضع آخر ماذا
انزل ربكم قالوا اساطير الاولين ذكرهما سيبويه والاخفش وهذا اشارة الى المثل
ومثلا اما نون التنوين يدغم في الميم عند جميع القراء ويكره الوقف فيهما على قوله لا
يستحي ثم يقول ان يضرب مثلا وكذلك على قوله والله لا يستحي ثم يقول من الحق و
قوله يضل به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين ان قيل اليس يقولون ان الله لا يضل احدا
ولا يهدي خلقا وان العباد هم الذين يضلون انفسهم ويهدونها وهم يضلون من شاؤوا
او يهدون من شاؤوا وقد قال الله تعالى في غير موضع من كتابه نحو قوله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء ولا يمكنكم ان يقولوا ان المراد بالاضلال العقوبة والتسمية
لانه لو قال يضل كثيرا ويهدي كثيرا كان ذلك ممكنا لكن قال يضل به ويهدي به و
الهاء راجعة الى القران والمثل الذي ضربه فيه ولا يجوز ان يعاقب بالمثل ولا ان يسمى
بالمثل فعلم بذلك انه اراد انه لبس عليهم وجعله حيرة لهم قلنا اول ما في ذلك انا لا
نطلق ان الله لا يضل احدا ولا يهدي احدا ومن اطلق ذلك فقد اخطا ولا نقول

ايضا ان العباد يضلون انفسهم او يهدونها مطلقا او يضلون غيرهم او يهدونه فان اطلاق جميع
ذلك خطا، بل نقول ان الله يضل من يشا، ويهدي من يشا، ونقول من اضله الله فهو ضال
ومن هداه فهو المهتدي ولكن لا نريد بذلك ما يريده المخالف مما يؤدي الى التظلم والتجوير
لله في حكمه والمخالف يقول ان الله يضل كثيرا من خلقه بمعنى انه يصدهم عن طاعته ويحول بينهم
وبين معرفته ويلبس عليهم الامور ويحيرهم ويغلطهم ويشككهم ويوقفهم في الضلالة ويجبرهم
عليها ٭ ومنهم من يقول يخلقها فيهم ويخلق فيهم قدرة موجبة له ويمنعهم الامر الذي به
يخرجون منها فيصفون الله تعالى باقبح الصفات واخسها وقالوا فيه شر الاقوال ٭ وقلنا
نحن ان الله قد هدى قوما واضل اخرين وانه يضل من يشا بمعنى انه لفضله وكرمه وعدله و
رحمته لا يشا ان يضل الا من ضل وكفر وترك طريق الهدى وانه لا يشا ان يضل المهتدين و
المتمسكين بطاعته بل يشا ان يهديهم ويزيدهم هدى فانه يهدي المومنين بان يخرجهم ٭
تقويهم ٭ وقال ومن يومن بالله يهد قلبه ٭ وقال الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور وقال يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون
في الارض اولئك هم الخاسرون ٭ وقال ويضل الله الظالمين والاضلال على وجوه كثيرة
منها ما نسبه الله تعالى الى الشيطان وهو الصد عن الخير والرشد والدعاء الى الفساد والضلال
وتزيين ذلك والحث عليه وهذا ينزه الله تعالى عنه ٭ ومنها تشديد الامتحان والاختبار
اللذين يكون عندهما الضلال وعقيبهما ونظير ذلك في اللغة ان يسال الرجل غيره شيئا
نفيسا خطيرا ثقيلا على طباعه بذله فاذا بخل به قيل له تشهد لقد بخلك به فلان وليس
يريدون بذلك عيب السائل وانما يريدون به عيب الباخل المسئول لكن لما كان البخل
المسئول ظهر عند مسئلة السائل جاز ان يقال في اللغة انه بخلك ويقولون للرجل
اذا ادخل الفضة النار لينظر فسادها من صلاحها وظهر فسادها افسدت فضتك ٭
ولا يريدون انه فعل فيها فسادا وانما يريدون ان فسادها ظهر عند محنته ٭ ويقرب
من ذلك قولهم فلان اضل ناقته ولا يريدون انه اراد ان يضل بل يكون قد بالغ في
الاستيثاق منها وانما يريدون ضلت منه لا من غيره ويقولون افسدت فلانة فلانا
واذهبت عقله وهي لا تعرفه لكنه لما فسد وذهب عقله من اجلها وعند رؤيته اياها

من الظلمات الى النور كما قال تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم

اياها قيل قد افسدت واذهبت عقله ٭ ومنها التخلية على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر والاجبار
ومنع الالطاف التي يوتيها المومنين جزاء على ايمانهم كما يقول القايل لغيره افسدت سيفك اذا ترك ان
يصلحه لا يريد انه اراد ان يفسد او اراد سبب فساده او لم يجب صلاحه لكنه تركه فلم يحدث فيه الاصلاح
في وقت بالصقل والاحداد وكذلك قولهم جعلت اظافيرك سلاحا وانما يريدون تركت تقليمها ٭
ومنه التسمية بالاضلال والحكم به كما يقال اضله اذا سماه ضالا كما يقولون اكفره اذا سماه كافرا ونسبه
اليه ٭ قال الكميت ٭ وطايفة قد اكفروني بحبكم ٭ وطايفة قالوا مسيء ومذنب
ومنها الاهلاك والتدمير ٭ قال الله تعالى اذا ضللنا في الارض اي هلكنا فيجوز ان يكون
المراد بالاية حكم الله على الكافرين وبراءته منهم ولعنه اياهم اهلاكا لهم ويكون اضلالا اضلالا
كما كان الضلال هلاكا واذا كان الضلال ينصرف على هذه الوجوه فلا يجوز ان ينسب الى الله اقبحها
وما اضاف الى الشيطان بل ينبغي ان ينسب اليه احسنها واجلها فاذا ثبتت هذه الجملة رجعنا
الى تاويل الاية وهو قوله يضل به كثيرا معناه ان الكافرين لما ضرب الله لهم الامثال فالوا
ما الحاجة اليها قال الله تعالى فيها اعظم الفايدة لانه محنة واختبار وبهما يستحق الثواب ويوصل
الى النعيم فسمى المحنة اضلالا لانه لو سهلت لما وهدايته لان المحنة اذا اشتدت على الممتحن وثقلت
فضل عندها جاز ان يسمى اضلالا فاذا سهلت فاهتدى عندها سميت هداية كما ان الرجل
يقول لصاحبه ما يفعل فلان فيقول هو اينا يبخي قوما ويبخل قوما اخرين اي يسال قوما
فيشتد عليهم العطاء فيبخلون ويسال اخرين فيسهل عليهم فيعطون ويجودون فسمى سواله
باسم ما يقع عنده ويعقبه ٭ فمعنى قوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اي يمتحن به عباده فيضل
قوم كثير ويهتدي به قوم كثير ولا يجب على ذلك ان يكون اراد اضلالهم كما لا يجب ذلك في السايل
الذي يريد بخل المسئول بل يريد اعطاءه فان قيل اليس الله تعالى امتحن بهذه الامثال المومنين
كما امتحن بها الكافرين فيجب ان يكون مضلا لهم ٭ قلنا انما سمى المحنة الشديدة اضلالا اذا
وقع عندها ضلال كما ان السؤال يسمى تبخيلا اذا وقع عنده البخل ٭ وقال قوم معنى
قوله يضل به كثيرا يعني بالتكذيب بهذه الامثال كثيرا ويهدي بالايمان كثيرا لانه لو كان سببا ٭
للضلال لما وصفه الله بانه هدى وبيان وشفاء لما في الصدور وحذف التكذيب والاقرار
اختصارا لان في الكلام ما يدل عليه كما يقول القايل نزل السلطان فسعد به قوم وشقي به
اخرون وانما يراد به سعد باحسانه قوم وشقي باساءته اخرون لا بنزوله ونفسه لان نفسه
لا يقع به سعادة ولا شقاء، وكما قال واشربوا في قلوبهم العجل وانما اراد حب العجل ومثله كثير ٭ و

عندها له

وقد بينا ان الاضلال والهداية يعبر بهما عن العذاب والثواب فعلى هذا يكون تقدير الاية يضل به
يعذب بتكذيب القرآن والامثال كثيرا ويهدي اي يثيب بالاقرار به كثيرا والدليل على ما قلناه قوله
وما يضل به الا الفاسقين فلا يخلو اما ان يكون اراد ما قلناه من العقوبة على التكذيب او اراد به
الحيرة والتشكيك وقد ذكرنا انه لا يفعل الحيرة المتقدمة التي بها صاروا ضلالا فاسقا فلم يفعلها
الله الا بحيرة قبلها ايضا وهذا يوجب ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا الى اول له او اثبات
اضلال لا اضلال قبله فان كان الله قد فعل هذا الضلال الذي لم يقع قبله ضلال فقد اضل
من لم يكن فاسقا وهذا خلاف قوله وما يضل به الا الفاسقين فثبت انه اراد انه لا يعاقب
الا الفاسقين كما قال ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وحكى الفراء وجها آخر مليحا قال
قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا حكاية عمن قال ذلك كانهم قالوا ماذا
اراد بهذا مثلا يضل به كثيرا اي يضل كثيرا اي يضل به قوم ويهدي قوم ثم قال الله وما يضل
به الا الفاسقين فبين عز وجل الاضلال وانه لا يضل الا ضالا الا فاسقا واقتصر على الاخبار عنهم وبيان ١٠
ما بين من الاضلال دون ما اراد بالمثل وهذا وجه حسن تزول معه الشبهة واصل الفسق
في اللغة الخروج عن الشيء يقال منه فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ومن ذلك سميت
الفارة فويسقة لخروجها من جحرها ولذلك سمي المنافق والكافر فاسقين لخروجهما عن طاعة
الله ولذلك قال الله تعالى في صفة ابليس الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه يعني
خرج من طاعته واتباع امره قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد
ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون
اية واحدة العهد العقد والاصر مثله والعهد الموثق والعهد الالتقاء يقال ما لفلان
عهد بكذا وهو قريب العهد بكذا والعهد له معان كثيرة وسمي المعاهد وهو الذمي
بذلك لانه بايع على ما هو عليه من اعطاء الجزية والكف عنه والعهدة كتاب الشراء
وجمعه عهد واذا اقسم بالعهد تعلق به عندنا كفارة الظهار وقال قوم كفارة
يمين وقال آخرون لا كفارة عليه وعهد الله قال قوم هو ما عهد الى جميع خلقه
في توحيده وعدله وتصديق رسله بما وضع لهم من الادلة الدالة على ربوبيته وعهد
اليهم في امره ونهيه وما احتج به لرسله بالمعجزات التي لا يقدر على الاتيان بمثلها الشاهدة
لهم على صدقهم ونقضهم ذلك تركهم الاقرار بما قد ثبت لهم صحته بالادلة وتكذيبهم الرسل
والكتب وقال قوم هو وصية الله الى خلقه وامره على لسان رسله اياهم فيما امرهم

امرهم به من طاعته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه ونقضهم تركهم العمل به وقال قوم هذه الاية
نزلت في كفار اهل الكتاب والمنافقين منهم واياهم عنى الله عز وجل بقوله ان الذين كفروا
سواء عليهم الاية وقوله ومن الناس من يقول امنا بالله وكل ما في هذه الاية من اللوم و
التوبيخ متوجها اليهم وعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه هو ما اخذه عليهم في التوراة من
العمل بما فيها واتباع محمد صلى الله عليه واله اذا بعث والتصديق بما جاء به من عند ربهم
ونقضهم ذلك وجحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته وانكارهم ذلك وكتمانهم ذلك عند الناس
بعد اعطائهم اياه تعالى من انفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه واخبارهم انهم متى جاءهم
نذير آمنوا به فلما جاءهم النذير ازدادوا نفورا ونبذوا ذلك وراء ظهورهم واشتروا
به ثمنا قليلا وهذا الوجه اختاره الطبري ويقوي هذا قوله واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من
الشاهدين والاصر العهد ايضا وقال في موضع آخر واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن
جاءتهم اية ليؤمنن بها وقال واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن
اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا وقال قوم انما عنى بذلك
العهد الذي اخذه الله حين اخرجهم من صلب ادم الذي وصفه قوله واذ
اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم الى اخر
الاية وهذا الوجه عندي ضعيف لان الله تعالى لا يجوز ان يحتج على عباده بعهد
لا يذكرونه ولا يعرفونه وما ذكروه غير معلوم اصلا والاية سنبين القول فيها اذا
انتهينا اليها ان شاء الله والقطع هو الفصل بين الشيئين احدهما من الاخر والاصل
ان يكون ذلك في الاجسام ويستعمل في الاعراض تشبيها به يقال قطع الحبل وقطع الكلام و
الامر هو قول القائل لمن دونه افعل وهو ضد النهي والوصل هو الجمع بين الشيئين من
غير حاجز وقال قوم الميثاق هو التوثيق كما قال انبتكم من الارض نباتا كقولهم
اعطيتهم عطاء يريد اعطاء وقوله ان يوصل بدل من الهاء التي في به وتقديره
ما امر الله بان يوصل وهو في موضع خفض والذين موضعه نصب لانه صفة للفاسقين
واولئك رفع بالابتداء والخاسرون خبره وهم فصل عند البصريين وعماد عند الكوفيين

ويجوز ان يكون هم ابتداء ثانيا والخاسرون خبره والجملة في موضع خبر اولئك • والنقض ضد
الابرام والميثاق والميعاد والميقات متقارب المعنى يقال وثق يثق ثقة واوثقه ايثاقا و
توثق ويقال فلان ثقة للذكر والانثى والواحد والجمع بلفظ واحد فاذا جمع قيل ثقات توثيقاً
في الرجال والنساء • ومن لابتداء الغاية في الاية وقيل انها زائدة • والهاء في قوله ميثاقه
يحتمل ان تكون راجعة الى اسم الله • وقال قتادة قوله ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل هو قطيعة الرحم والقرابة • وقال غيره معناه الامر بان يوصل كل من امر الله
بصلته من اوليائه • والقطع البراءة من اعدائه وهذا اقوى لانه اعم من الاول ويدخل فيه
الاول • وقال قوم اراد صلة رسوله وتصديقه فقطعوه بالتكذيب وهو قول
الحسن • وقال قوم اراد يوصل القول بالعمل فقطعوا بينهما بان قالوا ولم يعملوا
وما قلناه اولا اولى لانا اذا حملناه على عمومه دخل ذلك فيه • وقوله ويفسدون
في الارض • قال قوم استدعاؤهم الى الكفر • وقال قوم اخافتهم السبيل
وقطعهم الطريق • وقال قوم اراد كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها
والخسران هو النقصان قال جرير • ان سليطا في الخسار انه • اولاد
قوم خلقوا اقنه يعني بالخسار ينقص من حظوظهم وشرفهم • وقال قوم الخسار ها
هنا الهلاك يعني هم الهالكون • وقال قوم كلما نسبه الله من الخسار الى غير المسلمين فانما
عنى به الكفر وما نسب به الى المسلمين انما عنى به الدنيا • روي ذلك عن ابن عباس
قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
ثم اليه ترجعون آية • كيف موضوعة للاستفهام عن الحال والمعنى ها هنا التوبيخ • وقال الزجاج
هو التعجب للخلق وللمومنين اي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله
عليهم • ومعنى وكنتم اي وقد كنتم الواو واو الحال • واضمار قد جائز اذا كان في الكلام
ما يدل عليه كما قال حصرت صدورهم اي قد حصرت صدورهم وكما
قال وان كان قميصه قد من دبر اي قد قد من دبر • ومن قال هو توبيخ قال هو مثل
قوله فاين تذهبون وقال قتادة وكنتم امواتا فاحياكم كما كانوا امواتا في
اصلاب ابائهم يعني نطفا فاحياهم الله بان اخرجهم ثم اماتهم الله الموتة التي لا بد
منها ثم احياهم بعد الموت فهما حياتان وموتتان • وعن ابن عباس وابن مسعود

مسعود ان معناه لم يكونوا شيئا فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم وهو قول مجاهد وجماعة من
المفسرين • وروي عن ابي صالح انه قال كنتم امواتا في القبور فاحياكم فيها ثم يميتكم
ثم يحييكم يوم القيمة • وقال قوم كنتم امواتا يعني خاملي الذكر دارسي الاثر فاحياكم
بالظهور والذكر • ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم للبعث كما قال ابو نخيلة السعدي
• فاحييت من ذكري وما كان خاملا • ولكن بعض الذكر انبه من بعض وهذا
وجه مليح غير ان الاليق بما تقدم من قول ابن عباس وقتادة • وقال قوم معناه
ان الله تعالى احياهم حين اخذ الميثاق منهم وهم في صلب ادم وكساهم العقل ثم اماتهم ثم
احياهم واخرجهم من بطون امهاتهم وقد بينا ان هذا وجه ضعيف في نظائره لان الخبر
الوارد بذلك ضعيف والاقوى في معنى الاية ان يكون المراد بذلك تعنيف الكفار واقامة
الحجة عليهم بكفرهم وجحودهم ما انعم الله تعالى عليهم وانهم كانوا امواتا قبل ان يخلقوا في بطون
امهاتهم واصلاب ابائهم يعني نطفا والنطفة اموات ثم احياهم فاخرجهم الى دار الدنيا
احياء ثم يميتهم في القبر للمسائلة ثم يبعثهم يوم القيمة للحشر والحساب وهو قوله تعالى ثم
اليه ترجعون معناه ترجعون للمجازاة على الاعمال كقول القائل طريقك علي ومرجعك
الي يريد اني مجازيك ومقتدر عليك وسمي الحشر رجوعا الى الله لانه رجوع الى حيث
لا يتولى الحكم فيه غير الله فيجازيكم على اعمالكم كما يقول القائل امر القوم الى الامير والقاضي ولا يراد
به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به ان النظر صار له خاصة دون غيره فان
قال قائل لم يذكر الله احياء في القبر فكيف تثبتون عذاب القبر • قلنا قد بينا
ان قوله ثم يحييكم المراد به احياؤهم في القبر للمسائلة وقوله تعالى ثم اليه ترجعون
معناه احياؤهم يوم القيمة وحذف ثم يميتكم بعد ذلك لدلالة الكلام عليه على ان قوله
ثم يحييكم لو كان المراد به يوم القيمة لم يمنع ذلك من احياء في القبر واماتة بعده كما قال
تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا
ثم احياهم ولم يذكر حيوة الذين حيوا في الدنيا بعد ان ماتوا وقال في قوم
موسى فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون • ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون
ولم يذكر حيوتهم في الدنيا ولم يدل ذلك على انهم لم يحيوا في الدنيا بعد الموت و
كذلك ايضا لا تدل هذه الاية على ان المكلفين لا يحيون في قبورهم للثواب والعقاب •

يوم القيمة وروى ابو الاحوص
عن عبد الله في قوله امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين
قال هي كالتي في البقرة كنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم
يحييكم صح

على ما اخبر به الرسول عليه السلام وقول من قال لم يكونوا شيئا ذهب الى قول العرب للشئ الدارس
الخامل انه ميت يريد خموله ودرسه وفى ضد ذلك يقال هذا امر حى يراد به كانه متعالم
فى الناس ومن اراد الاماتة التى هى خروج الروح من الجسد فانه اراد بقوله وكنتم امواتا
انه خطاب لاهل القبور بعد احيائهم فيها وهذا بعيد لان التوبيخ هنالك انما هو
توبيخ على ما سلف وفرط من اجرامهم لاستعتاب واسترداع ؛ وقوله كيف تكفرون بالله
وكنتم امواتا توبيخ مستعتب وتانيب مسترجع من خلقه من المعاصى الى الطاعة ومن الضلالة
الى الانابة ولا انابة فى القبر ولا توبة فيها بعد الوفاة واحسن الوجوه مما قدمنا ما ذكره ابن
عباس وبعده قول قتاده ؛ قوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا
ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم
اية بلا خلاف ؛ هو كناية عن الله عز وجل فى قوله تكفرون بالله واراد به ما كبد الحجة
فقال كيف تكفرون بالله الذى احياكم بعد موتكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون
الذى خلق لكم ما فى الارض يعنى الذى فى الارض وما فى موضع نصب لان الارض وجميع
ما فيها نعمة من الله لخلقه اما دينية فيستدلون بها على معرفته ؛ واما دنياوية فينتفعون
بها بضروب النفع عاجلا ؛ وقوله ثم استوى الى السماء فيه وجوه احدها ما قاله الفراء من ان
معناه اقبل عليها كما يقول القايل كان فلان مقبلا على فلان بشتمه ثم استوى الى يشتمنى و
استوى على يشاتمنى قال الشاعر ؛ اقول وقد قطعن بها شروري ؛ سوامد
واستوين من الضجوع اى اقبلن وخرجن من الضجوع ؛ وقال قوم ليس معنى
البيت ما قاله وانما معناه استوين على الطريق من الضجوع كان جاءت بمعنى استقمن
عليه ؛ وقال قوم معنى استوى قصدها لتسويتها كقول القايل قال الخليفة
يريد امن بنى تميم ثم استوى والحول الى بنى ربيعة فاعطاهم وقسم لهم اى قصد اليهم
ويقال مر فلان مستويا الى موضع كذا ولم يعدل اى قصد اليهم ؛ وقال قوم
معنى استوى اى استولى على السماء بالقهر كما قال استوى على ظهورها اى بقهره ؛ ومنه
قوله تعالى فلما بلغ اشده واستوى اى تمكن من امره وقهر هواه بعقله فقال ثم استوى
الى السماء فى تفرده بملكها ولم يجعلها كالارض ملكا لخلقه ؛ ومنه قول الشاعر
فلما علونا واستوينا عليهم ؛ تركناهم صرعى لنسر وكاسر ؛ وقال

وقال آخر ؛ ثم استوى بشر على العراق ؛ من غير سيف ودم مهراق
وقال الحسن ثم استوى امره وصنعه الى السماء لان اوامره وقضاياه تنزل من
السماء الى الارض ؛ وقال بعضهم استوى يعنى استوت به السماء كما قال الشاعر
؛ اقول له لما استوى فى ترابه ؛ على اى دين قتل الناس مصعب واحسن هذه الوجوه
ان يحمل على انه علا عليها فقهرها وارتفع فدبرها بقدرته وخلقهن سبع سموات
فكان علوه عليها لخلقها ولا يقدح فى الاول علوه تعالى على الاشياء فلم يزل لانه
وان كان كذلك لم يكن قاهرا لها لخلقها لان ذلك متجدد وانما قال الى السماء ولا
سماء هنالك كما يقول القايل اعمل هذا الثوب وانما معه غزل ؛ وقال قوم
انما سويهن سبع سموات بعد ان كانت دخانا والاول املح ؛ وقال
قوم السموات غير الافلاك لان الافلاك تتحرك وتدور ؛ واما السموات لا تتحرك
ولا تدور لقوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وهذا ليس بصحيح
لانه لا يمتنع ان تكون السموات هى الافلاك وان كانت متحركة لان قوله تعالى يمسك
السموات والارض ان تزولا معناه لا تزول عن مركزها الذى تدور عليه ولولا امساكه
لهوت بما فيها من الاعتمادات سفلا ؛ ومعنى سواهن اى هياهن وخلقهن
وقومهن ودبرهن والتسوية التقويم والاصلاح يقال سوى فلان لفلان هذا
الامر اى قومه واصلحه ؛ وقال بعضهم السماء واحدة تدل على الجمع فلذلك
قال ثم استوى الى السماء فذكرها بلفظ واحد ثم اخبر عنها بلفظ الجمع فى قوله فسويهن
وقال الاخفش السماء اسم جنس يدل على القليل والكثير كقولهم اهلك الناس
الدينار والدرهم ؛ وقال بعضهم السماء جمع واحده سماوة مثل بقرة وبقر
ونخلة ونخل وثمرة وثمر ولذلك انث فقيل هذه سماء وذكرت اخرى فقيل السماء
منفطر به كما يفعل ذلك بالجمع الذى لا فرق بينه وبين واحده غير دخول الهاء
وخروجها فيقال هذا النخل وهذه النخل ؛ وهذا بقر وهذه بقر ومن قال
بالاول قال اذا ذكرت فانما هو على مذهب من يذكر المونث كقول الشاعر
؛ فلا مزنة ودقت ودقها ؛ ولا ارض ابقل ابقالها ؛
وقال اعشى بنى ثعلبة ؛ فاما ترى لمتى بدلت ؛ فان الحوادث
ازرى بها ؛ وقال قوم ان السماء وان كانت سماء فوق سماء وارضا

علو ملك وسلطان لا علو انتقال
وزوال وبعد ذلك قول
من قال قصد اليها ثم

فوق ارض وهي في البناء بلواحدة ويكون الواحد جماعا كما يقال ثوب اخلاق واسمال وبرمة أعشار للتكسيرة وبرمة اكسار واجبار واخلاق اي نواحيه اخلاق ع ويقال ارض اعفار وارض اخصاب والمعنى ان كل ناحية منها كذلك فجمع على هذا او لا ينافي ذلك قول من قال ان السماء كانت دخانا قبل ان سويها سبع سموات ثم سواها سبعا بغير استوائه عليها و ذلك انه يقول كن سبعا غير مسويات فسواها الله تعالى ع فان قيل قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء ظاهره يوجب انه خلق الارض قبل السماء لان ثم للتعقيب والتراخي ع وقال في موضع اخر ءانتم اشد خلقا ام السماء الاية بنيها رفع سمكها فسويها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها هذا ظاهر التناقض قلنا المعنى في ذلك خلق الارض قبل السماء غير انه لم يدحها فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك و دحوها بسطها ومدها ومنه ادحية النعام سميت بذلك لانها تبطها التبيض فيها ع ويجوز ان لا يكون معنى ثم وبعد في هذه الايات الترتيب في الاوقات والتقدم والتاخر فيها انما هو على جهة تعداد النعم والاذكار بها كما يقول القائل لصاحبه اليس قد اعطيتك ثم حملتك ثم رفعت في منزلتك ثم بعد ذلك كله خلطتك بنفسي و فعلت بك وربما يكون بعض الذي ذكره في اللفظ متقدما كان متاخرا لان المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل وانما المراد الذكر والتنبيه عليها ح فان قيل اي نسبة بين قوله ثم استوى الى السماء و بين قوله وهو بكل شيء عليم وكان يجب ان يقول وهو على كل شيء قدير ح قيل انما جاز ذلك لان الله لما وصف نفسه بما يدل على القدرة والاستيلاء وكل ذلك مما يدل على العلم اذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الاحكام والاتقان ح وايضا اراد ان يبين انه عالم بما يؤول اليه حاله وحال المنعم به عليه فيستحق بذلك النعمة ح وتلخيص معنى الاية ان الله تعالى هو الذي خلق لكم الارض وما فيها من الجبال والمياه والاشجار وما قدر فيها من الاقوات ثم قصد خلق السماء بعد خلقه الارض ومعنى استوى اي عمد لها وقصد الى خلقها وسواها سبع سموات فبناهن وركبهن كذلك ونظير ذلك ح قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين ح وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام يعني يومين بعد اليومين الاولين حتى صار بذلك اربعة ايام ثم استوى الى السماء فمعنى قوله خلق لكم ما في الارض جميعا هو الذي بينه بقوله وجعل فيها رواسي من فوقها الاية وجعل ذكره لذلك في الاية الاولى

الاولى تاكيد الحجة على عباده لئلا يكفروا به ولان تؤمنوا به ويشكروه ع وقوله كيف يكفرون يدل على انه تعالى ما اراد الكفر منهم لانه لو اراده منهم وخلقه فيهم لما قال ذلك كما لا يحسن ان يقول لم كنتم سودا وبيضا وطوالا وقصارا ع وقوله وهي دخان فالذي روي في الاخبار ان الله تعالى لما خلق الارض خلق بعدها الماء فصعد منه بخار وهو الدخان فخلق الله منه السموات وذلك جائز لا يمنع منه مانع وقوله وهو بكل شيء عليم معناه عالم وفيه مبالغة وانما اراد اعلامهم انه لا يخفى عليه شيء من افعالهم الظاهرة والباطنة والسر والعلانية قوله تعالى ع واذ قال ربك للملئكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون آية

قال ابو عبيدة اذ زائدة والتقدير قال ربك للملئكة وهي تحذف في مواضع قال الاسود بن يعفر

ع واذا وذلك لا مهاة لذكره ع والدهر يعقب صالحا بفساد ع

معناه وذلك لا مهاة لذكره ع قال عبد مناة بن ربع وقيل ابن ربع الهذلي ع حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ع شلا كما يطرد الجمالة الشردا ع ومعناه حتى اسلكوهم والقتائدة الموضع الذي فيه قتاد كثير والشل الطرد عنها ع وهذا الذي ذكره ليس بصحيح لان اذا حرف ياتي بمعنى الجزاء ويدل على مجهول من الوقت ولا يجوز ابطال حرف كان دليلا على معنى في الكلام الا لضرورة وليس بمعنى في البيتين على ما ظن بل لو حمل اذا في البيتين على البطلان بطل معنى الكلام الذي اراده الشاعر لان الاول اراد بقوله فاذا الذي نحن فيه وما مضى من عيشنا واراد بقوله ذلك الى ما تقدم وصفه من عيشهم الذي كان فيه لا مهاة لذكره يعني لا طعم له ولا فضل لاعقاب الدهر ذلك بفساد ع ومعنى قول عبد مناة بن ربع ع حتى اذا اسلكوهم في قتائدة ان قوله اسلكوهم مثلا يدل على معنى محذوف واستغنى عن ذكره بدلالة اذا عليه فحذف كما قال النمر بن تولب ع فان المنية من يخشها فسوف تصادفه اينما ع يريد اينما ذهب ع وكما يقول القائل من قبل ومن بعد يريد من قبل ذلك ومن بعد ذلك ويقول القائل اذا اكرمك اخوك فاكرمه واذا فلا يريد واذا لم يكرمك لا تكرمه ع ومن ذلك قول الشاعر

ع فاذا وذلك لا يضرك ضره ع في يوم اسال نائلا او انكرا ع

ولذلك لو حذف اذ في الاية لاستحال عن معناه الذي يفيده اذ لان تقديره ابتدا خلقكم اذ قال ربك للملئكة ع قال الزجاج والرماني اخطا ابو عبيدة لان كلام الله لا يجوز

٢٧ [illegible] الذي ينبح عن [illegible]

ان الحمل على اللغو مع امكان حمله على زيادة فايدة قال ومعنى اذ الوقت وهي اسم كيف يكون لغوا قال والتقدير والوقت
والحمد فاذا ان الله عز وجل ذكر خلق الناس وغيرهم فكانه قال ابتدا خلقكم اذ قال ربك للملئكة وقال المفضل
لما امتن الله بخلق السموات والارض ثم قال واذ قلنا للملئكة ما قلناه فهو نعمة عليكم وتعظيم لابيكم
واختار ذلك الحسن بن علي المغربي وقال الرماني والزهري اذكر واذ قال ربك للملئكة جمع
ملك عبرات واحدهم بغير همز اكثر فحذفت الهمزة وحركت اللام التي كانت ساكنة لو همز الاسم الى
اللام فاذا جمعوا ردوه الى الاصل وهمزوا كما يقولون راى فحركت الهمزة ثم يقولون يرى بلا همز وذلك
كثير وقد جاء مهموز في واحده قال الشاعر فلست بانسي ولكن ملاكا تحدر من
جو السماء يصوب وقد يقال في واحدهم مالك مثل قولهم جبذ وجذب فيقلبونه وشامل
وشمال ومن قال مالك لجمعه ملايك بلا هاء مثل اشعث واشاعث قال امية بن ابي
وفيها من عباد الله قوم الصلت ملايك ذللوا وهم صعاب واصل الملك الرسالة
قال عدي بن زيد العبادي ابلغ النعمان عني مالكا انه قد طال حبسي وانتظاري
وقد ينشد ملاكا وما لكا على اللغة الاخرى فمن قال ملكا فهو مفعل من لاك اليه يليك اذا
ارسل اليه رسالة ومن قال مالكا فهو مفعل من الكت اليه الوكة اذا ارسل اليه ما لكة والوكا
وكما قال لبيد بن ربيعة وغلام ارسلته امه بالوك فبذلنا ما سال و
هذا من الكيت ويقال لات يلات والت يالت اذا ارسل قال عبيد بن الحسحاس
الكني اليها عمرك الله يا فتى باية ما جاءت الينا تهاديا يعني ابلغها رسالتي قسمت
الملئكة ملئكة بالرسالة لانفاذ رسل الله بينه وبين انبيائه ومن ارسل من عباده هذا
عند من يقول ان جميع الملئكة رسل فاما ما يذهب اليه اصحابنا ان فيهم من ليس برسول
فلا يكون الاسم مشتقا بل يكون علما او يكون جنسيا انما قالوا ان جميعهم ليسوا رسل الله لقوله
تعالى الله يصطفي من الملئكة رسلا فلو كانوا جميعا رسلا لكانوا جميعا مصطفين لان الرسول
لا يكون الا مختارا مصطفى وكما قال ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقوله
اني جاعل اي فاعل وخالق وهما متقاربان قال الرماني حقيقة الجعل تصيير الشيء على صفة
والاحداث حقيقة ايجاد الشيء بعد ان لم يكن موجودا والخليفة الفعيلة من قولهم خلف
فلان فلانا في هذا الامر اذا قام مقامه فيه بعده لقوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم لننظر كيف تعملون يعني بذلك ابدلكم في الارض منهم فجعلكم خلفاء في الارض من

رسلا وفيهم

من بعدهم وسمي الخليفة خليفة من ذلك لانه خلف من كان قبله فقام مقامه والخلف بتحريك اللام يقال
فيمن كان صالحا وبتسكين اللام اذا كان طالحا قال الله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة
وروي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله وقال قوم
سمى الله تعالى آدم خليفة لانه جعل آدم وذريته خلفاء الملائكة لان الملئكة كانوا من سكان الارض
وقال ابن عباس انه كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل الله آدم
وذريته بدلهم وقال الحسن البصري انما اراد بذلك قوما يخلف بعضهم بعضا من ولد آدم الذين
يخلفون اباهم آدم في اقامة الحق وعمارة الارض وقال ابن مسعود اراد اني جاعل في الارض
خليفة يخلفني في الحكم بين الخلق وهو آدم ومن قام مقامه من ولده وقيل انه يخلفني في انبات الزرع
واخراج الثمار وشق الانهار وقيل ان الارض اراد بها مكة ولذلك سميت ام القرى قال
عن ابن سابط ان النبي عليه السلام قال دحيت الارض من مكة ولذلك سميت ام القرى قال
دفن نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والمقام وقال قوم انها الارض المعروفة وهو الظاهر
وقوله اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء روي ان خلقا يقال لهم الجان كانوا في
الارض فافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله تعالى ملائكة اجلتهم من الارض وقيل ان هؤلاء الملئكة
كانوا سكان الارض بعد الجان فقالوا يا ربنا اتجعل في الارض من يفسد فيها ويسفك الدماء
على وجه الاستخبار منهم والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لا على وجه الانكار كانهم قالوا ان كان
هذا كما ظننا فعرفنا وجه الحكمة فيه وقال قوم المعنى فيه ان الله اعلم الملئكة انه جاعل
في الارض خليفة وان الخليفة فرقة تسفك الدماء وهي فرقة من بني آدم فاذن الله للملئكة
ان يسئلوه عن ذلك وكان اعلامه اياهم هذا زيادة على التثبت في نفوسهم انه يعلم الغيب فكانهم
قالوا اتخلق فيها قوما يسفكون الدماء ويعصونك وانما ينبغي انهم اذا عرفوا انك خلقتهم ان
يسبحوا بحمدك كما نسبح ويقدسوا كما نقدس ولم يقولوا هذا الا وقد اذن لهم لانهم لا يجوز ان
يسالوا ما لا يؤذن لهم فيه ويؤمرون به لقوله ويفعلون ما يؤمرون فان قيل من اين لكم انهم
كانوا علموا ذلك قيل ذلك محذوف لدلالة الكلام عليه لانا علمنا انهم لا يعلمون الغيب
وليس اذا افسد الجن في الارض وجب ان يفسد الانس وقوة السوال تدل على انهم كانوا عالمين و
جرى ذلك مجرى قول الشاعر لا تدفنوني ان دفني محرم عليكم ولكن خامري ام عامر
فحذف قولوا لدعوتي للتي يقال لها اذا اريد صيدها خامري ام عامر فكانه قال اني جاعل في الارض

خليفة يكون من ولده افساد في الارض وسفك للدماء، وقال ابو عبيدة والزجاج انهم قالوا ذلك على وجه الايجاب وان خرج مخرج الاستفهام كما قال جرير ❊ الستم خير من ركب المطايا، واندى العالمين بطون راح فعلى هذا الوجه قال قوم انما اخبروا بذلك عن ظنهم وتوهمهم لانهم راوا الجن من قبلهم قد افسدوا في الارض وسفكوا الدماء فتصوروا انه ان استخلف غيرهم كانوا مثلهم فقال تعالى منكرا لذلك ❊ اني اعلم ما لا تعلمون وهذا قول قتادة وابن عباس وابن مسعود وقال اخرون انهم قالوا يقينا لان الله كان اخبرهم انه يستخلف في الارض من يفسد فيها ويسفك الدماء فاجابوا بعد علمهم بذلك بان قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وانما قالوا استعظاما لفعلهم اي كيف يفسدون فيها ويسفكون الدماء، وقد انعمت عليهم واستخلفتهم فيها فقال اني اعلم ما لا تعلمون ❊ وقال قوم انهم قالوا ذلك متعجبين من استخلافه لهم اي كيف يستخلفهم وقد علم انهم يفسدون فيها ويسفكون الدماء، فقال اني اعلم ما لا تعلمون ❊ والسفك صب الدم خاصة دون غيره من الماء وجميع المايعات والسفح مثله الا انه مستعمل في كل مايع على وجه التضييع ولذلك قالوا في الزنا انه سفاح لتضييع ولذلك قالوا في الزنا انه سفاح لتضييع مائه فيه والملئكة المذكورون في الاية قال قوم هم جميع الملئكة وقال اخرون وهو المروي عن ابن عباس والضحاك انه خطاب لمن اسكنه من الملئكة الارض بعد الجان وقبل خلق ادم وهم الذين اجلوا الجن عن الارض وقال قتادة في قوله اتجعل فيها من يفسد فيها على وجه التعجب من هذا التدبير لا الانكار له ولكن على وجه التالم والتوجع والاغتمام والاستعلام لوجه التدبير فيه فقال الله اني اعلم ما لا تعلمون من وجه المصلحة في خلقهم وما يكون منهم من الخير والرشد والعلم وحسن التدبير والحفظ والطاعة ما لا تعلمون فان قيل الملئكة ما عرفت ذلك اذ لم يمكنها ان تستدرك ذلك بالنظر والفكر ❊ قلنا قد يجوز الا يكون خطر ببالها ذلك الا عند ما اعلمهم الله فلما علموا ذلك فزعوا الى المسألة عنه لان المسألة لمن يتوقع سرعة جوابه ويوثق بعلمه وخبره يقوم مقام النظر والفكر ❊ وقوله اتجعل فيها من يفسد فيها يريدون من ولد ادم الذين ليسوا انبياء، ولا ائمة معصومين فكانه قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة يكون له ولد ونسل يفعلون كيت وكيت فقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها يريدون الولد وقد بينا ان الخليفة من يخلف من تقدمه جماعة كانوا او واحدا فلما اخبر الله تعالى الملئكة انه يخلق في الارض عبادا هم ادم وولده ويكونون خليفة لمن تقدمهم من الجن وغيرهم

و يسفك الدماء، ونعلمت الملئكة من علم الله انهم لا من سفك الدماء وليان في الارض قال الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من ان يسكون ذلك الطهر وصلحا وانبياء ومن يصلحون وسالوا الحكمة واوى هذه الوجوه قول من قال ان الملئكة انما قالت اتجعل فيها من يفسد فيها من

هم قالوا ما قالوه، ويحتمل ان يكون قوله من يفسد فيها يريدون البعض لا الكل كما يقال بنو شيبان يقطعون الطريق ويراد بعضهم دون جميعهم ❊ وقوله ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك والتسبيح هو التنزيه من السوء على وجه التعظيم وكل من عمل خيرا قصد به الله فقد سبح يقال فرغت من سبحتي اي من صلاتي وقال سيبويه معنى سبحان الله براءة الله وتنزيه الله من السوء ❊ قال الاعشى بن ثعلبة ❊ اقول لما جاءني فخره ❊ سبحان من علقمة الفاجر ❊ اي براءة من علقمة الفاجر ❊ وهو مشتق من التسبيح الذي هو الذهاب قال الله تعالى ان لك في النهار سبحا طويلا ❊ ولا يجوز ان يسبح غير الله وان كان منزها لانه صار علما في الدين على اعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه كما ان العبادة غاية في الشكر لا يستحقها سواه وقال ابن عباس وابن مسعود ونحن نسبح بحمدك يعني نصلي لك كما قال فلولا انه كان من المسبحين اي من المصلين ❊ وقال مجاهد معناه نعظمك بالحمد والشكر على نعمك وقال قتادة هو التسبيح المعروف وقال المفضل هو رفع الصوت بذكر الله كما قال جرير

❊ قبح الاله وجوه تغلب كلما ❊ سبح الحجيج وهللوا اهلالا ❊

واصل التقديس التطهير ومنه قوله الارض المقدسة اي المطهرة ❊ قال الشاعر

❊ فادركنه ياخذن بالساق والنسا ❊ كما شبرق الولدان ثوب المقدس ❊

اي المطهر ❊ وقال قوم معنى نقدس لك نصلي لك ❊ وقال اخرون نقدس انفسنا من الخطايا والمعاصي ❊ وقال قوم نطهرك من الادناس اي لا نضيف اليك القبائح والقدس السطل الذي يتطهر منه اي يتقدس ويوصف تعالى بانه قدوس سبوح اي سبحانه ان يكون شريكا لغيره طاهر من كل عيب ❊ وقوله اني اعلم ما لا تعلمون ❊ قال قوم اراد ما اظهره ابليس من الكبر والعجب والمعصية لما امره الله تعالى بالسجود لادم ذهب اليه ابن مسعود وابن عباس وقال قتادة اراد من في ذريته ادم من الانبياء، والصالحين ❊ وقال قوم اراد به ما اختص بعلمه من تدبير المصالح ❊ فان قيل لو كان آدم قادرا على ان لا ياكل من الشجرة لكان قادرا على نقض ما دبره الله فيه لانه لو لم ياكل منها للبث في الجنة الله والله تعالى انما خلقه ليجعله خليفة في الارض فهذا يدل على انه لم يكن له بد من المخالفة ❊ قلنا عن هذا جوابان احدهما ان الجنة التي خلق الله تعالى فيها ادم لم تكن جنة الخلد وانما كانت في الارض حيث شاء، الله وانه حيث كان في الارض كان خليفة في الارض وفي هذا اسقاط السؤال والثاني

ان الله تعالى علم ان آدم سيخالف وانه يهبط الى الارض فيستخلفه فيها فاخبر الله تعالى بما علم * وقولهم
انه لوكان قادرا على الا يخالف لكان قادرا على نقض تدبيره جهل لان الله تعالى قد امره بان لا يقرب
الشجرة فهل يجب بان يكون امره بان ينقض تدبيره فاذا قالوا لا قيل وكذلك الله قد اقدره
على الا يخالف فيلبث في الجنة ولا يجب بذلك ان يكون اقدره على نقض تدبيره * وقد روي
عن ابي عبد الله عليه السلام ان الملائكة سالت الله ان يجعل الخليفة منهم وقالوا نحن نقدسك
ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا فقال ابو عبد الله عليه السلام فلما اجيبوا بما ذكر الله في القرآن
علموا انهم قد تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفارا فامر الله آدم بعد هبوطه ان
يبني لهم في الارض بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله تعالى انى
اعرف بالمصلحة منكم وهو معنى قوله انى اعلم ما لا تعلمون * قوله تعالى وعلم آدم الاسماء
كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين * آية واحدة بلا خلاف
روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الارض وقيل
قبضها ملك الموت فجاء بنو آدم على قدر ذلك منهم الاسود والاحمر والابيض والسهل والحزن
والخبيث والطيب * وقال ابو العباس في اشتقاق آدم قولان احدهما انه ماخوذ من اديم الارض
قال فاذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته صرفته * والثاني انه ماخوذ من الادمة على معنى
اللون والصفة فاذا سميت به في هذا الوجه ثم نكرته لم تصرفه والادمة والسمرة والدكنة والورقة
متقاربة المعنى في اللغة * وقال صاحب العين الادمة في الناس شربة من سواد * وفي
الابل والظباء بياض وادمة الارض وجهها والمودم من الجلد خلاف المبشر وادما انثى وادم ذكر
وهي الادم في الجماعة وآدم ابو البشر والادم ما يؤتدم به وهو الادام * والادم جماعة الاديم * واديم كل شيء
وجهه وكل لفظة عموم على وجه الاستيعاب * وقال الرماني حد الاحاطة بالابعاض يقال البعض القوم
جاءك ام كلهم ويكون تاكيدا مثل اجمعين غير انه يبتدا في الكلام بكل كقوله تعالى فسجد الملائكة
كلهم اجمعون لان كلا قد يلي العوامل ويبتدا واجمعون لا يكون الا تابعة * ويقال عرض عرضا وقال
صاحب العين عرض علينا فلان المتاع يعرض عرضا للشراء او الهبة * وقال الزجاج العرض اصله
في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول وعرض الرجل قال بعضهم ما يمدح
به او يذم * وقيل عرضه خليقته المحمودة * وقيل عرضه حسبه وقال الرماني هي ناحيته التي يصونها
عن المكروه وحقيقة العرض الاظهار للشيء ليتصفح والانباء والاعلام والاخبار واحد * وقال صاحب

صاحب العين النبأ مهموز هو الخبر المنبئ والمخبر ولفلان نبأ اي خبر ويقال نباته وانبائه واستنبائه وجمع الانباء والنبوة
اذا احدث من الانباء فهي مهموزة لكن روي عن النبي صلى الله عليه وآله قال لا تنبزوا باسمي لرجل قال له يا نبي الله وانبائه
والنبي بالهمز الطريق الواضح يا حذيك الى حيث تريد والنباة صوت الكلاب ينبأ به نبأة * وحقيقة
الانباء الاظهار للخبر قال الشاعر

اذان وانباه الاولون * بان المدان ملي وفي

والفرق بين الاخبار والاعلام ان الاعلام قد يكون بنصب يخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله
من كمال العقل والعلم بالمشاهدات وقد يكون بنصب الادلة للشيء والاخبار هو اظهار الخبر علم به او لم
يعلم ولا يكون مخبرا بما يحدثه من العلم في القلب كما يكون معلما بذلك * وقوله ثم عرضهم على
الملائكة انما لم يقل ثم عرضها اذ كانت الاسماء لا تعقل لانه اراد اصحاب الاسماء وفيهم ما لا يعقل كما
تغلب المذكر اذا اجتمع مع المؤنث لانهم يقولون ان اصحابك واماءك جاؤون * وروي
عن ابن عباس انه قال عرض الخلق * وقال مجاهد عرض اصحاب الاسماء * وقوله وعلم آدم الاسماء كلها
ومعناه انه علمه معاني الاسماء من قبل ان الاسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لاشارة الفضيلة بها
وقد نبه الله الملائكة على ما فيه من لطيف الحكمة فاقروا عندما سألوا عن ذكرها والاخبار عنها انهم
لا علم لهم بها فقال يا آدم انبئهم باسمائهم * وقول قتادة وظاهر العموم يقتضي انه علمه جميع الاسماء
وبه قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة واكثر المتأخرين كالبلخي والجبائي وابن
الاخشاد والرماني * وقال الطبري بما يحكى عن الربيع وابن زيد انهما قالا علمه الله
اسماء ذريته واسماء الملائكة وقال هو الاختيار دون قول ابن عباس * وقال ان قوله عرضهم انما يكون
لمن يعقل في الاظهر من كلام العرب وهذا غلط لما بيناه من حكم التغليب وحسنه كما قال تعالى والله خلق
كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع وهذا يبطل
ما قاله الحكاية وبقي اللفظ على عمومه وظاهر الآية وعمومها يدل على انه علمه جميع اللغات وبه قال الجبائي
والرماني فاخذ عنه ولده اللغات فلما تفرقوا تكلم كل قوم منهم بلسان الفوه واعتادوه وتطاول
الزمان على ما خلف ذلك فنسوه ويجوز ان يكونوا عالمين لجميع تلك اللغات الى زمن نوح
عليه السلام فلما اهلك الله جميع الخلائق الا نوحا ومن معه كانوا هم العارفين بتلك
اللغات فلما كثروا وتفرقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلموا بها وتركوا ما سواه وانقرض و
نسوه * والخبر الذي يروى ان الناس امسوا ولغتهم واحدة ثم اصبحوا وقد تغيرت السنتهم

وكان لا يعرف كل فريق منهم الكلام من كان على لغتهم خبر ضعيف وايضا فلا يجوز ان ينسى العاقل ما كان في
امسه من جلايل الامور مع سلامة عقله ؛ قالوا واللغات جميعا انما سمعت من ادم وعنه اخذت
وقال ابن الاخشاذ ان الله فتق لسان اسمعيل بالعربية ولذلك صار اصلا للعرب
من ولده لانه تكلم بها على خلاف النشو والعادة بل على انه ابتدا بها والهمه اياها ؛ فان قيل ما معنى
قوله انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ما الذي ادعى حتى قيل هذا ؛ قيل عن ذلك اجوبة
كثيرة للعلماء احدها ان الملئكة لما اخبرهم الله عز وجل انه جاعل في الارض خليفة هجس في نفوسهم
انه لو كان الخليفة منهم بدلا من ادم وذريته لم يكن فساد ولا سفك دماء كما يكون من ولد ادم
وان ذلك اصلح لهم وان كان الله عز وجل لا يفعل الا ما هو اصلح في التدبير والاصوب في الحكمة
فقال الله تعالى انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين فيما ظننتم في هذا المعنى ليدلهم على انهم اذا
العجز والثاني انه وقع في نفوسهم انه لم يخلق خلقا الا كانوا تعلموا باطن ما شاهدوا كانوا من ان
يعلموا باطن ما غاب عنهم افضل منهم في ساير ابواب العلم فقيل ان كنتم صادقين في هذا الظن
فاخبروا بهذه الاسماء ؛ والثالث قال ابن عباس ان كنتم تعلمون لم اجعل في الارض خليفة
اي انبئتم ان كل واحد من الامرين من علم الغيب وكما لا تعلمون ذا لا تعلمون الاخر والرابع
ما ذكره الاخفش والجبائي وابن الاخشاذ ان كنتم صادقين به من اسمائهم كقول القائل للرجل
اخبرني بما في يدي ان كنت صادقا اي ان كنت تعلم فاخبر به لانه لا يمكنه ان يصدق في مثل
ذلك الا اذا اخبر عن علم منه ولا يصح ان يكلف ذلك الا مع العلم به ولا بد اذا استدعوا الى
الاخبار عما لا يعلمون من ان يشترط بهذا الشرط ووجه ذلك التنبيه كما يقول العالم للمتعلم ما
يقول في كذا وهو يعلم انه لا يحسن الجواب لينبهه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه فلو قال له
اخبر بذلك ان كنت تعلم او قال له ان كنت صادقا لكان حسنا فاذا نبهه على انه لا يمكنه
الجواب اجابه حينئذ فيكون جوابه بهذا التدريج اثبت في قلبه واوقع في نفسه ؛
وقوله انبئوني قال قوم هو امر مشروط كانه قيل ان امكنكم ان تخبروا بالصدق فيه
فافعلوه وقيل ان لفظه لفظ الامر ومعناه التنبيه على ما بيناه في سؤال العالم للمتعلم ولا يجوز
ان يكون ذلك تكليفا لانه لو كان تكليفا لم يكن تنبيها لهم على ان ادم يعرف من اسماء هذه
الاشيا بتعريف الله اياه ذلك ما لا يعرفون فلما اراد تعريفهم ما خص به ادم من ذلك علمنا
انه ليس بتكليف ومعنى قوله ان كنتم صادقين شرط كانه قيل ان كنتم صادقين في

البعد والثاني انه وقع في نفوسهم انه لم يخلق خلقا الا كانوا من

في الاخبار بذلك وليس ان يعني اذ على ما حكاه الكسائي عن بعض المفسرين لانها لو كانت كذلك لكانت
ان بفتح الهمزة ؛ وتقديره ان كنتم محققين ايمانكم فافعلوا كذا او كذا الان اذ اذا تقدمها فعل مستقبل صارت
علة للفعل وسببا له كقولك اقوم اذ قمت اي من اجل ان قمت فلو كانت ان في الاية بمعنى اذ كان التقدير
انبئوني باسماء هؤلاء من اجل انكم صادقين واذا وضعت اذ مكان ذلك وجب ان تفتح الالف
وذلك خلاف ما عليه القراء والانبياء ؛ قال قوم اصله الاعلام كقولهم انبات عمروا زيدا احال بمعنى
اعلمت ولا يصلح ها هنا اخبرت الا انه بينا ولانبئوني ها هنا بمعنى اخبروني على وجه المجاز والتوسع لتقارب
المعنى في الاخبار والانباء لان الله تعالى عالم بالاشياء فيما لم يزل فلا يجوز ان يقول اعلموني لما هو عالم به ومن
قال اصله الاخبار يتعلق بظاهر القران ؛ وفي كيفية عرضهم قولان احدهما انه عرضهم بعد ان خلقهم و
الثاني انه عرضهم بان صورهم لقلوب الملئكة ؛ وفي هذه الاية دليل على شرف العلم من حيث ان
الله تم لما اراد تشريف ادم اختصه بعلم ابانه به من غيره وجعل له الفضيلة فيه ؛ وفي كيفية
تعليم الله تعالى ادم الاسماء قال البلخي والجوزان يكون اخبره بذلك فوعاه في وقت قصير بما اعطاه الله
من الفهم والحفظ اوبان دله ومكنه ورسم به رسما فابتدع هو لكل شي اسما بشاكله ؛ ولا بد
ان يكون اعلامه له بلغة قد تقدمت المواضعة عليها حتى يفهم بالخطاب المراد به وقال المواضعة
لا بد ان تستند الى السمع عند قوم وعند ابي هاشم واصحابه لا يصح ذلك فاما الذي عرض على الملئكة
قال قوم وعندي عرضت الاسماء دون المسميات ؛ وقال قوم اخرون عرضت المسميات بها وهو الاقوى
لقوله ثم عرضهم ؛ وفي قراءة ابن مسعود ثم عرضهن ؛ وفي قراءة ابي عرضها وقال قوم انه عرضهم
بعد ان خلق المسميات واحضرها لقوله اسماء هؤلاء وذلك اشارة الى الحاضر ؛ وقال اخرون
انه صورهم لقلوب الملئكة ثم عرضهم قبل خلقهم وقيل ان قوله اشارة الى الاسماء التي علمها ادم ومنبوئي
اكثر القراء على انه يهمزه وروى عن الاعمش ترك الهمز فيه وهو لغة قريش ؛ هولاء لغة قريش ومن جاورهم
باثبات الالف بين الهاء والواو ومد الالف الاخيرة ؛ وتميم وبكر وعامة بني اسد يقصرون الالف
الاخيرة ؛ وبعض العرب يسقط الالف الاولى التي بين الهاء والواو ويمد الاخيرة وانشد ؛
؛ تجلد لا يقل هولا هذا ابكى ؛ لما بكى اسفا وغيبا ؛
وحقق الهمزة ابن عامر واهل الكوفة اذا اتفقا من كلمتين ؛ وقرا ابو عمرو واحمد بن صالح عن قالون
بتحقيق الاولى وحذف الثانية وقرا ورش ؛ وقيل وابو جعفر ورويس بتحقيق الاولى وتليين
الثانية ؛ وقرا ابن كثير الا القتبلا ونافع الا ورشا واحمد بن صالح بسكون الاولى وتحقيق الثانية

في المكسورتين والمضمومتين وفي المفتوحتين بتحقيق الاولى وحذف الثانية قوله تعالى
هذه الاية فيها اخبار من الله تعالى عن ملئكته بالرجوع اليه والاوبة والتسليم انهم لا يعلمون الا ما علمهم
الله وقولهم سبحانك نصب على المصدر ومعناه نسبحك وسبحان مصدر لا ينصرف
قدمنا فيما مضى ان معنى التسبيح التنزيه ومعناه هاهنا تبريا منهم ان يعلموا الغيب واقرارا انه المختص
به تعالى دون غيره وقوله العليم الحكيم معنى عليم انه عالم بجميع المعلومات ويوصف به فيما لم يزل لان ذلك
واجب في العالم لنفسه وقوله الحكيم يحتمل امرين احدهما انه عالم لان العالم بالشي يسمى بانه حكيم فعلى
هذا يكون من صفات الذات مثل العالم وقد بيناه والثاني ان يكون من صفات الافعال
ومعنى ذلك ان افعاله محكمة متقنة وصواب ليس فيها وجه من وجوه القبح ولا التفاوت ولا
يوصف بذلك فيما لم يزل وروى عن ابن عباس انه قال العليم الذي كمل علمه والحكيم الذي
كمل في حكمته وقد قيل في معنى حكيم انه المانع من الفساد ومنه سميت حكمة اللجام لانها تمنع الفرس
من الجري الشديد قال جرير
ابني حنيفة احكموا سفهاءكم اني اخاف عليكم ان اغضبا
اي امنعوهم والاحكام والاتقان والاتساق والانتظام متقاربة والحكم نقيض السفه
يقال حكم حكما واحكم احكاما ويقال احكم فلان عمله اذا بالغ فيه واصاب حقيقته والحكمة هي التي
تقف بك على الحق الذي لا يخلطه باطل والصدق الذي لا يشوبه كذب ومنه
قوله حكمة بالغة والحكم بين الناس هو الذي يرضى به لتقف الاشياء مواضعها ومنه
قوله فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها والحاكم القاضي بين الناس ليقفهم
على الحق ويقال رجل حكيم اذا كان ذلك شانه وكانت معه اصول من العلم والمعرفة واذا
حكم بين الرجلين يقال حكم يحكم واذا صار حكيما قيل حكم يحكم واستحكم اذا لم يكن فيه مطعن
وفي الحديث في راس كل عبد حكمة اذا هم بسيئة ان شاء الله ان يقدعه بها قدعه يعني
منعه والحكمة في الانسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل ومعنى قول الملئكة
سبحانك تنزيها لله من ان يكون احد يعلم الغيب سواه والثاني انهم ارادوا ان
يخرجوا مخرج التعظيم لله فكانهم قالوا تنزيها لك عن القبائح فعلى هذا الوجه الحسن وان لم
يتعلق بعلم الغيب كما تعلق في الاول وفي الناس من استدل بهذه الاية على ابطال
الاحكام في النجوم وهذا يمكن ان تكون دلالة على من يقول انها موجبات لا دلالات فاما من يقول

وقيل انما العلم هو من صفات ذاته واذا كانت كذلك اذ ارادت انها عالم ...

سبحانك لا علم لنا يحتمل امرين احدهما ما قد مناه وهو قول ابن عباس قال من

يقول انها دلالات على الاحكام نصبها الله فانه يقول الحق ما علمنا الا ما علمناه الله انه الذي جعل النجوم ادلة لنا لكان
ما علمناه استدلالا عن ضرورة مضاف اليه ايضا من حيث نصب الدلالة عليه واستدل جماعة من المفسرين
بهذه الاية والايتين قبلها على صدق النبي صلى الله عليه واله وسلم وجعلوها من جملة معجزاته اذ كان جاءهم
بما لا تعلمه العرب ولا يوصل اليه الا بقراءة الكتب والنبي عليه السلام لم يعرف شيء من ذلك مع العلم بمنشئه
ومبتدا امره ومنشاه وهذا يمكن ان يذكر على وجه التاكيد والتقوية لا ياته ومعجزاته من غير ان يكون
لو انفرد لكفى في باب الدلالات لقائل ان يقول انه قرا الكتب سرا واخذ عمن قراها خفيا فلا طريق للقطع
على ذلك وانما يغلب في الظن فان قيل ما الفائدة في الجواب بقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا قلنا لو اقتصروا
على قولهم لا علم لنا لكان كافيا لكن ارادوا ان يضيفوا الى ذلك التعظيم والاعتراف بان جميع ما يعلمونه من
تعليمه وان هذا ليس من جملة ذلك واختصروا وذلك ادل على الشكر لنعم وقيل في معنى عليم امران
احدهما انه عليم بغير تعليم بدلالة انهم اثبتوا لله ما نفوه عن انفسهم بقولهم لا علم لنا الا ما علمتنا اي نحن
معلمون وانت العليم عن التعلم والثاني انه العليم الحكيم وكلاهما حسن والاول احسن لانه اكثر
فائدة واولى في تقابل البلاغة وقد تضمنت الاية الدلالة على انه لا علم لاحد الا ما علمه الله اما ضرورة
واما بالدلالة قوله تعالى قال يا ادم انبئهم باسمائهم فلما انباهم
باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون اية بلا خلاف روى الريبوني من
طريق المالكي والعطار كسر الهاء وتحقيق الهمزة الباقون بضم الهاء وتحقيق الهمزة قال
ابو علي من ضم الهاء حملها على الاصل لان الاصل ان يكون هاء والضمة مضمومة مثل قولهم ضربهم وانباهم
وانما تكسر الهاء اذا وليها كسرة او ياء نحو بهم وعليهم ومع هذا يضم قوم حملا على الاصل ومن كسر الهاء مع
قبلها همزة مخففة فانه اتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها وان كان بينهما حاجز كما قالوا هذا
المرء ومررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل وحكى عن ابن زيد انه قال رجل
من بكر بن وائل اخذت هذا منه ومنهما ومنهم وكسر الهاء في الادراج والوقف
وحكى عنه لم اعرفه ولم اضربه فكسر وقال لم اضربهما فكسر الهاء مع الباء ويحتمل ان يكون ما
اعتد بالحاجز بين الكسرة والهاء لسكونها فكانت الكسرة وليت الهاء ومعنى انبئهم خطاب
لادم يعني اخبر الملئكة لان الهاء كناية عنهم وموضعها النصب باسمائهم يعني باسماء الذين عرضهم
على الملئكة والهاء والميم في اسمائهم كناية عن المراد بقوله اسماء هؤلاء وقد مضى بيانه

الماخر عن هشام اسام ونبائهم في الحج والقمر تقلبت الهمزة يا وكسر الها روى

وقوله واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فالابداء الاعلان والاظهار بمعنى واحد يقال بدا
وعلن وظهر وضد الابداء الكتمان وضد الاظهار الابطان وضد الاعلان الاسرار
يقال بدا يبدو وهو من الظهور وبدأ يبدأ ابداء بالهمز بمعنى استأنف قال صاحب العين بدا
الشيء يبدو بدوا اذا ظهر وبدا له في الامر بدا وبداء والبادية اسم الارض التي لا حضر فيها واذا
خرج الناس من الحضر الى الصحراء او المراعي يقال بدوا وابدوا واسمه البدو ويقال اهل البدو واهل
الحضر واصل الباب الظهور والخفاء نقيض الظهور وقال الرماني حد الظهور على حقيقة الحصول
يمكن ان يعلم بسهولة والله ظاهر بادلته باطن عن احساس خلقه وكل استدلال فانما هو لظهور
شيء وظهور غيره والكتمان نقيض اعلان السر ونحوه وناقة كتوم وهي التي لا ترغو اذا ركبها صاحبها
اي لا تصيح والكاتم من القسي التي لا ترن اذا انبضت الالف في قوله الم اقل لكم الف
تنبيه كقول القائل اما ترى اليوم ما اطيبه لمن يعلم ذلك الا انك تريد ان تحضر ذهنه
وان ليس مثله ما يخفى عليه كقوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير وحكي عن سيبويه
اما ترى اي ترق هاهنا وهي الف تنبيه اصلها الاستفهام ومن الناس من قال ان معناه
التوبيخ ومن لم يجز المعصية على الملائكة منع من ذلك فان قيل ما الفائدة في انباء آدم
عليه السلام الملائكة بذلك دون اعلامه اياهم بذلك قلنا اراد الله بذلك تكرمة
آدم عليه السلام وتشريفه واجلال المنة عليه وتعظيم النعمة لديه وجميع قصة آدم تؤذن بذلك
فان قيل ما معنى غيب السموات والارض والله لا يغيب عنه شيء قيل في معناه انه
يعلم ما غاب عنهم فلم يشاهدوه كما يعلم ما حضرهم فشاهدوه وقوله واعلم
ما تبدون وما كنتم تكتمون قيل في معناه اقوال احدها انه يعلم سرهم وعلانيتهم وذكر
ذلك تنبيها لهم على ما يجبلهم عليه من الاستدلال لان الاصول الاول لم يستدل بها
انما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها فيستدل بعلم الغيب انه خلق عباده على
ما خلقهم عليه للاستصلاح وما توجبه الحكمة والثاني ما يسرون يعني ما اضمره ابليس
من المعصية والمخالفة وما يعلنون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
قال الرماني وهذا الوجه غلط لان ابليس ليس من الملائكة ولان القول على
العموم لا يجوز ان يصرف الى الخصوص بغير دلالة وهذا الوجه اختاره الطبري وقال هو بمنزلة
قولهم قتل الجيش وهزموا وانما قتل البعض قال الرماني انما يقال ذلك اذا حل قتل

الواحد محل قتل الجميع مثل قتل الرئيس او من يقوم مقامه ولا يقال ايضا الا والدلالة عليه ظاهرة
وليس كذلك الآية وقد روي روايات في هذا المعنى والوجه في هذا ان ابليس لما دخل معهم
في الامر بالسجود جاز ان يستثنى من جملتهم الثالث قيل ان الله تعالى لما خلق آدم مرت
به الملائكة قبل ان تنفخ فيه الروح ولم تكن رأت مثله قبل فقالت لن يخلق الله خلقا
الا كنا اكرم منه وافضل عنده فزعموا ان هذا الذي اخفوه في نفوسهم وان الذي
ابدوه قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها روي ذلك عن الحسن والوجه الاول اقوى
لانه اعم ويدخل فيه هذا الوجه ولا دلالة يقطع بها على تخصيص الآية فان قيل ما وجه
ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب قلنا على معنى الجواب فيما سالوا عنه من يفسد ويسفك
الدماء وذلك على وجه التعريض بالجواب دون التصريح لانه لو صرح به لقال خلقت من
يفسد ويسفك الدماء لما اعلم في ذلك من المصلحة لجملة عبادي فيما كلفتهم اياه وامرتهم به
فدل في الاحالة في الجواب على العلم بباطن الامور وظاهرها انه خلقهم لاجل علمه بالمصلحة في ذلك
ودلهم بذلك على ان عليهم الرضا والتسليم لقضاء الله ان الله يعلم من الغيب ما لا يعلمونه
ويعلم من مصالحهم ما لا يعلمونه في دينهم ودنياهم فان قيل واي شيء في تعلم آدم الاسماء
كلها مما يدل على علم الغيب قلنا لانه تعالى علمه الاسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل
عليها على جهة فتق لسانه بذلك والهامه اياها وهي معجزة اقامها الله تعالى للملائكة فيه
تدل على جلالته وارتفاع قدره بما اختصه به من العلم العظيم الذي لا يصل اليه الا بتعليم الله
اياه فان بذلك الاعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه الا من علام الغيوب ففيه من المعجزة
انه فتق لسانه بها على مجرى العادة وانه علمه من لطائف الحكم فيها ما لا تعلمه الملائكة مع
كثرة علومها وانها اعرف الخلق بربها فعرفوا ما دلهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكدا لما
يعلمونه من ذلك بالادلة العقلية ولذلك نبههم فقال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض اي قد دللتكم على ذلك قبل هذه دلالة قبل وبعد وقيل فتح الله الدلالة
على الاعجاز بالكلام في آدم ثم ختم به في محمد عليه السلام قوله تعالى
**واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان
من الكافرين** آية واحدة ضم الهاء من الملائكة ابو جعفر وحده وحيث
وقع اتبع ضم الجيم وقيل انه نقل ضمة الهمزة وابتدأ بها والاول لان الهمزة الف وصل

انوع

تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل الى لوجه الاول هو المعتمد عليه والصحيح ما عليه القراء من كسر الهاء بلام الجر وابليس نصب بالاستثناء من الاثبات ويكون الوقف على قوله فسجدوا وعلى الاخفى بقول الا ابليس وكذلك كل استثناء وظاهر الاية يقتضي ان الامر كان لجميع الملئكة بالسجود لعمومها وقال قوم ان الامر كان خاصاً لطايفة من الملائكة كانوا مع ابليس طهر الله بهم الارض من الجن والاول اقوى والسجود والخضوع والتذلل بمعنى واحد في اللغة ونقيض التذلل التكبر يقال سجد يسجد سجوداً اسجد اسجاداً اذا اخفض راسه من غير وضع الجبهة قال الشاعر

وكلتاهما خرت واسجد راسها كما سجدت نصرانة لم تحنف

والسجود في الشرع عبارة عن عمل مخصوص في الصلوة والركوع والقنوت كذلك وهو وضع الجبهة على الارض ويقال سجد ناتيه سجوداً وقوم ونساء سجد والسجد من النساء الفاترات الاعين قال الشاعر

اغرك منا ان ذلك عندنا واسجاد عينيك الصيودين رابح

وعن ايم السجود من ذلك وقوله وان المساجد لله قيل انه السجود وقيل انه المواضع من الجسد التي يسجد عليها واحدها مسجد والمسجد اسم جامع لجميع المسجد وحيث لا يسجد بعد ان يكون اتخذ لذلك فاما المسجد من الارض فهو موضع السجود بعينه وقال قوم معنى السجود في اصل اللغة الخضوع والانحناء وقيل التذلل قال الشاعر

بجمع تضل البلق في حجراته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر

كانه قال منذللة للحوافر والسجود على اربعة اقسام سجدة الصلوة وسجدة التلاوة وسجدة الشكر وسجدة السهو وقوله ابى معناه ترك وامتنع والاباء والامتناع والترك بمعنى ونقيض ابى اجاب ويقال ابى يابى اباً واباءً وابى تابيا وقال صاحب العين ابى يابى اباء اذا ترك الطاعة ومال الى المعصية كقوله فكذب وابى وكل من ترك امراً ورده فقد اباه ورجل ابيٌّ وقوم ابيون واباة خفيف قال الشاعر ابى الضيم من قوم اباة وليس الاباء بمعنى الكراهة لان العرب تمدح بانها تابى الضيم ولا تمدح بكراهة الضيم وانما المدح في المنع منه كقوله ويابى الله الا ان يتم نوره اي يمنع الكافرين من اطفاء نوره والاستكبار والتكبر والتعظم والتجبر نظاير وضده التواضع يقال كبر كبراً واكبر اكباراً

او استكبر استكباراً وتكبر تكبراً وتكابر تكابراً وكابره مكابرة وكبره تكبيراً قال صاحب العين الكبر العظمة والكبر والكبر الاثم الكبير جعل اسما من الكبيرة كالخطيئة والخطء وكبر كل شيء معظمه والكبر مصدر الكبير في السن من جميع الحيوان فاذا اردت الامر العظيم قلت كبر هذا الامر كبارة والكبار في معنى الكبير ويقال اكبرت الشيء اذا اعظمته ومنه قوله فلما رأينه اكبرنه والتكبير في الصلوة تفعيل من قولهم الله اكبر واصل الباب الكبر وهو العظم ويقال على وجهين كبر الجثة وهو الاصل وذلك لا يجوز عليه تعالى وكبر الشان والله تعالى الكبير من كبر الشان وذلك يرجع الى سعة مقدوره ومعلومه والاستكبار الانفة مما لا ينبغي ان يوقف منه وموضع اذ من قوله واذ قلنا نصب لانه نصب على اذ الاولى كانه قال واذ اراد وقال ابو عبيدة لا موضع لها من الاعراب لانها زايدة وانشد

حتى اذا اسلكوهم في قتايدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وقال المراد واستشهد به على وجهين كل واحد منهما ينقض الاخر فاحد الوجهين قوله حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها فلم يات لاذ جواب والوجه الاخر فيه على زيادة اذ في هذا الموضع وكلا الوجهين خطا عنده لان الجواب في قوله فتايدة شلا هو قوله شلا بوقوعه موقع سلوهم شلا كما يقول القايل اذا اتيت الحرب فضرباً وطعناً واما الزيادة فقد بينا وجه الخطا فيها فيما تقدم واختلفوا في امر الملئكة والسجود لادم على وجهين قال قوم انه امرهم بالسجود له تكرمة وتعظيماً لشانه وهو المروي في تفاسيرنا واخبارنا وهو قول قتادة وجماعة من اهل العلم واختاره ابن الاخشاذ والرماني وجرى ذلك مجرى قوله وخروا له سجداً في اولاد يعقوب ولاجل ذلك جعل اصحابنا هذه الاية دلالة على ان الانبياء افضل من الملئكة من حيث امرهم بالسجود له والتعظيم على وجه لم يثبت ذلك لهم بدلالة امتناع ابليس من السجود له وانفته من ذلك وقوله ارايتك هذا الذي كرمت علي لئن اخرتني الى يوم القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا ولو

وتحقيقه انه درعلمه بما تبيناه من جميع الاجناس المقدورات وعالم بكل معلوم

ولو كان ذلك على وجه كونه قبلة لما كان لذلك وجه ولا فيه انفة ولا يحسن ان يومر الفاضل بتعظيم المفضول على نفسه لان ذلك سفه بلا وسنبين قول من خالف فيه وشبهتهم وقال الجبائي و البلخي وجماعة انه جعله قبلة لهم فامرهم بالسجود الى قبلتهم وفيه ضرب من التعظيم له وهذا ضعيف لانه لو كان على وجه القبلة لما امتنع ابليس من السجود ولما استعظمه الملئكة ولكن لما راوا ذلك تعظيما له على وجه ليس بثابت لهم امتنع ابليس وتكبر و اختلفوا في ابليس هل كان من الملئكة ام لا فقال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جريج والطبري انه كان منهم بدلالة استثنائه من جملتهم هاهنا في قوله الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقال ما منعك ان تسجد لما امرتك مع قوله واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم وهو المروي عن ابي عبد الله عليه السلام والظاهر في تفاسيرنا ثم اختلف من قال منهم فمنهم قال انه كان خازنا على الجنان ومنهم من قال كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الارض ومنهم من قال انه كان يسوس ما بين السماء الى الارض وقال الحسن البصري وقتادة في رواية ابن زيد والبلخي والرماني وغيره من المتاخرين انه لم يكن من الملئكة وان الاستثناء في الاية استثناء منقطع كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقوله فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا وكقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وكقول الشاعر وهو النابغة

وقفت فيها اصيلا لا اسائلها   اعيت جوابا وما بالربع من احد
الا اواري لاياما ابينها   والنوي كالحوض بالمظلومة الجلد

وانشد سيبويه

والحرب لا يبقى لجاحمها   التخيل والمراح
الا الفتى الصبار في   النجدات والفرس الوقاح

وقال اخر

وبلدة

الاية استثناء منقطع كقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقوله فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا وكقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وكقول الشاعر وهو النابغة

وقفت فيها اصيلا لا اسائلها   اعيت جوابا وما بالربع من احد
الا اواري لاياما ابينها   والنوي كالحوض بالمظلومة الجلد

وانشد سيبويه

والحرب لا يبقى لجاحمها   التخيل والمراح
الا الفتى الصبار في   النجدات والفرس الوقاح

وقال اخر

وبلدة ليس بها انيس   الا اليعافير والا العيس

واستدل الرماني على انه لم يكن من الملئكة باشياء منها قوله لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون فنفى عنهم المعصية نفيا عاما والثاني انه قال الا ابليس كان من الجن ومتى اطلق لفظ الجن لم يجز ان يعنى به الا الجنس المعروف المباين لجنس الانس والملئكة والثالث ان ابليس له نسل وذرية قال الحسن ابليس ابو الجن كما ان ادم ابو الانس وابليس مخلوق من النار والملئكة روحانيون خلقوا من الريح في قول بعض وقال الحسن خلقوا من النور لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون وقال الله في ابليس وولده افتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو والرابع وهو اقواها عنده قوله تعالى جاعل الملئكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلث ورباع فعمهم بالوصف بالرسالة ولا يجوز على رسل الله ان يكفروا او لا يفسقوا كالرسل من البشر والجواب عما ذكره اولا ان قوله لا يعصون الله ما امرهم صفة لخزنة النيران لا لجميع الملئكة يدل على ذلك قوله يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملئكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وليس اذا كان هؤلاء معصومين وجب ذلك في جميعهم والجواب عما ذكره ثانيا ان قوله كان من الجن معناه صار ذكر ذلك الاخفش وجماعة من اهل اللغة وقيل ايضا ان ابليس كان من طايفة من الملئكة يسمون جنا من حيث كانوا خزنة الجنة وقيل سموا بذلك لاجتنانهم عن العيون كما قال اعشى قيس بن ثعلبة

ولو كان شيء خالدا او معمرا ... لكان سليمى البري من الدهر
براه الهي واصطفاه عبادة ... وملكه ما بين ثريا الى مصر
وسخر من جن الملائك تسعة ... قياما لديه يعملون بلا اجر

وقد قال الله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا لان قريشا قالت الملائكة بنات الله والجواب عما ذكروه ثالثا ان ابليس له نسل وذرية وطريقه الاحاد ولو كان صحيحا لم يمنع ان يكون الله ركب فيه شهوة النكاح تغليظا عليه في التكليف وان لم يكن ذلك في باقي الملائكة فلا وجه للاستبعاده والجواب عما ذكروه رابعا قوله جاعل الملائكة رسلا اولي اجنحة معارض بقول الله يصطفي من الملائكة رسلا فان كان ظاهر تلك يقتضي العموم وظاهر هذه يقتضي التخصيص لان من للتبعيض بلا خلاف ولو لم يكن كذلك لجاز لنا ان نخص هذا العموم بقوله الا ابليس لان حمل ظاهر الاستثنا على انه منقطع حمل له على المجاز كما ان تخصيص العموم مجاز واذا تعارضا سقطا فاما ما روي عن ابن عباس ان الملائكة كانت تقاتل الجن فسبي ابليس وكان صغيرا وكان مع الملائكة فتعبد معها فلما امروا بالسجود لادم سجدوا الا ابليس ابى فلذلك قال تعالى الا ابليس كان من الجن انه خبر واحد لا يصح والمعروف عن ابن عباس ما قلناه انه كان من الملائكة فابى واستكبر وكان من الكافرين ومن قال ان ابليس خلق من نار ومن مارج والملائكة لم يخلقها من ذلك فقوله ضعيف لانه لا يمنع ان يكون الله تعالى خلق الملائكة اصنافا صنفا من نار وصنفا من نور وصنفا من غير ذلك وصنفا اخر لا من شيء فاستبعاد ذلك ضعيف معرفة وابليس قال الزجاج والرماني وغيرهما من النحويين انه ليس بما خوذ من الابلاس كقوله مبليسون اي آيسون من الخير قالوا لانه اعجمي معرب بدلالة انه لا ينصرف للعجمة والتعريف وقال الطبري هو مشتق من الابلاس ووزنه افعيل وانشد العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا ... قال نعم اعرفه وابلسا

وقال رؤبة

وحضرت يوم الخميس الاخماس ... وفي الوجوه صفرة وابلاس

يعني اكتئابا وكسوفا وقال انما لم يجر استثقالا من كان اسما لا نظير له من اسماء العرب

العرب فشبه باسماء العجم التي لا تنصرف وزعم ان اسحاق لا ينصرف وهو من اسحقه الله اسحاقا وان ايوب من اب يوؤب على زنة فعول كقيوم من قام يقوم قال الرماني غلط في جميع ذلك لانها الفاظ عربت من العجمية ووافقت الفاظ العربية وكان ابن السراج يمثل ذلك على جهة التبعيد ممن زعم ان الطير ولد الحوت وغلط ايضا في قوله انه لا نظير له في اسماء العرب لانهم يقولون ازميل للشفرة وازميل قال الشاعر

هم منعوا الشيخ المنافي بعدما ... راى حمة الازميل فوق البراجم

والاغريض الطلع واحريض صبغ احمر وقالوا هو العصفر وسيف اصليت ماضي كثير الماء وثوب اضرج مشبع الصبغ وقالوا هو من الصفرة خاصة وسبيل ابليس سبيل اسحاق في انه معرب غير مشتق وحد الاستكبار الرفع للنفس الى منزلة لا تستحق قوله وكان من الكافرين قال قوم يدل على انه كان قبله قوم كفار من الجن وقال اخرون لا يدل ويجري ذلك مجرى قول القائل كان ادم من الانس ولم يكن قبله انسي وكان ابليس من الجن ولم يكن قبله قوم كفار من الجن جني ومعناه صار من الكافرين ومن قال ان ابليس كان من جملة الملائكة قال كان من جملة الماموين بالسجود لادم بدلالة قوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك ولانه لما استثناه من جملتهم ولم يكن منهم علمنا انه كان من جملة المامورين كقول القائل امر اهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا الا رجلا من اهل الكوفة وانه يعلم بهذا ان غير اهل البصرة كان مامورا بدخول الجامع غير ان اهل البصرة كانوا اكثر فلذلك خصوا بالذكر وكذلك القول في الاية على ان افعال الجوارح من الايمان من حيث لو لم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس مومنا بما معه من المعرفة بالله وان فسق بابائه فقد ابعد لان المخالف يقول اذا علمت كفره بالاجماع علمت انه لم يكن معه ايمان اصلا كما اذا رايت انه يصلي للشمس علمت ان معه كفرا وان كان صلوته للشمس ليست كفرا فان قيل اذا كانت اذ لما مضى فما معنى قوله تعالى واذ قال الله يا عيسى بن مريم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وكيف قال واذ يتحاجون في النار قيل معنى ذلك كله على تقدير الاستقبال لان ما تحقق بمنزلة ما قد كان كما قال ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار قوله تعالى

وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث

ومن استدل بهذه الاية

شيئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين آية

بخلاف السكون والثبوت والعدو ونظاير ومثله الاستقرار والاطمئنان والثبات
والسكن والماوى والمثوى بمعنى يقول سكن يسكن سكونا اذا لبث في المكان وسكن
اذا سكت ويقال سكنت الريح وسكن المطر وسكن الغضب والسكن هم العيال
وهم اهل البيت قال سلامة بن جندل

ليست باسفى ولا اقنى ولا سغل يسقى دواء قفي السكن مربوب

والسكن المنزل والسكن المسكان والسكنى ان يسكن انسانا منزلا بلا كرى والسكينة الوادعة و
الوقار والسكن الرحمة والبركة كقوله ان صلاتك سكن لهم والمسكين الذي لا شئ
له عند ابي عبيده والفقير الذي له شئ وان كان قليلا قال الشاعر

اما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد

وقوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قال ابو حاتم احسبه
انهم كانوا شركاء في سفينة لا يملكون سواها فهذا يخالف ابا عبيدة وسكان السفينة معروف
عربي اشتقاقه من انها تسكن به عن الحركة والاضطراب ومعنى اسكن انت وزوجك
الجنة اجعلها ماوى تاوي فيه وتسكن اليه وقد اعظم الله النعمة على ادم بما اختصه
من علمه واسجد له ملائكته واسكنه جنته وتلك نعمة على ولده فالزمهم الشكر عليها والقيام
بحقها والجنة التي اسكن فيها آدم قال قوم هي بستان من بساتين الدنيا لان جنة
الخلد لا يصل اليها ابليس ووسوسته واستدل البلخي على انها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية
عن ابليس لما اغوى ادم قال له هل ادلك على شجرة الخلد فلو كانت جنة الخلد لكان
عالما بها فلم يحتج الى دلالة وقال الحسن البصري وعمرو بن عبيد وواصل بن عطا واكثر
المعتزلة كابي علي والرماني وابي بكر بن الاخشاذ وعليه اكثر المفسرين انها كانت جنة
الخلد لان الالف واللام للتعريف وصار كالعلم عليها قالوا ويجوز ان يكون وسوسة
ابليس من خارج الجنة فسمعاه وخاطباه وفهما كلامه قالوا وقول من يقول ان جنة الخلد
من يدخلها لا يخرج منها لا يصح لان معنى ذلك اذا استقر اهل الجنة في الجنة للثواب
واهل النار فيها للعقاب لا يخرجون منها فاما ما قبل ذلك فانها تفنى لقوله تعالى كل
شئ هالك الا وجهه وزوجك الجنة الزوج بطرح الهاء قال الاصمعي هو اكثر كلام العرب

العرب وقال الكسائي اكثر كلام العرب بالهاء وطرح الهاء لغة لازد شنوءة ولفظ
القرآن لم يجئ الا بطرح الهاء وقال المبرد الوجه طرح الهاء من الزوجة وانشد

واراكم لدى المحاماة عندي مثل صوت الرجال للازواج

جمع زوج ولا يجوز ان يكون جمع زوجة وقال الرماني قول الاصمعي اجود
لان لفظ القرآن عليه والعلة في ذلك انه لما كانت الاضافة تلزم الاسم في
اكثر الكلام كانت مشبعة له وكانت بطرح الهاء افصح واخف مع الاستغناء بدلالة
الاضافة عن دلالة هاء التانيث وقوله تعالى وكلا فالاكل والمضغ واللقم متقارب
وضد الاكل الازم وسال عمر بن الخطاب الحارث بن كلدة طبيب العرب فقال
يا حارث ما الدواء قال الازم اي ترك الاكل والاكلة مرة والاكلة اسم كاللقمة
والاكولة الشاة والغنم التي ترعى للاكل لا للنسل والاكال ان يتاكل عود او شئ
واكيل الرجل مواكله واكيل الذئب الشاة وغيرها اذا اردت معنى الماكولة و
اذا اردت به اسما قلت اكيلة ذئب والماكلة ما جعل للانسان لا يحاسب
عليه ورجل وامراة اكول كثير الاكل والماكل كالمطعم والمشرب والموكل المطعم واصل
الباب الاكل وهو المضغ لذي الطعم ويقال الذي يشترك الحيوان كله فيه سوى الملائكة
الماكل والمنكح والمشرب والرغد النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء قال
صاحب العين عيش رغد ورغيد رفيه وقوم رغد ونساء رغد قال
امرؤ القيس بن حجر

بينما المرء تراه ناعما يامن الاحداث في عيش رغد

والرغيدة الزبدة في بعض اللغات وارغد الرجل ماشيته اذا تركها وسومها
والمشيئة والارادة بمعنى واحد وكذلك المحبة والاختيار وان كان لها شروط ذكرناها
في الاصول ولا تقربا القرب والدنو والمجاورة متقارب المعنى وضد القرب
البعد يقال قرب يقرب واقترب اقترابا قال صاحب العين القرب طلب
الماء يقال قرب الماء يقرب وقد قربه قربا اذا طلبه ليلا ولا يقال للطالب للماء نهارا
قارب والقراب للسيف والسكين والفعل منه قربت قرابا وقيل قربت
قرابا والقربان ما تقربت به الى الله تعالى وقربان الملك وقربيته وزراؤه والقربى
حق ذي القرابة وقرب فلان اهله اذا غشيها قربانا وما قربت هذا الامر

ولا فلانا قربانا وقربا ، والشجرة كل ما قام على ساق من النبات وهو اسم يعم النخلة والكرمة وغيرهما
وما لم يقم على ساق لا يسمى شجرا كالبقل والحشيش واما اليقطين كالقرع والبطيخ فقد سمي شجرا
قال الله تعالى وانبتنا عليه شجرة من يقطين ، وقال صاحب العين الشجرة واحدة
تجمع على الشجر والشجرات والاشجار واختلفوا في الشجرة التي نهى الله آدم عنها فقال ابن
عباس هي السنبلة وقال ابن مسعود والسدي وجعفر بن زهير هي الكرمة ، و
قال ابن جريج هي التينة ، وروي عن علي عليه السلام انه قال شجرة الكافور ، و
قال الكلبي شجرة العلم على الخير والشر ، وقال ابن جدعان هي شجرة الخلد
التي كان يأكل منها الملئكة ، والاقاويل الثلثة الاولة اقرب ، فتكونا من الظالمين
الظلم والجور والعدوان متقارب وضد الظلم الانصاف ، وضد الجور العدل واصل
الظلم انتقاص الحق لقوله تعالى كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص و
قيل اصله وضع الشيء في غير موضعه وكلاهما من قولهم من اشبه اباه فما ظلم اي فما وضع
الشبه في غير موضعه وكلاهما مطرد وعلى الوجهين فالظلم اسم ذم ولا يجوز ان يطلق على
غير مستحق اللعن لقوله الا لعنة الله على الظالمين ، ولا يجوز اطلاقه على انبياء الله تعالى
ولا الائمة المعصومين ، وظالم ومسيء وجائر اسم ذم وهو فاعل لما يستحق به الذم من الضرر
وضده عادل ومنصف ومحسن وهي من صفات المدح ويقول المعتزلة لصاحب الصغيرة ظالم
لنفسه ومن نفى الصغيرة عن الانبياء من الامامية قال يجوز ان يقال ظالم لنفسه اذا بخسها
الثواب كقوله ظلمت نفسي ، وقوله اني كنت من الظالمين حكاية عن يونس
من حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه ، والظلم هو الضرر المحض الذي
لا نفع فيه او عليه عاجلا او آجلا ولا فيه دفع ضرر اعظم منه ولا هو واقع على وجه المدافعة
ولا هو مستحق فما هذه صفته يستحق به الذم اذا وقع من مختار عالم او متمكن من
العلم به وروي ان الله تعالى القى على آدم النوم واخذ منه ضلعا فخلق منه حواء
حواء وليس الا معه لان ما هذه صفته لا يجوز ان ينتقل الى غيره او يخلق منه حي يمتنع
ان يخلق الله تعالى حواء من جملة جسد آدم بعد ان لا يكون جزءا مما لا يتم كون الحي حيا
آخر من حيث يؤدي الى ان لا يصل الثواب الى مستحقه لان المستحق لذلك الجملة
باجمعها ، وهذا قول الرماني وغيره من المفسرين ولذلك قيل للمرأة ضلع اعوج وقيل
سميت امرأة لانها خلقت من المرء ، فاما تسميتها حواء لما ادخل آدم الجنة واخرج

منها ابليس ولعن وطرد فاستوحش فخلقت ليسكن اليها ، وقال ابن
اسحق خلقت من ضلعه قبل دخول الجنة ثم دخلا جميعا الجنة لقوله تعالى يا آدم اسكن انت
وزوجك الجنة ، وقال الحسن ان الجنة التي كان فيها آدم في السماء لانه اهبطهما
منها ، وقال ابو مسلم محمد بن بحر هي في الارض لانه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة
التي نهاهما عنها دون غيرها من الثمار ، وحيث مبنية على الضم كما بنيت الغاية نحو من
قبل ومن بعد لانه منع من الاضافة كما منعت الغاية الاضافة الى مفرد ، وقولهم
ولا تقربا هذه الشجرة صيغته صيغة النهي والمراد به الندب عندنا لانه دل الدليل
على ان النهي لا يكون نهيا الا بكراهة للمنهي عنه والله تعالى لا يكره الا القبيح والانبياء
لا يجوز عليهم القبائح صغيرها ولا كبيرها ، وقالت المعتزلة ان ذلك كانت صغيرة
من آدم على اختلاف فيهم في انه كان منه عمدا او سهوا او تأويلا وانما قلنا لا يجوز عليهم
القبائح لانها لو جازت عليهم لوجب ان يستحقوا بها ذما وعقابا وبراءة ولعنة
لان المعاصي كلها كبائر عندنا والاحباط باطل ولو جاز ذلك لنفر عن قبول
قولهم وذلك لا يجوز عليهم كما لا يجوز كل منفر عنهم من الكبائر والخلق المشوهة والا
خلاق المنفرة ولا خلاف ان النهي يتناول الاكل دون القرب كانه قال لا تقربا بالاكل
لانه لا خلاف ان المخالفة وقعت بالاكل لا بالدنو منها ولذلك قال فاكلا منها
فبدت لهما سوآتهما ، وقوله فتكونا يحتمل ان يكون جوابا للنهي فيكون موضعه
نصبا وهو الاقوى ، ويحتمل ان يكون عطفا على النهي فيكون موضعه جزما وكلاهما
جيد محتمل ومتى كان جوابا كان تقديره ان قربتما كنتما من الظالمين لانه يتضمن
معنى الجواب ، واذا كان عطفا على النهي فكانه قال لا تكونا من الظالمين واجاز
البصريون من اهل العدل ان يبتدئ الله الخلق فينعمهم فيها تفضلا منه لا على
وجه الثواب لان ذلك نعمة منه تعالى كما ان خلقهم وتكليفهم وتعريضهم للثواب
نعمة منه وله ان يفعل ما يشاء من ذلك ، وقال ابو القسم البلخي لا يجوز خلقهم
في الجنة ابتداء لانه لو جاز ذلك لما خلقهم في دار المحنة ولما ابتلى من يعلم انه
يكفر ويصير الى عذابه وانما لم يجز ان يخلقهم ابتداء في الجنة لانه لو خلقهم فيها
لم يخلوا ان يكونوا متعبدين بالمعرفة لله والشكر او لا يكونوا كذلك فلو كانوا
غير متعبدين كانوا مهملين وذلك لا يجوز ، ولو كانوا متعبدين لم يكن بد من

ترغيب وترهيب ووعد ووعيد ولو كانوا كذلك كانوا على ما هم عليه في دار الدنيا
وكان لا بد من دار اخرى يجازون فيها ويخلدون واجاب عن ذلك الاولون بان
قالوا لو ابتدا خلقهم في الجنة لاضطرهم الى معرفته والجاهم الى فعل الحسن وترك القبيح
ومتى راموا القبيح منعوا منه فلا يؤدي ذلك الى ما قاله كالحور العين والاطفال والبها
يم اذا احشرهم يوم القيمة قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما
كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى
حين آية بلا خلاف قرا حمزة وحده وازالهما بالف وتخفيف اللام الباقون
بتشديد اللام وحذف الالف ¤ الزلة والمعصية والخطيئة والسيئة بمعنى واحد
وضد الخطيئة الاصابة ويقال زل زلة وازله ازلالا واستزله استزلالا ¤ و
قال صاحب العين زل السهم عن النزع زليلا وزل فلان عن الصخر زليلا فاذا
زلت قدمه قلت زلا فاذا زل في مقاله او خطيئة قلت زلة قال
الشاعر ¤ هلا على غيري جعلت الزلة ¤
وازله الشيطان عن الحق اذا ازاله والمزلة المكان الدحض والمزلة الزلل في
الدحض والزلل مثل الزلة في الخطاء والازلال الانعام ¤ وفي الحديث من ازلت
اليه نعمة فليشكرها بمعنى اسديت ¤ قال كثير ¤
¤ واني وان صدت لمثن وصادق ¤ علينا بما كانت الينا ازلت ¤
ويقال ازللت الى فلان نعمة فانا ازلها ازلالا فالاصل في ذلك الزوال والزلة زوال
عن الحق ومعنى ازلهما نحاهما من قولك زلت عن المكان اذا تنحيت منه والوجه
ما عليه القراء لان هذا يؤدي الى التكرار لانه قال بعد ذلك فاخرجهما ويصير تقديرا
لكلام فاخرجهما الشيطان عنها فاخرجهما وذلك لا يجوز ويحسن ان يقول اسمن
لهما فاخرجهما ومن قرا ازالهما اراد المقابلة من قوله بين قوله اسكن لان معناه اسكن
واثبت انت وزوجك ¤ وتقديره تثبتا فاراد ان يقابل ذلك فقال فازالهما
فقابل الزوال بالثبات وانما نسب الازلال والاخراج الى الشيطان لما وقع ذلك
بدعائه ووسوسته ¤ واغوائه ولم يكن باخراجهما من الجنة على وجه العقوبة
لانا قد بينا ان الانبياء لا يجوز عليهم القبائح على حال ومن اجاز عليهم العقاب
فقد اعظم الفرية وقبح الذكر على الانبياء ¤ وانما اخرجهم من الجنة لانه تغيرت المصلحة لما

لما تناول من الشجرة واقتضى التدبير والحكمة تكليفه في الارض وسلبه ما البسه الله تعالى
من لباس الجنة ¤ وقال قوم ان الباس الله له ثياب الجنة كان تفضلا وللمتفضل ان يمنع
ذلك تشديدا للمحنة كما يفقر بعد الغنا ويميت بعد الاحياء ويسقم بعد الصحة ¤ فان
قيل كيف وصل ابليس الى آدم حتى اغواه ووسوس اليه وآدم كان في الجنة وابليس
قد اخرج منها حين تابى من السجود ¤ قيل عن ذلك اجوبة ¤ احدها ان ادم
كان يخرج الى باب الجنة وابليس لم يكن ممنوعا من الدنو منه وكان يكلمه ويغويه
وقال اخرون انه كلمهما من الارض بكلام وتكلما منه وعرفاه ¤ والثالث قال
قوم انه دخل في فم الحية وخاطبهما من فقمها والفقم جانب الشدق ¤ والرابع
قال قوم راسلهما بالخطاب وظاهر الكلام على انه شافههما بالخطاب ¤ وقال قوم
يجوز ان يكون قرب من السماء فكلمهما ¤ فاما ما روي عن سعيد بن المسيب انه كان
يحلف ولا يستثني ان ادم ما اكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر
حتى اذا سكر قادته اليها فاكل فانه خبر ضعيف وعند اصحابنا ان الخمر كانت محرمة
في ساير الشرايع ومن لم يقل ذلك يقول لو كان كذلك لما توجه العتب على آدم ولا
كان عاصيا بذلك والامر بخلاف ذلك وانما قلنا ذلك لان النايم غير مكلف في
حال نومه لزوال عقله وكذلك المغمى عليه وكذلك السكران وانما يؤخذ السكران
بما يفعله في شرعنا لما ثبت تحريم ما يتناوله اسم السكر والا فحكمه حكم النايم ¤
عقلا وقد قلنا ان اكلهما من الشجرة كان على وجه الندب دون ان يكون ذلك
محظورا عليهما لكن لما خالفا في ترك المندوب اليه تغيرت المصلحة واقتضت
اخراجهما من الجنة وقد دللنا على ذلك فيما مضى ¤ وقال قوم لعمد ذلك
¤ وقال قوم اخرون نهى عن جنس الشجرة واخطأ ¤ وقال قوم انه تاول
النهي الحقيقي فحمله على الندب واخطا وقد قدمنا ما عندنا فيه فان قيل كيف
يكون ذلك ترك الندب والخطا مع قوله فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب
عليه ¤ قلنا التوبة قبل الرجوع ويجوز ان يرجع تارك الندب عن ذلك
¤ يكون تائبا ومن قال وقعت معصية محبطة ¤
¤ بها الخرج عن الاصرار كالحد ¤ ¤

الاولى اسقطت العقاب وابليس يقول لهما
نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما انى
لكما لمن الناصحين ؞ قيل ما قبلا ذلك من ابليس ولو قبلاه لكانت المعصية اعظم
فلما لم يعاتبهما الله على ترك ذلك على انهما لم يقبلا وهذا جواب من يقول انه كان
صغيرا وكان ناسيا ؞ وعلى ما قلناه ان ذلك كان ندبا لا يحتاج الى ذلك بل يقول
دليل العقل امنا من وقوع قبيح من آدم والانبياء، فلو كان صريحا لتركنا ظاهره لقيام
الدليل على خلافه على انه لا يمنع ان يقاسمهما انه لمن الناصحين في ترك الندب وان
ما ظاهره النهي تحكم يوجب ان يصيرا من الخالدين ؞ وقوله تعالى مما كانا فيه
يحتمل ان يكون اراد من لباسهما حتى بدت لهما سوآتهما ويحتمل ان يكون من الجنة
حتى اهبطا ؞ ويحتمل ان يكون اراد من الطاعة الى المعصية وقوله تعالى اهبطوا
فالهبوط والنزول والوقوع نظاير ونقيض الهبوط والنزول الصعود يقال هبط
يهبط اذا انحدر في هبوط من صعود ؞ والهبوط اسم كالحدور وهو الموضع
الذي يهبطك من اعلى الى اسفل والهبوط المصدر ؞ قال ابن دريد هبطته
واهبطته ؞ والعداوة والبراءة والمباعدة نظاير وضد العدو الولي ؞ و
العد والحضر خفيف والعدو ثقيل يقال في التعدي وقرئ فيسبوا الله عدوا
وعدوا بغير علم ؞ والعدوان الظلم والعدوى طلبك الى وال ليعديك
الى من ظلمك اي ينتقم لك والعدو اسم جامع للواحد والاثنين والجميع والمذكر
والمؤنث فاذا جعلته نعتا قلت الرجلان عدواك والرجال اعداؤك و
المرأتان عدوتاك والنسوة عدواتك ؞ واصل الباب التجاوز يقال
لا يعدونك هذا الامر اي لا يتجاوزنك ؞ وقوله اهبطوا انما قال بالجمع
لانه يحتمل اشياء احدها انه خاطب آدم وحواء وابليس فيصلح ذلك وان
كان ابليس اهبط من قبلهما يقال اخرج جميع من في الجيش وان اخرجوا متفرقين
اختار هذا الزجاج ؞ والثاني انه اراد ادم وحواء والحية ؞ والثالث
ادم وحواء وذريتهما ؞ والرابع قال الحسن انه اراد آدم وحواء والوسوسة
وظاهر القول وان كان امرا فالمراد به التهديد كما قال اعملوا ما شئتم ؞ وقوله

وقوله تعالى مستقر قرار لقوله وجعل لكم الارض قرارا ؞ وقيل مستقر في القبور والاول
اقوى واحسن والقرار الثبات والبقاء مثله وضد القرار الانزعاج وضد الثبات الزوال
وضد البقاء الفناء ويقال قر قرارا والاستقرار الكون من وقت واحد على حال ؞ والمستقر
يحتمل ان يكون بمعنى الاستقرار ويحتمل ان يكون بمعنى المكان الذي يستقر فيه وقوله ومتاع
الى حين ؞ والمتاع والتمتع والتلذذ والمتعة متقارب المعنى وضده التألم يقال متعه
به امتاعا والتمتع تمتعا واستمتع استمتاعا ومتعه تمتيعا ؞ ومتع النهار متوعا و
ذلك قبل الزوال والمتاع من امتعة البيت ما يتمتع به الانسان من حوائجه وكل شيء
تمتعت به فهو متاع ؞ ومنه متعة النكاح ومتعة المطلقة ومتعة الحج ؞ وقوله الى
حين فالحين والمدة والزمان متقارب والحين الهلاك حان يحين وكل شيء لم يوفق
للرشاد فقد حان حينا ؞ والحين الوقت من الزمان وجمعه احيان وجمع الجمع احايين
ويقال حان يحين حينونة وحينت الشيء جعلت له حينا ؞ وحينئذ يبعد قولك
الان فاذا باعدوا بين الوقتين باعدوا باذ فقالوا حينئذ ؞ والحين يوم القيمة واصل
الباب الوقت ؞ والحين وقت الهلاك ثم كثر فسمي الهلاك به ؞ والحين الوقت
الطويل وقيل الحين في الاية يعني الموت ؞ وقيل الى القيمة وقيل الى اجل ؞ وقال
ابن السراج اذا قيل ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين انه غير منقطع فقال الى حين
انقطاعه ؞ والفرق بين قول القائل هذا لك حينا وبين قوله الى حين ان الى تدل
على الانتهاء، ولا ابدان يكون له ابتداء، وليس كذلك الوجه الاخر معنى قوله بعضكم لبعض
عدو قال الحسن بني ادم وبني ابليس وليس ذلك بامر على الحقيقة بل هو تحذير لان الله لا
يامر بالعداوة ؞ وفي الاية دلالة على ان الله تعالى لا يريد المعصية ولا يصد احدا عن
طاعته ولا يخرجه عنها ولا ينسب المعصية اليه لانه نسب ذلك الى الشيطان وهو تعالى
عما عاب به الابالسة والشياطين ؞ قوله تعالى **فتلقى ادم من ربه
كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم** قرا ابن كثير ادم بنصب الميم ؞ كلمات برفع التاء
يقال لقي زيد خيرا فيتعدى الفعل الى مفعول واحد ؞ ومنه قوله واذا لقيتم الذين
كفروا فضرب الرقاب وقوله واذا لقيتم فئة فاثبتوا ؞ ولقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
؞ فاذا ضعفت العين تعدى الى مفعولين تقول لقيت زيدا خيرا قال الله تعالى ولقاهم نضرة

وسرورا ويقول لقيت بعض متاعك على بعض فتعد به الى مفعول واحد لانه بناء مفرد لا لانه
منقول لا يتعدى المفعولين ويقول لقيته لقية واحدة في التلاقي والقبال والقيته لقاء
ولقيانا ولقاة وقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام معناه يلقون ثوابه بخلاف قوله يلقون غيا
ومعنى تلقى ادم من ربه كلمات تعلمها يقال تلقيت هذا من فلان اى قبلته فهي من لقط
قال ابو عبيدة قال ابو مهدية وتلا عليه الاية قال تلقيتها من عمي يلقاها من ابي هريرة
تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وآله واصل الملاقاة الملاصقة لكنه كثر حتى
قيل لاقى فلان فلانا اذا قاربه وان لم يلاصقه وكذلك تلاقى الجيشان وتلاقى
الفرسان ويقال تلاقي لحظان اى تماسا ويقول يلقت الرجل يعني استقبلته
وتلقاني استقبلني فعلى هذا يجوز في العربية رفع ادم ونصبه مع رفع الكلمات، و
الاختيار قراءة الاكثر لان معنى التلقي هاهنا القبول وكانه قال يلقى ادم من ربه كلمات
وانما جاز نصب آدم لان الافعال المتعدية الى المفعول به على ثلثة اقسام احدها يجوز
ان يكون الفاعل له مفعولا به والمفعول به فاعلا نحو اكرم بشر بشرا وشتم زيد عمروا
ومنها الا يكون المفعول به فاعلا نحو اكلت الخبز وسرقت درهما واعطيت دينارا
او امكن الغرض وثالثها ما يكون اسناده الى الفاعل في المعنى كاسناده الى المفعول
نحو اصبت وتلت وتلقيت تقول نالني خير ونلت خيرا واصابني خير واصبت خيرا
ولقيني زيد ولقيت زيدا وتلقاني وتلقيته وقال تعالى وقد بلغني الكبر، وقال
وقد بلغت من الكبر عتيا فعلى هذا الرفع والنصب في المعنى واحد في الاية وانما
اختير رفع آدم لان عليه الاكثر وشواهد الكثير كقوله تلقونه بالسنتكم واسند الفعل
الى المخاطبين والمفعول به كلام متلقى كما ان الذي يلقي ادم كلام متلقى وكما اسند
الفعل الى المخاطبين فجعل التلقي لهم كذلك يلزم ان يسند الفعل الى ادم فيجعل
التلقي له دون الكلمات واما على ما قال ابو عبيده معناه قبل الكلمات فالكلمات
مقبولة فلا يجوز غير الرفع في ادم ومثل هذا في جواز اضافته تارة الى الفاعل واخرى
الى المفعول كقوله لا ينال عهدي الظالمين وفي قراءة ابن مسعود لا ينال عهدي
الظالمون والكلمات جمع كلمة والكلمة اسم جنس لوقوعه على الكثير والقليل يقولون
قال امرؤ القيس في كلمته يعني في قصيدته، وقال قس في كلمته يعنون خطبته

خطبته فوقوعها على الكثير نحو ما قلناه ووقوعها على القليل قال سيبويه قال قلما وقعها على الاسم
المفرد والفعل المفرد والحرف المفرد فاما الكلام فان سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلفا من هذا
الكلم فقال لو قلت ان تضرب ناسا لم يكن كلاما وقال ايضا انما نقلت ونحوه ما كان كلاما
قولا واوقع الكلام على المتالف والذي حرره المتكلمون ان حد الكلام ما انتظم من حرفين فصاعدا
من هذه الحروف المعقولة اذا وقع ممن يصح منه او من قبله الافادة ثم ينقسم قسمين مفيد على
ومهمل والذي اراد سيبويه انه لا يكون كلاما انه لا يكون مفيدا وذلك صحيح فاما تسميته
بانه كلام صحيح وكيف لا يكون صحيحا وقد قسموه الى قسمين مهمل ومفيد فادخلوا المهمل الذي
لا يفيد في جملة الكلام والكلمة والعبارة والابانة نظاير وبينهما فروق والفرق بين الكلمة
والعبارة ان الاظهر في الكلمة هي الواحدة من جملة الكلام وان قالوا في القصيدة انها الكلمة و
العبارة تصلح للقليل والكثير واما الابانة فقد يكون بالكلام والحال وغيرهما من الادلة كالاشارة
والعلامة وغير ذلك واما النطق فيدل على ادارة اللسان بالصوت وليس كذلك
الكلام ولهذا يقولون ضربته فما تكلم ولا يقولون فما نطق اذا كان صاح وكذلك لا يجوز
ان يقال في الله انه ناطق واما اللفظ فهو من قولك لفظت الشيء اذا اخرجته
من فمك وليس في الكلام مثل ذلك ويقال كلمته تكليما وتكلما وتكلم تكلما ولذلك
لا يجوز ان يقال فيه تعالى لفظ وانه لافظ والكلم الجرح والجمع الكلام الكلوم يقال كلمته اكلمه
كلما فانا كالم وهو مكلوم وكليمك الذي يكلمك ويقال كلمة وكلم لغة تميم وقيل انها
حجازية وتميم حكي عنها كلمة بكسر الكاف وتسكين اللام وحكي تسكين اللام مع فتح الكاف و
اصل الباب انه اثر دال والكلم اثر دال على الجارح والكلام اثر دال على المعنى الذي
تحته والمتكلم من رفع ما سميناه كلاما بحسب دواعيه واحواله قد يعبر عنه بانه
الفاعل للكلام وليس المتكلم من جملة الكلام لان الكلام يحل اللسان والصدر ولا يوصفان
بذلك وقد بينا فساد الكلام في كتاب العدة في اصول الفقه وقلنا ان اختصر ذلك
هل هو خبر او ما معناه معنى الخبر وان كان لكل قسم معنى يخصه والكلمات التي تلقاها
ادم قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا، و
ترحمنا لنكونن من الخاسرين وان في ذلك اعترافا بالخطيئة ولذلك وقعت
موقع الندم وحقيقة الانابة وحكي عن مجاهد انه قال هي قول ادم اللهم لا اله

الا انت سبحانك وبحمدك رب انی ظلمت نفسی فاغفر لی انك خیر الغافرین ، اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب انی ظلمت نفسی فارحمنی انك انت ارحم الراحمین ، اللهم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك انی ظلمت نفسی فتب علی انك انت التواب الرحیم ، وروی مثل ذلك عن ابی جعفر علیه السلام ، وحكی عن ابن عباس ان آدم قال لربه اذ عصاه ارایت ان تبت واصلحت فقال له تعالی انی راجعك الی الجنة وكانت هذه الكلمات ، وروی فی اخبارنا ان الكلمات هی توسله بالنبی علیه السلام واهل بیته وكل ذلك جایز ، قوله فتاب علیه فالتوبة والانابة والاقلاع نظایر فی اللغة وضد التوبة الاصرار یقال تاب یتوب توبة وتوبا واستتابة والله تعالی یوصف بالتواب ومعناه انه یقبل التوبة عن عباده واصل التوبة عن عباده واصل التوبة الرجوع عما سلف والندم علی ما فرط والله تعالی تایب علی العبد بقبول توبته والعبد تایب الی الله یعنی نادم علی معصیته والتایب صفة مدح كقوله التایبون العابدون والتوبة شرطها الندم علی ما مضی من القبیح والعزم علی ان لا یعود الی مثله من القبیح لان هذه التوبة هی المجمع علی سقوط العقاب عندها وما عداها مختلف فیه وقد یقول القایل قد تبت من هذا الامر یعنی عزمت الا افعله وصرت بمنزلة التایب وذلك مجاز وكل معصیة لله تعالی فانه یجب التوبة منها والتوبة یجب قبولها لانها طاعة فاما اسقاط العقاب عندها فتفضل منه تعالی ، وقالت المعتزلة ومن وافقها وذلك واجب وقد بینا الصحیح من ذلك فی شرح الجمل ، والتوبة اذا كانت من ترك ندب عندنا تصح ویكون علی وجه الرجوع الی فعله وعلی هذا یحمل توبة الانبیاء كلهم فی جمیع ما نطق به القرآن لانه قد بینا انه لا یجوز علیهم فعل القبیح والمطبوع علی قلبه له توبة وبه قال اهل العدل ، وقالت البكریة لا توبة له وهو خطا من قبل انه لا یصح تكلیفه الا وهو متمكن من ان یتخلص من ضرر عقابه وذلك لا یتم الا بان یكون له طریق الی اسقاط عقابه وقد وعد الله بذلك وان كان تفضلا اذا حصلت التوبة واختلفوا فی التوبة من الغصب والصحیح ان القایل عمدا تصح توبته هل تصح من الاقامة علی منع المغصوب فقال قوم لا تصح وقال آخرون تصح وهو الاقوی لانه یكون فاسقا بالمنع یعاقب عقاب المانع وان سقط عنه عقاب الغصب والصحیح ان القاتل عمدا تصح توبته وقال قوم لا یصح والتوبة من القتل الذی یوجب القود قال قوم لا تصح الا بالاستسلام

بالاسلام لولی المقتول وحصول الندم والعزم علی الا یعود ، وقال قوم آخرون تصح التوبة من نفس القتل ویكون فاسقا بترك الاستسلام وهذا هو الاقوی ، واختاره الرمانی فاما التوبة من قبیح بفعل آخر فلا تصح علی اصلنا كالتایب من الالحاد بعبادة المسیح ، وقال قوم تصح واجراه مجری معصیتین بترك باحدیهما الاخری فانه لا یواخذ بالمتروكة ، وقال قوم التوبة من اعتقاد جهالة اذا كان صاحبها لا یعلم انها معصیة بانه یعتقد انه لا محجوج الا عارف فانه یتخلص من ضرر تلك المعصیة اذا رجع عنها الی المعرفة وان لم یوقع منها توبة ، وقال آخرون لا یتخلص الا بالتوبة لانه محجوج فیما ماخوذ بالنزوع عن الاقامة علیه وهو الاقوی فاما ما نسی من الذنوب فانه یجری مجری التوبة منه علی وجه الجملة وقال قوم لا یجری وهو خطا لانه لیس علیه فی تلك الحال اكثر مما عمل ، فاما ما نسی من الذنوب مما لو ذكرنا علیه له عنده معصیة وهل یدخل فی الجملة اذا اوقع التوبة من كل خطیئة قال قوم یدخل فیها وقال آخرون لا یدخل فیها لكنه یتخلص من ضرر المعصیة لانه لیس علیه اكثر مما عمل فی تلك الساعة والاول اقوی لان العبد اذا لم یكن یصرف توبته الی كل معصیة هی فی معلوم الله معصیة فاما المشرك اذا كان یعرف قبل توبته بفسق اذا تاب من الشرك هل یدخل فیها التوبة من الفسق فی الحكم وان لم یظهر التوبة منه قال قوم لا یزول عنه حكم الفسق وهو قول اكثر المعتزلة ، وقال قوم یزول عنه حكم الفسق ، وقال ابن الاخشاذ القول فیه اجتهاد والذی یقوی فی نفسی انه یزول لان الاسلام الاصل فیه العدالة الی ان یتجدد منه بعد الاسلام ما یوجب تفسیقه ، فاما التوبة من قبیح مع الاقامة علی قبیح آخر یعلم انه یعتقد قبحه فعند اكثر من تقدم صحیحة ، قال ابو هاشم واصحابه لا تصح وقد قلنا ما عندنا فی ذلك فی شرح الجمل واعتمد الاولون علی ان قالوا كما یجوز ان تمتنع من قبیح لقبحه ویفعل قبیحا آخر یعلم قبحه وكذلك جاز ان یندم من القبیح مع المقام علی قبیح آخر یعلم قبحه ، وهذا الزام صحیح معتمد واختلفوا فی التوبة عند ظهور اشراط الساعة هل تصح ام لا فقال الحسن یحجب عنها عند الآیات الستة ، ورواه عن النبی صلی الله علیه وآله انه قال بادروا بالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، والدخان ، ودابة الارض ، وخویصة احدكم یعنی الموت ، وامر العامة یعنی القیمة ، وقال قوم لا شك ان بعض ما تعرض للتوبة بما القاه من الكلمات فعل التوبة فقبلها الله تعالی الآیات یحجب وباقیها مجوز وهو الاقوی ، وقوله

فتاب عليه يعني قبل توبته لانه لما عرضه للتوبة بما القاه من الكلمات فعل التوبة فقبلها الله تعالى منه فقال اللهم تب علي اي وفقني للتوبة. وقوله تعالى انه هو التواب الرحيم انما ذكر الرحيم بعد ذلك على انه متفضل بقبول التوبة ومنعم به وان ذلك ليس هو على وجه الوجوب على ما يقوله المخالف ومن خالف في ذلك يقول لما ذكر التواب بمعنى الغفار باسقاط العقوبة وصل ذلك بذكر النعمة ليدل على انه مع اسقاط العقوبة لا يخلي العبد من النعم الحاصلة ترغيبا له والانابة والرجوع اليه بالتوبة وتواب بمعنى انه قابل التوبة لا يطلق الا عليه تعالى ولا يطلق في الواحد منا وانما يقال فتاب عليه ولم يقل فتاب عليهما لانه اختصر كما قال والله ورسوله احق ان يرضوه ومعناه ان يرضوهما كذلك معنى الاية فتاب عليهما ومثل ذلك قوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقال الشاعر

رماني بامر كنت منه ووالدي ... بريا ومن جول الطوي رماني

وقال اخر

نحن بما عندنا وانت بما عندك ... راض والامر مختلف

وحكي عن الحسن انه قال لم يخلق الله ادم الا للارض ولو لم يعص لخرج على غير تلك الحال وقال غيره يجوز ان يكون خلقه للارض ان عصى ولغيرها ان لم يعص وهو الاقوى لان ما قاله لا دليل عليه وروي عن قتادة ان اليوم الذي قبل الله توبة ادم فيه يوم عاشورا ورواه ايضا اصحابنا قوله تعالى **قلنا اهبطوا منها جميعا فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم** ولا هم يحزنون اية بلا خلاف قد بينا معنى الهبوط فيما مضى بما فيه كفاية وقال الجبائي الهبوط الاول هو الهبوط من الجنة الى السما وهذا الهبوط من السماء الى الارض وقد يستعمل في غير النزول من مكان عال الى اسفل يقال هبط فلان الى ارض كذا اذا اتاها وان لم يرد به النزول الذي فيه استفال الا ان فيه ايماء الى هبوط المنزلة قال لبيد

كل بني حرة مصيرهم ... قل وان اكثروا من العدد

ان يغبطوا يهبطوا وان امروا ... يوما فهم للفناء والفند

الفند الهرم والاتيان والمجي والاقبال نظاير ونقيضه الذهاب والانصراف ويقال اتى اتيانا واتى اتيا واتاء ماتاتا واتانا تاتية وواتيت فلانا على امره مواتاة

مواتاة ولا يقال آتيته الا في لغة قبيحة لتميم ودخلت ما في قوله اما مع ان التي للجزاء ليصح دخول النون التي للتوكيد في الفعل ولو اسقطت لم يجز دخول لانها لا تدخل في الخبر الواجب الا في القسم او ما اشبه القسم كقولك زيد لياتينك ولو قلت بغير لام لم يجز وكذلك يقول بعين ما اريتك ولو قلت بعين اريتك بغير ما لم يجز لدخول ما هاهنا كدخول اللام في انها تؤكد اول الكلام وتؤكد النون اخره والامر والنهي والاستفهام يدخل النون وان لم يكن معه ما اذا كان الامر والنهي مما يشتد الحاجة الى التوكيد فيه والاستفهام مشبه به اذ كان معناه اخبرني وانما يجي التوكيد فلذلك كان من موضعها قال الله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا فان قيل اين جواب اما ان واين جواب من قيل الجزاء وجوابه بمنزلة المبتدا والخبر لان الشرط لا يتم الا بجوابه كما لا يتم المبتدا الا بخبره الا ترى انك لو قلت ان يقم وسكت لم يجز كما لو قلت زيد لم يكن كلاما حتى ياتي بالخبر وكذلك ان تجعل خبر المبتدا جملة هي ايضا مبتدا وخبر كقولك زيد ابوه منطلق وكذلك ان التي للجزاء اذا كان الجواب بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستانفا صلح ان يكون جزاء وغير جزاء تقول ان تاتني فانت محمود وكذلك ان تقول ان تاتني فمن يكرمك اكرمه وان تاتني فمن يبغضك فلا وضيعة عليه وقوله اما ياتينكم شرط وجوابه الفاء وما بعده قوله فمن شرط اخر وجوابه الفاء التي بعده من قوله فلا خوف عليهم وهو نظير المبتدا والخبر الذي يكون خبره مبتدا وخبرا وهذا في المقدمات القياسات تسمى الشرطية المركبة وذلك ان المقدم فيها اذا وجب وجب التالي المركب عليه والهدى المذكور في الاية يحتمل امرين احدهما البيان والدلالة والاخر الانبياء والرسل وعلى القول الاخير يكون قوله قلنا اهبطوا لادم وحوا وذريتهما كما قال فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين اي اتينا بما فينا من الخلق طايعين وقوله تعالى فمن تبع هداي والاتباع والاقتدا والاحتذا نظاير ونقيض الاتباع الابتداع يقول تبعه تباعا واتبعه اتباعا وتابعه متابعة وتتبع تتبعا واستتبع استتباعا والتابع التالي ومنه التبيع والتبيع ما تبع اثر شي فهو يتبعه والتتبع فعلك شيا بعد شي يقول تتبعت عليه اثاره وفي الحديث القادة الاتباع والقادة والسادة القوم الذين يتبعونهم والقوايم يقال لها توابع والتبيع من ولد البقر العجل المدرك لانه تبع امه بعد وثلثه اتبعه الجمع وبقرة متبع خلفها تبيع وخادم متبع معها ولدها يتبعها حيث ما اقبلت وادبرت

واتبع فلان فلانا واتبعه الشيطان اذا تبعه يريد به شرا كما اتبع فرعون موسى قال الله
تعالى فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ۶ وفلان تبّع فلانا اذا تتبع مساويه في مهلة والتتابع
من الاشياء اذا فعل هذا في اثر هذا بلا مهلة ومنه تتابعت الامطار وتتابعت الاشياء والتبع
الظل واصل الباب كله الاتباع وهو ان يتلو شي شيا ۶ قوله فلا خوف عليهم فالخوف
والجزع والفزع نظاير ونقيض الخوف الامن تقول خافه يخافه خوفا واخافه اخافة والخوف والتخوف
وخوفه تخويفا وطريق مخوف يخافه الناس وطريق مخيف يخيف الناس والتخوف التنقص يقال
تخوفناهم تنقصناهم ومنه قوله او ياخذهم على تخوف اي على تنقص كذا قال واصل الباب
الخوف الذي هو الفزع والخوف كالذي الضرر يقال فلان يخاف الاسد اي يخاف ضرره ۶ و
يخاف الله اي يخاف عقابه ۶ والحزن والهم والغم نظاير ونقيضه السرور يقال حزن حزنا
وحزنه حزنا وتحزن تحزنا وحزن تحزنا والحزَن والحزن لغتان ۶ وحزنني واحزنني لغتان
وانا محزون ومحزن واذا افردوا الصوت او الامر قالوا محزن لا غير ۶ والحزن من الارض
والدواب ما فيه خشونة والانثى حزنة والفعل حزن وحزونة وقولهم كيف حشمك وحزانتك
اي كيف من تتحزن بامره ۶ واصل الباب غلظ الهم ۶ وقوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
عموم يقتضي انه لا يلحقهم خوف في اهوال القيمة وهو قول الجبائي وقال ابن الاخشاد لا يدل
على ذلك لان الله تعالى وصف القيمة بعظم الخوف قال الله تعالى ان زلزلة الساعة شيء
عظيم الى قوله شديد ۶ ولانه روي انه يلجم الناس العرق وغير ذلك من الشدايد وهذا
ليس بمعتمد لانه لا يمتنع ان يكون هولاء خارجين من ذلك الغم واما الحزن فلا خلاف
انه لا يلحقهم ومن اجاز الخوف فرق بينه وبين الحزن لان الحزن انما يقع على ما يغلظ في العظم
من الغم والهم فلذلك لم يوصفوا بذلك ولذلك قال تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر لان
ما يلحقهم لا يثبت ويزول وشيكا ۶ قالوا ويدل على ان الحزن ما ذكرناه انه ماخوذ
من الحزن وهو ما غلظ من الارض وكانه ما غلظ من الهم فاما الخوف الحزن والخوف في
دار الدنيا فلا خلاف انه يجوز ان يلحقهم لان من المعلوم ان المومنين لا ينفكون منه
وهداي بتحريك الياء ۶ وروي عن الاعرج هداي بسكون الياء وهي غلط الا ان ينوي
الوقف ۶ وانما كرر اهبطوا لان احدهما كان من الجنة الى السماء والثاني من السماء الى
الارض عند ابي علي ۶ وقيل المعنى واحد وكرر تاكيدا ۶ وقيل هو على تقدير اختلاف

اختلاف حال المعنى لاختلاف الاحوال كما يقول اذهب مصاحبا اذهب سالما معافا وكانه على تقدير
ذهاب الجامع ذهابا وان كان حقيقته واحدا وانما كرر اما في قوله اما شاكرا واما كفورا ولم يكرر هاهنا
هاهنا لانها هنالك للعطف وهاهنا للجزاء وانما هي ان ما ضم اليها ما كقوله واما تخافن من قوم خيانة
فانبذ اليهم على سواء ۶ وهداي مثل هواي وهي لغة قريش وعامة العرب وبعض بني سليم يقولون هوي
مثل علي ولدي قال ابو ذويب

سبقوا هوي واعنقوا لهواهم ۶ فتخرموا ولكل جنب مصرع

وروي هويّ في الاية عن الجحدري وابن ابي اسحاق وعيسى ۶ والصواب ما عليه القراء للفرق
بين هوي ولدي وعلى هو ان الى وعلى ولدي ما يلزمها الاضافة وليست بمتمكنة ففصلوا
بينهما وبين الاسماء المتمكنة كما فصلوا بين ضمير الفاعل وضمير المفعول حين قالوا ضربت فسكنوا اللام
الباء ولم يسكنوا في ضربك اذ الفاعل يلزم الفعل قوله تعالى والذين كفروا
وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اية
قد بينا فيما مضى معنى الكفر والتكذيب فلا وجه لاعادته والاستدلال بهذه الاية على ان من مات
مصرا على كفر غير تايب منه وكذب بايات ربه فهو مخلد في نار جهنم صحيح لان الظاهر
يفيد ذلك والاستدلال بها على ان عمل الجوارح من الكفر من حيث قال وكذبوا باياتنا
فبعيد لان التكذيب نفسه وان لم يكن كفرا وهو لا يقع الا من كافر فهو دلالة عليه كالسجود
للشمس وغيره ۶ وقوله اصحاب فالاصحاب والاجتماع والاقتران نظاير وكذلك الصاحب
والقرين ونقيضه الافتراق يقال صحبه صحبة واصحبه اصحابا ۶ واصطحبوا اصطحابا
وتصاحبوا تصاحبا ۶ واستصحبوا استصحابا ۶ وصاحبه مصاحبة ۶ والصحب جماعة
الصحب والاصحاب جماعة الصحب ۶ ويقال ايضا الصحبان ۶ والصحبة والصحابة
الصحابة مصدر قولك صحبك الله يعني بالسلامة واحسن صحابتك ۶ ويقول
للرجل عند التوديع معانا مصاحبا ومصحوب ومصاحب ۶ ومن قال مصاحب
معان فانما معناه انت المصاحب المعان والصحبة مصدر صحب يصحب وقد اصحب
الرجل اذا صار صاحبا ۶ ويقال قد اصحب الرجل وقد اشطا اذا بلغ ابنه مبلغ الرجال
الذي صار ابنه مثله ۶ واشطا الزرع اذا لحقته فراخه ويقال له الشطء ۶ قال ابو عبيدة
وابن دريد قوله ولا هم منا يصحبون اي لا يحفظون ۶ وادم مصحب اذا

دبغنه وتركت عليه بعض الصوف او الشعر ، واصل الصحبة المقارنة والصاحب هو الحاصل
مع آخر مدة لانه اذا اجتمع معه وقتا واحدا لا يقال صاحب ولكن يقال صحبه وقتا من الزمان
ثم فارقه ، والفرق بين الصاحبة والمقارنة ان في المصاحبة دلالة على الملاءة وليس ذلك حاصلا
في المقارنة ، واتباع الرئيس اصحابه ، وايات الله دلايله وكتبه التي انزلها على انبيائه والآية
والحجة والدلالة والبيان والبرهان واحد في اكثر المواضع وان كان بينهما فرق في الاصل لانك
تقول دلالة هذا الكلام كذا ولا تقول اية ولا علامة وكذلك يقول دلالة هذا الاسم
ولا يقول برهانه ، واصحاب النار هم الملازمون لها كما يقول اصحاب الصحرا يعني القاطنين
فيها الملازمين لها والخلود معروف من العرف يدل على الدوام لانهم يقولون ليست الدنيا
دار خلود واهل الجنة مخلدون يريدون الدوام ، فاما في اصل الوضع فانه موضوع لطول
الحبس ، فان قيل لم دخلت الفاء في قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم
عذاب مبين في سورة الحج ولم يقل هاهنا في قوله اولئك اصحاب النار قيل لان ما دخلت
فيه الفاء من خبر الذي واخواته مشبه بالجزاء وما لم يكن فيه فاء وهو على اصل الخبر واذا قلت
مالك فهو لك جاز على وجه ولم يجز على وجه فان اردت ان معنى ما الذي فانه جايز وان
اردنا ان مالك يريد به المال ثم تضيفه اليك كقولك غلامك لك لم يجز كما لم يجز غلامك
فهو لك ، ووضع اولئك يحتمل ثلثة اشيا احدها ان يكون بدلا من الذين او تكون عطف
بيان هو اصحاب النار بيان عن اولئك فاجرا مجرى الوصف والخبر هم فيها خالدون ، والـ
الثاني ان يكون ابتداء وخبرا في موضع الخبر الاول ، والثالث ان يكون على خبرين بمنزلة
خبر واحد كقولهم حلو حامض قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون آية
بلا خلاف يا حرف نداء بني جمع ابن والابن والولد والنسل والذرية متقارب المعاني الا ان
الابن المذكر والولد يقع على الذكر والانثى والنسل والذرية تقع على جميع ذلك واصله
من البناء وهو وضع الشيء على الشيء والابن مبني على الاب تشبيها للبناء على الاصل لان الاب
اصل والابن فرع ويقول تبنى تبنيا وبنى بناء وابتنى ابتناء وباناه مباناة والبنوة مصدر
الابن وان كان من البناء كما قالوا الفتوة وبنو الفتى فتيان ويقال فلان ابن فلان على السوي
ولا يطلق ذلك الا على ما كان من جنسه وشكله تشبيها بالابن الحقيقي ولهذا لا يقولون تبنى

تبنى زيد حمارا لما لم يكن من جنسه وشكله تشبيها الا يتبنى شاب شيخا لما لم يكن ذلك فيه والفرق بين
اتخاذ الابن وبين اتخاذ الخليل ان اتخاذ الخليل يكون به خليلا على الحقيقة لان بالمحبة والاطلاع
على الاسرار المهمة يكون خليلا على الحقيقة وليس كذلك الابن لان البنوة في الحقيقة انما هي الولادة
للابن وبني في موضع نصب لانه منادى مضاف واسرائيل في موضع جر لانه مضاف اليه وفتح
لانه اعجمي لا ينصرف لان اسر معناه عبد وايل هو الله بالعبرانية فصار مثل عبد الله وكذلك
جبرائيل وميكائيل ومن حذف الالف من جبرائيل حذفه للتعريف كما لا يلحق الاسماء الاعجمية اذا اعربت
فليحصون حروفها على العربية ، وفي اسرائيل خمس لغات حكى الاخفش اسرال بكسر الهمزة من غير ياء
وحكى اسرال بفتح الهمزة ويقول بعضهم اسريل فيسلون وحكى قطرب اسرال من غير همزة ولا ياء واسرائين
بالنون والخامس اسرايل قراءة الناس وحمزة وحده مد بغير الالف ، وقال اكثر المفسرين ان
المعني ببني اسرائيل احبار اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجري رسول الله صلى الله عليه وآله
وهو المحكي عن ابن عباس وقال الجبائي المعني به بنو اسرائيل من اليهود والنصارى و
نسبهم الى الاب الاعلى كما قال يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، قوله اذكروا الذكر
والتنبيه والتيقظ نظاير ونقيضه التغافل يقال ذكره يذكره ذكرا واذكره اذكارا واستذكره
استذكارا وتذكر تذكرا وذكره تذكارا واذكر ادكارا ، قال صاحب العين الذكر الحفظ
للشيء تذكره تقول هو مني على ذكر والذكر جري الشيء على لسانك يقول جرى منه ذكر والذكر الشرف
والصوت لقوله وانه لذكر لك ولقومك ، والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين وكل
وكل كتاب كتب للانبياء ذكر والذكر الصلوة والدعاء ، وقيل كانت الانبياء اذا احزنهم امر
فزعوا الى الذكر اي الصلوة يقومون فيصلون والذكر الحق هو الصل ، والذكرى هو اسم للتذكرة
والذكر ذكر الرجل معروف والجمع الذكرة ولهذا سمي ما ينسب اليه المذاكير ولا يفرد وان افردت
فذكر مثل مقدم ومقاديم والذكر خلاف الانثى وجمعه ذكور وذكران ومن الدواب ذكورة الاعز
والذكر من الحديد ايبسه واشده ولذلك يسمى السيف مذكرا وامراة مذكرة وناقة مذكرة
اذا كانت خلقتها تشبه خلقة الذكر واشبهته في شمايلها ، وامراة مذكار اذا اكثرت
ولادة الذكور وعكسه مئناث ويقال للحبلى ابسرت واكثرت اي يسر عليها وولدت
ذكورا ، والذكر ضد النسيان ورجل ذكر شهم من الرجال ماض في اموره ، واصل الباب

الذكر الذي هو التنبيه على الشيء والذكر الوصف بالمدح او الثناء او بالذم والهجاء ؛ وقوله نعمتي المراد
بها الجماعة كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ؛ والنعم وان كانت على اسلافهم جاز ان
تضاف اليهم كما يقول القايل اذا فاخر غيره هزمناكم يوم ذي قار وقتلناكم يوم النخار وبددنا جمعكم
يوم النثار ؛ والمراد بذلك جميع النعم الواصلة اليهم مما اختصوا به دون ابائهم او اشتركوا فيه معهم
وكان نعمة على الجميع فمن ذلك تبقيه اباهم حتى تناسلوا فصاروا من اولادهم ومن ذلك خلقه
اياهم على وجه يمكنه الاستدلال على توحيده والوصول الى معرفته فيشكروا النعم ويستحقوا الثواب ؛ و
من ذلك ما لا يخلون منه في كل وقت من منفعة ودفع مضرة ؛ فالقول الاول هو التذكير
بالنعم عليهم في اسلافهم والقول الثاني يذكر جميع النعم عليهم والنعم التي على اسلافهم ما ذكره في قوله
تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم
يؤت احدا من العالمين ؛ وقوله اوف بعهدكم في موضع جزم لانه جواب الامر قال
صاحب العين يقول وفيت بعهدك وفاء ولغة اهل تهامة اوفيت بعهدك وهي لغة
وهي لغة القران قال الشاعر في الجمع بين اللغتين
امّا ابن عوف فقد اوفى بذمته ✱ كما وفى بقلاص النجم حاديها
يعني به الدبران وهو التالي ؛ ويقول وفى يفي وفاء واوفى يوفي ايفاء واستوفى استيفاء وتوفى توفيا
ووفى توفية وتوافى توافيا ووافاه موافاة ؛ وكل شيء بلغ تمام الكلام فقد وفى وتم وكذلك درهم
واف لانه درهم وفى مثقالا وكيل واف ورجل وفى ذو وفاء واوفى فلان على شرف من الارض اذا اشرف
فوقها وتقول اوفيته حقه ووفيته اجره والوفاة المنية ؛ توفي فلان وتوفاه الله اذا قبض نفسه
واصل الباب الوفاء وهذا هو الاتمام ؛ ومن اكرم اخلاق النفس الوفاء ومن اردونها وارذلها
الغدر ؛ ومعنى قوله اوفوا بعهدي اوف بعهدكم قال ابن عباس اوفوا بما امرتكم من طاعتي ونهيتكم
عن معصيتي في النبي عليه السلام وغيره ؛ اوف بعهدكم اي ارضى عنكم وادخلكم الجنة وسمى ذلك
عهدا لانه تقدم بذلك اليهم في الكتب السالفة كما قال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم
ليكتمون الحق وهم يعلمون والعهد هو العقد عليهم في الكتاب السابق بما امروا به ونهوا عنه
؛ وقال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا
تكتمونه ؛ وقال الحسن العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال خذوا ما آتيناكم بقوة ا

بمنزلة العهد الذي هو اليمين في العظم لانه معاهدة لله

اي جدوا واذكروا ما فيه اي ما في الكتاب في قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني
عشر نقيبا وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي الى آخر الاية وقال الجبائي جعل
تعريفه اياهم نعمه عهدا عليهم وميثاقا لانه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعمة كما يلزمهم الوفاء با
لعهد والميثاق الذي يوخذ عليهم والقول الاول اقوى لان عليه اكثر المفسرين وبه يشهد القران
قوله واياي ضمير منصوب ولا يجوز ان يكون منصوبا بقوله فارهبون لانه مشغول كما لا يجوز
في قولك زيدا فاضربه ان يكون منصوبا بقوله فاضربه لكنه يكون منصوبا بفعل دل عليه ما هو
مذكور في اللفظ تقديره واياي ارهبوا ولا يظهر ذلك للاستغناء عنه بما يفسره وان صح تقديره
ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على ان يكون الخبر فارهبون الا على تقدير محذوف كما انشد سيبويه
وقائلة خولان فانكح فتاتهم ✱ واكرومة الحيين خلو كما هيا
تقديره وقائلة هذه خولان وعلى هذا حمل قوله والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما
وقوله والزاني والزانية فاجلدوا كل واحد منهما ؛ تقديره مما يتلى عليكم
السارق والسارقة ؛ وفيما فرض عليكم الزانية والزاني ؛ وقوله فارهبون فالرهبة
والخشية والمخافة نظاير وضدها الرغبة يقول رهب رهبة ارهابا ورهبة
ترهيبا ؛ واسترهب استرهابا ويقال والاسم الرهبة ومن امثالهم رهبوت خير من رحموت
اي ترهب خير من ان ترحم ؛ والترهب التعبد في صومعة والجمع الرهبان والرهبانية مصدرا
والفرق بين الخوف والرهبة ان الخوف هو الشك في ان الضرر يقع ام لا والرهبة
معها العلم بان الضرر واقع عند شرط فان لم يحصل ذلك الشرط لم يقع ؛ واختير تحريك
الياء في قوله نعمتي التي انعمت لانه لقيها الف ولام فلم يكن بد من اسقاطها او تحريكها
وكان التحريك اولى لانه ادل على الاصل واشكل بما يلزم اللام في الاستيناف من الف الوصل
واسكان الياء في قوله يا عبادي الذين اسرفوا اجود لانه من حق الاسماء الا تثبت في
النداء واذا لم تثبت فلا سبيل الى تحريكها ؛ وقوله فبشر عبادي الذين يستمعون الاختيار
حذف لانه رأس آية ورؤوس الاي لا تثبت فيها الياء لانها فيها اصل ينوى فيها الوقف
كما يفعل ذلك في القوافي مثل قوله نعمتي التي قوله اخي اشدد فان الاختيار تحريك
الياء وان كان مع الالف واللام اقوى لما تقدم ذكره مع المشاكلة والرد الى الاصل وفي اخي اشدد

وارهبه
رهب فلان يرهب رهبا ورهبا
ورهبة اذا خاف من شيء ومنه
اشتقاق الراهب

سبب واحد وهو انه اول على الاصل واجمعوا على اسقاط اليا من قوله فارهبون الا ابن كثير فانه اثبتها في الوصل دون الوقف والوجه حذفها لكراهية الوقف على اليا وفي كسر النون دلالة على ذهاب اليا

قوله تعالى وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون آية واحدة بلا خلاف آمنوا معناه صدقوا لانا قد بينا ان الايمان هو التصديق بما انزلت يعني بما انزلت على محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن وقوله مصدقا يعني ان القرآن مصدقا لما مع اليهود من بني اسرائيل من التوراة وامرهم بالتصديق بالقرآن واخبرهم ان في تصديقهم بالقرآن تصديقا لتوراتهم لان الذي في القرآن من الامر بالاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وتصديقه نظير الذي في التوراة والانجيل وموافقه لما تقدم من الاخبار به فهو مصداق ذلك الخبر وقال قوم معناه انه مصدق بالتوراة والانجيل الذي فيه الدلالة على انه حق والاول الوجه لان على ذلك الوجه حجة عليهم دون هذا الوجه ونصب مصدقا على الحال من الهاء المحذوفة كانه قال انزلته مصدقا ويصلح ان ينتصب بآمنوا كانه قيل آمنوا بالقرآن مصدقا والمعنى بقوله آمنوا اهل الكتاب من بني اسرائيل لانه في ذكرهم وفيه احتجاج عليهم اذ جاء بالصفة التي تقدمت بها بشارة موسى وعيسى عليهما السلام وهو امرهم بالاقرار بالنبوة وما جاءت به من الشريعة وانما وحد كافرا في قوله ولا تكونوا اول كافر وقبله جمع لما ذكره الفراء والاخفش وهو انه ذهب مذهب الفعل كانه قال اول من كفر به ولو اراد الاسم لما جاز الا الجمع ومثل ذلك قول القائل للجماعة لا تكونوا اول رجل يفعل ذلك قال المبرد هذا الذي ذكره الفراء خارج عن المعنى المفهوم لان الفعل هاهنا والاسم سواء اذا قال القائل زيد اول رجل جاء فمعناه اول الرجال الذين جاؤا رجلا رجلا ولذلك قال اول كافر واول مؤمن ومعناه اول الكافرين واول المؤمنين لا فصل بينهما في لغة ولا قياس الا ترى انك تقول رايت مؤمنا ورايت كافرا كما تقول رايت رجلا لا يكون الا ذلك لانك انما رايت واحدا كما تقول رايت زيدا مؤمنا ولكن افضل حر وزيد افضل رجل وابن الغلام وليس بين ذلك اختلاف ولكن مجازه لا تكونوا اول قبيل كافر به واول حزب كافر به وهو مما يسوغ فيه النعت ويجي به الاسم لانك تقول جاءني قبيل صالح وجاءني حي كريم فينعت به الجمع اذا كان الجمع اسما واحدا للجميع كقولك نفر وقبيل وحزب وحي ولا يقول جاءني رجل كريم وانت تريد برجل نفرا كما يقول نفر كريم لان النعت جار على المنعوت والاسم منفرد

منفرد بنفسه ونظير قوله اول كافر قول الشاعر

فاذا هم طعموا فالام طاعم ... واذا هم جاعوا فشر جياع

ومعنى قوله ولا تكونوا اول كافر به قال قوم يعني بالقرآن من اهل الكتاب لان قريشا كفرت به قبلهم بمكة وقيل معناه لا تكونوا اول كافر به اي لا تكونوا اول السابقين بالكفر فيتبعكم الناس اي لا تكونوا ائمة في الكفر به وقيل لا تكونوا اول كافر به اي اول جاحد ان صفته في كتابكم والاول والسابق والمقدم نظاير ويقال اول واحد واول ثان والاول هو الموجود قبل غيره والاول قبل كل شيء يتناقض الوصف بانه محدث ويعلم ذلك ضرورة والهاء في قوله به قيل فيه ثلثة اقوال احدها انه يعود الى قوله بما انزلت وهو الاجود والثاني لا تكونوا اول كافر به اي بمحمد والثالث اول كافر بما معكم من كتابكم لانهم اذا جحدوا ما فيه من صفة النبي عليه السلام فقد كفروا به والاول قول ابن جريج وانما كان هو الاجود لانه اشكل بما تقدم والثاني قول ابي العالية والثالث حكاه الزجاج وقوله باحتمالهم كفار بالقرآن وانما قيل ولا تكونوا اول كافر بكتابكم اي صفة محمد صلى الله عليه وآله فيه وقال الرماني كانوا ائمة فيه وقدوة في الضلال لئن كان كفرهم اعظم كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة ومن سن سنة شر كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة وليس في نهيه عن الكفر على كل حال وخص الاول بالذكر لما قدمناه من عظم موقعه كما قال الشاعر

من اناس ليس في اخلاقهم ... عاجل الفحش ولا سوء الجزع

وليس يريد ان فيهم فحشا آجلا وقوله ثمنا قليلا فالثمن والعوض والبدل نظاير وبينها فرق فالثمن هو البدل من المبيع من العين او الورق واذا استعمل في غيرها كان مشبها بهما ومجازا والعوض هو البدل الذي ينتفع به كاينا ما كان واما البدل فهو الجعل للشيء مكان غيره ويقال ثمنته تثمينا وثامنه مثامنة وجمع الثمن اثمانا واثمنا ويروى بيت زهير ومن روى اثمن البدن اراد الثمينة منها اي اكثرها ثمنا والثمين والثمن جزء من ثمانية اجزاء من اي مال كان وثوب ثمين اذا كان كثير الثمن والفرق بين الثمن والقيمة ان الثمن قد يكون وفقا لها وقد يكون بخسا وقد يكون زايدا والقيمة لا يكون الا مساوية للمقدار المثمن من غير نقصان ولا زيادة وكل ما له ثمن فهو مال وليس كل ملك له ثمن والقليل والحقير

عن ان ... الكافر ... الاول ... من ... الفصل لان

بقل

والبسر نظاير وضده الكثير تقول قل قلة واقل منه اقلالا واستقل استقلالا وتقلل تقللا وقلة
نفيلا وقليل وقلال يعني ورجل قليل اي قصير وقل الشي قلة والقلة التي جاء في حديث
والقل العناق والقلة رأس كل شي والرجل يقل منها الجلد وكذلك يستقله واستقل الطاير اذا
ارتفع من وقلة الجبل اعلاه وهي قطعة تستدير في اعلاه وهي القلة والقلة التي جاءت في الحديث
مثل قلال هجر قيل انها جرار عظام والقلة النقصان من العدد وقيل في الصغر وقوله ولا
تشتروا باياتي ثمنا قليلا فادخل الباء في الايات دون الثمن وفي سورة يوسف
في الثمن في قوله وشروه بثمن بخس قال الفراء انما كان كذلك لان العروض كلها انت مخير فيها في
ادخال الباء فيه وان شيت قلت اشتريت بالثوب كساء ايهما جعلته ثمنا لصاحبه
جاز فاذا جيت الى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن لقوله بثمن بخس لان الدراهم
ثمن ابدا ✓ وروي عن ابي جعفر عليه السلام في قوله ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا كان يحيى
بن اخطب وكعب بن الاشرف واخرون لهم ماكلة على يهود في كل سنة وكرهوا بطلانها
بامر النبي عليه السلام محرفوا لذلك من التوراة فيها صفته وذكره فذلك الثمن القليل
الذي اريد به في الاية ويقصد بالاشتراء باياتي ثمنا قليلا الاية ليدل على انه اذا كان
كثيرا لجاز مشتري به كان المقصود من الكلام ان اي شي باعوا به ايات الله كان
قليلا وانه لا يجوز ان يكون له ثمن يساويه كقوله ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان
له به انما اراد بذلك نفي البرهان عنه وعلى كل حال وانه لا يجوز ان يكون عليه
برهان ومثل قوله ويقتلون النبيين بغير حق وانما اراد نفسك بما قتلهم لا يكون الا بغير
حق ونظاير ذلك كثيره ومثله قول الشاعر على لاحب لا يهتدى بمناره وانما
اراد لامنار هناك فيهتدى به وجملة ولذلك نظاير نذكرها اذا انتهينا اليه
ان شاء الله قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم
تعلمون ✓ الهجر ✓ والهمدة بلا خلاف ✓ اللبس والستر والتغطية والتعمية نظاير
والفرق بين التعمية والتغطية ان التعمية قد تكون بالنقصان والزيادة والتغطية
تكون بالزيادة وضد الستر الكشف وضد اللبس الايضاح يقال لبس لبسا البسه
الباسا والتبس التباسا وتلبس تلبسا ✓ ولبسه تلبيسا ولابسه ملابسة
واللباس ما واريت به جسدك واللبوس الدروع وكل شي تحصنت به

فهو لبوس قال الله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم قال الشاعر ✓ ✓

✓ البس لكل حالة لبوسها ✓ اما نعيمها واما بوسها ✓ ✓ ✓ ✓

وثوب لبيس وجمعه البس ✓ واللبسة ضرب من اللباس والفعل لبس يلبس لبسا ولبسة واحدة
ويقال لبست الامر البسه اذا عميته ومنه قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون ولابست الرجل ملابسة
اي لبس بواضح واصل اللبس الستر قال الاخطل ✓ لقد لبست لهذا الدهر اعصره ✓ حتى تجلل
راسي الشيب فاشتعلا والفرق بين اللبس والاخفاء ان الاخفاء يمكن ان يدرك معه المعنى
ولا يمكن ادراك المعنى مع اللبس والريب معه تهمة الشكوك فيه والاشكال قد يدرك معه
المعنى الا انه بصعوبة لاجل التعقيد واسباب الالباس كثيرة منها الاشتراك ومنها الاختلاف و
منها الاختزال وهو حذف مقدمه وشرطه او ركنه ✓ ومنها الاختلاط والبسط وهو المنع
من ادراك الشي تشبيها بما يمنع من ادراكه بالستر والتغطية ومنه قول النبي عليه السلام للحرث
بن حوط يا حار انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله والبطلان
والفساد والكذب والزور والبهتان نظاير ✓ وضد الحق الباطل يقال بطل بطولا وبطلا وبطلانا
اذا تلف والبطلة البطالا اذا اتلفته والبطل والباطل واحد ✓ وبطل الرجل بطولة اذا صار
بطلا ويقال رجل بطل ولا يقال امراة بطلة وبطل بطالة اذا هزل وكان بطالا والاباطيل
جمع البطالة والبطولة والباطل ضد الحق والبطلة جعلته باطلا ✓ وابطل فلان اذا جاء بباطل
والبطل الشجاع الذي يبطل جراحاته لا يكترث لها ولا تكفه عن نجدته ✓ واصل الباطل الخبر
للكذب ثم كثر حتى قيل لكل فاسد ✓ ويقال فعل باطل اي قبيح وبناء باطل اي منقض وزرع
باطل اي محرق تالف ✓ ومعنى لبسهم الحق بالباطل انهم امنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض
فخلطوا الحق بالباطل لانهم جحدوا صفة محمد صلى الله عليه واله فذلك الباطل واقروا بغيره
مما في الكتاب على ما هو به حق ✓ وقال ابن عباس لا تخلطوا الصدق بالكذب وقال
الحسن كتموا صفة محمد ودينه وهو الحق واظهروا دين اليهودية والنصرانية وقال ابن
زيد الحق التوراة التي انزلها الله على موسى والباطل ما كتبوه بايديهم واللبس في الاية يحتمل
معناه التعمية وقيل خلط الحق بالباطل عن ابن عباس ✓ ومنه قوله وللبسنا عليهم ما
يلبسون اي لخلطنا عليهم ما يخلطون قال العجاج ✓ ✓ ✓

✓ لما لبسن الحق بالتجنف ✓ عنين واستبدلن زيدا مني ✓

وقال بعضهم الحق اقرارهم بان محمدا مبعوث الى غيرهم والباطل ان يكون بعث اليهم وهذا ضعيف لانه
ان جاز ذلك على نفر كثير لم يجز على الخلق الكثير مع اظهار النبي عليه السلام وتكذيبهم فيه واقامة الحجة عليهم
وقوله وتكتموا الحق يحتمل امرين من الاعراب احدهما الجزم على النهي كانه قال لا تلبسوا الحق ولا
تكتموه والاخر النصب على الظرف كانه قال لا تجمعوا اللبس والكتمان كما قال الشاعر

لا تنه عن خلق وتاتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم

ومثله لا يسعني شيء ويعجز عنك وعند الخليل وسيبويه والاخفش ينتصب مثل ذلك باضمار
ان ويكون تقدير الكلام لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه ودل تلبسوا على اللبس وتكتموا على الكتمان كما يقول من كذب
كان شرا له فكذب دليل على الكذب فكانه قال من كذب كان الكذب شرا له قوله وانتم تعلمون قال
قوم هو متوجه الى رؤساء اهل الكتاب ولذلك وصفهم بانهم يحرفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على
اتباعهم قالوا وهذا تقبيح لما يفعلونه وكذلك قوله وتكتمون الحق اي تتركون الاعتراف به وانتم
تعرفونه اي تجحدون ما تعلمون وجحد المعاند اعظم من جحد الجاهل ومن قال هذا لا يلزمه ما يتعلق به
اهل التعارف من هذه الاية من قولهم ان الله اخبر انهم يكتمون الحق وهم يعلمون لانه اذا خص الخطاب بالرؤساء
وهم نفر قليل فقد جوز على مثلهم العناد والاجتماع على الكتمان وانما يمتنع مع ذلك في الجماعة الكثيرة لما يرجع الى
العادات واختلاف الدواعي كما قيل في الفرق بين التواطي والاتفاق في العدد الكثير وقال بعضهم وانتم
تعلمون البعث والجزاء فان قيل كيف يصح ذلك على اصلكم الذي تقولون ان من عرف الله لا يجوز ان
يكفر وهؤلاء اذا كانوا كفارا وماتوا على كفرهم كيف يجوز ان يكونوا عارفين بصفة محمد وانه حق
بما معهم من التوراة وذلك مبني على معرفة الله وعندكم ما عرفوا الله قيل ان الذي يمنع ان يكفر من
عرف الله اذا كان معرفته على وجه يستحق بها الثواب فلا يجوز ان يكفر لانه يؤدي الى اجتماع الثواب الدائم
على ايمانه والعقاب الدائم على كفره والاحباط باطل وذلك خلاف الاجماع ولا يمتنع ان يكونوا عرفوا الله
على وجه لا يستحقون به الثواب لان الثواب انما يستحق بان يكونوا نظروا من الوجه الذي وجب
عليهم فاما اذا نظروا لغير ذلك فلا يستحقون الثواب فيكونوا على هذا عارفين بالله وبالكتاب
الذي انزله على موسى وعارفين بصفات النبي صلى الله عليه واله لكن لا يؤمنون مستحقين
الثواب وعلى هذا يجوز ان يكفروا ومن الناس من قال استحقاقهم الثواب على ايمانهم مشروط
بالموافاة فاذا لم يوافوا به لم يستحقوا الثواب فعلى هذا ايضا يجوز ان يكونوا عارفين و
ان لم يكونوا مستحقين للثواب ويبطل بالكفر والمعتمد الاول وقال قوم الاية متوجهة

الى المنافقين منهم وكان خلطهم الحق بالباطل ما اظهروا بلسانهم من الاقرار بالنبي عليه السلام بما يبطنونه
من الكفر ولهذا يمكننا الاعتماد عليه والاول عليه يكون قوله وانتم تعلمون معناه انكم تعلمون
انكم تظهرون خلاف ما تبطنونه وهذا اسلم من كل وجه على اصلنا ويمكن ان يقال معنى قوله
وانتم تعلمون اي عند انفسكم لانهم اذا كانوا يعتقدون انهم عالمون بالتوراة وانها من عند الله
وفيها ذكر النبي عليه السلام وهم عالمون عند انفسهم بنبوته لكن يكابرونه
قوله تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين آية بلا خلاف
الصلاة في اصل اللغة الدعاء قال الاعشى

عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوما فان لجنب المرء مضطجعا

اي دعوت وقال آخر

وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم

اي دعا وقيل اصلها اللزوم من قول الشاعر

لم اكن من جناتها علم الله واني لحرها اليوم صالي

اي ملازم لحرها وكان معنى الصلوة ملازمة العبادة على الحد الذي امر الله عز وجل و
قيل اصلها الدعاء الصلا وهو عظم العجز لرفعه في الركوع والسجود من قول الشاعر

فات مصلوهم لعين جلبة وغودر بالجولان حزم ونائل

اي الذين جله واي صلا السابق والقول الاول اقرب الى معنى الصلوة في الشرع وقد بينا معنى
اقامة الصلوة فيما مضى فلا وجه لاعادته وقوله واتوا الزكوة فالزكوة النماء والزيادة نظائر
في اللغة ونقيض الزيادة النقصان ويقال زكا يزكو زكاء وزكوا تزكية قال صاحب العين
الزكوة زكوة المال وهو تطهيره ومنه زكى يزكي تزكية والزكوة زكاء الصلاح تقول
رجل تقي زكي ورجال اتقياء ازكياء والزرع يزكو زكاء ممدود وكل شيء يزداد و
ينمى فهو يزكو زكاء ويقول هذا لا يزكو بفلان اي لا يليق به قال الشاعر

المال يزكو بك مستكثرا يختال قد اشرق للناظر

ومصدر الزكاء ممدود ويقال ان فلانا لزكا النقد اي حاضره وعتيده والزكا الشفع
مقصود قال الشاعر

كانوا خسا وزكا من دون اربعة لم يخلقوا وجدود الناس تعتلج

والحنا الوتر واصل الباب النمو والزكوة تنمي المال بالتزكية التي يجعل الله فيه
وقوله واركعوا مع الراكعين فالركوع والانحناء والانخفاض نظاير في
اللغة يقال ركع ورفع قال الشاعر

لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه

قال ابو زيد الراكع الذي يكبو على وجهه ومنه الركوع في الصلوة قال
الشاعر وافلت حاجب فوق العوالي على شغا تركع في الطراف
والركعة الهوة في الارض لغة يمانية قال صاحب العين كل شي ينكب
لوجهه فتمس ركبته الارض او لا تمس بعد ان يطاطي راسه فهو راكع
بالحزون قال الشاعر

ولكني انصّ العيس تدمى اياطلها وتركع بالحزون

وقال لبيد

اخبر اخبار القرون التي مضت ادب كاني كلما قمت راكع

وسمي بالزكوة في الشريعة ما يجب اخراجه عن المال لانه بما ما ينمي ويثمر وقيل بل
مدح لما ينقي لانه زكي اي مطهر كما قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة
وقيل انه ماخوذ من الخضوع ذهب اليه المفضل بن سلمة والاصمعي قال
الشاعر لا تهين الفقير علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه
الاول اقوى لان هذا انتحار مشبه به وقوله اركعوا مع الراكعين انما خص
الركوع بالذكر من افعال الصلوة لما قال بعض المفسرين ان المامورين هم اهل
الكتاب ولا ركوع في صلوتهم وكان الاحسن ذكر المختص دون المشترك لانه ابعد
من اللبس وقيل لانه يعبر بالركوع عن الصلوة بقول القايل فرغت من ركوعي
اي من صلوتي وانما فعل ذلك لانه اول ما يشاهد مما يدل على ان الانسان في
الصلوة لانا بينا ان اصل الركوع الانحناء فان قيل كيف امروا بالصلوة والزكوة
وهم لا يعرفون حقيقتها في الشريعة قيل انما امرنا بذلك لانهم احيلوا

فيه على بيان الرسول اذ قال ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ولذلك جاز ان يامرهم بالصلوة على طريق الجملة ويحيلهم في التفصيل على بيان الرسول عليه السلام وقد بينا تفصيل ما ورد الشرع به من الصلوة والزكوة و فرايضها وسننها في كتاب النهاية والمبسوط وغيرهما من كتبنا في الفقه فلا نطول بذكره في هذا الكتاب وقد ورد في القران على طريق الجملة اي كثيرة نحو قوله اقيموا الصلوة واتوا الزكوة و قوله واقيموا الصلوة ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وقوله حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوله قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون ويمكن الاستدلال بهذه الايات على وجوب جميع الصلوات وعلى صلوة الجنايز وصلوة العيدين وعلى وجوب الصلوة على النبي صلى الله عليه واله في التشهد لانه عام في جميع ذلك فان قيل قوله و اقيموا الصلوة دخل فيها الركوع فلم قال واركعوا هل هذا الا تكرار قلنا قد ثبت ان هذا خطاب لاهل الكتاب وليس في صلوتهم ركوع وكانه امرهم بالصلوة على ما يرونهم وامرهم بضم الركوع اليها ومعنى قوله واركعوا اي صلوا فقول ان ذلك تاكيد ويمكن ان يقال غير فايدة وهو ان يقال ان قوله اقيموا الصلوة انما يفيد وجوب اقامتها ويحتمل ان يكون اشارة الى صلوتهم التي يعرفونها ويمكن ان يكون اشارة الى الشرعية فلما قال واركعوا مع الراكعين يعني مع هؤلاء المسلمين الراكعين تخصصت بالصلوة في الشرع ولا يكون تكرارا بل يكون بيانا وقيل قوله اركعوا مع الراكعين حث على صلوة الجماعة لتقدم ذكر الصلوة المنفردة في الاول الاية قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون

اية البر كل طاعة لله تعالى فلا خلاف انها تسمى برا واختلفوا في المراد بهذه الاية فقال ابن عباس المراد به التمسك بكتابهم فكانوا يامرون اتباعهم ويتركون هم التمسك به لان جحدهم النبي عليه السلام هو تركهم التمسك به وقال قتادة كانوا يامرون الناس بطاعة النبي عليه السلام ويخالفون ذلك وقال قوم ان معناه انهم كانوا يامرون ببذل الصدقة ويضنون بها وقال بعضهم ان البر الصدق من قولهم صدق وبر ومعناه انهم يامرون بالصدق ولا يصدقون والبر في اصل اللغة والصلة والاحسان نظاير يقال هو بار وصول وضد البر العقوق وقال ابن دريد البر ضد العقوق ورجل بار وبر بمعنى واحد وبرت يمينه اذا لم يحنث وبر حجه وبر لغتان والبر خلاف البحر والبر معروف افصح من الحنطة والقمح واحدته برة قال الهذلي لا تردري ان اطعمت نازلهم قرف الحتي وعندي البر مكنون الحتي ردي المقل خاصة ومن امثالهم لا يعرف الهر من البر واختلفوا في هذا المثل فقال الرياشي الهر السنور والبر الفارة في بعض اللغات او دويبة تشبهها وقال الاخفش معناه لا يعرف من يبره ممن يهر عليه وقوم بررة ابرار والمصدر البر ويقال صدق وبر وبرت يمينه اي صدقت وكانت العرب تقول فلان يبر ربه اي يطيعه قال الراجز

لاهم ان بكرا دونكا يبرك الناس ويفجرونكا

والابرار

والابرار الغلبة يقال قد ابر عليهم فلان قال طرفة ويبرون على الاي المبر والبربرة كثرة الكلام والجلبة باللسان واصل الباب كله البر وهو اتساع الخير والفرق بين البشر والخبران البر يدل على قصد والخير قد يقع على وجه السهو قوله وتنسون انفسكم فالنسيان والغفلة والسهو نظاير و ضد النسيان الذكر يقول نسي نسيانا وانساه وتناسى تناسيا وفلان نسي كثير النسيان والنسي انساء

والنسي الذي ذكره الله تعالى وكنت نسيا منسيا وسمي الانسان انسانا اشتقاقا من النسيان و هو في الاصل انسيان وكذلك انسان العين والجمع اناسي والنسا عرق مستبطن ما بين الفخذين فيستمر في الرجل وهما نسيان والجمع انساء وهو في الفخذ ويسمى في الساق الطفل وفي البطن الحالبين وفي الظهر الابهر وفي الحلق الوريد وفي القلب الوتين وفي اليد الاكحل وفي العين الناظر ويقال هو ابهر الجسد لانه يمد جميع العروق واصل الباب النسيان ضد الذكر وقوله نسوا الله فنسيهم اي تركوا طاعته فتركهم ثوابهم ويقال افة العلم النسيان والمذاكرة تحيي العلم وحد النسيان عزوب الشيء عن النفس بعد حضوره لها والفرق بين النسيان والسهو ان السهو يكون ابتداء وبعد الذكر والنسيان لا يكون الا بعد الذكر والذكر والنسيان معا من فعل الله لان الانسان يجتهد ان يتذكر شيئا فلا يذكره ومعنى قوله وتنسون انفسكم اي تتركونها وليس المراد بذلك ما يضاد الذكر لان ذلك من فعل الله لا ينهاهم عنه فان قيل اذا كان الواجب عليهم مع ترك الطاعة والاقامة على المعصية الامر بالطاعة والنهي عن المعصية فكيف قيل لهم هذا القول قلنا فامرهم بالطاعة ونهيهم عن المعصية لتعظيم ما يركبونه من معصية الله تعالى لان الزواجر كلها كلما كانت اكثر كانت المعصية اعظم ففي نهيهم لغيرهم زواجر فهو توبيخ على عظيم ما ارتكبوا من ذلك وقوله وانتم تتلون الكتاب قال التلاوة والقراءة والدراسة نظاير يقال فلان يتلو تلاوة فهو تال اي تابع والمتالي الامهات اذا تلاهن الاولاد والواحد متل وناقة متلية وهي التي تنتج في اخر النتاج واصل الباب الاتباع فتسمى التلاوة بذلك لاتباع بعض الحروف فيها بعضا والفرق بين التلاوة والقراءة ان اصل القراءة جمع الحروف واصل التلاوة اتباع الحروف وكل قراءة تلاوة وكل تلاوة قراءة وحد الرماني التلاوة ما به صوت يتبع فيه بعض الحروف بعضا والكتاب الذي كانوا يتلونه التورية على قول ابن عباس وغيره وقال ابو مسلم كانوا يامرون العرب باتباع الكتاب الذي في ايديهم فلما جاءهم كتاب مثله لم يتبعوه وقوله افلا يعقلون

فالعقل والفهم واللب والمعرفة نظاير يقال فلان عاقل فهم لبيب اريب ذو معرفة ، وضد العقل الحمق يقال عقل الشي عقلا واعقله غيره اعتقالا ويقال اعتقله اعتقالا وانعقل انعقالا ، وقيل لابن عباس انى لك هذا العلم قال قلب عقول ولسان سؤول ، ويقال عقلت بعد الصبوى عرفت الخطاء الذى كنت فيه وقال صاحب العين العقل ضد الجهل يقال عقل الجاهل اذا علم ، وعقل المريض بعد ما هجر وعقل المعتوه ونحوه والعقال الرباط ويقال عقلت البعير اعقله عقلا اذا شددت يده بالعقال واخذ صدقة الابل تامة لسنة يقال اخذ عقالا وعقالين لسنتين وعقلا لجماعة ، وقال الشاعر

سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا ، فكيف لو قد سعى عمرو عقالين
لاصبح الناس اوبادا وما وجدوا ، يوم التحمل في الهيجا جمالين

قال المبرد يقال للمصدق اذا اخذ من الصدقة ما فيها ولم ياخذ ثمنه اخذ عقالا ، واذا اخذ قيمته قيل اخذ نقدا ، والعقيلة من النساء التى قد عقلت في بيتها اى حبست وخدرت والجمع عقايل والدرة عقيلة البحر وكل شى عقيلة كل شى اكرمه وعقل القتيل اذا وديت دية من القرابة لا من القبايل والعقل في الرجل اصطكاك الركبتين ، والعقل ثوب احمر تتخذه نساء العرب ، والمعقول هذا العقل عند قوم ، قال الراعى

حتى اذا لم يتركوا لعظامه ، لحما ولا لفؤاده معقولا

والعقل المعقل وهو الحصن وجمعه عقول والعاقول من النهر والوادى ومن الامور ايضا الملتبس وما اعوج منه ، وعقل الدواء بطنه اى حبسه وقولهم لا يعقل حاء من باد ، قال ابن دريد معناه ان القتيل اذا كان بالبادية فان اهلها يتعاقلون بينهم الدية ولا يلزمون اهل الحضر من بنى اعمامهم شيئا وفى الحديث انا لا نتعاقل المضغ بيننا يعني من الشجاج بل يلزم الجاني ، وعاقلة الرجل بنو عمه الادنون لانهم كالمعقل له واصل الباب العقل الذى هو العقد والعقل مجموع علوم لاجلها يمتنع من كثير من القبيحات ويفعل كثيرا من الواجبات وقال الرماني العقل هو العلم الاول الذى يزجر عن قبيح الفعل ، و كل من كان زاجره اقوى كان عقله اقوى ، وقيل العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة ، وقيل العقل قوة يمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغايب وهذه

وهذه العبارات قريبة المعانى مما ذكرناه والفرق بين العقل والعلم ان العقل قد يكمل العالم لمن فقد بعض عقله فان قيل اذا كان العقل مختلفا فيه فكيف يجوز ان يستشهد به قيل الاختلاف في ماهية العقل لا توجب الاختلاف في قضاياه الا ترى ان الاختلاف في ما العقل حتى قال بعضهم معرفة وقال بعضهم قوة لا يوجب الاختلاف في ان الالف اكثر من الواحد وان الوجود غير المعدوم وغير ذلك من قضايا العقول قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين اية واحدة قال الجبائى هذا خطاب للمؤمنين دون اهل الكتاب ، وقال الطبرى والرمانى هو خطاب لاهل الكتاب و يتناول المؤمنين على وجه التاديب والاقوى ان يكون خطابا للجميع من هو بشرائط التكليف لفقد الدلالة على التخصيص واقتضاء العموم ذلك ، فمن قال هو خطاب لاهل الكتاب قال لانه قال واستعينوا على الوفاء بعهدى الذى عاهدتكم فى كتابكم عليه من طاعتى واتباع امرى واتباع رسولى وترك ما نهيتكم عنه والتسليم لامرى ولمحمد صلى الله عليه واله بالصبر والصلوة ، واصل الصبر هو منع النفس محابها وكفها عن هواها و منه الصابر على المصيبة لكفه نفسه عن الجزع وقيل لشهر رمضان الصبر لصبر صايمه عن الطعام والشراب نهارا وصبره اياهم صبره حبسه لهم وكفه اياهم عنه كما يصبر الرجل المقتول فيحبسه عليه حتى يقتله صبرا يعنى حبسه عليه حتى قتله والمقبول مصبور والقاتل صابر والصبر واللبث والحبس نظاير والصبر ضد الجزع وانشد ابو عباس ع

ان تصبرا فالصبر خير مغبة ، وان تجزعا فالامر ما تريان

ويقال صبر صبرا وتصبر تصبرا واصطبر اصطبارا وتصابر تصابرا وصابره مصابرة قال صاحب العين الصبر نصب الانسان للقتل فهو مصبور ويقال صبره اى نصبه للقتل ويقال صبرته اى حلفته بالله جهد انفسهم ، وكل من حبسته لقتل او يمين فهو قتل صبر ويمين صبر والصبر عصارة شجر معروف والصبار تمر الهند وصبر الاناء ونحوه نواحيه واصبار القبر نواحيه ، والصبرة من الحجارة ما اشتد وغلظ والجمع الصبار وام صبار هى الداهية الشديدة وصبر كل شى اعلاه صبير القوم الذى يصبر معهم فى امرهم وصبير الخوان رقاقة عريضة تبسط تحت ما يؤكل من الطعام ، ويقول اشتريت الشى اى بلا كيل والصبير الكفيل واصل الباب

بعض العلوم كالعقل من حظ عقله العلم بان هذه الرمانة احلى ... ولا يكمل العلم لمن فقد

غلب

الصبر الذي هو الحبس والصبر خلق محمود أمر الله تعالى به ودل عليه فقال واصبر وما صبرك إلا بالله

وقال اصبروا وصابروا وقال وبشر الصابرين وقال واصبر على ما أصابك إن ذلك

من عزم الأمور وفي الحديث اقتلوا القاتل واصبروا الصابر وذلك فيمن أمسكه حتى قتله

آخر فأمر بقتل القاتل وحبس الممسك والصبر المأمور به في الآية قيل فيه قولان أحدهما الصبر

على طاعته واجتناب معصيته والثاني أنه الصوم وفي الصلوة هاهنا قولان أحدهما

الدعاء والثاني أنها الصلوة الشرعية ذات الركوع والسجود وكان النبي صلى الله عليه

وآله إذا حزبه أمر استعان بالصلوة والصوم ووجه الاستعانة بالصلوة لمكان ما فيها

من تلاوة القرآن والدعاء والخضوع لله والإخبات فإن في ذلك معونة على ما تنازع إليه

النفس من حب الرياسة والأنفة من الانقياد إلى الطاعة والضمير في قوله وإنها لكبيرة

عائد على الصلوة عند أكثر المفسرين وقال قوم عائد على الإجابة للنبي عليه السلام وهذا

ضعيف لأنه لم يجر للإجابة ذكر ولا هي معلومة إلا بدليل غامض وليس ذلك كقوله إنا أنزلناه

لأن ذلك معلوم وَرَدُّ الضمير على واحد وقد تقدم ذكر شيئين لأمرين مظهرين أحدهما

أنها راجعة إلى الصلوة دون غيرها على ظاهر الكلام والآخر أن يكون المراد الاثنان وإن

كان اللفظ واحداً كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه قال الشاعر

اما الوسامة او حسن النساء فقد ... أتيت منه او ان العقل محتبل

وقال البرجمي

فمن يك امسى بالمدينة رحله ... فاني وقيار بها لغريب

وقال ابن احمد

رماني بامر كنت منه ووالدي ... بريا ومن طول الطوى رماني

وقال آخر

نحن بما عندنا وانت بما عندك ... راض والامر مختلف

وقوله تعالى وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها قال قوم اللفظ واحد والمراد به الا

ثنان وقال الفراء راجع إلى التجارة لأن التجارة جاءت فضربوا بالطبل فانصرف

الناس إليها والاستعانة في الآية المأمور بها على ما تنازع إليه نفوسهم من حب الرياسة

وغلبة الشهوة للذة العاجلة والاستعانة بالصبر على المشقة بطاعة الله ومعنى

الكبيرة هاهنا أي ثقيلة عند الحسن والضحاك وأصل ذلك ما يكبر ويثقل على الإنسان حمله كالأحمال

الجافية التي يشق حملها فقيل لما يصعب على النفس وإن لم يكن من جهة الحمل يكبر عليها تشبيها بذلك وقوله

إلا على الخاشعين فالخشوع والخضوع والتذلل والإخبات نظائر وضد الخضوع الاستكبار يقال خشع خشوعاً

وتخشع تخشعاً قال صاحب العين خشع الرجل يخشع خشوعاً إذا رمى ببصره الأرض واختشع

إذا طأطأ رأسه كالمتواضع والخشوع قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستخذاء

والخشوع في الصوت والبصر قال الله تعالى خاشعة أبصارهم وخشعت الأصوات للرحمن أي

سكنت وأصل الباب من اللين والسهولة من قولهم نوء خاشع للأرض التي غلبت عليها السهولة

والخاشع الأرض التي لا يهتدى لها بسهولتها لمحو الرياح آثارها والخاشع والمتواضع و

المتذلل والمستكين بمعنى قال الشاعر لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة

والجبال الخشع وخاشع صفة مدح لقوله والخاشعين والخاشعات وإنما خص

الخاشع بأنها لا تكبر عليه لأن الخاشع قد توطأ ذلك له بالاعتياد له والمعرفة بما له

فيه فقد صار بذلك بمنزلة ما لا يشق عليه فعله ولا يثقل تناوله وقال الربيع بن انس

الخاشعين في الآية الخائفون قوله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم

وأنهم إليه راجعون

آية بلا خلاف إن قيل كيف أخبر الله تعالى عمن وصفه بالخشوع بالطاعة ومدحهم بذلك بأنهم

يظنون بأنهم ملاقوا ربهم وذلك مناف لصفة المدح قلنا الظن المذكور في الآية المراد به العلم واليقين

قال دريد بن الصمة فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد وقال

عميرة بن طارق فإن يعبروا قومي وأقعد فيكم واجعل مني الظن غيبا مرجما و

قال ابو دواد رب هم فرجته بعزيم وغيوب كشفتها بظنون

وقال المبرد ليس من كلام العرب الظن عند زيد ما لا يريد العلم لأن العلم المشاهد

لا يناسب باب الظن وقد أفصح عن ذلك أوس بن حجر في قوله الألمعي الذي يظن بك

الظن كأن قد رأى وقد سمعا وقال آخر فلا يأتكم خبر يقين

فإن الظن ينقص أو يزيد وقال بعض الشيوخ أصل الظن ما يجول في النفس

من الخاطر الذي يغلب على القلب كأنه حديث النفس بالشيء ويأول جميع ما في القرآن من معنى

العلم على هذا وقال الحسن وابو العالية ومجاهد وابن جريج يظنون اى يوقنون ومثله ظننت
انى ملاق حسابيه اى علمت ومثله وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه معناه استيقنوا
وقوله ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها يعنى علموا وقد جاء فى القران الظن
بمعنى الشك كقوله ان هم الا يظنون وقوله ان الظن لا يغنى من الحق شيئا وقال قوم
يحتمل قوله يظنون وجها آخر وهو انهم يظنون انهم ملاقوا ربهم بذنوبهم لشدة اشفاقهم
من الاقامة على معصية الله وهذا وجه مليح وقد استبعده الرمانى وقال لان فيه
حذوفا كثيرة وليس بمنكر اذا كان الكلام محتملا له وقيل ايضا الذين يظنون انقضاء
اجلهم وسرعة موتهم فيكونون ابدا على حذر ووجل كما يقال لمن مات لقى الله و
الظن والشك والتجويز نظاير الا ان الظن فيه قوة على احد الامرين دون الآخر وحده ما قوى
عند الظان كون المظنون على ما ظنه مع تجويز ان يكون على خلافه فبالتجويز ينفصل من
العلم وبالقوة ينفصل من الشك والتقليد وغير ذلك وضد الظن اليقين ويقال ظن ظنا
ويظن تظننا وقال وظنوا انهم الينا لا يرجعون وقوله وظننتم ظن السوء والظنين
المتهم ومصدره الظنة والظنون الرجل السيئ الظن بكل احد والظنون القليل الخير و
التظنى والتظنن بمعنى واحد والظنون البئر التى يظن ان بها ماء ولا يكون فيها شئ ومظنة
الرجل ومظانه حيث يالفه فيكون فيه ومعنى قوله انهم ملاقوا ربهم اى ملاقوا جزاء ربهم
فجعل ملاقاة الجزاء ملاقاة لهم تفخيما وتعظيما لشأن الجزاء واصل الملاقاة الملاصقة من قولك
التقى الحدان اى تلاصقا ثم كثر حتى قالوا التقى الفارسان اذا تحاربا وان لم يتلاصقا و
مثل ما قلناه فى قوله ملاقوا ربهم قوله تعالى فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه معناه يوم
يلقون جزاءه لان المنافقين لا يرون الله عند احد من اهل الصلوة وكذلك قوله و
لو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون معناه اذ وقفوا على جزاء ربهم لان الكفار لا يرون الله عند احد من
الامة فان قيل ما معنى الرجوع هاهنا وهم ما كانوا قط فى الآخرة فيعودوا اليها قيل راجعون
بالاعادة فى الآخرة فى قول ابى العالية وقيل يرجعون بالموت كما كانوا فى الحال المتقدمة
لانهم كانوا امواتا ثم احيوا ثم يموتون فيرجعون امواتا كما كانوا والاول اظهر واقوى وقيل

وقيل ان معناه انهم راجعون الى ان لا يملك احد لهم ضرا ولا نفعا غيره تعالى كما كانوا فى بدو الخلق لانهم
فى ايام حيوتهم قد يملك الحكم عليهم غيرهم والتدبير لنفعهم وضرهم بين ذلك قوله مالك يوم
الدين ومعنى ذلك انهم يقرون بالنشاة الآخرة فجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر
رجوعا اليه واصل الرجوع العود الى الحال الاول يقال رجع الرجل و رجعته وهو احد ما
جاء على فعل وفعلته ويحتمل ان يكون المراد به انهم اليه صائرون كما يقول القائل رجع
الامر الى فلان وان كان قط لم يكن له ومعناه صار اليه وحذفت النون من ملاقوا ربهم
عند البصريين تخفيفا والمعنى على اثباتها ومثله قوله انا مرسلوا الناقة وكل نفس ذائقة
الموت قال الشاعر هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد
رب اخا عون بن مخراق ولو اردت معنى الماضى لتعرف الاسم بالاضافة ولم يجز
فيه اظهار النون البتة واذا كان الفعل غير واقع كان اثبات النون هو الوجه
دون الاضافة فلو قيل ملاقون كان صوابا قال الاخفش وجرى حذف
النون هاهنا للاستثقال كما قال الشاعر فى قوله
فان الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد فاسقط
النون من الذين استثقالا وقال الاخطل ابنى كليب
ان عمى اللذا قتلا الملوك وفككا الاغلالا فاسقط النون وقال الكوفيون
اذا حذف النون فاللفظ الاسم واذا اثبت وظهر النصب فالمعنى الفعل قال الزجاج
ويجوز كسر الهمزة من قولهم انهم اليه راجعون لكن لم يقرا به احد على معنى الابتداء ولا يجوز
كسر الاولى لان الظن وقع عليها قوله تعالى يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت
عليكم وانى فضلتكم على العالمين آية قد مضى تفسير مثل هذا فيما تقدم فلا
وجه لاعادته واما قوله وانى فضلتكم على العالمين ذكرهم الله تعالى من الآية ونعمه عندهم
بقوله وانى فضلتكم على العالمين اى فضلت اسلافكم فنسب النعمة الى آبائهم واسلافهم لانها
نعمة عليهم منه لان مآثر الآباء مآثر الابناء والنعم عند الآباء نعم عند الابناء لكون الابناء من الآباء
وقوله فضلتكم فالتفضيل والترجيح والتزييد نظاير والتفضيل نقيضه التسوية يقال
فضله وتفضيله على وجه النقص ونقيض التزييد التنقيص يقال فضل فضلا وافضل افضالا

وتفضل تفضلاً واستفضل استفضالاً وتفاضلوا تفاضلاً وفاضله مفاضلةً وفضله تفضيلاً والمفضال اسم المفاضلة والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل والتفضل التوشح ورجل فضل متفضل وامراة متفضلة وعليها ثوب فضل اذا خالفت بين طرفيه على عاتقها فتتوشح به قال الشاعر اذا الغرد فيه الفتى الفضل وافضل فلان على فلان اذا اناله من خيره وفضله واحسن اليه وافضل فلان من الطعام والارز والخبز اذا ترك منه شيئا لغة اهل الحجاز فضل يفضل ورجل مفضال كثير المعروف والخير والفضائل في واحدها فضيلة وهي المحاسن والفواضل الايادي الجميلة وثوب الفضل ثوب تتخفف به المراة في بيتها والجمع مفاضل وامراة مفضل اذا كان عليها مفضل واصل الباب الزيادة والافضال والاحسان والانعام نظائر ويقال فضله اذا اعطاه الزيادة وفضله اذا حكم له بالزيادة فان قيل لم كرر قوله يا بني اسرائيل قلنا لانه لما كانت نعم الله هي الاصل فيما يجب فيه شكره وعبادته احتيج الى تاكيدها كما يقول القائل اذهب اذهب اعجل اعجل وغير ذلك في الامر المهم وايضا فان التذكير الاول ورد مجملا وجاء الثاني مفصلا وكانه قال اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم فيما انتم عليه من المنافع التي تتصرفون فيها وتتمتعون بها واني فضلتكم على العالمين ودل هذا على قوله واني فضلتكم على العالمين لانها احد الخصال التي ذكروا بها وجاءت عاطفة فدلت على خصلة قبلها اما مذكورة او مقدرة وانما فضلوا بما ارسل الله فيهم من كثرة الرسل وانزل عليهم من الكتب وقيل بكثرة من جعل فيهم من الانبياء وما انزل الله عليهم من المن والسلوى الى غير ذلك من النعمة العظيمة من تغريق فرعون عدوهم ونجاتهم من عذابه وبكثرة الايات التي تخف معها الاستدلال ويسهل بها كثرة الشاق وهو قول اكثر اهل العلم كابي العالية وغيره ونظير هذه الاية قوله واذ نجيناكم من ال فرعون واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون وقوله على العالمين قال اكثر المفسرين انه اراد الخصوص ومعناه عالمي زمانهم ذهب اليه قتادة والحسن وابو العالية ومجاهد وغيرهم وقال بعضهم اذا قلت فضل زيد على عمرو في الشجاعة لم يدل على انه افضل منه على الاطلاق ولا في جميع الخصال فعلى هذا يكون التخصيص في التفضيل لا في العالمين وامة نبينا محمد صلى الله عليه واله افضل من اولئك لقوله كنتم

كنتم خير امة اخرجت للناس وعليه اجماع الامة لانهم اجمعوا على ان امة محمد صلى الله عليه واله افضل من سائر الامم كان محمدا صلى الله عليه واله افضل الانبياء من ولد ادم عليه السلام قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون قرا ابن كثير واهل البصرة لا يقبل منها بالياء الباقون بالتاء موضع لا تجزي نصب لانه صفة يوم والعائد عند الكسائي لا يكون الا هاء محذوفة من تجزي فيه وقال بعضهم لا يجوز الا فيه وقال سيبويه والاخفش والزجاج يجوز الامران قال ابو علي المعنى في قوله لا يقبل منها شفاعة فمن ذهب الى ان فيه محذوفة من قوله واتقوا يوما لا تجزي جعل فيه تقييد قوله ولا يقبل ومن ذهب الى انه حذف الجار واوصل الفعل الى المفعول ثم حذف الراجع من الصفة كما يحذف من الصلة كان مذهبه في قوله لا يقبل ايضا مثله وحذف الهاء من الصفة يحسن كما يحسن حذفها من الصلة الا ترى ان الفعل لا يتسلط بحذف المفعول منه على الموصوف كما لا يتسلط بذلك على الموصول ومما حذف منه الى الراجع الى الصفة قول الشاعر وما شيء حميت بمستباح ومن الحذف قوله تروح احيدران تقيلي غدا الجني بارد ظليل المعنى تأتي مكانا احيدران تقيلي فيه فحذف الجار ووصل الفعل ثم حذف الضمير ونظير الاية قول الراجز قد صبحت صبحها السلام بكبد خالطها السنام في ساعة يحبها الطعام اي يحب الطعام فيها والجزاء والمكافاة والمقابلة نظائر يقال جزى يجزي جزاء وجازاه مجازاة وتجازوا تجازيا قال صاحب العين المجازاة المكافاة بالاحسان احسانا وبالاساءة اساءة وفلان ذو جزاء وذو غناء ويقول هذا الشيء يغني عن هذا بهمز وتليين وفي لغة يجزي اي يكفي واصل الباب مقابلة الشيء بالشيء ومعنى قوله لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا يقابل مكروهها بشيء يدرا عنها قال الله تعالى هل تجزون الا ما كنتم تعملون وقال اليوم تجزى كل نفس بما كسبت والفرق بين المقابلة والجزاء ان المقابلة قد تكون للمساواة فقط كمقابلة الكتاب بالكتاب والجزاء يكون في الشر بالشر والخير بالخير ومعنى قوله لا تجزي اي لا تغني وهو قول السدي كما يقول البقرة تجزي عن سبعة وهي لغة اهل الحجاز وبنو تميم تجزئ بالهمز من اجزأ والاول من جزيت وقال الاخفش

لا يجزي منها اي لا يكون مكانها بدلا منها وانكر عليهم ذلك لقوله شيئا وجعل الاخفش شيئا
في موضع المصدر كانه يقول لا يجزي جزاء ولا يغني غناء قال الرماني والاقرب ان يكون
شيئا في موضع حقا كانه قيل لا يؤدي عنها حقا وجب عليها وقال بعضهم لا يجزي يعني لا يقضي
وقبول الشيء تلقيه والاخذ به وضده الاعراض عنه ومن ثم قيل لتجاه القبلة قبالة وقالوا
اقبلت المكواة الداء اي جعلتها قبالته والجوهري ان يكون المخاطبون بذلك اليهود لانهم
زعموا ان اباءهم الانبياء وتشفع لها واوبسوا بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم وبقوله
قل لا يقبل منها شفاعة والقبول والانقياد والطاعة والاجابة نظاير ونقيضه الامتناع
يقال قبل قبولا واقبل اقبالا وتقبله تقبلا واقبل اقبالا وقابله مقابلة وتقابلوا تقابلا واستقبله
استقبالا وتقبل تقبلا واقبل اقبالا وقبله تقبلا وتقبل نقيض بعد والقبل خلاف الدبر و
القبل اقبالك على الشيء كانك لا تريد غيره والقبل الطاقة يقول لا قبل لي اي لا طاقة لي
ومنه قوله تعالى فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها والقبل التلقاء يقول لقيته قبلا
اي مواجهة واصبت هذا من قبله اي من تلقائه اي من لدنه ومن عنده وقوله تعالى
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اي قبلا وفسره بعضهم عيانا وكل جيل من الناس والجن و
القبيلة من قبايل العرب معروفة والكرة يقال لها قبايل كل قطعة من الجلد قبيلة وقبيلة
الراس كل فلقة قد قوبلت بالاخرى وكذلك قبايل العرب والقبال زمام البغل يقال البغل
مقبولة ومقبلة والقبل راس كل شيء مثل الجبل والاكمة وكثيب الرمل وقبالة كل شيء ما
كان مستقبله ومن الجيران مقابل ومدابر وشاة مقابلة اذا قطعت من اذنها قطعة وتركت
معلقة من مقدم وان كانت من خلفه فهي مدابر واذا ضممت شيئا الى الشيء قلت قابلته
والقابلة هي الليلة المقبلة وكذلك العام القابل والمقبل والقابلة التي تقبل الولد والقبول
من الرياح الصبا لانها تستقبل الدبور وهي تستقبل القبلة من المغرب الى المشرق والقبول ان تقبل
العفو وغير ذلك وهو اسم المصدر واميت الفعل منه والقبول الاسم وتقول افعل هذا
من ذي قبل اي من ذي استقبال والقبلة معروفة والفعل منه التقبيل والقبلة قبلة
الصلوة والتقبل تقبل الشيء يقول يقبل الله منك وعنك عملك والقول تقبلت
فلانا من فلان بقبول حسن ورجل مقابل في كرم وفي شرف من قبل اعمامه واخواله ورجل
مقتبل الشباب لم ير فيه اثر من الكبر والقبل والدبر في الحبل فالقبل الفتل الاول الذي عليه

عليه العامة والدبر الفتل الاخر وبعضهم يقول القبل في قوى الحبل كل قوة على وجهها الداخل قبل
والوجه الخارج دبر وقد قرئ قبلا وقبلا فمن قرا قبلا اراد جمع قبيل ومن قرا قبلا اراد
مقابلة والقبيل والكفيل واحد وقبيل القوم عريفهم واصل الباب المقابلة خلاف المدابرة واما
الشفاعة فهي ماخوذة من الشفع الذي هو خلاف الوتر وكانه سوال من الشفيع يشفع سوال
المشفوع له والشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة نظاير ويقال شفع شفاعة وتشفع
تشفعا واستشفع استشفاعا وشفعه تشفيعا والشفع من العدد ما كان ازواجا يقول
كان وترا فشفعته باخر حتى صار شفعا ومنه قوله والشفع والوتر قالوا الشفع يوم النحر
والوتر يوم عرفة وقال بعض المفسرين الشفع الخلق لكثرة الخلق والوتر الله
والشافع والشفعة في الدار معروفة وتقول فلان الطالب لغيره والاسم الشفاعة والطالب
الشفيع والشافع والشفعة في الدار معروفة ويقول فلان يشفع لي بالعداوة اي يعين علي و
يعاديني ويقول شفعت الرجل اذا صرت ثانيه وشفعت له اذا كنت له شافعا وانما سميت
شفعة الدار لان صاحبها يشفع ماله بها ويضمها الى ملكه واصل الباب الزوج من العدد و
قوله ولا يقبل منها شفاعة مخصوص عندنا بالكفار لان حقيقة الشفاعة عندنا ان يكون في
اسقاط المضار دون زيادة المنافع والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي صلى الله عليه وآله
فيشفعه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحقين من اهل الصلوة لما روي من قوله عليه
السلام ادخرت شفاعتي لاهل الكباير من امتي وانما قلنا لا يكون في زيادة المنافع لانها
لو استعملت في ذلك لكان احدنا شافعا في النبي صلى الله عليه وآله اذا سال الله ان
يزيده في كراماته وذلك خلاف الاجماع فعلم بذلك ان الشفاعة مختصة بما قلناه وعلم بثبوت
الشفاعة ان النفي في الاية يختص الكفار دون اهل القبلة والايات الباقية نتكلم عليها اذا
انتهينا اليها ان شاء الله والشفاعة تثبت عندنا للنبي عليه السلام وكثير من اصحابه ولجميع
الائمة المعصومين وكثير من المؤمنين الصالحين وقيل ان نفي الشفاعة في هذه الاية
يختص باليهود من بني اسرائيل لانهم ادعوا انهم ابناء الله واحباؤه واولاد انبيائه وان اباءهم
يشفعون لهم فأيسهم الله من ذلك فاخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص ولا بد من
تخصيص الاية لكل احد لان المعتزلة والقايلين بالوعيد يثبتون شفاعة مقبولة وان قالوا
انها في زيادة المنافع واصل الشفاعة ان يشفع الواحد للواحد فيصير شفعا ومنه الشفيع

لانه يصلح جناح الطالب ويصير ثانيا له والذي يدل على ان الشفاعة في اسقاط الضرر قوله
قول الشاعر عطفان الشد البرم وقالوا العلم ان مالك ان تصب بفدك
وان الحبس بدبل ويشفع واستعملت في زيادة المنافع ايضا وان كان مجازا الما مضى
قال لحطنه فطلب لخيره وذاك امرؤ ان ماتة في صنيعه او ماله لم ناته
بشفيع وقد استعملت الشفاعة بمعنى المعاونة انشد بعضهم للنابغة اتاك امرؤ
مستعلن لي بغضة له من عدو مثل مالك شافع اي معين وقال الاخوص
كان من لامني لاصرمها كانوا لليلى بلومهم شفعوا اي تعاونوا قوله لا يوخذ
منها عدل والعدل والحق والانصاف نظاير والعدل نقيض الجور يقال عدل
عدلا واعتدل اعتدالا وتعادل تعادلا وتعدل تعدلا وعادله معادلة وعدله تعديلا
والعدل المرضي من الناس يقع على الواحد والجماعة والذكر والانثى فاذا قلت هم عدل قلت
هما عدلان والعدل الحكم بالحق يقال هو حكم عدل ذو معدلة في حكمه وعدل الشي نظيره
ومثله يقول عدلت بفلان فلانا اعدله والعادل المشرك الذي يعدل بربه والعدل
ان يعدل الشي عن وجهه فتميله يقول عدلته عن كذا وعدلت انا عن الطريق والعديل
الذي يعادلك في الحمل او نحوه ما كان وسمعت العرب يقول اللهم لا عدل لك اي لا مثل
لك وفي الكفارة عدل ذلك اي مثله في العدل الا بالنظر بعينه والعدل الفداء لقوله
لا يقبل منها عدل وقيل ايضا ان العدل الفريضة والصرف النافلة وقوله بربهم يعدلون
اي يشركون وقيل لما يوكل معتدل اذا لم يكن فيه ضرر من حر او برد ويقول عدلته اي اقمته
حتى اعتدل واستقام وعدلت فلانا عن طريقه والدابة عن طريقها اذا عطفتها فانعد(لت)
وانعدل الطريق ويقولون الطريق يعدل الى مكان كذا وكذا فاذا اراد الاعوجاج نفسه
قال ينعدل في مكان كذا وكذا اي ينعوج والاعتدال الاستواء وفلان عدل حسن
العدالة واصل الباب العدل الذي هو الاستقامة والعدل المذكور في الاية الفدية روى
ذلك عن النبي صلى الله عليه واله وهو قول ابن عباس وابي العاليه وقال
قوم هو بدل والفرق بين العدل والعدل ان العدل بالكسر المثل تقول عندي عدل
جاريتك اي جارية مثلها فاذا قلت عندي عدل جاريتك بالجر ان يكون قيمتها من
الثمن ومن قرا ابالنا فلان الشفاعة مونثة ومن ذكر قال لان التانيث ليس بحقيقي ولا(ن)

ولان الفعل يتقدم على المونث فاشبه علامة التثنية والجمع اذا تقدم الفعل سقط كذلك هاهنا
ومثله قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولقول الشاعر
فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها
والتاء اجود لانه اصل والياء حسن قوله ولا هم ينصرون والنصر والمعونة والتقوية
نظاير وضد النصر الخذلان يقال نصره نصرا وانتصر انتصارا واستنصر استنصارا
وتناصر تناصرا قال صاحب العين النصر عون المظلوم وفي الحديث انصر
اخاك ظالما او مظلوما معناه ان كان مظلوما فامنع منه الظلم وان كان ظالما فامنعه
من الظلم وانهه والانصار جمع النصار وانصار النبي اعوانه وانتصر فلان اذا انتقم من ظالمه
ونصير الناصر والتنصر الدخول في النصرانية والنصارى منسوبون الى ناصرة وهي موضع
ونصرت السماء اذا امطرت قال الشاعر اذا خرج الشهر الحرام فودعي بلاد
تميم وانصري ارض عامر ونصرت الرجل اذا اعطيته وانشد ابوك الذي اجدى
علي بنصره فاسكت عني بعده كل قائل واصل الباب المعونة والنصرة قد تكون
بالحجة وقد تكون بالغلبة فالله عز وجل ينصر جميع المومنين بالحجة التي تؤيدهم واما النصر
بالغلبة فبحسب المصلحة ولابد لوقع الغلبة لبعض المومنين على انه مسخوط عليه كانه ليس
في تخلية الله بين الكفار وبين الانبياء دلالة على حال منكرة وقد قتل الكفار كثيرا من
الانبياء ونالوا منهم بضروب من الاذى قال الله تعالى ذلك بانهم كانوا يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق وقوله ومن بغي عليه لينصره الله معناه
بالغلبة واما ما يحدثه بالحق من البائي عليه لينصره من الله للمبغي عليه واقعة لا محالة
والخذلان لا يكون الا للظالمين لان الله تعالى لا يخذل اولياءه واهل طاعته وقوله ان
ينصركم الله فلا غالب لكم اي بالمعونة التي توجب الغلبة لان الله تعالى يقدرهم على اعطائهم
ما يغلبون به كل من نازعهم ويستعلون على كل من ناواهم وحد النصر المعونة على كل
من ظهرت منه عداوة وقد تكون المعونة بالطاعة فلا يكون نصرة والفرق بين
النصرة والتقوية ان التقوية قد تكون على صناعة والنصرة لا تكون الا مع منازعة فاما
قولهم لا قبل الله منهم صرفا ولا عدلا فقال الحسن البصري الصرف العمل والعدل الفدية
وقال الكلبي الصرف الفدية والعدل الفريضة وقال ابو عبيدة الصرف الحيلة

والعدل الفدية ، وقال ابو مسلم الصرف التوبة والعدل الفداء ، قوله تعالى واذ
نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم آية بلا خلاف هذه الآية عطف على ما تقدم من قوله اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم فاذ ها هنا متعلقة بذلك كانه قال اذكروا نعمتي عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون
ونظيره والى ثمود اخاهم صالحا لما تقدم ما يدل على ارسلنا وهو قوله ولقد ارسلنا نوحا الى
قومه فكانه قال وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا والخطاب وان كان متوجها الى الحاضرين في الحال
فالمراد به من سلف لهم من الآباء كما يقول القائل هزمناكم يوم ذي قار وقتلناكم يوم الجفار وانما
يعني الاسلاف قال الاخطل يهجو جريرا ، ولقد سما لكم الهذيل فنالكم
بإراب حيث يقسم الانفالا وجرير لم يلحق هذيلا ولا ادرك اراب وقد بينا ان النعمة
على الآباء نعمة على الاولاد فلا وجه لاعادته ، ومعنى نجيناكم فالنجاة والسلامة والاسعاد
والتخلص نظائر وضد النجاة الهلاك ، يقول نجى ينجو النجاة وانجاه الله انجاء ونجاه تنجية
وانتجوا انتجاء واستنجى استنجاء وتناجوا تناجيا ، قال صاحب العين نجا ينجو النجاة
في السرعة فهو ناج اي سريع وناقة ناجية اي سريعة وتقول انجيت فلانا اي استنكهته
قال الشاعر ، انجيت مجالدا فوجدت منه ، كريح الكلب مات حديث
عهد ، والنجاة بنو فلان اذا احدثوا ذنبا او غيره ، والاستنجاء التنظيف بمدر او ماء والنجاة
هو النجوة من الارض وهي التي لا يعلوها السيل ، قال الشاعر ، فمن بنجوته
كمن بعقوته ، والمستكن كمن يمشي بقرواح ، والنجو السحاب اول ما ينشأ وجمعه النجاء
والنجو ما خرج من البطن من ريح وغيرها ، والنجو استطلاق البطن يقال انجا فلان انجا
والنجو كلام بين اثنين كالسر والسرار تقول ناجيتهم مناجاة بينهم وكذلك انتجوا وهم
جميعا النجوى وكلامهم النجوى وفلان نجي فلان اي يناجيه دون غيره قال
الشاعر ، اني اذا ما القوم كانوا انجيه ، واضطرب القوم اضطراب الارشيه
والنجا ما القيته عن نفسك من ثياب او سلخته عن الشاة تقول انجيت الجلد
انجوه انجاء اذا كشطته وانجيت العود اي قضبته ، وقال بعض المفسرين في
قوله فاليوم ننجيك ببدنك اي نلقيك على نجوة ، واصل الباب النجوة وهي
الارتفاع والفرق بين النجاة وبين التخلص ان التخلص قد يكون من تعقيد ليس باذى وليس

وليس كذلك النجاة لانها لا تكون الا من مكروه وكل نجاة نعمة ولا يقال لمن لا خوف عليه نجا لانه
لا يكون ناجيا الا مما يخاف مثله ، قوله من آل فرعون فالآل والاهل والقرابة نظائر ، و
قيل اصل آل اهل لانه يصغر اهيل ، وحكى الكسائي اويل فزعموا انها ابدلت كما قالوا هيهات
وايهات ، وكما قالوا اماء واصلها اماه بدليل قولهم مويه في التصغير وفي الجمع امواه ومياه
وقيل لا بل اصل على حياله ، والفرق بين الآل والاهل ان الاهل اعم منه يقال اهل
الكوفة ولا يقال آل الكوفة ، ويقال اهل البلد ولا يقال آل البلد ، وآل فرعون قومه
واتباعه وقال صاحب العين الآل كل شيء يؤول الى شيء اذا رجع اليه يقول
طبخت العصير حتى آل الى كذا ، واولى كلمة وعبد على وزن فعلى ، والآل السراب وآل
الرجل قرابته واهل بيته وآل البعير الواحه وما اشرف من اقطار جسمه ، وآل الخيمة عمده
والآلة شدة به من شدائد الدهر ، قالت الخنساء ، ساحمل نفسي على آلة
اما عليها واما لها ، وآل الجبل اطرافه ونواحيه ، وقال ابن دريد آل كل شيء
شخصه وآل الرجل اهله وقرابته ، قال الشاعر ، ولا ابتك ميتا
بعد ميت اجنة ، على وعباس وآل ابي بكر ، والآلة الحربة واصل الباب الاول
وهو الرجوع قال ابو عبيدة سمعت اعرابيا فصيحا يقول اهل مكة آل الله فقلنا ما
تعني بذلك قال اليسوا مسلمين والمسلمون آل الله ، قال وقال ليس
يجوز ان ينصب رجلا من المسلمين فيقول آل فلان وانما يجوز ذلك للرئيس المتبع وفي
شبه مكة لانها ام القرى ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له فان جاوزت هذا
فان آل الرجل اهل بيته خاصة فقلت آله فيقول للقبيلة آل فلان قال لا الا اهل
بيته خاصة ، وفرعون اسم لملوك العمالقة كما قيل قيصر لملك الروم وكسرى لملك
الفرس وخاقان لملك الترك والاخشاد لملك الفراغنة وتبع لملك التبابعة فهو على
هذا بمعنى الصفة لانه يفيد فيه انه ملك العمالقة بمعنى الصفة الجارية عليه وعلى غيره وقيل
ان اسم فرعون مصعب بن الريان وقال محمد بن اسحاق هو الوليد بن مصعب
ومعنى قوله يسومونكم سوء العذاب اي يولونكم سوء العذاب يقال سامه خطة
خسف اذا اولاه ذلك ، قال الشاعر ، ان سيم خسفا وجهه تربدا
وقيل يجشمونكم سوء العذاب ، والسوم والتجشيم والتحميل نظائر يقال سامه

المتقه وجشمه اباها وحمله اباها بعنى يقال سام يسوم سوما وساومه واستام استياما وتساوما وتساوما وتسوم تسوما والسوم سومك سلعة ومنه المساومة والاستيام والسوم من سير الابل وهبوب الرياح اذا كان مستمرا في سكون يقال سامت الرياح وسامت الابل وهي تسوم سوما والسوام هي الغنم السايمة واكثر ما يقال ذلك في الابل خاصة والسايمة تسوم الكلا سوما اذا داومت رعيه والراعي يسيمها والمسيم الراعي والسوم العلامة على الجمل يقال سوم فلان فرسه اذا اعلم عليه بحريرة او شي يعرف به والسيما في الاصل يله وها وواو وهي العلامة التي يعرف بها الخير والشر في الانسان ومنه قوله سيماهم في وجوههم و تعرفهم بسيماهم وقوله يعرف المجرمون بسيماهم ويقال سيما لخير وسمت فلانا سوء العذاب من المشقة وقال ابن دريد سام الرجل ماشيته يسومها سوما اذا رعاها فا لماشية سايمة والرجل مسيم ولم يقولوا سام خرج من القياس واصل الباب الذي هو ارسال الابل في المرعى وقوله سوء العذاب واليم العذاب وشديد العذاب نظاير يقال ساءه يسوءه اسوا واساءه اساءة قال صاحب العين السوء اسم العذاب الجامع للافات والداء يقول سوت فلانا اسوءه مساءة ومسائة ويقال اردت مساءتك ومسائيتك واسات اليه في الصنع واساء فلان من السوء كقوله اهتم من الهم وسوت فلانا وسوت له وجهه ويقول لساء ما صنع والسوء والسيئة اسم الخطيئة والسوى فعلى اسم للفعلة السيئة بمنزلة الحسنى وامراة سوء قبيحة والسوءة السوء للفعلة القبيحة يقال للرجل اسوء والسوءة الفرج لقوله فبدت لهما سوآتهما والسوءة كل عمل شين يقول سوءة لفلان لعيبه لانه ليس بخير والسواة السوى المراة المخالفة و يقول في النكرة رجل سوء فاذا عرفته قلت الرجل السوء لا تضيفه ويقول عمل سوء وعمل السوء ورجل صدق ولا يقول الرجل الصدق لان الرجل ليس من الصدق وكلما ذكر ليس فهو السوء ويكنى عن البرص بالسوء كقوله بيضاء من غير سوء اي من غير برص ويقول لا خير في قول السوء ولا في قول السوء فاذا فتحت السين على ما وصفناه واذا ضممته فمعناه لا يقل سوءا واصل الباب السوء من قولك ساءه يسوءه سوءا ثم كثر حتى صار علما على الضر القبيح فقالوا اساء بين الاساءة نقيض احسن بين الحسن احسانا وقوله يذبحون ابناءهم فالذبح والنحر والشق نظاير والذبح فري

فري الاوداج يقال ذبح ذبحا واستذبح استذباحا وتذابحوا تذابحا وذبح تذبيحا واصل الذبح الشق وذبحت المسك اذا فتقت عنه فهو ذبيح ومذبوح والذبح الشي المذبوح لقوله وفديناه بذبح عظيم والذباح والذبيحة بفتح الباء وتسكينها دا يصيب الانسان في حلقه وتقول العرب حيا الله هذه الذبحة اي هذه الطلعة والذباح الشقوق في الرجل اصل به ذباح في رجله والذبح قطع نور احمر وسعد الذابح كوكب معروف من منازل القمر قال صاحب العين الذبح قطع الحلقوم من باطن وموضعه المذبح والمذبح السكين الذي يذبح به الذباح والذباح نبات من الشجر قال الاعشى انما قولك صاب وذبح وقال اخر كان عيني فيها الصاب مذبوح واصل الباب الشق قوله يستحيون نساءكم انما قال نساءكم وهم كانوا يستبقون الاطفال من البنات تغليبا لانهم كانوا يستبقون الصغار والكبار كما يقال اقبل الرجال وان كان معهم صبيان وقيل ان اسم النساء يقع على الكبار والصغار وقيل انهم سموا بذلك على تقدير انهم يبقين حتى يصرن نساء والمراة والنساء والزوجات نظاير ولا واحد للنساء من لفظه ويقال الرجال والنساء على وجه النقيض قال صاحب العين النسوة والنسوان والنسين كل ذلك مثل النساء قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم والبلاء والاحسان والنعمة نظاير في اللغة و بلي يبلى بلاء فهو بال والبلاء لغة قال الشاعر والمرء يبليه بلاء السربال تناسخ الاهلال بعد الاهلال والبلية الناقة التي كانت تشد في الجاهلية عند قبر صاحبها راسها في الركبة حتى تموت ومنها ما يعقر عند القبر حتى تموت وناقة بلو مثل نضو قد ابلاها السفر والفعل من البلية بليت ويقول بلي الانسان وابتلي والبلاء على وجهين في الخير والشر والله تعالى يبلي العبد بلاء حسنا وبلاء سيئا وابليت فلانا عذرا اي بينت فيما بينه وبينى بما لا لوم على بعده والبلوى هي البلية والبلوى التجربة يقول بلوته بلوى واصل الباب التجربة والبلاء والامتحان الذي فيه انعام والبلاء الامتحان الذي فيه انتقام فاذا اردت الانعام قلت ابليته بلاء حسنا وفي الاختبار تقول بلوته بلاء قال الله تعالى ونبلوكم بالخير والشر فتنة وقال في الانعام وليبلي المومنين منه بلاء حسنا قال زهير جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وابلاهما خير البلاء الذي يبلو فجمع المعنيين لانه اراد وانعم عليهما خير

النعم التي يختبر بها عباده ، وقال الاحنف البلاء ثم الثناء ، يعني الانعام ثم الشكر ، وانما كان في استحياء النساء محنة عليهم وبلوى لهم لانهم كنّ يستعبدن وينكحن على الاسترقاق فهو على رجالهن اعظم من قتلهن ، وقيل انهن كن يستبقين للاذلال والاستبقاء محنة كما ان من احيى للتعذيب فحياته نقمة ومن احيي للتلذيذ فحياته نعمة ، والابناء جمع ابن والمحذوف من الابن عند الاخفش الواو لانها اثقل وهي بالحذف اولى وقال الزجاج يجوز ان يكون المحذوف ياء و واوا وهما سيان ولا حجة في البنوة كما لا حجة في الفتوة لقولهم فتيان قال وقد جاء حذف الياء كما في يد كقولهم بديت اليه يدا وفي دم ، قال الشاعر ، فلو انا على حجر ذبحنا ، جرى الدميان بالخبر اليقين والقتل الذي هو فري الاوداج او نقض بنية الحيوة يقدر الواحد منا عليه واما الموت بتسكين الحركة الحيوانية او فعل ضد الحيوة يقدر عند من قال لها ضد فلا يقدر عليه غير الله وموضع يسومونكم سوء العذاب يحتمل امرين من الاعراب احدهما الاستيناف فيكون موضعه رفعا كانه قال يسومونكم من قبل ذلك سوء العذاب الثاني ان يكون موضعه نصبا على الحال من آل فرعون والعامل فيه نجيناكم ويسومونكم سوء العذاب كان بذبح الابناء واستحياء النساء ، وقيل باستعمالهم في الاعمال الشاقة ، واستحياء النساء كان بان يستبقين وقيل انه كان يفتش احياء النساء عما يلدن ، وقيل انهم كانوا يستحيون ان يلجوا على النساء في بيوتهن اذا انفردن عن الرجال صيانة لهن فعلى هذا يكون انعاما عليهن و هذا البعيد من اقوال المفسرين ، والسبب في ان فرعون كان يذبح الابناء ويستحيي النساء ما ذكره السدي وغيره ان فرعون راى في منامه نارا اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فاحرقت القبط وتركت بني اسرائيل واخربت بيوت مصر فدعى السحرة والكهنة والقافة فسالهم عن رؤياه فقالوا يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو اسرائيل منه يعنون بيت المقدس رجل يكون على يده هلاك مصر فامر بني اسرائيل الا يولد لهم غلام الا ذبحوه ولا جارية الا تركت وليس في الاية دلالة على ان المكره يسقط القود عنه بقتل غيره مكرها ولا القود على المكره ولا ان كانوا مختارين غير مكرهين فالقود عليه انه لم يجر لذلك ذكر ، فان قيل اذا كانوا يجوز ان يكون الذي هو العاصي والله خلق معصيته قيل لا يجب ذلك الا ترى انه يقال قد يجبي زيد

زيد فالجنوا وان لم يكن فعل بلا خلاف وكذلك اذا استنقذنا النبي صلى الله عليه واله من الضلالة فخلصنا لا يجب ان يكون من فعل فعلنا ، واخبار الله اليهود بهذه القصة على لسان رسوله من دلائل نبوته لان منشاه معروف وبعده عن مخالطة الكتابيين معلوم ، قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون صلاة
آية موضع اذ نصب كما تقدم وهو عطف على ما مضى فكانه قال واذكروا اذ فرقنا بكم البحر وذلك من جملة نعم الله تعالى التي عددها عليهم مما فعله مع اسلافهم ومعنى فرقنا بكم البحر اي فرقنا بين المائين حتى مررتم فيه وكنتم فرقا بينهما والفرق والفصل والقطع نظائر والفرق يقتضي الجمع يقال فرق فرقا وافرق المريض فراقا وافترق الشيء افتراقا واستفرق استفراقا وفرقه تفريقا ، وتفارقوا تفارقا وتفرق تفرقا وفارقه مفارقة والفرق في افتراقا والفرق موضع المفرق من الراس في الفرق تفريق ما بين الشيئين والفرق فرجة ما بين شيئين تفرق بينهما فرقا حتى يتفرقا ويفترقا ، ويقول تفارق هولاء الصحبة اي فارق بعضهم بعضا وافترقوا وتقول مشطت الماشطة كذا وكذا فرقا اي كذا وكذا ضربا والفرق طائفة من الناس قال اعرابي لصبيان راهم ، هولاء فرق سوء والفرق الطائفة من كل شيء ومن الماء اذا انفرق بعضه عن بعض وكل طائفة من ذلك فرق ، وقوله فكان كل فرق كالطود العظيم يعني الفرق من الماء ، والفريق الطائفة من الناس والفرقة مصدر الافتراق وهو احد ما خالف فيه مصادر افتعل ، والفرقان اسم للقرآن وكل كتاب انزل الله فرق به بين الحق والباطل وهو فرقان وسمى الله تعالى التوراة فرقانا ، و قوله يوم الفرقان يوم التقى الجمعان كان يوم بدر ويوم احد فرق الله بين الحق والباطل والفرق هو الفلق والمفرق هو مكيال لاهل العراق والفرق الخوف يقول رجل فروقة وامراة فروقة ، والفعل فرق يفرق من كذا فرقا ، وقوله وقرآنا فرقناه مخفف معناه احكمناه كقوله فيها يفرق كل امر حكيم يقول مفرق ما بين الطرفين وافرق فلان من مرضه افراقا اذا برا ولا يكون الافراق الا من مرض لا يصيب الانسان الا دفعة واحدة كالجدري والحصبة ، وديك افرق اذا الفرق عرفه وتيس افرق اذا تباعد طرفا قرنيه ورجل فروقة ، وكذلك المراة مثل نسابة وعلامة ، وجاء مصدر فرق في تفرقة والفرق الذي جاء في الحديث ما اسكر الفرق فالجرعة منه حرام مكيال يعرف بالمدينة

وفرقة من الناس وجمعه فرق ء واصل الفرق الفصل بين الشيئين والفريقة حلبة تطبخ
بتمر للنفساء وغيرها ء والبحر يسمى بحرا وهو انبساطه سعته ء ويقال استبحر فلان في العلم
وتبحر لاستبحاره اذا اتسع فيه وتمكن فيه ء ويقال تبحر الراعي في رعي كثير قال امية
الصغير ء الفو نصابك في نقل تبحر ء من الاباطح واحبسها الجلدان ء وتبحر
فلان في الماء ومن ذلك البحيرة طبرية ء وهي عشرة اميال في ستة اميال وقيل هي علامة
خروج الدجال اذا يبست فلا يبقى منها قطرة ماء ء وبحرت اذن الناقة بحرا اذا اشققتها
وهي البحيرة وكانت العرب تفعل ذلك اذا نتجت عشرة ابطن فلا تركب ولا ينتفع بظهرها فنهى
الله عن ذلك ء والسايبة التي تسيب فلا ينتفع منها بظهر ولا لبن ء والوصيلة في الغنم كانت
اذا وضعت انثى تركت وان وضعت ذكرا اكله الرجال دون النساء وان ماتت الانثى
الموضوعة اشتركوا في اكلها وان ولدت مع الميتة ذكرا حيا اتصلت به كانت للرجال دون النساء
ويسمونها وصيلة ء وقد قيل غير ذلك سنذكره في موضعه ان شاء الله تعالى والباحر الاحمق
الذي ليس في جوفه اذا كلم بقي كالمبهوت ء والبحراني منسوب الى البحرين ودم بحراني وباحر اذا
كان خالص الحمرة من دم الجوف ء والعرب تسمي الملح والعذب بحرا اذا كثر ء ومنه قوله مرج البحرين
يلتقيان يعني المالح والعذب واصل الباب الاتساع ء والبحر هو المجرى الواسع الكثير الماء واما
المالح فهو الذي لا يرى حافتيه من في وسطه لعظمه وكثرة مائه قد جعله البحر بالاضافة الى
الساقية وليست البحار بالاضافة الى حدة وماجرى مجراها ء ومعنى قوله فرقنا بكم البحر اي
جعلناكم بين فرقيه تمرون في طريق يبس كما قال تعالى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا وقال
واوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ء وقال
بعضهم في معنى فرقنا البحر بين الماء وبينكم اي فصلنا بينكم وبينه وحجزنا حيث مررتم فيه
وهذا خلاف الظاهر وخلاف ما بينه في الايات الاخر التي وردت مفسرة لذلك
ومبينة لما ليس فيه اختلاف ء وقوله واغرقنا ال فرعون قال صاحب العين الغرق
الرسوب في الماء ويشبه به الدين والبلوى والتغريق والتغويص والتغييب نظاير والنجاة ضد
الغرق كما انها ضد الهلاك يقال غرق غرقا واغرق في الامر اغراقا وغرقه تغريقا وتغرق
تغرقا ورجل غرق وغريق واغرقت النبل واغرقته اذا بلغت به غاية المد في النفوس
والفرس اذا خالط ثم سبقها يقال اغرقها والغرقة من اللبن القليل ء قال ابن دريد

دريد غرق تغرق غرقا في الماء وغرق في الطلب والمال واصله في الماء وكثر فاستعمل في غيره
كذلك غرق في الذنوب واغرق في الامر يغرق اغراقا اذا جاوز الحد فيه واصله من نزع
السهم حتى تخرجه من كبد القوس واغرورقت عيناه شرقت بدمعها وجمع غريق غرقى
واصل الباب الغرق الرسوب في الماء ء وقوله تعالى وانتم تنظرون قال المفسرون وانتم
ترون ذلك وتعاينونه ء والنظر والبصر والرؤية نظاير في اللغة يقال نظر ينظر نظرا
وانتظر ينتظر انتظارا وانتظر انتظارا واستنظر استنظارا وتناظر واتناظرا وناظره
مناظرة ء قال صاحب العين نظر ينظر نظرا بتخفيف المصدر ء ويقول نظرت
الى كذا من غير ذكر العين ونظرت في الكتاب ونظرت في الامر وقول القايل النظر
الى الله تعالى ثم اليك معناه اني اتوقع فضل الله ثم فضلك ء ويقال نظرت لعلمي و
يقال نظر الدهر اليهم اي اهلكهم ء قال الشاعر ء نظر الدهر اليهم فابتهل ء
والنظر الاسم من نظر ء وقوله تعالى لا ينظر اليهم اي لا يرحمهم والمنظور من الناس
هو المرجو فضله ينعت به السيد والنظور الذي لا يغفل عن النظر الى ما اهمه
والمناظرة ان تناظر اخاك في امر تنظر انت في ذلك وينظر هو فيه كيف تاتيانه
والمنظرة موضع في راس جبل يكون فيه رقيب ينظر فيه الى العدو ويحرس اصحابه
والنظرة منظرة الرجل اذا نظرت اليه اعجبك اوساءك تقول انه لذو منظرة
بلا مخبرة ء والمنظر مصدر كالمنظر والمنظر الشيء الذي يعجب بالنظر اليه ويسر به يقول
ان فلانا لفي منظر ومسمع وفي ري ومشبع اي فيما احب النظر اليه ء والنظار يعني
انظر في الامر وناظر العين النقطة السوداء الخالصة الصافية التي في جوف سواد
العين مما يرى انسان العين والنظير نظيرك الذي هو مثلك والانثى نظيرة وجمعه
نظاير في الكلام والاشياء ء ونظرته وانظرته بمعنى واحد ويقول انظرني يا فلان اي
استمع الى قوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ء ويقول بعت فلانا فانظرته اي
انسأته والاسم النظرة ء ومنه قوله تعالى فنظرة الى ميسرة اي فانتظار واستنظره
فلان من النظر اذا هو سال والنظر يوقع امر منتظر وبفلان نظرة اي سوء هيئة
وقوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم اي انتظرونا واصل الباب كله الاقبال نحو
الشيء بوجه من الوجوه ء وقال قوم ان النظر اذا كان معه الى لا يحتمل الا الرؤية

وحملوا قوله الى ربها ناظرة على ذلك وقالوا الا يحتمل التامل وذلك غلط لانهم يقولون انما
النظر الى الله ثم اليك بمعنى الوقع فضل الله ثم فضلك ۶ وقال طريح ابن اسمعيل
واذا نظرت اليك من ملك ۶ والبحر دونك جرتني نعما ۶ وقال
جميل بن معمر ۶ اني اليك لما وعدت لناظر ۶ نظر الفقير الى الغني الموسر
وقال اخر ۶ وجوه يوم بدر ناظرات ۶ الى الرحمن تاتي بالفلاح ۶ و
انوا بالى على معنى نظر الانتظار والصحيح ان النظر لا يفيد الرويه وانما حقيقته تحديق
الجارحه الصحيحه نحو المرئي طلبا لرويته ولو افاد الرويه لما جعل غاية لنفسه الا تراهم
يقولون ما زلت انظر اليه ولا يقولون ما زلت اراه حتى رايته ولانهم يثبتون النظر
وينفون الرؤيه يقولون نظرت اليه فلم اره ولا يقولون رايته فلم اره فاذا ثبت
هذا فالاولى ان نقول ان تاويل الاية واغرقنا ال فرعون وانتم مقبلون عليهم و
متوقعون له ۶ وقال الفرا قد كانوا في شغل من ان ينظروا مستورين بما اكتنفهم من البحر
من ان يروا فرعون وغرقه ولكنه كقولك قد ضربت واهلك ينظرون فما اتوك
ولا اعانوك ومعناه وهم قريب بمرا ومسمع ۶ ومثله قوله الم تر الى ربك كيف مد الظل
وليس ها هنا رويه وانما هو علم لان الرؤية تستعمل في مثل ذلك يقول القايل رايت
فرعون اعتى الخلق واخبثه ۶ وهذا الذي ذكره الفرا محتمل مليح غير انه مخالف لقول
المفسرين كلهم فانهم لا يختلفون ان اصحاب موسى راوا انفراق البحر والتطام امواجه
بال فرعون حتى غرقوا فلا وجه للعدول عن الظاهر مع احتماله ۶ ولانهم اذا عاينوا
ذلك كانوا اشد في قيام الحجة واعظم في ظهور الايه ۶ وذكر الزجاج وجها اخر قال
معناه وانتم بازائهم كما يقول القايل دور ال فلان الى دور ال فلان اي هي بازائها
لانها لا تبصر ۶ وقصة فرعون مع بني اسرايل في البحر ولا نعلم جملة ما قال ابن عباس
ان الله اوحى الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون فسرى موسى ببني اسرايل البلاد
فاتبعه فرعون في الف الف حصان سوى الاناث وكان موسى في ستمايه الف فلما عاينهم
قال ان هولاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغايظون وانا لجميع حاذرون فسرى موسى
ببني اسرايل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى اوذينا
من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا ۶ هذا البحر امامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن

بمن معه ۶ قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون ۶ قال
فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر واوحى الى البحر ان اسمع لموسى واطع اذا ضربك
قال فبات البحر له افكل اي له رعدة لا يدري من اي جوانبه يضربه قال فقال يوشع لموسى عليه السلام
بماذا امرت قال امرت ان اضرب البحر قال فاضربه فضرب موسى البحر بعصاه فانفلق فكان اثنا
عشر طريقا كل طريق كالطود العظيم فكان لكل سبط منهم طريق ياخذون فيه فلما اخذوا في
الطريق قال بعضهم لبعض ما لنا لا نرى اصحابنا قالوا لموسى اصحابنا لا نراهم فقال لهم سيروا
فانهم على طريق مثل طريقكم فقالوا لا نرضى حتى نراهم فقال ان موسى قال لله تعالى اللهم
اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى الله اليه ان قل بعصاك هكذا يمينا وشمالا فصار فيها
كوى ينظر بعضهم الى بعض قال ابن عباس فساروا حتى خرجوا من البحر فلما جاز اخر قوم
موسى هجم فرعون هو واصحابه وكان فرعون على فرس ادهم ذنوب حصان فلما هجم على البحر
هاب الحصان ان يقتحم على البحر فتمثل له جبرئيل على فرس انثى وديق فلما راها الحصان تقحم
خلفها وقيل لموسى اترك البحر رهوا اي طرقا على حاله و دخل فرعون وقومه البحر فلما دخل
اخر قوم ال فرعون وجاز اخر قوم موسى انطبق البحر على فرعون وقومه فاغرقوا ويقال
نادى فرعون حين راى من سلطان الله وقدرته ما راى وعرف ذله وخذلته نفسه لا
اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين فان قيل كيف لم يسق الله بين
الخلق في هذه الايات الباهرات التي اعطيها بنوا اسرايل لتكون الحجة اظهر والشبهة
ابعد ۶ قيل الايات يظهرها الله على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك على حد لا
ينتهي الى الالجاء والاضطرار وخولف بين الايات لهم على قدر حدة اذهان غيرهم وكلالة
اذهانهم يدل على ذلك ان بعد مشاهدة هذه الايات قالوا يا موسى اجعل لنا الها
كما لهم الهة ولما كانت العرب من احد الناس اذهانا واجودهم اوهاما جاءت الايات
مشاكلة لطباعهم ومجانسة لدقة اذهانهم وفي جمع الحجة الباهرة والاية القاهرة وليس
يمكن ان يقال انه لو ظهر لهم مثل تلك الايات لامنوا لا محالة على وجه لا يكونون ملجئين
اليه لان ذلك لو كان معلوما لاظهره الله تعالى فلما لم يظهرها الله علمنا انه لم يكن ذلك معلوما
وموسى عليه السلام لم يكن محتاجا الى المعارف لمشاهدته هذه الايات لانه كان يقدم له
الايمان بالله ومعرفته وقوله واغرقنا ال فرعون وان لم يكن في ظاهره انه اغرق فرعون

فهود الى عليه وكانه قال واغرقنا ال فرعون وفرعون معهم وانتم تنظرون فاختصر لدلالة الكلام
عليه لان الغرض مبنى على اهلاك فرعون وقومه ونظيره قول القايل دخل جيش الامير البادية
فان الظاهر من ذلك ان الامير معهم قوله تعالى واذ واعدنا موسى
اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون آية
قرا وعدنا بغير الف اهل البصرة وابو جعفر هاهنا وفى الاعراف وطه وقرا الباقون بالف
قبل العين وقرا ابن كثير وحفص والبرجمى ورويس اتخذتم واخذتم وما جاء منه باظهار الدال
ووافقهم الاعشى فيما كان على وزن افتعلت وافتعلتم والباقون بالادغام حجة من قرا با
ثبات الالف دلالة الله على وعده وقبول موسى لانه اذا احسن فى مثل قوله اخلفوا الله ما وعدوه
الاخبار كان فى هذا الاخبار واوعدنا ومن قرا بالالف قال هو اشد مطابقة للمعنى اذ القبول
ليس بوعد فى حقيقة اذ الوعد انما هو اخبار الموعد بما يفعل به من خير وعلى هذا قوله اخلفوا الله
ما وعدوه مجاز حقيقة بما اجزوه انهم فاعلوه وقال جماعة من اهل العلم ان المواعدة
فى حقيقة لا تكون الا من البشر والله تعالى المنفرد بالوعد والوعيد كما قال تعالى واذ يعدكم الله
احدى الطايفتين وقال وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات والقراءتان
جميعا صحيحتان فوبتان واذ معطوفة على الايات المتقدمة كانه قال واذكروا اذ وعدنا و
بينا وجه الحسن فيه فالوعد والعدة والموعد والميعاد نظاير والوعد فى الخير والوعيد فى الشر
يقال وعده وعدا واوعده ايعادا وواعده مواعدة وتواعد واتعادا وافتعد واتعادا
وترعدوا توعدا فى الشر خاصة وقال صاحب العين الوعد والعدة مصدران ويكونان
اسمان فاما العدة فتجمع على العدات والوعد لا يجمع والوعد موضع التواعد وهو الميعاد
ويكون الوعد مصدر وعدته ويكون الموعد وقتا للحين والموعد اسم العدة والميعاد
لا يكون الا وقتا او موضعا والوعيد من التهدد تقول اوعدته المكان ويقال ايضا و
عدته من الشر كقوله النار وعدها الله الذين كفروا ووعد الفحل اذا هم ان يصول واصل الباب
الوعد الذى هو الخبر بانه سيفعل بالمخبر خيرا او شرا وقال احمد بن يحيى تقول اوعدته
وتسكت وتجى بالباء تقول اوعدته بالشر ولا يقول اوعدته الشر وموسى اسم مركب
من اسمين بالقبطية فمو هو الماء وسى شجر وسمى به لان التابوت الذى كان فيه موسى وجد
عند الماء والشجر وجده جوارى اسية امراة فرعون وقد خرجن ليغتسلن فسمى بالمكان الذى

الذى وجد فيه وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب اسرائيل الله
وقال اربعين ليلة ولم يقل يوما على عادة العرب فى التاريخ بالليالى لان الاهلة تطلع
فيها واعتمادهم على الاهلة وقال الاخفش وعدنا تمام اربعين ليلة او انقضاء اربعين
ليلة كقولك اليوم اربعون يوما مذ خرج فلان واليوم يومان اى تمام يومين وقال
غيره الاربعون كلها داخلة فى الميعاد قال ابو العالية واعدنا موسى اربعين ليلة يعنى ذى
الحجة ومثلثه حين القعدة وعشرا من ذى الحجة وقال غيره ذو الحجة وعشرا من
اربعين ليلة المحرم وذلك حين خلف موسى اصحابه واستخلف عليهم هرون فمكث على
الطور اربعين ليلة وانزل عليه التوراة فى الالواح وعن الربيع الخ وقال
الطبرى لا يجوز ما قاله الاخفش لانه خلاف ظاهر التلاوة وما جاءت به الرواية
قال الرمانى هذا اغلط الظاهر ان الوعد لا يتصل وقوعه فى الاربعين كلها اذ كان الوعد
هو الاخبار الموعود بما فيه النفع فلم يكن ذلك الخبر فى طول تلك المدة فلا بد على ذلك ان
يكون التقدير على ما قاله الاخفش او على وعدناه اقامة اربعين ليلة للمناجاة او غيبة
اربعين ليلة عن قومه للمناجاة وما اشبه ذلك من التقدير قال ابو على لا يخلو ان يكون
اربعين ظرفا او مفعولا ثانيا ولا يجوز ان يكون ظرفا لان الوعد ليس فيها كلها فيكون الجواب
لم ولا فى بعضها فيكون جوابا لمتى فاذا لم تكن ظرفا كان منتصبا بوقوعه موقع المفعول الثانى
فيكون تقديره وعدنا موسى انقضاء اربعين ليلة او تتمة اربعين ليلة فحذف المضاف
كما تقول اليوم خمسة عشر من الشهر او تمامه والاربعة عدد تزيد على الثلثة وتنقص عن
الخمسة يقال ربع يربع ربعا وربع تربيعا وتربع تربعا وارتبع ارتباعا تقول ربعت
القوم واتارا البهم والرابع من الورد وهو ان تحبس الابل عن الماء اربعة ايام ثم ترد يوم الخامس
وربعت الوتر الحجر بيدى ربعا اذا رفعته عن الارض بيدك وارتبعت الحجر كذلك
وربعت الوتر اذا جعلته اربع طاقات وتقول اربع على ظلعك واربع على نفسك واربع
عليك كل ذلك واحد يعنى انتظر والربع المنزل والموطن والربع الفصيل الذى ينتج
فى الربيع وما ينتج بالصيف يقال له هبع وفى المثل ما قاله هبع ولا ربع ورجل ربعة
ومربوع ليس بطويل ولا قصير والربعة الحونة والمرباع كانت العرب اذا غزت اخذ رئيس
القوم ربع الغنيمة والباقى بينهم واول الاسنان الثنايا ثم الرباعيات وهى اربعة ثنتان

من يحت والواحد رباعية واربع الفرس اذا القى رباعية من السنة الاخرى والجمع الربع والربعة هى البيضة من السلاح يقال ربعت الارض فهى مربوعة من الربيع وارتبع القوم اذا اصابوا ربيعًا ى و حمر ربع ما لم يوم الرابع والمربعة خشبة تشال بها الاحمال وتوضع على الابل ى والربع الباهر ورجل مربوع وربع اذا اخذته حمى الربع والربع حظ من الما للارض ربع يوم اوربع ليلة يقال لفلان فى الماء ربيع وربع المال جزء من اربعة ويقال له ربيع ولم يتجاوز العرب فى هذا المعنى الثمن وقال بعضهم التسع والعشر والاول اظهر ى واصل الباب الاربعة من العدد والاربعة تجرى تارة على نفس العدد واخرى على المعدود فاذا اجريته على العدد قلت اربعة اثواب واذا اجريته على المعدود قلت اثواب اربعة وليلة وعشية ومساء نظاير ى ويقال يوم وليلة على طريق النقيض ى قال صاحب العين الليل ضد النهار والليل ظلام الليل والنهار الضياء فاذا افردت احدهما من الاخر قلت ليلة ويوم تصغيرها لييلة اخرجوا الياء الاخيرة من مخرجها فى الكتاب تقول بعضهم انما كان بناوها ليلاه فقصر يقولون هذه ليلة ليلاء اذا اشتدت ظلمتها ى قال الكميت ى ولبلهم الاليل ى هذه الضرورة الشعر وفى الكلام ليلاء ى والليلة الوقت من غروب الشمس الى طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس ى قال ابو زيد اتخذنا مالا فنحن نتخذه اتخاذًا واتخذت اتخذ تخذا ى قال ابو على اتخذ افتعل ومنه تخذت قال الله تعالى لو شئت لاتخذت عليه اجرا وتخذت لا يتعدى الا الى مفعول واحد واتخذت تارة تتعدى الى مفعول واحد وتارة الى مفعولين فتعديه الى مفعول واحد مثل قوله يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ومثل قوله واتخذوا من دون الله آلهة ى وتعديه الى مفعولين مثل قوله اتخذوا ايمانهم جنة وقوله لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقوله واتخذتموهم سخريا ى ومن ادغم فلقرب مخرج الذال من مخرج التاء ومن لم يدغم فلان مخرجهما متغاير ى والعجل والثور والبقرة نظاير الا ان العجل هو البقرة الصغيرة ويقال عجل وعجول واشتقاقه من عجل العجل فى عجلة واعجله اعجالا واستعجل استعجالا وتعجل تعجلا وعجل تعجيلا وعاجله معاجلة و تعاجلوا تعاجلا ورجل عجل وعجل لغتان ويقول استعجلت فلانا اى حثثته واعجلت فلانا اعجله اعجالا وتعجلت خراجه اى كلفته ان يعجله ورجل عجلان وامراة عجلى وقوم عجالى ونسوة عجال والعجال الابل والعجل عجل الثيران والواحدة عجلة والجمع على الاعجال والعجالة ما تعجلت من شىء والعجالة طعام الراكب الذى لا يحبسه طبخه ويقال هو تمر

تمر ولبن والعجلة الاداوة الصغيرة وهى المطهرة والجمع العجال والعاجلة نقيض الاجلة يعنى الدنيا و الاخرة والعاجل نقيض الاجل عام فى كل شىء يقول عاجل واجل ى والعجل ولد البقرة وجمعه عجاجيل ويقال عجول والانثى عجولة ى وقوله خلق الانسان من عجل يقال ان ادم عليه السلام حين بلغ الروح منه الى الركبتين هم بالنهوض قبل ان تبلغ القدمين فقال الله تعالى خلق الانسان من عجل واورثنا ادم عليه السلام العجلة والعجل الطين من غير الخليل والعجل خشب يؤلف شبه المحفة يحمل عليه الاثقال وجمعه العجال وصاحبه عجال ى واصل الباب العجل الذى هو الاسراع والعجلة والسرعة والخفة نظاير ى ونقيض العجلة التانى ونقيض السرعة الابطاء ولعد نقيض قبل يقول كان هذا بعد هذا ى وتقول بعد بعدا وابعده الله ابعادا وتباعد تباعدا وباعده مباعدة واستبعده استبعادا وبعده تبعيدا وتبعد تبعدا ى قال صاحب العين بعد لما يكون على اثر الشىء اذا كان قد مضى فاذا افردوا قالوا هو من بعد كقوله تعالى ى لله الامر من قبل ومن بعد ويقول بعدا وسحقا ى ويقرا باعد بين اسفارنا وبعد بمعنى واحد ى والابعد نقيض الاقرب والجمع اباعد واقارب ويقرا العدت ثمود وبعدت ثمود ومعناهما واحد الا انهم يقولون بعد الرجل وابعده الله والبعد من اللعن يقول ابعده الله اى لا يرثى له مما نزل به ى قال ابن دريد البعد ضد القرب وبعد ضد قبل وسمع ابو زيد العرب يقول فلان غير بعيد وغير بعد ى واصل الباب البعد نقيض القرب ى ومعنى قوله ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون اى اتخذتموه الها لان بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين لان فعل ذلك ليس بمحظور وانما هو مكروه وما روى عن النبى صلى الله عليه واله انه لعن المصورين معناه من شبه الله بخلقه او اعتقد فيه انه صورة فلذلك قدر الحذف فى الاية كانه قال اتخذتموه الها وذلك انهم عبدوا العجل بعد موسى لما قال لهم السامرى كان رجلا من اهل باكرم هذا الهكم واله موسى فنسى اى ترك الهه ومضى ناسيا ى وقيل بل معنى فنسى اى فترك ما يجب عليه من عبادة الله وكان سبب عبادتهم العجل ما ذكره ابن عباس ان السامرى كان رجلا من اهل باكرم وكان من قوم يعبدون العجل البقر وكان حب عبادة البقر فى نفسه وكان قد اظهر الاسلام فى بنى اسرائيل فلما قصد موسى الى ربه خلف هرون فى بنى اسرائيل قال لهم هرون انكم تحملتم اوزارا من زينة آل فرعون وامتعة وحلى

فتطهروا منها فانها نجس واوقد لهم نارا ء وقال لهم اقذفوا ما كان معكم فيها فجعلوا ياتون بما
كان معهم من تلك الامتعه وذلك الحلي فيقذفون به فيها حتى اذا انكسر الحلي وراى السامري
اثر فرس جبريل فاخذ ترابا من اثر حافره ثم اقبل الى النار فقال لهرون يا نبي الله القي ما في يدي
قال نعم ولم يظن هرون الا انه كبعض ما جاء به غيره من الحلي والامتعه فقذفه فيها وقال كن عجلا
جسدا له خوار وكان البلاء والفتنه ء وقال هذا الهكم واله موسى فعكفوا عليه واحبوه
حبا لم يحبوا مثله قط وسمي العجل عجلا ماخوذ من التعجيل لان قصر المدة كالعجل في الشي ء
وقال ابو العاليه انما سمي العجل لانه كان لحما ودما ء وقال غيره لا يجوز لان ذلك من معجزات
الانبياء ومن وافق عجلا لانهم عجلوا فاتخذوه قبل ان ياتيهم موسى ء وقال الحسن
صار العجل لحما ودما ء وقال غيره لا يجوز لان ذلك من معجزات الانبياء ومن وافق الحسن
قال ان القبضه من اثر الملك كان الله قد اجرى العادة بانها اذا طرحت على اي صورة
كانت حييت فليس ذلك بمعجزة اذ سبيل السامري فيه وسبيل غيره سواء ومن لم يجز
انقلابه حيا فاول الخوار على ان السامري جعل فيه خروقا فدخلها الرياح فحدث فيه صوت
كالخوار وانما قال وانتم ظالمون يعني ظالمي انفسهم اذا دخلوا عليها الضرر بما يستحقون على
عبادته من العقوبه والظلم وقد يكون للنفس وقد يكون للغير ء وانما وصفوا بانهم اتخذوا
العجل الها وهي صفة ذم لهم بما لم يفعلوا لرضاهم بما كان عليه اسلافهم وسلوكهم طرايقهم
في المخالفة لامر الله والذم على الحقيقة على افعالهم فان كان اللفظ على افعال اسلافهم
فاخرج اللفظ مخرج من كانهم فعلوا ذلك لسلوكهم طرايقهم في المخالفة لامر الله والذم
على الحقيقة على افعالهم فان كان اللفظ على افعال اسلافهم واجرائهم تلك الطرق وعدولهم
الى المخالفة فالذم متعلق بما كان منهم في الحقيقة فان قيل هل هذا الميقات هو الميقات
في قوله وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر قيل ء قال ابو علي وابو بكر
بن الاخشاذ واسمه احمد بن علي ان هذا ذاك ء وفي الناس من قال هو غيره الاول
اظهر وانما ذكر الثلثين واتمها بعشر والاربعين قد تكمل بعشرين وعشرين لان الثلثين
اراد بها ذا القعده وذا الحجة فذكر هذا العدد لمكان الشهر ثم ذكر ما تم به العدد
اربعين ليلة وانما قال اربعين ليلة ولم يقل اربعين يوما لتضمن الليالي الايام على
قول المبرد ومعنى ذلك انه اذا ذكرت الليالي دخلت فيها الايام وليس اذا ذكرت الايام

الايام دخلت الليالي فيها ء هكذا هو الاستعمال والصحيح ان العرب كانت تراعي في حسابها
الشهور والايام والاهلة فاول الشهر الليالي ولذلك ارخت بالليالي وغلبتها على الايام ولذلك
صارت الايام تابعة لليالي والتي بذكر الليالي من الايام فيقال لعشر خلون ولم يقولوا لعشرة لانه
جرى على ما جرى على الليالي ء واتخذ قال الرماني وزنه افتعل واصله ايتخذ فقلب الياء
تاء وادغمت في التاء التي بعدها ء وقال ابو علي تخذت وليس من اخذت لان الهمزة لا تبدل
من التاء ولا تبدل الياء منها واتخذت لا يكون افتعلت من اخذت ويكون ابدلت الهمزة ياء ثم
ادغمت في التاء كما قالوا اليسر والجحر وهو من اليسر لانه لا يجوز على قول اصحابنا الاختلاف معنى
الحرفين ففايدة الاية التعجب من قولهم اذا كانوا في مقدار هذه المده اليسيره لغيبة موسى عنهم
اتخذوا العجل الها ء وادغام الدال عند التاء جايز وتركه ايضا كذلك جايز قوله
تعالى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون آية بلا
خلاف قيل في معنى ما وقع العفو عنهم بقوله ثم عفونا عنكم قولان احدهما انا تركنا معاجلتكم
بالعقوبة من بعد اتخاذكم العجل الها ء والاخر عفونا عنكم بقبول التوبة من عبادة العجل والعفو
الصفح والمغفرة والتجاوز نظاير فالمغفرة نقيض العقوبة ء ويقال عفا عفوا واعفا اعفاء واستعفى
استعفاء ومعنى تعفية وعافاه معافاة وتعفى تعفيا وتعافى تعافيا واعتفاه اعتفاء والعفو اهل
المال واطيبه والعفو المعروف والعفاة طلاب المعروف وهم المعتفون تقول اعتفيت فلانا اذا
طلبت معروفه وفضله والعافية من الطير والدواب طلاب الرزق اسم جامع لها ء ومنه
قوله عليه السلام من غرس شجرة مثمرة فما اكلت العافية منها كتب له صدقة والعافية دفاع الله
عن العبد تقول عافاه الله من مكروه وهو يعافيه معافاة والاستعفاء ان تطلب الى من كلفك
امرا ان يعفيك منه ء وعفى الشي اذا اكثر واعفيته اذا اكثرته ء قال تعالى حتى عفوا ومنه
اعفاء اللحية اكثارها وعفا درس يقال اخذ من فلان ما عفا وصفا ء والعفا التراب تقول
بفيه العفا وعليه العفا والعفا الدروس ء قال زهير ء على اثارها
ذهب العفاء ء ومنه عفت الديار والريح تعفو الديار عفاء وعفوا وتعفت الدار و
الاثر تعفيه والعفو والعِفوة والعفوة والجمع العِفو وهي الحمر الاقنا والصاباب ء والعفاء
ما كثر من الوبر والريش وناقة ذات عفاء كثيرة الوبر طويلته ء والعفو ولد الاتان الوحشيه
واصل الباب الترك ومنه قوله فمن عفي له من اخيه شي اي من ترك له ء وعفو الشي صفوه ومعنى

لعلكم في الاية لكي تشكروا وقيل معناه التعريض كانه قال عرضناكم للشكر ، وقوله من بعد ذلك و
ان كان اشارة الى الواحد فمعناه الجمع وانما كان ذلك كذلك لان ذا اسم مبهم فمرة ياتي على الاصل
ومرة ياتي على مشاكلة اللفظ اذ كان لفظ المبهم على الواحد وان كان معناه الجمع على انه قد يخاطب بلفظ
الواحد ويراد به الجمع كقوله يا ايها النبي ثم قال اذا طلقتم النساء ، وقوله من بعد ذلك اشارة
الى اتخاذهم العجل الهة وقوله لعلكم تشكرون فالشكر هو الاعتراف بالنعم مع ضرب من التعظيم
وقال الرماني الشكر هو الاظهار للنعمة والصحيح هو الاول لانه قد يظهر النعمة من لا يكون شاكرا لها
والفرق بين الشكر والمكافاة ان المكافاة من التكافؤ وهو التساوي وليس كذلك الشكر ففي مكافاة
النعمة دلالة على انه قد ساوى في حقها وقد يكون الشكر مقصرا عنها وان كان ليس على المنعم عليه اكثر
منه الا انه كلما ازداد من الشكر حسن له الازدياد وان لم يكن واجبا لان الواجب لا يكون الا متناهيا
وذلك كالشكر لنعمة الله لو استكثر منه غاية الاستكثار لم يكن لينتهي الى حد لا يجوز له الازدياد لعظم
نعم الله عز وجل وصغر شكر العبد ، ويقال شكر شكرا وشكورا وتشكر تشكرا والشكور من الدواب
ما يكفيه قليل العلف لسمنه والشكور من الحيوانات التي تصيب حظا من بقل او مرعى فيغزر
لبنها بعد قلة يقال اشكر القوم اذا نزلوا منزلا فاصابت نعمهم شيئا من بقل فدرت عليه و
انهم ليحلبون شكرة بجزم الكاف وقد شكرت الحلوبة شكرا والشكر شعر ضعيف ينبت
خلال الشيب وكذلك ما ينبت من ساق الشجر قضبان تخرج غضة بين قضبان عاسية
يقال له الشكر واشكر ضرع الناقة اذا امتلا لبنا والشكر بضع المراة واصل الباب الظهور ولا يستحق
الكافر الشكر على وجه الاجلال والانعام والكافر لا يستحق كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته
كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج اليه من غير تعظيم له ويسمى ذلك شكرا والشكر لا يستحق الا
على نعمة ، ومعنى قولنا في الله انه غفور شكور انه يجازي العبد على طاعاته من غير ان ينقصه شيئا
من حقه فجعل المجازاة على الطاعة شكرا في مجاز اللغة ولا يستحق الانسان الشكر على نفسه لانه لا
يكون منعما على نفسه كما لا يكون مقرضا لنفسه والنعمة تقتضي منعما غير المنعم عليه كما ان القرض
يقتضي مقرضا غير المقرض وقد يصح ان يحسن الى نفسه كما يصح ان يسيء اليها لان الاحسان من
المحسن فاذا فعل بها فعلا حسنا تنتفع به كان محسنا اليها بذلك الفعل واذا فعل بها
فعلا قبيحا كان مسيئا اليها والشكر متعلق في الاية لعفو الله عنهم ونعمه عليهم كانه قال
لتشكروا الله على عفوه عنكم وساير نعمه عليكم ، قوله تعالى واذا

واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون آية

قوله واذ عطف على ما مضى من التذكير بنعمه فكانه قال واذكروا اذ آتينا موسى الكتاب لان اذ اسم
للوقت الماضي واذا للوقت المستقبل وكذلك تستعمل في الجزاء لان الجزاء لا يكون الا بالمستقبل
كقولهم ان تاتني اتك ولو تشبه الجزاء من حيث انه لا بد لها من الجواب كما لا بد لحرف الجزاء من الجواب
وقوله وآتينا موسى الكتاب معناه اعطيناه ، والكتاب يريد به التوراة واما الفرقان
فقال الفراء وقطرب وتغلب يحتمل ان يكون اتى موسى كتاب التوراة ومحمد الفرقان كما
قال الشاعر ، متقلدا سيفا ورمحا ، وضعف قوم هذا الوجه لان فيه حمل القران
على المجاز من غير ضرورة مع انه تعالى اخبر انه آتى موسى الفرقان في قوله ولقد آتينا موسى وهرون
الفرقان وضياء وقال الفراء هو كلام مثنى يراد به التوراة وكرر لاختلاف اللفظين
كقولهم بعدا وسحقا وهما بمعنى واحد ، قال الرماني هذا المثال لا يشبه الاية لانه جمع
الصفتين لموصوف واحد على معنيين متفقين والاولى ان يمثل بقولهم هو العالم الكريم فجمع
الصفات لموصوف واحد على معنيين مختلفين ، وقال عدي بن زيد ، وقدمت
الاديم لراهشيه ، والفى قولها كذبا ومينا ، وقال قوم الكتاب التوراة والفرقان انفراق
البحر لبني اسرائيل والفرج الذي اتاهم كما قال يجعل لكم فرقانا اي مخرجا وقال
بعضهم الفرقان الحلال والحرام الذي ذكره في التوراة ، وروي عن ابن عباس وابي العالية
ومجاهد ان الفرقان الذي ذكره هو الكتاب الذي اتاه يفرق فيه بين الحق والباطل وقال
ابن زيد الفرقان النصر الذي فرق الله به بين موسى وفرعون كما فرق بين محمد صلى الله
عليه واله وبين المشركين كما قال يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ، وقال ابو مسلم هو ما اوتي
موسى من الايات والحجج التي فيها التفرقة بين الحق والباطل ، وقوله لعلكم تهتدون
اي لكي تهتدوا وقد بيناه فيما مضى وفيه دلالة على انه تعالى اراد ان يهتدوا لان هذه اللام
لام الغرض وذلك يفسد قول المجبرة انه اراد منهم الكفر ، فان قيل كيف يهتدون بما اوتي
موسى من البينات وما اوتي في التوراة من البرهان مع انقطاع النقل الذي يقوم به الحجة
قيل الجواب عنه من وجهين احدهما ان الخطاب لاسلافهم كما قال واذ فرقنا بكم البحر
فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون ، والثاني ان في اخبار الرسول لهم
ما يقوم به الحجة عليهم فيمكنهم ان يستدلوا بذلك على ما انعم الله به على اسلافهم ولانهم مقرون

بان موسى عليه السلام اوتى التورية بما فيها من الهدى والبينات فيقوم الحجة عليهم باقرارهم قوله
تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم
آية بلا خلاف بارئكم اسكن الهمزة فيها ابو عمرو الا المعدل وسجادة من طريق الحربي وابن مجاهد فكلهم
خففوا الهمزة فيها الا ابا طاهر عن ابن مجاهد عن اسماعيل فانه قلبها ياء التقدير واذكروا ايضا
اذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل وظلمهم اياها كان فعلهم بها ما لم يكن لهم
ان يفعلوه بما تستحق به العقاب وكذلك كل من فعل فعلا يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه
وقد بينا معنى التوبة فيما مضى واما قوله الى بارئكم فالبارئ هو الخالق الصانع يقال
برأ واستبرأ استبراء وتبرأ تبريا وبارأه مباراة وبرأه براءة وتبرئة قال صاحب العين
البرء من زهو الخلق يقول برأ الله الخلق وهو برؤهم وهو البارئ قال امية الخالق
البارئ المصور في الارحام ماء حتى يصير دما والبرء السلامة من السقم يقول برأ وبرؤ
وبرئت وبرأت وبرؤت براءة وتبرأ لغة في هذا والبراءة من العيب والمكروه لا يقال
منه الا برئ ابرأ وفاعله برئ كما ترى وفلان برئ وبراء كقولك انا براء وامراة براء ونسوة براء وبراء
على وزن فعلاء ومنه قوله انا برآء منكم جمع برئ ومن ترك الهمزة قال براء على وزن فعال
ويقول بارأت الرجل اى برئت اليه وبرئ الي مثل ذلك وبارأت المراة اى صالحتها على
المفارقة وابرأت الرجل من الضمان والدين وبراءته تبرئة ويقال ابرأ الله فلانا من المرض ابراء
حسنا والاستبراء استبراء الجارية والمراة بان لا يطأها حتى تحيض والاستبراء انقاء الفرج من
القذر واصل الباب تبرى الشئ من الشئ وهو انفصاله منه وبرأ الله الخلق اى فطرهم فانهم
انفصلوا من العدم الى الوجود والبرية الخلق فعيلة بمعنى مفعول لا يهمز كالابهم ملك وان
كان اصله من الالوكة وقيل البرية مشتقة من البراء وهو التراب فلذلك لم تهمز و
قيل انه ماخوذ من بريت العود فلذلك لم يهمز والبرء من الشئ المفارقة والمباعدة عنه
وبرئ الله من الكافر باعده عن رحمته وانواع الفعل كثيرة منها الخلق والانشاء والاختراع
والبرء والفطر فاما الاحداث والايجاد والتكوين فكالفعل والجعل اعم من الفعل لانه لما
وجد بعد ان لم يكن كقولك جعلت الطين خزفا فلم يحدث الخزف في الحقيقة وانما احدث
ما صار خزفا وقوله فاقتلوا انفسكم القتل والذبح والموت نظائر وبينها فرق فالقتل نقض بنيه

بنية الحيوة والذبح فرى الاوداج والموت عند من اثبته معنى عرض يضاد الحيوة يقال قتل يقتل
قتلا واقتتلوا اقتتالا وتقاتلوا تقاتلا واستقتل استقتالا وقتل تقتيلا وقاتله مقاتلة
وقوله تعالى قاتلهم الله معناه لعنهم الله وقوم اقتال اى هم اهل الوتر والترة اى هم اعداء
وتراة ويقول تقتلت الجارية للفتى يصف به العشق وقال الشاعر
تقتلت لي حتى اذا ما قتلتني تنسكت ما هذا بفعل النواسك واقتتل
فلان فلانا اذا عرضه للقتل والمقتل من الدواب الذى قد ذل ومرن على العمل و
قلب مقتل اى قتل عشقا ومنه قول امرئ القيس في اعشار قلب مقتل و
قال ابن دريد قتلت الخمر بالماء اذا مزجتها قال الشاعر ان التى
ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل وتقتل الرجل لحاجته اى
ياتيها ويقتل الرجل للمراة اذا خضع لها في كلامه وقتل الرجل عدوه والجمع اقتال و
فلان قتل فلان اى نظيره وابن عمه وقتله قتلة سوء واقتتلوا يعنى تقاتلوا ومثله
قتلوا قال ابو النجم تدافع الشيب ولم يقتل وناقة ذات قتال وذات
كهال اذا كانت غليظة وشقة الخلق والمثل قتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها
ومقاتل الانسان هى التى اذا اصيبت قتلت واصل الباب القتل وهو نقض البنية التى
يصح معها الحيوة وقال المبرد واصله اماتة الحركة وقوله قاتلهم الله انى يؤفكون
اى قد حلوا محل من يقال له هذا القول اى انزل الله بهم القتل ويقول قتله علما اذا
ايقنه وحققه وقوله فاقتلوا انفسكم قيل في معناه قولان احدهما يقتل بعضكم بعضا
ذهب اليه ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وغيرهم من اهل العلم كما يقول
القائل قتل ال فلان اذا قتل بعضهم بعضا والثانى ذكره ابن عباس وابو اسحق واختاره ابو
على وهو ان يستسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لانفسهم على وجه التوسع و
قيل ان السبعين الذين اختارهم موسى للميقات امروا بالقتل لمن سال الرؤية من بنى
اسرائيل وقيل انهم قتلوا انفسهم كما امروا عمدوا الى الخناجر وجعل بعضهم يطعن
بعضا قال ابن عباس وغيره من اهل العلم ويقال غشيهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم
يقتل بعضا ثم انجلت الظلمة فاجلوا عن سبعين الف قتيل والسبب الذى لاجله
امروا بقتل انفسهم ذكر ابن جريح ان الله علم ان ناسا منهم علموا ان العجل باطل فلم يمنعهم

ان ينكروا الا خوف القتل فلذلك بلاهم الله ان يقتل بعضهم بعضا ٭ وقال الرماني
ولابد ان يكون الامر في القتل لطف لهم ولغيرهم كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره
فان قيل كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم وبعد القتل لا تكليف عليهم واللطف لا يكون
لطفا فيما مضى ولا فيما يقارنه قلنا اذا كان القوم كلفوا ان يقتل بعضهم بعضا وكل واحد منهم
يقصد قتل غيره ويجوز ان يبقى بعده فيكون القتل لطفا له فيما بعد ولو كان بمقدار زمان يفعل
فيه واجبا واحدا او يمتنع فيه من قبيح وذلك كما نقول في عادتنا في قتال المشركين فان الله تعالى
تعبدنا ان نقاتل حتى نقتل ونقتل ومدح على ذلك فلذلك روى اهل السير ان الذين
عبدوا العجل تعبدوا ان يقاتلوا من لم يعبده ويصبروا على ذلك حتى يقتل بعضهم بعضا وكان
القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي وانما كانت تكون شبهة لو امروا بان يقتلوا نفوسهم
بالجراح التى تفضي الى الموت بايديهم ولو صح ذلك لكان لا يمتنع بان يكونوا امروا بان يفعلوا بنفوسهم
الجراح التى تفضي الى الموت وان لم تزل معها الفعل فيناف التكليف ٭ واما على القول الآخر
وهو انهم امروا بالاستسلام والقتل والصبر عليه فلا مسالة لانهم امروا القتل نفوسهم وعلى
هذا يكون قتلهم حسنا لانه لو كان قبيحا لما جاز ان يومروا بالاستسلام وكذلك نقول لا
يجوز ان يتعبد نبي او امام بان يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا بد فعله لان
في ذلك استسلاما للقبيح مع القدرة على الدفع منه وذلك لا يجوز وانما يقع قتل الانبيا
والائمة على وجه الظلم وارتفاع التمكن من الدفع مع الحرص على الدفع عنه انه لا يمتنع ان يتعبد
بالصبر على الدفاع والتحمل المشقة في ذلك وان قتله غيره ظلما والقتل وان كان قبيحا بحكم
العقل فهو ما يجوز لغيره بان يصير حسنا لانه جار مجرى ساير الالام وليس يجري ذلك
مجرى الجهل والكذب الذي ليس يصير حسنا لانه جار مجرى ووجه الحسن في القتل انه
لطف على ما قلناه وكما يجوز من الله ان يميت الحي كذلك يجوز ان يامرنا باماتته ويعوضه
على ما يدخل عليه من الالام ويكون فيه لطف على ما قدمناه ٭ وقوله ذلكم اشارة
الى التوبة مع القتل لانفسهم على ما امرهم الله تعالى به بدلالة قوله فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا
انفسكم فقوله توبوا دال على التوبة فكانها مذكورة ٭ وقوله خير فالخير والنفع والفضل والحظ
نظاير وضد الخير الشر وضد النفع الضر ويقول خار الله له بخير خيرة واختار اختيارا او
استخار فلان استخارة والخبر التخبر والتخاير التخاير وخير تخييرا وخاير مخايرة ورجل

ورجل خير وامراة خيرة اي فاضلة وقوم اخيار وخيار وامراة خيرة حقيقة في جمالها وميسمها
ومنه قوله فيهن خيرات حسان وناقة خيار ورجل خيار والجمع خيار ويقول هذه وهذا وهو
خيرتي وما يختاره ويقول انت بالخيار وانت بالخيار سواء والرجل يستخير الضبع والير بوع
اذا جعل جسمه في موضع النافقاء فخرج من القاصعاء والخيرة مصدر اختار خيرة ساكنة اليا
مثل ارتاب ريبة واصل الباب الخير نقيض الشر والخير الهياه الخناره وحذفت اليا من
قوله يا قوم واثبتت في قوله يا ليت قومي لان يا الاضافة تحذف في النداء لانه موضع حذف
يحذف فيه التنوين ويحذف الاسم للترخيم فلما كانت يا الاضافة تحذف في غير النداء لزم
حذفها في النداء ٭ واما قوله يا ليت قومي يعلمون فانها تثبت لانها يا الاضافة
لا يلحقها ما يوجب حذفها كما تلحق اليا في النداء ويجوز يا قوم كسر الميم وحذف اليا
وهو اجماع القراء ويجوز بيا ساكنة ويجوز بفتح اليا وما قرى بها فاما اسكان الهمزة والذي
رواه سيبويه عن ابي عمرو اختلاس الحركة وهو اضبط من غيره والاسكان في مثل هذا يجوز في
ضرورة الشعر ٭ كقول الشاعر ٭ اذا اعوججن قلت صاحب قوم ٭ وكان
ينبغي ان يقال صاحب لانه منادى ٭ وقال امرؤ القيس ٭ فاليوم فاشرب
غير مستحقب ٭ اثما من الله ولا واغل ٭ وقد روى بعضهم صاح قوم ٭ وروى
فاليوم فاشرب وروى بعضهم فاليوم فاسقى ٭ ولا يقال في الله تعالى تايب مطلقا وانما
يقال تاب على العبد وقوله فتاب عليكم والفا تتعلق بمحذوف كانه قال ففعلتم
او فقتلتم فتاب عليكم وكان فيما بقي دلالة عليه ٭ قوله تعالى واذ قلتم يا موسى
لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون
آية بلا خلاف وهذه الاية ايضا عطف على ما تقدم كانه قال واذكروا اذ قلتم يا موسى لن
نصدق حتى نرى الله جهرة ٭ فالرؤيا والنظر والابصار نظاير في اللغة يقال راى رؤية
وراي من الراي رايا واراه الله اراءة وترآى القوم تراءيا وارتاى ارتياء وراآه مراآة
قال صاحب العين الراي راي القلب والجمع الآرا ويقول ما اضل آراءهم على
التعجب ورايهم ايضا ورايت رؤية ويقول رايته راي العين اي حيث يقع البصر عليه
ويقول من راي القلب ارتايت ونقول رايت رؤيا حسنة ٭ ويقول رايت
فلانا ذا اسمعة في الموت وزيه حسنة في اللباس والمتاع والذي يتعرض بريه كهانة او طبا

وفي بعض اللغات رايت بمعنى رايته وعلى ذلك قراءة من قرا اريت قال الشاعر
قد ريت منه عجبا من الكبر ى وتراءى القوم اذا راى بعضهم بعضا ى وتراءى لي فلان اذا تصدى
لي فاراه والرواء المنظر في البهاء والجمال يقول امراة لها رواء وبهاء وسناء اي حسنة والمراة
مثل المنظرة والمنظر والمراة التي ينظر فيها وجمعها مراءى ومن حول الهمزة قال مرايا يقول
مرات المراة اذا نظرت وجهها ى وفي الحديث لا يترايا احدكم لنا اي لا ينظر اليه والجدون
الهمزة في كل كلمة تشتق من رايت اذا كانت الراء ساكنة يقول كذا واريته فلانا فانا
مري بمراى وهو بمراى بحذف الهمزة ى واشبوها في موضعين في قولهم رايته فهو مري
واريت الناقة والشاة اذا يريد ضرعها انها قد افرهت وانزلت وهي مري والحذف
فيه ايضا صواب وتقول من الظن رايت ان فلانا اخوك ومنهم من يحذف الهمزة يقول
رايت بالمراة والمرئيه مكسورة الراء ممدودة مهموزة ما ترى المراة من الحيض صفرة او بياضا قبلا بعد
واما البصر بالعين فهو الرؤية الان تقول نظرت اليه راي العين فيه وتقول ما رايته الا مرة
واحدة وتقول للذي يريك الشيء مري والمراة مريه بلا همز وتقول رايت فلانا برئية و
للمراة التي تنظر فيها والري ما رايت القوم في حسن الشارة والهيئة ى قال جرير
وكل قوم لهم ري ومخبرة ى وليس في تغلب ري ولا خبر ى واصل الباب الرؤية
بالعين وشبه الرؤية بالقلب بمعنى العلم والراي يرى حال صلاح ويظن خلافها
والمرية لانها بمنزلة الالة للقلب يرى بها والجهرة والعلانية والمعاينة نظاير يقول
جهر جهرا وجاهر مجاهرة وجهارا والجاهر والمجاهر او رجل جهير الصوت ى قال
صاحب العين جهر فلان بكلامه وهو يجهر بقراءته جهارا واجهر بقراءته اجهارا او جاهرهم
بالامر جهارا اي عالنهم به اعلانا واجتهر القوم فلانا جهارا اذا نظروا اليه وكل شيء بدو
فقد جهر ورجل جهير اذا كان في المنظر وجسيم في الناس مجهرا وكلام جهير وصوت
جهير اي عال والفعل منه جهر جهارة والجهر هو الجري المتقدم والجهوري هو الصوت
العالي والجوهر كل حجارة يستخرج منها شيء ينتفع به وجوهر كل شيء ما خلقت عليه جبلته
والشاة الجهر التي لا تبصر في الشمس والكبش اجهر ى وقال بعضهم جهرت البير اذا
اخرجت ما فيها من الحماة والماء وبير مجهورة ى والجهر ضد السر وجهرني الرجل اذا راعني
على جاله وهيئته ورجل جهير ذو رواء واصل الباب الظهور والجهر يقتضي ظاهر العدان

امر ومن فلما علم من راي قال الراي مثل بالقول ان اسريت واستراية بالرؤية

قال ابن عباس

وقال اخرون للذين يكفروا عما اجازة الرؤية التي تقتضي التشبيه كفر ى

ان يكون خافيا اليدرك ما لم يكن قبل مدركا ى ويستدل بالجهر على انهم ارادوا الرؤية العين دون
رؤية القلب ى وحقيقة الجهرة ظهور الشيء المعاينة ى والفرق بين الجهر والمعاينة ان المعاينة
ترجع الى حال المدرك والجهرة ترجع الى حال المدرك ى ومعنى قوله حتى نرى الله جهرة كالرؤية
في علانية وقال قتادة عيانا وقد تكون الرؤية غير جهرة كالرؤية في النوم والرؤية
بالقلب فاذا قال جهرة لم يكن الا رؤية العين على التحقيق دون التخيل ى وسؤالهم الرؤية قال
قوم هو كفر لان اجازة الرؤية كفر فاما هذا القول منهم فكفر اجماعا لانه رد على الرسول وكل من
يلقى قول الرسول بالرد من المكلفين كان كافرا ى واما الصاعقة فانها تكون على ثلاثة اوجه اولها
الموت كقوله فصعق من في السموات ومن في الارض ى وقوله فاخذتكم الصاعقة ى الثاني
العذاب كقوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ى والثالث
نار تسقط من السماء كقوله ويرسل الصواعق واكثر المفسرين على ان موسى لم يمت بالصاعقة
كما مات من سال الرؤية ى وقال شاذ منهم انه مات بالصاعقة وقوله وخر موسى صعقا
اي مغشيا عليه عند اكثر المفسرين بدلالة قوله فلما افاق ى والافاقة لا تكون الا من
الغشية دون الموت ولو كان من الموت لكان قد قال فلما احيي ى وقوله جهرة
مشتق من جهرة الركية اجهرها جهرا وجهرة اذا كان ماؤها قد غطاه الطين فنقيت
حتى ظهر الماء ى وقيل اخذ من قولهم فلان تجاهر بالمعاصي اذا كان لا يسترها وانما فزعوا
بسؤال اسلافهم الرؤية من حيث انهم سلكوا طريقهم والمخالفة للشيء الذي لزمهم اتباعه
والتصديق لجميع ما اتى به فجروا على عادة اسلافهم في ذلك الذين كانوا يسالون تارة ان
يجعل لهم الها غير الله ومرة يعبدون العجل من دون الله ومرة يقولون لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة ومرة يقولون اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وقال
الزجاج في هذه الاية دلالة على مشركي العرب الذين كانوا ينكرون البعث لان اهل
الكتاب مع مخالفتهم الرسول يقرون بان الله امات قوما في الدنيا ثم احياهم واعتدنا
ان نقل اهل الكتاب لمثل هذا ليس بحجة وانما الحجة في اخبار الله على لسان نبيه
وحده اذ كان كلما يخبر به فهو حق وصدق واستدل البلخي بهذه الاية على ان الرؤية
لا تجوز على الله تعالى قال لانها انكاهم امرين ردهم على نبيهم وتجويزهم الرؤية على ربهم
ويبين ذلك قوله تعالى فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فدل

ذلك على ان المراد انكار الامرين وهذا الايه تدل على ان قوله رب ارني انظر اليك كان سوالا لقومه لانه لاخلاف بين اهل التوراة ان موسى ما سال الرؤية الا دفعة واحدة وهي التي سالها لقومه وقوله لن نومن لك يتعلق بما اخبرهم به من صفات الله عز وجل لانهم قالوا لن نومن لك بما تخبرنا به من صفاته وما يجوز عليه حتى نراه وقيل انه لما جاءهم بالالواح وفيها التوراة قالوا لن نومن بان هذا من عند الله حتى نراه جهرة ونرى على وزن نفعل واصله نراي قال الشاعر اري عيني ما لم يرأياه كلانا عالم بالترهات فجاء به على الاصل وقال اخر الم ترما لاقيت والدهر اعصر ومن يتمل العيش يرءه ويسمع وانما دعاهم الى ان قالوا لن نومن لك حتى نرى الله شكهم وحيرتهم فيما دعاهم اليه موسى عليه السلم من توحيد الله عز وجل ولو كانوا عارفين لكان دعاهم اليه العناد لموسى ومعلوم انهم لم يكونوا معاندين له عليه السلام وفي الناس من قال ان قولهم جهرة من صفة السوال على التقديم والتاخير وليس ههنا الحكاية قال واذ قلتم جهرة لن نومن لك حتى نرى الله وقال الاكثر انها من صفة الرؤية وهو الاقوى لان ما قالوه ترك الظاهر وتقدير التقديم والتاخير وليس ههنا الى ذلك حاجة وقوله وانتم تنظرون يعني ما نزل بكم من الصاعقة والموت قوله تعالى ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون آية بلا خلاف معنى قوله بعثناكم احييناكم عند اكثر المفسرين كالحسن وقتاده وغيرهما وقال السدي بعثناكم انبياء والاول اصح لانه ظاهر الكلام فلا يجوز العدول عنه واصل البعث اثارة الشي من محله ومنه قيل بعث فلان راحلته اذا اثارها من مبركها للسير ومنه قولهم بعثت فلانا لحاجتي اذا اقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجه فيها ومن ذلك قيل ليوم القيمة يوم البعث لانه يوم تثار فيه الناس من قبورهم لموقف الحساب والبعث والارسال وكل باعث فاعل واما المبعوث والاطلاق نظائر يقال بعثت بعثا وانبعث انبعاثا وتبعثت تبعثا وبعثته من نومه فانبعث اي نبهته فانتبه ويقول ضرب البعث على الجند اذا بعثوا الى العدو وكل قوم يبعثون الى وجه او في امر فهم بعث واصل الباب البعث وهو الارسال وكل باعث فاعل واما المبعوث فقد يكون فاعلا وقد لا يكون يقال بعث الله عليهم رجلا فاقتتلهم والريح مبعوثة فقد يكون فاعلا وقد لا يكون يقال بعث الله عليهم رجلا ويقال الشهوة للشي تبعث على الطلب له فان

فان قيل هل يجوز ان يرد الله احدا الى التكليف بعد ان مات وعاين ما يضطره الى المعرفة بالله قيل في ذلك خلاف قال ابو علي لا يجوز ذلك الا على من لم يضطره الله الى معرفته وقال بعضهم يجوز التكليف في الحكمة وان اضطر الى المعرفة وقول ابي علي اقوى واعلى الرهانين قول ابي علي فان قيل لما كانت المعرفة لاجل الطاعات التي كلفها العبد كانت هي الغرض الذي يتبعه ساير الطاعات فلو ارتفع الغرض لم ترتفع التابع له كما ان الغرض في الشرايع الاستصلاح بها في الاصول التي تجب بالفعل فلو ارتفع ذلك الغرض ارتفع وجوب العمل بالشرع وكما انه لا يجوز تكليف الطاعة مع رفع التمكن مع المعرفة من غير ضرورة اليها قال ووجه القول الثاني انه لما كان الشكر على النعم يجب في الشاهد مع الضرورة الى معرفة المنعم كان الشكر للنعمة التي هي اجل من نعمة كل منعم في الشاهد اولى ان يجب مع الاضطرار الى المعرفة ولابي علي ان يقول لا يمتنع من الوجوب لكن لا يجوز التكليف لان الغرض المعرفة اذ هي اصل ما وقع التكليف به للعباد والذي اقوله ان الذي يحيى بعد الاماتة ان كان لم يخلق له المعرفة الضرورية به لم يضطر اليها فانه يمتنع تكليفه لان العلم بان الاحياء بعد الاماتة لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل وغوامض الاستدلال فليس في احيائه بعد الاماتة ما يوجب ان يكون مضطرا الى معرفته فلذلك يصح تكليفه وليس الاحياء بعد الاماتة الا كالانتباه من النوم والافاقة بعد الغشية فان ذلك لا يوجب علم الاضطرار وان فرضنا انه خلق فيه المعارف ضرورة فلا يحسن تكليفه لان حسن التكليف موقوف على ازاحة علة المكلف من فعل اللطف والاقدار وغير ذلك ومن جملة الالطاف تكليفه لانه يجيء مكلفا ولم يفعل به ما هو لطف له وذلك لا يجوز وقوله لعلكم تشكرون معناه لكي تشكروا وهذه لام الغرض وفيه دليل على فساد قول المجبرة ان الله تعالى ما اراد من الكفار الشكر لانه لو اراد كفرهم لقال لتكفروا وذلك خلاف القران ومن استدل بها على جوازها كان صحيحا الا ان من منع منه واحاله فالقران يكذبه وان استدل به على وجوب الرجعة وحصولها فلا يصح لان احياء قوم في وقت ليس بدلالة على احياء اخرين في وقت اخر بل ذلك يحتاج الى دلالة اخرى وقول من قال لا يجوز الرجعة لان ذلك معجز ودلالة على نبوة نبي وذلك لا يجوز الا في زمن نبي غير صحيح لان عندنا يجوز اظهار المعجزات على يد الايمة والصالحين وقد بينا في الاصول ومن ادعى قيام الحجة بان الخلق لا يردون الى الدنيا كما

علمنا ان لا نبي بعد نبينا مقترح مبتدع لا دليل على صحته فانا لا نخالف في ذلك وقال
البلخي لا يجوز الرجعة مع الاعلام بها لان فيها اغراء بالمعاصي من جهة الاتكال على التوبة في
الكرة الثانية ٭ قال الرماني هذا ليس بصحيح من قبل انه لو كان فيها اغراء بالمعصية لكان
في اعلام التبقية الى مدة اغراء بالمعصية وقد اعلم الله تعالى نبيه وغيره ان ابليس انه مبقيه الى يوم يبعثون
ولم يكن في ذلك اغراء بالمعصية ٭ وعندي ان الذي قاله البلخي ليس بصحيح لان من يقول بالرجعة
لا يقطع على ان الناس كلهم يرجعون فيكون في ذلك اتكال على التوبة في الرجعة فيصير اغراء فلا احد
من المكلفين الا ويجوز ان لا يرجع وان قطع على الرجعة في الجملة ويجوز ان لا يرجع فيكون في باب الزجر
واما قول الرماني ان الله تعالى اعلم اقواما من مقامهم فان ذلك لا يجوز الا فيمن هو معصوم يؤمن
من جهته الخطا كالانبيا ومن يجري مجراهم في كونهم معصومين فاما من ليس بمعصوم فلا يجوز ذلك
لانه يصير مغريا بالقبيح واما تبقية ابليس مع اعلامه ان تبقيه الى يوم القيمة ففيه جوابان احدهما
انه انما وعد قطعا بالتبقية بشرط الا يفعل القبيح ومن فعل القبيح جاز ان يعقبه ولا يكون مغريا
والثاني ان الله قد علم انه لا يريد بهذا الاعلام فعلا قبيحا الا ما كان يفعله وفي ذلك اخراجه
من باب الاغراء وقد قيل ان ابليس قد زال عنه التكليف فقد خرج عن حد التكليف وانما
مكنه الله من وسوسته لحسن تغليظا للتكليف وزيادة في مشاقهم ويجري ذلك مجرى زيادة
الشهوات انه يحسن فعلها اذ كان في خلقها تعريض للثواب الكثير الزايد قوله سبحانه وتعالى
۞ وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى كلوا ۞
۞ من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۞
آية بلا خلاف ٭ قوله وظللنا عطف على قوله ثم بعثناكم من بعد موتكم ٭ وكان التقدير ثم بعثناكم
من بعد موتكم وظللنا عليكم الغمام والظلة والغمامة والسترة نظاير في اللغة يقول ظل يظل
ظلولا واظل اظلالا واستظل استظلالا وتظلل تظللا وظلله تظليلا ٭ قال صاحب
العين يقول بات الا بالليل ونهاره فلان صايما ولا تقول العرب ظل الا لكل عمل بالنهار
كما لا يقول بات الا بالليل وربما جاء ظل في اشعارهم نادرا ومن العرب من يحذف لام
ظللت ونحوها فاما اهل الحجاز فيكسرون الظا على كسر اللام التي القيت فيقولون ظلنا وظلتم
كما قال تعالى فظلتم تفكهون والمصدر الظلول والامر فيه اظلل والظل ضد الضح ونقيضه سواد
الليل فيسمى ظلا وجمعه ظلال قال الله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا يعني

ظل يظل

يعني الليل والظل في كلام العرب هو الليل ويقول اظلتني هذه الشجرة اظلالا والمكان الظليل الدايم الظل
وقد دامت ظلاله والظلة كهيئة الصفة ٭ وقوله عذاب يوم الظلة يقال هو عذاب يوم الصفة
والظلة البرطلة والاظلال الدنو يقول قد اظلك فلان اي كانه القى عليك ظله من قربه ويقول
لا يجاوز ظل ظلك وملاعب ظله طاير يسمى بذلك والاظل باطن منسم البعير وجمعه اظلال
قال الشاعر ٭ مسكوا الوطء من اظل واظلل ٭ يعني من اظل واظل فاظهر التضعيف
لضرورة الشعر ٭ قال لبيد ٭ تنكب معر دامي الاظل ٭ اراد الخف نكب
اي منكوب نكبته الحجارة معر ساقط الشعر املس والظل كون النهار تغلب عليه الشمس
قال رؤبة كل موضع يكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظل وفي وقال ان جميعا وما سوى ذلك
يقال له ظل ولا يقال فيه في والظل الظليل الجنة قال الله تعالى وندخلهم ظلا ظليلا ٭ والظلة
الخيال الذي يرى من الجن وغيره والمظلة ايضا تتخذ من خشب وغيره يستظل به والظل النعمة
والعز كذا ذكره ابن دريد يقال فلان في ظل فلان اي في عزه واصل الباب التظليل وهو الستر والا
ظلال الدنو لدنو الساتر وحد التظليل الستر من علو والغمام السحاب والقطعة منها غمامة يقول
يوم غم وليلة غمة وامر غام ورجل مغموم ومغتم ذو غم وفلان في غمة من امره اذا لم يتهيا له والغما الشديدة
من شدايد الدهر ورجل اغم وجبهة غما كثيرة الشعر يقول منه غم يغم وكذلك في القفا قال
الشاعر ٭ فلا تنكحي ان فرق الدهر بيننا ٭ اغم القفا والوجه ليس بانزعا ٭ والغمم الغمس
وهو ان يسيل حتى يغلظ والغم ضد الفرح ٭ والغم الغطا على القلب من الغم والغمة الضيقة
تقول اللهم احسر عنا هذه الغمة اي الضيقة وغم الهلال اذا غطاه الغيم وكل شي غطيته
فقد غممته ولذلك سمي الرطب المغموم وهو الذي يوضع في جرة وهو بسر ثم يغطى حتى يرطب والغمام اشتق
من هذا لانه يغطي السما ورجل اغم وامراة غما اذا دنا قصاص الشعر من حاجبيه حتى يغطي جبهته
وكذلك هو في القفا واصل الباب الغطا يوم الغمام الذي ظلل على بني اسرائيل قال ابن عباس ومجاهد
لم يكن بالسحاب ولكنه الذي عني في قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام وهو الغمام
الذي اتت فيه الملئكة يوم بدر ولم يكن لغيرهم قال ابن عباس كان معهم في التيه وقيل هو ما ابيض
من السحاب ٭ واما المن قال ابن عباس هو المن الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر وقال
قتادة كان المن ينزل عليهم مثل الثلج وقيل هو عسل وقيل خبز مرقق وقيل هو المن بجبل و
قيل هو   وقال الزجاج جملة المن ما من الله تعالى على عباده مما لا تعب فيه ولا نصب

وروى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال الكماة من المن وماؤها شفاء للعين قال بعض اهل العلم
يعني بها انها الوسمي الذي يكون منها الكماة وهو اول مطر يجي في الخريف وقيل هو الذي يسقط على الثمام
والعشر حلو كالعسل واياه عنى الاعشى في قوله ؛ لو اطعموا المن والسلوى مكانهم ؛ ما ابصر الناس
طعاما فيهم نجعا ؛ وجعله امية بن ابي الصلت في شعره عسلا ؛ فقال
ورأى الله انهم بمضيع ؛ لا بذي مزرع ولا مثمورا ؛ فسناها عليهم غاديات ؛ وترى
منهم خلايا وعورا ؛ عسلا ناطفا وماء فراتا ؛ وحليبا ذا بهجة مرمورا ؛ الناطف
القاطر والمرمور الصافي من اللبن والمن قطع الخبز قال الله تعالى لهم اجر غير ممنون اى غير
مقطوع والمن هو الاحسان الى من لا يثيبه والاسم هو المنة ؛ والله تعالى المنان علينا الرحيم
والمنة قوة القلب يقال ضعيف المنة ويقال ليست لقلبه منة والمنون الموت وهو اسم
مونث قال ابن دريد من يمن منا اذا اعتقد منه ومن عليه يبدا اسداها
اليه اذا قرعه بها واصل الباب الاحسان فالمن الذي كان يسقط على بني اسرائيل من الله
عليهم اى احسن به اليهم ؛ واما السلوى فقال ابن عباس هو السماني ؛ وقيل هو طاير كالسماني
وواحد السلوى قال الاخفش سلوى كقولهم دفلى للواحد والجمع ؛ وقال الخليل واحده
سلواة قال الشاعر ؛ كما انتفض السلواة بلله القطر ؛ ويقال سلى فلان يسلو عن
فلان اذا تسلى عنه ؛ وفلان في سلوة من العيش اذا كان في رغد يسليه الهم والسلوان
ما من شربه ذهب غمه على ما يقال ويقال هذا مثل يضرب لمن سلا عن شي يقال سقى سلوة
وسلوانا ؛ وقال ابن دريد سلا يسلو سلوا وسلوا وسلوة والسلوانة خرزة زعموا
انهم اذا صبوا عليها الماء فسقى منها الرجل سلا ؛ واصل الباب السلو وهو زوال الهم
وكان سبب انزال المن والسلوى عليهم انه لما ابتلاهم الله تعالى بالتيه حيث قالوا لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون فامرهم بالمسير الى بيت المقدس فلما ساروا
تاهوا في قدر خمسة فراسخ او ستة فلما اصبحوا ساروا غادين فامسوا فاذا هم في مكانهم الذي
ارتحلوا منه فلم يزالوا كذلك حتى تمت اربعين سنة ففضل عليهم في تلك الحالة واحسن
اليهم وانزل عليهم المن والسلوى وكانت ريح الجنوب تحشره عليهم ؛ قال ابن جريج
كان الرجل اذا اخذ من طعام المن والسلوى زيادة على طعام يوم واحد فسد الا يوم الجمعة
فانهم اذا اخذوا طعام يومين لم يفسد ؛ وموضع كلوا النصب على وقلنا كلوا كذا قال الرماني

المشهى
الرماني وقيل في معنى الطيبات قولان احدهما انه للشي اللذيذ والثاني انه المباح الحلال الذي يستلذه
اكله ؛ وقوله وما ظلمونا انما يتصل بما قبله بتقدير محذوف فكانه قال فخالفوا ما امر الله
به او كفروا هذه النعمة وما ظلمونا ؛ قال ابن عباس وما نقصونا ولكن كانوا انفسهم ينقصون
وقال غيره معناه وما ضرونا ولكن كانوا انفسهم يضرون ؛ قال ابو علي الظلم الذي لا يستحقه
المضرور ممن قصده وليس للمضرور فيه نفع ؛ وقال الرماني حقيقة الضرر القبيح والصحيح في
حقيقة الظلم ما ذكرناه فيما مضى هو الضرر الذي لا نفع فيه يوفى عليه ولا دفع ضرر اعظم منه
عاجلا واجلا ولا يكون واقعا على وجه المدافعة ؛ فاما ما قاله الرماني فهو حد الشي بنفسه لان
السوال باق وللقايل ان يقول وما الضرر القبيح لان كونه قبيحا حكم من احكامه فلا بد من بيان
ذلك حينئذ ؛ وما ذكره ابو علي ينتقض بالالم الواقع على وجه المدافعة وبالالم الذي فيه
وجه ضرر اعظم منه عن المضرور ؛ وبالضرر الذي فيه نفع يوازيه ؛ وروي عن الصادق ع
انه قال المن كان ينزل على بني اسرائيل من بعد طلوع الفجر الثاني الى طلوع الشمس فمن نام في ذلك
الوقت لم ينزل عليه نصيبه فلذلك يكره النوم في هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس قوله
تعالى ؛ واذ قلنا ادخلوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ؛ اية بلا خلاف قرا
نافع واهل المدينة يغفر بضم الياء وفتح الفاء الباقون بفتح النون وكسر الفاء وادغم الراء في اللام
وما جاء منه واليزيدي الاسعاد وشجاع في الادغام والفتح والاية معطوفة على ما تقدم فكانه
قال واذكروا اذ قلنا ادخلوا والدخول والولوج والاقتحام نظاير والفرق بين الدخول والا
قتحام ان الاقتحام دخل على صعوبة ؛ ونقيض الدخول الخروج يقول دخل يدخل دخولا
وادخله ادخالا وتداخل تداخلا واستدخل استدخالا وداخله مداخلة ويقال في
امره دخل اى فساد دخل امره يدخل دخلا اى فسد ودخلت الدار ويقال في امره دخل
الحي وغيرها دخولا واوردت ابلي دخالا اذا اوردتها فادخلت بين كل بعيرين بعيرا
ضعيفا بعدما ابتغوا وتشرب دون ريها ؛ وفلان دخيل في بني فلان اذا كان من
غيرهم واطلعت فلانا على دخلة امري اى باطنه مكتوم والدخل طاير صغير وفلان
حسن المدخل او قبيح المدخل اى المذهب في الامور وكل لحم على عصب فهي دخلة ؛ قال
صاحب العين فلان مدخول اذا كان في عقله دخل او في حسبه وللدخول المهزول الداخل

في جوفه الهزال والدخلة بطانة الامر يقال فلان خبيث الدخلة وادخل في عاره وبدخل فيه ونحو ذلك تصف شدة الدخول ، ودخل الرجل الذي يداخله في امور كلها فهو له دخيل ودخال والدخال مداخلة المفاصل بعضها في بعض والدخولة معروفة والدخل صغار الطير امثال العصافير ماواها الغيران وبطون الاودية تحت الشجر الملتف وجمعه دخاخيل والانثى دخلة واصل الباب الدخول قال الرماني في حد الدخول الانتقال الى محيط وقد يقال دخل في الامر كما يقال دخل في الدار تشبيها ومجازا ، وقوله هذه القرية اشارة الى بيت المقدس على قول قتادة والربيع بن انس وقال السدي هي قرية بيت المقدس ، وقال ابن زيد انها اريحا قريب من بيت المقدس ، والقرية والبلدة والمدينة نظاير قال ابو العباس اصله الجمع ومنه المقراة الحوض الذي يسقى فيه الابل سمي مقراة لجمع الماء فيه والمقراة الجفنة التي يعد فيها الطعام للاضياف ، قال الشاعر ، عظام المقاري جارهم لا يفزع ، ومنه قريت الضيف ومنه ، قريت الماء في الحوض ومنه قريت الشاة يقري وشاة قاريه اذا كانت تجمع الجرة في شدقها وهو عيب عندهم شديد ، وكلما اقرى فهو مقرى مثل المرقد كلما رقدت فيه والقري المسيل الذي يجل الماء الى الروضة وجمعه قريان كقضيب وقضبان قال الشاعر ماء قرى مده قري ، قال ابن دريد قريت الضيف اقريه قرى وقريت الماء في الحوض اقريه قريا وقرى البعير جرته في شدقه قريا والقرية اشتقاقها من قرى البعير جرته اي جمعها والجمع قرى على غير قياس ، وقال قوم من اهل اليمن قرية ، وقال صاحب العين القرية والقرية لغتان يقول ما زلت استقري هذه الارض قرية قرية الكسر لغة يمانية ومن هناك اجتمعوا على جمعها على القرى حيث اختلفوا في تحلوها على لغة من قال كسوة وكسوة والنسبة اليها قروي ، وام القرى مكة وقوله وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا انما يعني بها الكور والامصار والمداين والقرى الظهر من كل شي حتى الاكام لو غيرها والجمع الاقراء والقرى الاحسان الى الضيف يقول اقرى يقري الضيف قرى اذا اضافه ضيافة وانزله نزالة والقرى حبس الماء في الحوض والمدة يقري في الجرح اي تجتمع ، وقوله وادخلوا الباب اي الباب الذي امروا بدخولها قال مجاهد والسدي هو باب حطة من بيت المقدس وهو الباب الثامن ، وقيل باب القبة التي كان يصلي اليها موسى ، وقال قوم باب القرية التي امروا بدخولها انال

قال ابو علي قول من قال انه باب القبة اقوى من قول من قال انه باب القرية لانه لم يدخلوا القرية في حياة موسى لانه قال فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم والعطف بالفاء يدل على ان هذا التبديل منهم كان في اثر الامر فدل ذلك على انه كان في حياة موسى ومعنى قوله سجدا قال ابن عباس ركعا وهو شدة الانحناء ومنه السجد من النساء الفاترات الاعين قال الاعشى ، ولهوى الحور المدامع سجد ، وقال الاخر ، ترى الاكم فيها سجدا للحوافر ، وقال غيره ادخلوا خاضعين متواضعين ، قال اعشى قيس ، تراوح من صلوات الملوك ، طورا سجودا وطورا جوارا ، وقوله حطة قال الحسن وقتاده واكثر اهل العلم معناه حط عنا خطايانا ، وروي عن ابن عباس انه قال امروا ان يستغفروا ، وروي عنه ايضا انه قال امروا ان يقولوا لا اله الا الله وكل هذه الاقوال تحط الذنوب فرجم لحطه عنها ، وحطه مصدر مثل رده وحده من رددت وحددت ، قال صاحب العين الحط وضع الاحمال عن الدواب يقول حططت عنها احط حطا والحط الحطاطا والحطام الموضع والخفض نظاير والحط الحدر من العلو كقول امرئ القيس كجلمود صخر حطه السيل من عل ، ويقال للنجيبة السريعة حطت في سيرها ، وانحطت ونقول حط الله وزرك الذي انقض ظهرك ، وقال الشاعر ، واحطط الى هي يفضل منك او زاري والحطاطة بثرة تخرج في الوجه تقبح اللون ولا تفرح وجارية محطوطة المتنين ممدودة حسنة والحط حط الاديم بالمحط وهي خشبة يصقل بها الاديم على قول الزجاج على تقدير مسالتنا حطة او نيفش واصل الباب الحط وهو الحدر من علو وارتفعت حطة في الاية على قول الزجاج على تقدير مسالتنا حطة ، وقال غيره دخولنا الباب سجدا حطة لذنوبنا كقوله واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة يعني موعظتنا معذرة الى ربكم ، والنصب يجوز في العربية على معنى حط عنا ذنوبنا حطة كقولك سمعا وطاعة يعني اسمع سمعا واطيع طاعة وكقولك معاذ الله يعني نعوذ بالله وهو حطة اقوى لانه دعاء ، وقوله نغفر لكم والغفران والعفو والصفح نظاير يقال غفر الله له غفرانا واستغفر استغفارا واغتفر اغتفارا قال ابو العباس غفر الله لزيد يعني ستر عليه على ذنوبه والغفر انما هو التغطية يقال للسحابة فوق السحاب الغفارة وثوب ذو غفر اذا كان له وبر يستر قبحه ويقال الغفر

لبعظم العنق ويقال غفرت الشيء اذا واريته والغفيرة والمغفرة بمعنى والعفر منزل من منازل القمر
بس لحسابه ى وقال الزجاج الغفر التغطية وكلما تفرع من هذا الباب فهذا معناه ى و
قولهم اللهم اغفر لنا تاويله اللهم غط علينا ذنوبنا والله الغفور والغفار والمغفر ما يغطى به الراس
من الحديد وغيره وكذلك الغفارة وهي خرقة تلف على سية القوس اى طرفها ى وغفارة اسم راس
جبل والغفور والمغفار صمغ العرفط وقد اغفر الشجر اذا ظهر ذلك فيه ى وفى الحديث ان النبى
صلى الله عليه واله دخل على عايشة فقالت يا رسول الله اكلت مغافير تعنى هذا الصمغ ى ومنهم
من يقول مغاثير كما قيل جدث وجدف ى والغفر شعر صغار دون الكبار ودقيق دون الريش
الكبار لانه هو الذى يغطى الجلد والغفر النكس من المرض يقال صلح فلان من مرضه ثم غفر اى نكس
ومنه قول ضرار وقيل انه لجميل ى خليلى ان الدار غفر لذى الهوى ى كما يغفر المحموم او صاحب الكلم
ومعناه ان المحب اذا اسلا عن حبيبه ثم راى داره جدد عليه حبه فكانه مريض نكس وانما قيل
النكس لانه يغطى على العافية والغفر شعر يكون فى اللحيين وقد غفر فلان وقد غفرت المراة اذا انبتت
لها ذلك الشعر ومنابت النبت يقال له الغفر لانه يغطى على الخلل والغفر الجوالق ويقال جاوا
جما الغفير وجاوا جما غفيرا وجاوا جما الغفير اى مجتمعين جمعا يغطى الارض والغفر ولد الاروى
وهى انثى الوعل لانها تاوى الجبال فتستتر عن الناس يقال لانثى الوعل اذا كان معها ولدها
مغفر كما يقال لكل ذات طفل مطفل ى ويقال غفرت الامر تغفره اذا اصلحته بما ينبغى
ان يصلح به والمعنى اصلحته بما غطى على جميع فساده والغفر زئبر الثوب وثوب ذو غفر وغفرت
المتاع اذا جعلته فى وعاء وكل شيء غطيته فقد سترته ى ويقال اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ
اى استر له واصل الباب التغطية وحد الغفر ستر الخطيئة برفع العقوبة والخطيئة والزلة
والمعصية نظاير يقال خطئ خطأ واخطأ اخطاءً واستخطأ استخطاءً وخطأه تخطئة والخطىء
الخاطئ قال ابن دريد الخطا مقصور مهموز يقال خطأ الشيء خطأ اذا لم يرده واصابه واخطأ
يخطئ اخطاءً اذا اراد فلم يصبه والاول خاطئ والثانى مخطئ به والخطيئة تهمز ى قال
صاحب العين الخطأ ما لم يتعمد ولكن يخطئ اخطاءً وخطأته وتخطئة واصل الباب الخطا ومثله
الزلل ى والخاطئ الذى قد زل عن الشيء فى قصده وان اتفق له ان يصيبه من غير ان يقصده
وكذلك لا يكون الخاطئ فى الدين الا عاصيا لانه لم يقصد الحق واما المخطئ فانما زل عن قصده و
كذلك يكون المخطئ من طريق الاجتهاد مصيبا لانه قصد الحق واجتهد فى اصابته وحد الخطيئة

الخطيئة العدول عن الغرض المجرد وخطايا وزنه فعايل وتقديره خطائى فقلبت الهمزة الاخيرة
على حركة ما قبلها فصار خطاءى ثم فعل به ما فعل بمدارى حتى قيل مدارى فصار خطاءا فاستثقل
همزتين الغين لانه بمنزلة ثلث الفات فقلبت الهمزة ياء واغما اعل هذا الاعلال لان الهمزة
التى بعد الالف عرضت فى جمع فعيلة القياس يقول فى جمع مرآة مراءى فلا يعل والخليل يقول
وزنه فعالى على قلب الهمزة من اختار النون من القراء قال لانه مطابق لما تقدم من قوله وظللنا
وقلنا ى وانما اتفق القراء على خطاياكم ها هنا واختلفوا فى الاعراف وسورة نوح لان التى
فى الاعراف ونوح كتبتا فى المصحف بالتاء بعد الالف ى والتى فى البقرة بالف وقوله
وسنزيد المحسنين فالزيادة التى وعدها الله المحسنين هى تفضل يعطيه الله المحسنين يستحقها
بوعده اياه وهى زيادة على الثواب الذى يستحقه بطاعته تعالى ى والفرق بين احسن اليه
واحسن فى فعله ان احسن اليه لا يكون الا بالنفع له ى واحسن فى فعله ليس كذلك الا ترى
انه لا يقال احسن الله الى اهل النار بتعذيبهم ويقال احسن فى تعذيبهم بالنار يعنى احسن
فى فعله وفى تدبيره ى والاحسان والانعام والافضال نظاير وضد الاحسان الاساءة
يقال حسن حسنا واحسن احسانا واستحسن استحسانا والحاسن الحاسنا وحسنه
تحسينا وحاسنه محاسنة والحسن وامراة كثيرة المحاسن وامراة حسناء لا يقول رجل احسن
ويقول رجل حسان وامراة حسانة وهو لحسن جيدا والمحاسن فى الاعمال ضد المساوى يقول
احسن فانك الحسان والحسنى الجنة لقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة والحسنى ضد
السوء والحسن ضد القبح والحسان جمع حسن لحقوها بضدها فقالوا قباح وحسان كما قالوا
عجاف وسمان واصل الباب الحسن وهو على ضربين حسن فى المنظر وحسن فى الفعل وكذلك
القبح وحد الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذى يدعوا اليه العقل وحد القبح الفعل الذى
يزجر عنه العقل وحد الاحسان هو النفع الحسن وحد الاساءة هو الضرر القبيح هذا لا
يصح الا على قول من يقول ان الانسان يكون محسنا الى نفسه ومسيئا اليها ومن لا يقول ذلك
يزيد فيه الواصل الى الغير مع قصده الى ذلك والاقوى فى حد الحسن ان يقول هو الفعل الذى
اذا فعله العالم به على وجه لم يستحق الذم فانه لا ينتقض بشيء وقوله وكلوا منها حيث
شئتم رغدا اى من هذه القرية حيث شئتم رغدا اى واسعا بغير حساب وقد بينا
معناه فيما مضى واختلاف الناس فيه ى قوله تعالى
فبدل

والجمع المحاسن المواضع الحسنة
فى البدن ويقال رجل [illegible]

فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فانزلنا على
الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون آية بلا خلاف

معنى قوله فبدل الذين ظلموا غيروا وقوله الذين ظلموا معناه الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله
وقوله تعالى غير الذى قيل لهم يعنى بدلك بدلوا قولا غير الذى امروا ان يقولوه فقالوا الخلاف
فذلك هو التبديل والتغيير وكان تبديلهم بالقول انهم امروا ان يقولوا حطة وان يدخلوا الباب
سجدا وطوطى لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه يزحفون على استاههم فقالوا حطة فقالوا حنطة
فى شعيرة مشهرين ، وقوله فانزلنا على الذين ظلموا يعنى الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله فى تبديلهم
بالقول والفعل رجزا والرجز فى لغة اهل الحجاز العذاب وفى لغة غيرهم الرجس لان الرجس الشر و
منه قوله عليه السلام فى الطاعون انه رجس عذب به بعض الامم وهو قول ابن عباس وقتادة
وقال ابو عبيدة الرجز والرجس لغتان مثل الردع والسدع والبزاق والبساق ، وقال
ابو العالية هو الغضب ، وقال ابو زيد هو الطاعون فقيل انه مات منهم فى ساعة
واحدة اربعة وعشرون الفا من كبرائهم وشيوخهم وبقى الابناء واستقل العلم والعبادة فيهم
وقوله من السماء قال قوم يعنى ما قضاه الله عليهم من السماء ، وقال آخرون اراد بذلك المبالغة
فى علوه بالقهر ، وقوله يفسقون مضمومة السين عليه جميع القراء وهو اشهر اللغات
وقد حكى فى بعض اللغات بكسر السين ، قوله تعالى

وَاِذِ استَسقَى مُوسَى لِقَومِهِ فَقُلنَا اضرِب بِعَصَاكَ الحَجَرَ
فَانفَجَرَت مِنهُ اثنَتَا عَشرَةَ عَينًا قَد عَلِمَ كُلُّ اُنَاسٍ مَشرَبَهُم
كُلُوا وَاشرَبُوا مِن رِزقِ اللّٰهِ وَلَا تَعثَوا فِى الاَرضِ
مُفسِدِينَ آية واحدة بلا خلاف

قوله واذ متعلق بكلام محذوف والجواز ان يكون ذلك ما تقدم ذكره فى الايات المتقدمة
من ضروب نعم الله على بنى اسرائيل فكانه قال واذكروا اذ استسقى موسى لقومه اى
سالنا ان نسقى قومه ماء يقول سقيته من سقى الشفة واسقيته دللته على الماء فنزل
ذكر المسؤول ذلك والمعنى الذى سال موسى اذ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى
ما نزل وكذلك قوله فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا من ماء
نا ستغنى بدلالة الظاهر على المتروك منه لان معنى الكلام قلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت

فانفجرت منه فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر اذ كان فيما ذكر دلالة على المراد ، وكذلك قوله قد علم كل
اناس مشربهم فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه ، والانفجار والانشقاق والانبجاس اضيق منه فيكون
اولا انبجاسا ثم يصير انفجارا والعين من الاسماء المشتركة العين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان لخروج
الماء منها كخروج الدمع من عين الحيوان وقد بينا ان اناسا لا واحد له من لفظه فيما مضى وان الاناسى
لو جمع على لفظه لقيل اناسين واناسيه ، وقوم موسى هم بنو اسرائيل الذين قص الله عز وجل قصصهم
فى هذه الايات وانما استسقى لهم ربهم الماء فى الحال التى تاهوا فيها فى التيه شكوا اليه الظماء فامر بحجر
طورى من الطور ان يضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين معلومة
ماؤها لهم ، وروى عن ابن عباس انه قال ظلل عليهم الغمام فى التيه وانزل عليهم المن والسلوى
وجعل لهم ثيابا لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع وروى انه كان مثل شكل الراس
وامر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فى كل ناحية منه ثلاثة عيون ولا
يرتحلون مرحلة الا وجدوا ذلك الحجر بينهم فى ذلك المكان الذى كان بينهم فى المنزل الاول ، و
قيل انهم كانوا ينقلونه معهم فى الجوالق اذا احتاجوا الى الماء ضربه موسى بالعصى فينبع منه الماء ،
وقال قوم بانه امر بان يضرب اى حجر شاء لا حجرا بعينه والاول اظهر لان فيه لام التعريف والشين
ساكنة فى اثنتا عشرة عند جميع القراء وكان يجوز كسرها فى اللغة ولم يقرا به احد ، والكسر لغة ربيعة
وتميم والاسكان لغة اهل الحجاز واسد فاذا صغرت اثنتى عشرة قلت ثنى عشرة واذا صغرت
ثنى قلت ثنى عشرة ، وروى فتحها عن الاعمش وهو غلط الا اذا قيل عشرة مفرد فانه
يفتح الشين فاما ما زاد على ذلك فالشين ساكنة او مكسورة الا قولهم احد عشر واثنا عشر معا
، ونصب عينا على التمييز وعند الكوفيين على التفسير ولا ينبغى الوقف على احد الاسمين المجعولين
اسما واحدا دون الاخر كقولك احد عشر واثنا عشر وما اشبه ذلك ولذلك يكره الوقف
على العدد الاخر قبل ان يميز ويفسر وكذلك قوله خير ثوابا وخير مردا وملء الارض ذهبا وعدل
ذلك صياما ، وخير حافظا ، واحسن ثوابا واشباه ذلك ومن ايات الله العجيبة انفجار
العيون من حجر الصلد بعدد قبائل بنى اسرائيل وهم كانوا اثنى عشر سبطا على وجه يعرف كل فرقة
منهم شرب نفسه فلا يناز عهم فيه غيره وذلك من الامور الظاهرة على ان فاعل ذلك هو الله
تعالى وان ذلك لا يتم فيه حيلة محتال ولا كيد كائد ومن استبعد ذلك من الملحدين فالوجه
ان يشتغل معه فى الكلام فى اثبات الصانع وحدوث الصنعة واثبات صفاته وما يجوز عليه وما

لا يجوز فاذا ثبت ذلك سهل الكلام في ذلك ومتى شك في ذلك او في شي منه كان الكلام معترف
هذا الفرع ضربًا من العنا الاوجه للتشاغل به وقوله هاهنا فانفجرت وفي الاعراف
فانبجست لان الانبجاس هو الانفجار الا انه قليل ، وقيل انه لا يمتنع ان يكون اوله ما ينبجس
كان قليلا ثم صار كثيرًا حتى صار انفجارا ، وقوله كلوا واشربوا من رزق الله يعني من النعم التي
عددها عليهم من المن والسلوى وغير ذلك ، وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين اى لا تطغوا
ولا تسعوا في الارض فسادا واصل العثا شدة الفساد يقال عثا فلان في الارض اذا علاه
يعثا والجماعة يعثون وفيه لغتان اخريان احدهما يعثوا عثوا ومن قرا بهذه اللغة ينبغي
ان يضم الثا، ولم يقرا به احد ، واللغة الاولى لغة اهل الحجاز وقال بنو تميم وغيرهم عاث
يعيث عيثا، وعثوا وعثيانا يعني واحد ، قال رؤبة بن العجاج ، وعاث فينا
مستحل عايث ، مصدق او فاجر مباعث ، يعني بقوله عاث فينا افسد فينا ، وقيل
يعثوا اصله العيث فقدموا البعض الحروف واخروا بعضها يقال عثا يعثو وعاث يعيث
وهو الفساد ، قال ابن ادينة الثقفي ، نقيم ولا نعثوا ونوع واننا ، على
الناس سعايون شوس الحواجب ، وانما قال لا تعثوا في الارض مفسدين وان كان
العيث لا يكون الا فسادا لانه لا يجوز ان يكون فعلا ظاهره الفساد وباطنه المصلحة كخرق
موسى السفينة فنفى ذلك العيث الذي هو فساد ظاهرا وباطنا ، قوله تعالى
واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك
يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها
وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة
وباؤ بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون آية
بلا خلاف قرا اهل المدينة النبيين بالهمز الباقون بغير همز وترك الهمز هو الاختيار واختلفوا
في اشتقاقه فقال البعض من انبائك الامر كانه انبا عن الله واخبر عنه فترك همز ذلك لكثرة
ما يجري وقال الكسائي النبي الطريق يراد به انه علم وطريق الى الحق واصله من النبوة والنجوة اى
المكان المرتفع ومن قال هو مشتق من الانبا، قال جاء فعيل بمعنى مفعل كما قال سميع بمعنى مسمع كذلك

كذلك قالوا نبي بمعنى منبي وبصير بمعنى مبصر وابدل مكان الهمزة من النبي اليا فقالوا نبي فاذا جمع
النبي انبيا، وانما جمعوه كذلك لانهم الحقوا النبي بابدال الهمزة منه ياء فالنعوت التي تاتي على تقدير
فعيل من ذوات اليا، والواو وذلك كقولهم ولي واوليا، ووصي واوصيا، ودعي وادعيا، ولو
جمعوه على اصله والواحد نبي لفعل الهالان فعيلا يجمع فعلا كقولهم سفيه وسفها وفقيه وفقها
وشريك وشركا، وقد سمع من العرب النبا وذلك في لغة من همز النبي ومن قول العباس بن مرداس
السلمي في وصف النبي صلى الله عليه واله ومدحه ، يا خاتم الانبيا، انك مرسل ، بالحق
خير هدى الاله هداكا ، يجمع على ان واحدهم نبي مهموز وقد قال البعض النبي والنبوة غير مهموزين
لانهما ماخوذان من النبوة وهي مثل النجوة وهما ماخوذان من المكان المرتفع وكل يقول ان اصل
النبي الطريق ، قال القطامي ، لما وردت نبيا واستب لنا ، مستحفر لخطوط
النبع منحل ، قالوا وسمي الطريق نبيا لانه ظاهر مبين من النبو ، قال ابو علي الفارسي
قال ابو زيد نبات من ارض الى ارض وانا انبا نبا، ونبوا اذا خرجت منها الى اخرى وليس
اشتقاق النبي من هذا وان كان من لفظه ولكنه من النبا، الذي هو الخبر كانه المخبر عن الله
فان قلت لم لا يكون من النباوة ومما انشده ابو عثمان ، قال انشدنا ابن كيسان
محض الضريبة في البيت الذي وضعت ، فيه النباوة حلو غير ممذوق ، او تجوز فيه
الامرين ، فنقول انه يجوز ان يكون من النباوة ومن النبا كما اجزت في عضه ان يكون من الواو
كقوله وعضوات بقطع الها، ومن الها، كقوله ، لها بعضاه الارض تهزيز ، قال وليس
ذلك كالعضه لان سيبويه زعم انهم يقولون في تحقير النبي كان مسيلمة نبيوته نبيئة سو،
وكلهم يقولون نبيا مسيلمة ولو كان يحتمل الامرين جميعًا لما اجتمعوا على نبيا ولا على النبيه ، فان
قيل فلم لا يستدل بقولهم انبياء قيل ما ذكرته لا يدل على تحويز الامرين لان انبيا انما جاز لان
البدل لما الزم في نبي صار للزوم البدل له كقولهم عيد واعياد فكما ان عيدًا لا يدل على انه
من اليا لكونه من عود الشي كذلك لا يدل انبيا على انه من النباوة ولكن لما الزم البدل جعل
بمنزلة تقي واتقيا، وصفي واصفيا، فلما الزم صار كالبرية والخلية ونحو ذلك مما لزم الهمزة فيه
حرف اللين بدلا من الهمزة لما دل على انه من الهمزة وانه لا يعترض عليه بشي وصار قول من حقق
الهمزة في النبي كرد الشي الى الاصل المرفوض استعماله نحو وذر وودع فمن ثم كان التخفيف فيه
الاكثر ، فاما ما روي في الحديث من ان بعضهم قال يا نبي الله فقال لست بنبي الله ولكني

نبي الله قال ابو علي اظن ان من اهل النقل من ضعف اسناده ومما يقوي تضعيفه ان من مدح
النبي عليه السلم فقال يا خاتم النبا لم يؤثر فيه انكار عليه ولو كان في ذلك نكير لكان في
الجميع مثله ثم بينا فيما مضى ان الصبر كف النفس وحبسها عن الشي فاذا ثبت ذلك فكانه
قال واذكروا اذ قلتم يا معشر بني اسرائيل لن نطيق حبس انفسنا على طعام واحد وذلك
الطعام هو ما اخبر الله عز وجل انه اطعمهم في تيههم وهو السلوى في قول اهل التفسير وفي
قول ابن منبه الخبز النقي مع اللحم فسل ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من البقل والقثاء ما
سماه الله مع ذلك وذكر انه سالوا لموسى وكان سبب مسالتهم ذلك ما رواه قتادة
قال كان القوم في البرية وقد ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى فملوا ذلك وذكروا
عيشا كان لهم بمصر فسالوا ذلك موسى فقال الله تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وانما
قال مما تنبت الارض لان من تدخل للتبعيض ولو لم تدخل هاهنا لكانت المسالة تدخل
على جميع ما تنبته الارض فانوا بمن التي تاتي بمعنى البعض حيث قامت مقامه وفي
الناس من قال ان من هاهنا زايدة وانها تجري مجرى قولهم ما جاني من احد والصحيح
الاول لان من لا تزاد في الايجاب وانما تزاد في النفي ولان من المعلوم انهم ما ارادوا
جميع ما تنبته الارض وجرى ذلك مجرى قول القايل اصبت اليوم من الطعام عند فلان يريد
اصبت شيا منه وقوله يخرج جزم جواب الامر والبقل والقثاء معروفان وفي القثاء لغتان
ضم القاف وكسرها والكسر اجود وهي لغة القران وانما ذكر الله تعالى هذه الالفاظ وان لم يكن لا فيه فصاحة
القران على وجه الحكاية عنهم واما الفوم فقال ابن عباس وابو جعفر الباقر عليه السلم وقتادة و
السدي انه الحنطة وانشد ابن عباس قول احيحة بن الجلاح قد
كنت اغنى الناس شخصا واحدا ورد المدينة عن زراعة فوم وقال الفرا والجبائي
والازهري هو الحنطة والخبز تقول العرب فوموا بالتشديد اي اختبزوا لنا وقال
قوم في الحبوب التي تخبز وهو ما ثور وقال ابن مجاهد وعطا وابن زيد انه الخبز وفي قراة
ابن مسعود وهو قول الربيع بن انس والكسائي انه الثوم وابدل من الثاء فاء كما قالوا اجدث
وجدف واثافي قال الفرا وهذا اشبه بما بعده من ذكر البصل قال امية بن ابي
الصلت فوق شرى مثل الجوابي عليها وقطع كالوذيل في نقي فوم وقال ايضا
كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل قال الزجاج

الزجاج وهذا بعيد لانه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم لان القوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم ولا يطلبون
الخبز الذي هو الاصل وايضا فلا خلاف ان الفوم هو الطعام وان كان كل حب يخبز منه يقال له
فوم وقوله اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير قيل فيه قولان احدهما
الذي هو ادنى في الطعامين بدلا من اجودها والثاني الذي تتبدلون في زراعة وصناعة
بما اعطاكم الله عفوا من المن والسلوى وقرا بعضهم ادنا مهموزا وقال بعض المفسرين
لولا الرواية لكان هو الوجه لانه من قولك رجل دني بين الدناءة وما كنت دنيا ولكنك
دنئت اي خسست واذا قري بلا همز فمعناه القرب وليس هذا موضعه ولكنه موضع الخسة
ولو كان ما سالوه اقرب اليهم لما سالوه ولا التمسوه ويجوز ان يجعل ادنى واقرب بمعنى ادون
كما يقول هذا شي مقارب اي دون وحكى الازهري عن ابي زيد الدني بلا همز الخسيس الدني
بالهمز الماجن وقوله اهبطوا مصرا تقديره فدعا موسى فاستجبنا له فقلنا لهم اهبطوا مصرا
وقدم الكلام لان الله اجابهم بقوله فان لكم ما سالتم وضربت ثم استانف حكم الذين
اعتدوا في السبت ومن قتل الانبيا فقال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ونون جميع
القراء مصرا وقرا بعضهم بغير تنوين وهي قراءة ابن مسعود بغير الف وقال قتادة والسدي
ومجاهد وابن زيد لانه اراد مصرا من غير تعيين لان ما سالوه من البقل والقثاء لا يكون الا
في الامصار وقال الحسن وابو العالية والربيع انه اراد مصر فرعون الذي خرجوا منه
وقال ابو مسلم محمد بن بحر اراد بيت المقدس لقوله ادخلوا الارض المقدسة التي
كتب الله لكم وروى ذلك عن ابن زيد واما اشتقاق مصر فقال بعضهم هو من القطع
لانقطاعه بالعمارة ومنهم من قال هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره قال
عدي بن زيد وجاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا
ومن نون اراد مصرا من الامصار غير معين ويجوز ايضا ان يريد مصر بعينه الذي خرجوا
منه وانما نونه اتباعا للمصحف لان في المصحف بالف كما قرا قوارير قواريرا منونا اتباعا لخط
المصحف ومن لم ينون اراد مصر بعينها لا غير وكل ذلك محتمل وقوله وضربت عليهم الذلة و
المسكنة استيناف كلام بما فعل الله بهم يعني بالذين اعتدوا في السبت وقتلوا الانبيا ومعنى
ضربت اي فرضت ووضعت عليهم الذلة والزموها من قول القايل ضرب الامام الجزية على
على اهل الذمة وضرب فلان على عبده الخراج وضرب الامير على الجيش البعث يريد بجميع ذلك الزمه

وبه قال الحسن وقتاده ى وقيل معنى ضربت عليهم اى حلوا بمنزلة الذل والمسكنة ماخوذ من
ضرب القباب قال الفرزدق في جرير ى ضربت عليك العنكبوت بنسجها ى وقضى عليك
به الكتاب المنزل واما الذلة فقال الحسن وقتادة وغيره ان الجزيه والصغار مشتق من قولهم ذل
فلان يذل ذلا وذلة ى واما المسكنة فهى مصدر التسكين يقال مافيهم اسكن من فلان وما
كان سكينا ولكن تمسكن تمسكنا ى ومنهم من يقول تسكن تسكينا والمسكنة هاهنا مسكنة الفاقه
والحاجة وهى خشوعها وذلها يقول ما في بنى فلان اسكن من فلان اى افقر منه وهو قول ابى
العاليه والسدى وقال ابن زيد المعنى بذلك يهود بنى اسرائيل ابدلهم الله بالعز ذلا
وبالنعمة بوسا وبالرضا عنهم غضبا جزاء منه بما كفروا باياته وقتله انبياءه ورسله اعتداء وظلما
وقوله وباؤ بغضب من الله اى انصرفوا ورجعوا ولا يقال باء الا موصولا ى اما بخير واما بشر
واكثرها يستعمل في الشر كذا قال الكسائى ويقال باء بذنبه يبوا به بوا ومنه قوله تعالى اريد ان تبوء
باثمى واثمك يعنى ترجع بما قد صار عليك دون فمعنى الكلام رجعوا منصرفين متحملين غضب
الله قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم منه سخط ى وقال المبرد اصل ذلك المنزلة
اى نزلوا منزلة غضب الله ى وروى ان رجلا جاء برجل الى النبي صلى الله عليه واله
فقال هذا قاتل اخى وهو بواء به اى مقتول به ومنه قول ليلى الاخيلية ى فان تكن
القتلى بواء فانكم ى فتى ما قتلتم ال عوف بن عامر ى وقال الزجاج اصل ذلك التسوية ومعنى
ذلك انهم تساووا بالغضب من الله ومنه ماروى عن عباده بن الصامت قال جعل الله تعالى
الانفال الى نبيه فقسمها بينهم على بواء اى على سواء بينهم في القسم ومثله قول الشاعر
فيقتل خيرا بامرئ لم يكن به ى بواء ولا الا نكايل بالدم ى والاصل الرجوع على ما ذكرناه وقال قوم
هو الاعتراف ومعناه انهم اعترفوا بما يوجب عليهم غضب الله ى ومنه قول الشاعر
انى ابوء بعثرتى وخطيئتى ى ربى وهل الا اليك المهرب ى واما الغضب قال قوم
ماحل بهم من البلاء والنقمة في دار الدنيا بدلا من الرخاء والنعم وقال اخرون هو
ما ينالهم في الاخرة من العقاب على معاصيهم وقوله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله
اشارة الى ما تقدم ذكره من ضرب الذلة والمسكنة واحلال الغضب بهم لانه يشتمل على جميع ذلك
ومعنى بانهم اى لاجل انهم كانوا يكفرون بايات الله فعلنا بهم ما فعلنا من انواع العذاب ى
وقوله ويقتلون النبيين بغير الحق لا يدل على انه قد يصح ان يقتلوهم بحق لان هذا خرج مخرج الصفة

لكن

الصفة لقتلهم وانه لا يكون الا ظلما بغير حق كما قال ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به ى وكما قال رب
احكم بالحق ى وكما قال الشاعر ى على لاحب لا يهتدى بمناره ومعناه ليس هناك منار يهتدى
به ى ومثله كثير وقوله ذلك بما عصوا اشارة الى ما انزل الله من الذل والمسكنة بما عصوا
من قتلهم الانبياء وعدوهم في السبت وغير ذلك ى وقيل معناه بنقض العهد وكانوا يعتدون
في قتل الانبياء انه روى انهم كانوا اذا قتلوا النبى في اول النهار قامت سوق بقتلهم في اخره و
انما خلى الله بين الكافر وقتل الانبياء لينالوا من رفيع المنازل ما لم ينالوا بغيره وليس ذلك
بخذلان لهم كما فعل بالمومنين من اهل طاعته ى وقال الحسن ان الله تعالى ما امر نبيا بالحرب
الا نصره فلم يقتل وانما خلى بينه وبين قتل من لم يومر بالقتال من ما امر نبيا بالحرب الا نصره فلم
يقتل وانما الانبياء ى والذى نقوله ان النبى ان كان لم يؤد الشرع لا يجوز ان يمكن الله من
قتله لانه لو مكنه فقتل لادى الى ان تنزاح علل المكلفين فيما لهم من الالطاف والمصالح فاذا
ادى الشرع جاز حينئذ ان يخلى بينهم وبين من قتلهم لانه لا يجب المنع منه ى وروى ابو هريرة
عن النبى صلى الله عليه واله انه قال اختلف بنو اسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة حتى كثر
منهم اولاد السبايا ى واختلفوا بعد موسى بمائتى سنة والاعتداء تجاوز الحد الذى
حده الله لعباده الى غيره وكل متجاوز حد شئ الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه
فمعنى الكلام فعلت بهم ما فعلت من ذلك بما عصوا امرى وتجاوزوا حدى الى ما نهيتهم عنه
قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى ى
والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا ى
فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون آية
الهمز من الصابئين وجميع القراء الباقون يهمزون ى اما الذين امنوا هم المصدقون برسول الله
صلى الله عليه واله بما اتاهم من الحق من عند الله واما الذين هادوا فهم اليهود ومعنى هادوا
تابوا يقال هاد القوم يهودون هودا وهيادة وقال ابن جريج انما سميت اليهود يهود لقولهم
انا هدنا اليك قال اعرابى يوخذ بقوله على ما قال ابو عبيدة ى فانى من مدحه هايد اى تايب
وقيل انما سموا يهودا لانهم نسبوا الى يهودا اكبر اولاد يعقوب فعربت الذال دالا وقال
زهير في صفة الرجوع ى سوى مربع لم يات فيه مخافة ى ولا رهقا من عابد متهود ى
اى تايب فسميت اليهود يهودا لتوبتهم من عبادة العجل واصل الهود الطمانينة والخبر به عن ليث

السهر ومنه الهوادة وهي السكون قال الحسين بن على المغربى ؞ انشدنى ابو رعاية السلمى وهو من افصح
بدوى اطاف بنا واغزرهم رواية ؞ صباغتها من مهند لحى بالضحا ؞ جياد المدارى حالك
اللون اسودا ؞ اذا نفضته مال طورا لجيدها ؞ وعتاله طورا باعيداوفدا ؞ كامال قنوا
مطعم هجرية ؞ اذا حركت ريح ذرى النخل هودا ؞ المطعم النخلة شبه شعرها باقنا ؞ التسهيد
هو دلحرك المخكة لينة ؞ قال زهير ؞ ولا دهقان عابد متهود ؞ ولهوا اسم يهود
مشتقا من هذا والنصارى جمع نصران كقولهم سكران وسكارى ونشوان ونشاوى هذا
قول سيبويه ؞ قال الشاعر ؞ تراه اذا كان العشى محنفا ؞ يضحى لديه وهو نصران شامس
وقد سمع فى الانثى نصرانة ؞ قال الشاعر ؞ وكلتاهما خرت واسجد راسها ؞ كما
سجدت نصرانة لم تحنف ؞ وقد سمع فى جمعهم انصار بمعنى النصارى قال الشاعر
لما رايت نبطا انصار ؞ شمرت عن ركبتى الازار ؞ كنت لهم من النصارى جار ؞
والمشهور ان واحد النصارى نصرى مثل بعير مهرى ومهارى وانما سموا نصارى لنصرة
بعضهم بعضا دليله الايات التى ذكرناها ؞ وقيل انما سموا بذلك لانهم نزلوا ارضا يقال
لها ناصرة وكان ينزلها عيسى فنسب اليها فقيل عيسى الناصرى ثم نسب اصحابه اليه فقيل
النصارى وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن جريج وقيل انهم سموا بذلك لقوله من انصارى الى
الله ؞ والصابئون جمع صابئ وهو من انتقل من دينه الى دين آخر كالمرتد من اهل الاسلام وكل
خارج من دين كان عليه الى آخر يسمى صابئا قال ابو زيد صبا فلان فى دينه يصبا صبوا اذا كان
صابيا وصبا ناب الصبى يصبو صبوا اذا كان طلع وقال الزجاج صبات النجوم اذا ظهرت
وقال ابو زيد صبوت اليهم تصبا صبا وصبوا اذا طلعت عليهم وكان معنى الصابى التارك دينه
الذى يشرع له الى دين غيره كما قال ان الصابى على القوم تارك لارضه ومنتقل الى سواها ؞
فالدين الذى فارق هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم او تعظيمها ؞ وقال نافع هو ماخوذ من
قولهم صبا يصبو اذا مال الى الشئ واحبه ولذلك لم يهمز ؞ قال الشاعر ؞ صبوت ابا ذرب
وانت كبير ؞ قال ابو على الفارسى هذا ليس بجيد لانه قد يصبو الانسان الى دين فلا يكون
منه تدين به مع صبوه اليه فاذا كان هذا هكذا وكان الصابئين منتقلون من دينهم الذى
هو الانتقال ويكون الصابون على قلب الهمزة وقلب الهمزة على هذا الحد لا يجيزه سيبويه الا
فى الشعر ويجيزه غيره فهو على قول من اجاز ذلك وممن اجاز ذلك ابو زيد وحكى عنه انه قال

قال لسيبويه سمعت قريت واخطيت قال فكيف تقول فى المضارع قلت اقرا فقال حسبك او نحو هذا قال
ابو على يريد سيبويه ان قريت مع اقرا لا ينبغى لان قريت اقرا على الهمز وقريت على القلب فلا يجوز ان
تغير بعض الامثلة دون بعض فدل على ان القايل لذلك غير فصيح فانه غلط فى لغته ؞ وقال قتادة
والبلخى الصابئون قوم معروفون لهم مذهب ينفردون به من دينهم عبادة النجوم وهم مقرون بالصانع
وبالمعاد وببعض الانبياء ؞ وقال مجاهد والحسن وابن ابى نجيح الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين
لهم وقال السدى هم طايفة من اهل الكتاب يقرؤن الزبور ؞ وقال الخليل هم قوم دينهم شبيه
بدين النصارى الا ان قبلتهم نحو مهب الجنوب حيال منتصف النهار يزعمون انهم على دين نوح
وقال ابن زيد الصابئون دين من الاديان كانوا بالجزيرة جزيرة الموصل يقولون لا اله الا
الله قال ولم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه واله فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبى
عليه السلام واصحابه هؤلاء الصابئون يشبهونهم بهم وقال آخرون هم طايفة من اهل الكتاب و
الفقهاء باجمعهم يجيزون اخذ الجزية منهم وعندنا لا يجوز ذلك لانهم ليسوا اهل الكتاب ؞
وقوله من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ؞ يقول من صدق بالله
واقر بالبعث بعد الممات يوم القيمة وعمل صالحا واطاع الله فلهم اجرهم عند ربهم يعنى ثواب عملهم
الصالح ؞ فان قيل فاين تمام قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين
قيل تمامه جملة قوله تعالى من آمن بالله واليوم الاخر لان معناه من آمن منهم بالله واليوم الاخر
وترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه ومعنى الكلام ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى و
الصابئين من يؤمن منهم بالله واليوم الاخر فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ؞ وقوله من آمن بالله
واليوم الاخر فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف فى الناس من قال هو خبر عن الذين هادوا والنصارى
والصابئين لان الذين امنوا كانوا مؤمنين فلا معنى حينئذ ان يقول من آمن وهو انفسهم
ومنهم من قال هو راجع الى الكل ويكون رجوعه على الذين امنوا على وجه الثبات على الايمان
والاستدامة وترك التبديل والاستبدال به وفى الذين هادوا والنصارى والصابئين
استيناف ايمانهم بالنبى عليه السلام وما جاء به ؞ وقوله من آمن بالله فوحد الفعل ثم قال
فلهم اجرهم لان لفظة من وان كانت لفظة واحدة فمعناها يكون للواحد والجمع والانثى و
الذكر فان ذهب الى اللفظ وحد وان كان ذهب الى المعنى جمع كما قال ومنهم من ينظر اليك
افانت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون فجمع مرة مع الفعل للمعنى ووحد اخرى على اللفظ ؞

قال الشاعر: ألا يا اسلمي عنكما ان عصيتما * وقولا لها عوجي على من تخلفوا . فجمع الفعل
لانه جعل من بمنزلة الذين وربما كان لاثنين وهو البعد وما فيه جائز . قال الفرزدق
تعش فان عاهدتني لا تخونني * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان . قوله من آمن بالله واليوم
الاخر قال السدي نزلت في سلمان الفارسي واصحابه النصارى الذين كان قد تنصر على ايديهم
قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وكانوا قد اخبروه بانه سيبعث وانهم يؤمنون به ان
ادركوه . وروي عن ابن عباس انها منسوخة بقوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه وهذا بعيد لان النسخ لا يجوز ان يدخل في الخبر الذي يتضمن الوعد وانما يجوز دخوله
فيما طريقه الاحكام الشرعية التي يجوز تغييرها من حسن . وقال قوم ان حكمها ثابت والمراد
بها ان الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين هم واليهود والنصارى والصابئين
اذا آمنوا بعد النفاق واسلموا عند العناد كان لهم اجرهم عند ربهم كمن آمن في اول استدعائه
الى الاسلام من غير نفاق ولا عناد لان قوما من المسلمين قالوا ان من اسلم بعد نفاقه وعناده
كان اجره اقل وثوابه انقص واخبر الله بهذه الاية انهم سواء في الاجر والثواب واولى الاقاويل
ما قدمنا ذكره وهو المحكي عن مجاهد والسدي ان الذين آمنوا من هذه الامة والذين هادوا
والنصارى والصابئين من آمن من اليهود والنصارى والصابئين بالله واليوم الآخر فلهم
اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لان هذا اشبه بعموم اللفظ والتخصيص ليس عليه
دليل وقد استدلت المرجئة بهذه الاية على ان العمل الصالح ليس من الايمان لان الله تعالى اخبر
عنهم بانهم آمنوا ثم عطف على كونهم مؤمنين انهم اذا عملوا الصالحات ما حكمها . قالوا ومن
حمل ذلك على التأكيد او الفضل فقد ترك الظاهر وكل شيء يذكرونه مما ذكر بعد دخوله
في الاول مما ورد به القرآن نحو قوله فيهما فاكهة ونخل ورمان ونحو قوله واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح . ونحو قوله الذين كفروا وكذبوا باياتنا . وقوله الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله قالوا جميع ذلك مجاز ولو خلينا والظاهر لقلنا انه ليس بداخل
في الاول . فان قالوا ليس الاقرار والتصديق من العمل الصالح فلا بد لكم من مثل ما قلناه .
قلنا عنه جوابان احدهما ان العمل لا يطلق الا على افعال الجوارح لانهم لا يقولون عملت بقلبي
وانما يقولون عملت بيدي او برجلي . والثاني ان ذلك مجاز وتحمل عليه الضرورة وكلامنا
مع الاطلاق . وقوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني لا خوف عليهم مما قدموا

عليه من اهوال القيامة ولا هم يحزنون على ما خلفوا ورائهم من الدنيا عند معاينتهم ما اعد لهم
من الثواب والنعيم المقيم عنده . وقيل انهم لا يحزنون من الموت . قوله تعالى

واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون آية بلا خلاف

تقديره واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم المفعال من الوثيقة اما بيمين واما بعهد وغير ذلك من
الوثائق . والميثاق الذي اخذه الله هو الذي ذكره في الايات التي ذكرها بعدها . ويحتمل ان يكون اراد
الميثاق الذي اخذه الله على الرسل في قوله . واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وقوله واذ اخذ الله
ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه
قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري . وقد بينا ان اخذ العهد هو ما نصب لهم من الحجج الواضحة
والبراهين الصحيحة الدالة على توحيده وعدله وصدق انبيائه ورسله وافسدنا ما يقوله اهل
الحشو من استخراج الذرية من ظهر آدم واخذ العهد عليهم بالاحتجاج الى اعادته . وقوله ورفعنا
فوقكم الطور قال مجاهد الطور هو الجبل وكذلك هو في اللغة وقال العجاج . داني جناحيه
من الطور فمر . تقضي البازي اذا البازي كسر . وقيل انه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى
بن عمران ذهب اليه ابن عباس وابن جريج وقيل انه من الجبال التي تنبت دون ما لا ينبت روى
الضحاك عن ابن عباس وقال قتادة ورفعنا فوقكم الطور قال الطور الجبل اقتلعه الله فرفعه
فوقهم فقال خذوا ما آتيناكم بقوة . وقال مجاهد الطور اسم جبل بالسريانية وقال قتادة
بالعربية . وقال قوم من النحويين معنى خذوا التقدير ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما آتيناكم
يعني التوراة بقوة اي بجد ويقين لا شك فيه ولا اقدمناه عليكم كما يقول اوجبت عليه قم اي
اوجبت عليه فقلت قم وقال الفراء اخذ الميثاق قول بلا حاجة بالكلام الى اضمار قول فيكون من
كلامين غير انه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذي هو بمعنى القول ان يكون معه ان كما قال
تعالى . انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك قال ويجوز حذف ان . ومعنى ما
آتيناكم اي اعطيناكم لان الايتاء هو الاعطاء يعني ما امرناكم به في التوراة بقوة اي بجد ويقين
على ما بيناه وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي . وقال ابو العالية والربيع بن انس
بطاعة الله . وقال مجاهد انه العمل بما فيه . وحكي عن ابن بحر ان معناه القبول . وقال
ابو علي بقوة معناه بالقدرة التي جعلناها فيكم وذلك دلالة على ان القدرة قبل الفعل . ومعنى

الآيتان ٣
في قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا

اذكروا ما فيه قال قوم احفظوه ولا تنسوه، وقال اخرون اعملوا بما فيه ولا تتركوه، والمعنى في ذلك انما اتيناكم فيه من وعد ووعيد وترغيب وترهيب اعتبروا به واقبلوه وتدبروه كي تطيعوني اذا فعلتم ذلك تتقون وتخافون عذابي بالاصرار على ضلالتكم فتنتهوا الى طاعتي فتنزعوا عما انتم عليه من المعصية، قوله تعالى

ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين آية

قوله توليتم اعرضتم ووزنه تفعلتم من قولهم ولاني فلان دبره اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره ثم يستعمل ذلك في كل تارك امرا ومعرض بوجهه يقال فلان تولى عن طاعة فلان ويتولى عن مواصلته وصداقته ومنه قوله فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون يعني خالفوا ما وعدوا الله من قوله لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ونبذوا ذلك وراء ظهورهم فصار معنى الاية انكم نبذتم العهد الذي اخذناه عليكم بعد اعطائكم المواثيق وكنى بذلك عن جميع ما تقدم ذكره في الاية ثم قال فلولا فضل الله عليكم يعني فلولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه اذ رفع فوقكم الطور فاجتهدتم في طاعته واداء فرائضه وانعم عليكم بالاسلام وبرحمته التي رحمكم بها فتجاوز عن خطيئتكم ثم اخفتكم طاعة ربكم لكنتم من الخاسرين، وهذا وان كان خطابا لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه واله فانما هو خبر عن اسلافهم فاخرج الخبر مخرج الخبر عنهم على نحو ما مضى ذكره، وقال قوم الخطاب في هذه الاية انما خرج باضافة الفعل الى المخاطبين والفعل لغيرهم لان المخاطبين انما كانوا يتولون من كان فعل ذلك من اوائل بني اسرائيل فصيرهم الله منهم من اجل ولايتهم لهم، وقال بعضهم انما قال لهم ذلك لان سامعيه كانوا عالمين وان كان الخطاب خرج مخرج الخطاب للاحياء من بني اسرائيل واهل الكتاب وان كان المعنى في ذلك انما هو خبر عما مضى من اسلافهم ومثل ذلك، قول الشاعر

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ، ولم تجدي من ان تقري به بدا

فقال اذا ما انتسبنا واذا تقتضي من الفعل مستقبلا، ثم قال لم تلدني فاخبر عن ماض لان الولادة قد مضت لان السامع فهم معناه، والاول اقوى وقال ابو العالية فضل الله الاسلام ورحمته القرآن، وقوله فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين لا يدل على ان الذين خسروا لم يكن عليهم فضل الله لان فضل الله شامل لجميع الخلائق لان ذلك دليل خطاب وليس ذلك بصحيح عند الاكثر والذي يكشف عن ذلك ان الواحد منا قد يعطي اولاده وعبيده ويتفضل على جميعهم

ثم يهذر لبعضهم ويبقى فقيرا ولا يدل ذلك على انه لم يتفضل على الذي هو يحفظه اخر فيصير غنيا وحسن ان يقول للغني منهم لولا فضلي عليك لكنت فقيرا ولا يدل ذلك على انه لم يتفضل على الذي هو فقير واذا كان كذلك كان تأويل الاية انه لولا اقداري لكم على الايمان وازاحة علتكم فيه حتى فعلتم ايمانكم لكنتم من الخاسرين وانما جعل الايمان فضلا فيؤتيه الذي به نجوا ولم يكونوا خاسرين من حيث كان هو الداعي اليه والمقدر عليه والمرغب فيه، ويحتمل ان يكون المعنى ولولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد توليكم عن طاعته حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من الخاسرين، ويحتمل ان يكون اراد بهذا الفضل في وقت رفع الجبل فوقهم باللطف والتوفيق الذي تابوا عنده حتى زال عنهم العذاب وسقوط الجبل ولولا فضل الله لسقط الجبل قوله تعالى

ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين آية

علمتم اي عرفتم هاهنا، فقوله علمت اخاك ولم اكن اعلمه اي عرفته ولم اكن اعرفه، كقوله تعالى وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم يعني لا تعرفونهم الله يعرفهم، والذين نصب لانه مفعول به، اعتدوا اي ظلموا وجاوزوا ما حد لهم وكانوا امروا الا يعدوا في السبت وكانت الحيتان تجتمع لامنها في السبت فحبسوها في السبت واخذوها في الاحد واعتدوا في السبت لان صيدها هو حبسها، وقال قوم بل اعتدوا بالاصطياد يوم السبت وسمي السبت سبتا لان السبت هو القطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم هذا قول الزجاج، وقال ابو عبيدة سمي بذلك لانه سبت خلق فيه كل شيء اي قطع وفرغ، وقال قوم سمي بذلك لان اليهود يسبتون فيه اي يقطعون الاعمال، وقال اخرون سمي بذلك لما لهم فيه من الراحة لان اصل السبت هو السكون والراحة ومن ذلك قوله وجعلنا نومكم سباتا، وقيل للنائم مسبوت لاستراحته ومن ذلك قوله وجعلنا وسكون جسده فسمي به اليوم لاستراحة اليهود فيه، وقوله فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اخبار عن سرعة فعله ومسخه اياهم لان هنالك امرا كما قال للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين، ولم يكن هناك قول، وانما اخبر عن تسهل الفعل عليه وتكوينه لم بلا مشقة بلفظ الامر ومعنى الاية على ما قاله اكثر المفسرين انه مسخهم قردة في صورة القردة سواء، وحكى عن ابن عباس انه قال لم يعش مسخ قط اكثر من ثلثة ايام ولم ياكل ولم

بشرب . وقال مجاهد ان ذلك مثل ضربه الله كما قال كمثل الحمار يحمل اسفارا ولم يمسخوا
قردة . وحكى عنه ايضا انه قال مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظا ولا تتقي
زجرا وهذان القولان منافيان لظاهر التاويل لما عليه اكثر المفسرين من غير ضرورة
داعية اليه . وقوله خاسئين اي مبعدين لان الخاسئ هو المبعد المطرود كما يخسئ
الكلب يقول منه خسأته اخسأه خسأ وخسوءا وهو يخسئ خسوءا يقال خسأته فخسأ وانخسأ
قال الراجز . كالكلب ان قلت له اخسأ انخسأ . اي ان طردته انطرد .
وقال مجاهد معناه اذلاء صاغرين والمعنى قريب وفي هذه الايات احتجاج من الله
تعالى بنعمه المترادفة واخبار للرسول عن عناد اسلافهم وكفرهم مرة بعد اخرى مع ظهور الايات
والعلامات تعزية له عليه السلام وتسلية له عند ما راى من جحودهم وكفرهم وليكون وقوفهم
على ما وقف عليه من اخبارهم حجة عليهم وتنبيها لهم وتحذيرا ان يحل بهم ما حل بمن تقدمهم
من ابائهم واسلافهم قوله تعالى فجعلناها نكالا لما بين يديها وما
خلفها وموعظة للمتقين آية بلا خلاف .
الضمير في قوله فجعلناها يحتمل ان يكون راجعا الى العقوبة او القردة فكانه قال جعل القردة اي
ما حل بها من التشويه وتغيير الخلقة دلالة على ان من تقدمهم او تاخر عنهم ممن فعل مثل فعلهم يستحق
من العقاب مثل الذي نزل بهم فكان نكالا لهم جميعا وموعظة للمتقين اي تحذيرا وتنبيها
لكيلا يواقعوا من المعاصي ما واقع اولئك فيستحقوا ما استحقوا نعوذ بالله من سخطه . و
يحتمل ان يكون الهاء راجعة الى الحيتان ويحتمل ان يكون راجعة الى القرية التي اعتدوا اهلها
فيها . ويحتمل ان يكون راجعة الى الامة الذين اعتدوا وهم اهل ايلة قرية على شاطئ البحر
روي ذلك عن ابي جعفر عليه السلام . وقوله نكالا قال ابن عباس عقوبة . و
قال غيره ينكل بها من يراها . وقيل انها شهرة لان النكال الاشتهار بالفضيحة ذكر ذلك
الجبائي وليس بمعروف . والنكال الارهاب للغير واصله المنع لانه ماخوذ من النكل و
هو القيد وهو ايضا اللجام وكلاهما مانع . وقوله لما بين يديها وما خلفها روي
عن عكرمة عن ابن عباس انه اراد ما بين يديها وما خلفها من القرى وروى الضحاك
عن ابن عباس انه اراد ما بين يديها يعني من بعدهم من الامم وما خلفها الذين كانوا معهم باقين
. وقال السدي ما بين يديها من ذنوبها وما خلفها يعني عبرة لمن ياتي بعدهم من الامم وقال

وقال قتادة لما بين يديها ذنوبها وما خلفها يعني عبرة لمن ياتي خلفهم بعدهم من الامم .
وقال قتاده لما بين يديها ذنوب القوم وما خلفها الحيتان التي اصابوها وقال مجاهد
ما بين يديها ما مضى من خطاياهم وما خلفها من خطاياهم التي اهلكوا بها وموعظة للمتقين خص المتقين
بها وان كانت موعظة لغيرهم لانتفاع المتقين بها دون الكافرين كما قلناه في غيره قوله
هدى للمتقين واصل النكال العقوبة يقال نكل فلان بفلان ينكل تنكيلا ونكالا قال
عدي بن زيد لا يسخط المليك ما يصنع العبد ولا في نكاله تنكير واقوى
التاويلات ما رواه الضحاك عن ابن عباس من انها كناية عن العقوبة والمسخة التي مسخها
القوم لان في ذلك اشارة الى العقوبة التي حلت بالقوم وان كان باقي الاقوال ايضا جائزا
قوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين آية بلا خلاف .
قرا ابو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر هزوا مثقلا وكذلك كفوا مثقلا وقرا حمزة مخففا
وعاصم يثقلهن ويخففهن وحمزة يخففهن كلهن . قوله واذ معطوفة على قوله واذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واذكروا اذ قال موسى لقومه واهل الحجاز يثقلون هذه الكلمات وبنو اسد
وتميم وعامة قيس يخففونهن ومن لا يحصى من الحجاز يقولون عن مكان ان اذا كانت
الهمزة مفتوحة يجعلونها عينا ويقولون اشهد عنك رسول الله فاذا كسروها رجعوا الى
لغة اهل الحجاز الى الهمزة . وهذه الاية فيها توبيخ للمخاطبين من بني اسرائيل في نقض اوائلهم
الميثاق الذي اخذه الله عليهم بالطاعة لانبيائه فقال واذكروا ايضا من نكثهم ميثاقي اذ قال
موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا والهزو السخرية واللعب
قال الراجز . قد هزئت مني ام طيسله . قالت اراه معدما لا شيء له . اي
سخرت ولعبت ولا يجوز ان يقع من انبياء الله عز وجل فيما يؤدونه هزو ولا لعب وظنوا في
امره اياهم عن الله بذبح البقرة عند تدارئهم في القتيل انه هازئ لاعب ولم يكن لهم ذلك
وحذفت الفاء من قوله اتتخذنا هزوا وهو جواب لاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن
السكوت على قوله ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فجاز لذلك اسقاط الفاء من قوله
فقالوا كما حسن اسقاطها في قوله فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا ولم يقل فقالوا

ولو قيل بالفاء لكان حسنا ولو كان ذلك على كلمة واحدة لم تسقط منه الفاء الا ترى انك اذا قلت
قمت ففعلت لم يجز اسقاط الفاء لانها عطف لا استفهام يوقف عليه ، فقال موسى حينئذ :
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين يعني من السفهاء الذين يرودون على الله الكذب والباطل وكان
السبب في امر موسى لقومه بذبح البقرة ما ذكره المفسرون ان رجلا من بني اسرائيل كان غنيا ولم
يكن له ولد وكان له قريب يرثه قيل انه اخ وقيل انه ابن اخيه وقيل ابن عمه واستبطا موته
فقتله سرا والقاه في موضع لبعض الاسباط وادعى قتله على احدهم واحتكموا الى موسى فسال من عنده
من ذلك علم فقال انت نبي الله وانت اعلم منا فقال ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة فلما
سمعوا ذلك منه وليس في ظاهره جواب عما سالوا عنه قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله
ان اكون من الجاهلين لان الخروج عن جواب السايل المسترشد الى الهزو جهل ، قال بعضهم
وانما امروا بذبح البقرة دون غيرها لانها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عليهم ما كانوا
يرونه من تعظيمه وليعلم باجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته ، والبقرة اسم للانثى
والثور للذكر مثل ناقة وجمل وامراة ورجل فيكون تانيثه بغير لفظه والبقر مشتق من الشق يقال بقر
بطنه اذا شقه لانها تشق الارض بالحرث قوله تعالى قالوا ادع
لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول
انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون اية
الفارض الكبيرة المسنة وبه قال الجمهور يقال منه فرضت البقرة تفرض فروضا وفرضت تفرض اذا
اسنت ، قال الشاعر ، لعمري لقد اعطيت جارك فارضا ، تساق اليه ما تقوم على
رجل ، وقيل ان الفارض التي قد ولدت بطونا كثيرة فيتسع لذلك جوفها لان معنى الفارض في اللغة
الواسع وهو قول بعض المتاخرين واستشهد بقول الراجز ، يا رب ذي ضغن على فارض ، له
قرء كقرء الحايض ومنه ، قول الراجز ، هدلاء كالوطب نحاه الماخض ، لم زجاج
وهاه فارض ، ويقال لحية فارضة اذا كانت عظيمة ، قال الشاعر ، شيب اصداغي
فراسي ابيض ، محامل فيها رجال فرض ، اي ذوو اسنان ، وقال الجبائي الفارض التي لم تلد
بطونا كثيرة فيتسع لذلك بطنها قال الرماني وهذا غلط لا يعرف ، والبكر الصغيرة التي لم تحمل و
البكر من اناث البهايم وبني ادم ما لم يفتحله الفحل مكسورة الباء والبكر بفتح الباء الفتي من الابل والعوان
النصف التي قد ولدت بطنا او بطنين قال الفراء يقال من العوان عونت المراة تعوينا بالعين او التشديد

والتشديد وعونت اذا بلغت ثلثين سنة ، وقال ابو عبيدة العوان من الحرب التي قد قوتل فيها
مرة او اكثر من ذلك ومن النساء الثيب وجمع العوان عون ، قال ابو عبيدة انما قال عوان بين
ذلك ولم يقل بينهما لانه اخرجه على لفظة واحدة على معنى بين هذا الكلام الذي ذكرناه ، قال
رؤبة في صفة العير ، فيه خطوط من سواد وبلق ، كانه في الجلد توليع البهق ، قال
ابو عبيدة ان اردت الخطوط فقل كانها ، وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال كان ذلك
وذاك ، قال الفرا انما يصح ان يكنى عن الاثنين بقولهم ذلك في الفعلين خاصة ولا يجوز في
الاسمين الا ترى انهم يقولون اقبالك وادبارك يشق علي لانهما مشتقان من فعل ولم يقولوا اخوك
وابوك يزورني حتى يقول يزورانني ، وقال الزجاج يقول ظننت زيدا فاما فيقول القايل
ظننت ذلك وذاك ، وقال الشاعر في صفة العوان ، حرجت عليه بين بكر عزيزة
وبين عوان بالعمامة ناصف بين ذلك يعني بين الكبيرة والصغيرة وهو اقوى ما يكون من البقر
واحسنه قال الاخطل ، وما بمكة من شمط محلقة ، وما بيثرب من عون وابكار
ويقال بقرة عوان وبقر عون قال الاخفش لا فارض ولا بكر ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب النفي
لان هذه صفة في معنى البقرة والنفي المنصوب لا يكون صفة من صفتها انما هو اسم مبتدا و
خبر مضمر وهذا مثل قولك عبد الله لا قايم ولا قاعد ادخلت لا للنفي وتركت الاعراب على حاله
لو لم يكن فيه لا ثم قال عوان فرفع على الابتداء كانه قال هي عوان ويقال ايضا عوانة قال
الاعشى بكميت عرفاء مجمرة الخف ، عيرها عوانة او فاق ، قوله تعالى
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة
صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اية بلا خلاف
لونها رفع لا ما ليست زايدة بل هي بمعنى اي كانهم قالوا اي شي لونها ، وقوله
يبين جزم لانه جواب الامر بغير فاء ، ومعنى الاية ان قوم موسى قالوا يا موسى ادع لنا ربك
يبين لنا ما لون البقرة التي امرنا بذبحها واما قوله صفراء فقال الحسن المراد به سوداء كما تشديدة السواد
يقول العرب ناقة صفراء اي سوداء ، قال الشاعر ، تلك خيلي منه وتلك
ركابي هن صفر الوانها كالزبيب ، يعني ركابي هن سود وهذا وان وصفت
به الابل فليس مما توصف به البقر مع ان العرب لا تصف السواد بالفقوع وانما تصفه بالشدة
وبالحلوكة ونحوها يقول اسود حالك وحانك وحلكوك وغربيب ودجوجي ولا يقول

فاقع وقال اكثر المفسرين انها صفراء اللون من الصفرة المعروفة وهذا لايح لانه الظاهر ولانه قال
فاقع لونها وهو الصافي ولا يوصف السواد بذلك على ما بيناه فاما جبير الحسن فالا بيضا بيض فيوكده
بانه ناصع واحضرنا من واصفر فاقع وقال سعيد بن جبير الحسن في الاية بقرة صفراء القرن
والظلف وقال مجاهد صفراء اللون كله وهو الظاهر لانه قال فاقع لونها فوصف جميع اللون بذلك
وقال ابن عباس اراد بذلك صفراء شديدة الصفرة وقال غيره خالص الصفرة وقال ابو العالية و
قتادة الصافي وقوله تسر الناظرين فالسرور ما يسر به القلب والفرح ما فرحت به العين
وقيل معناه تعجب الناظرين ومن القراء من اختار الوقف على قوله صفراء والصحيح ان الوقف انما يجوز
عند تمام النعت كله وقال قوم التمام عند قوله فاقع ويقال فقع لونها يفقع بالتشديد وضم الياء ويفقع
بالتخفيف وفتح الياء فقوعا اذا خلصت صفرته قوله تعالى

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه
علينا وانا ان شاء الله لمهتدون آية واحدة

القراء كلهم على تخفيف الشين مفتوحة الهاء وقرا الحسن بتشديد الشين وضم الهاء وقرا الاعمش ان
البقر متشابه وكذا هو في مصحف ابن مسعود والمعول على ما عليه القراء وما هو في المصحف المعروف
تقدير الكلام قال قوم موسى لما امروا بذبح البقرة لموسى وترك ذكر موسى لدلالة الكلام عليه واهل
الحجاز يؤنثون البقر فيقولون هذه بقر وكذلك النخل وكل جمع كان واحده بالهاء وجمعه بطرح الهاء فانهم
يؤنثون ذلك وربما ذكروا ذلك قال الله تعالى كانهم اعجاز نخل خاوية بالتانيث وفي موضع اخر كانهم
اعجاز نخل منقعر والاغلب عليهم التانيث واهل نجد يذكرون وربما انثوا والتذكير الغالب
فمن ذكر نصب الهاء من تشابه يعني التبس واشتبه ومن انث رفع الهاء لانه يريد تتشابه علينا
والبقر والباقر والجامل والجمال بمعنى واحد وقرا بعضهم ان الباقر تشابه علينا وهو شاذ قال
الشاعر وما ذنبه ان عافت الماء باقر وما ان تعاف الماء الا لتضربا وقال
اخر ما لي رايتك بعد اهلك موحشا خلقا كحوض الباقر المتهدم وقال
اخر لهم جامل لا يهدأ الليل سامره يريد الجمال والذي ذهب اليه ابن جريج
وقتادة ورووه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه واله انهم امروا بادنى بقرة لكنهم لما شددوا
على انفسهم شدد الله عليهم وايم الله لو انهم لم يستثنوا ما تبينت لهم الى الدهر يعني انهم لو لم
يقولوا وانا ان شاء الله لمهتدون بتعريف الله ايانا وبما يشاء لنا الله من اللطف والزيادة

والزيادة في البيان وكل من اختار تاخير بيان المجمل عن حال الخطاب استدل بهذه الاية على جواز ذلك
وسنبين ذلك فيما بعد ان شاء الله قوله تعالى

قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة
لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما
كادوا يفعلون آية بلا خلاف

أتيها

المعنى ان البقرة التي امرتكم بذبحها لا ذلول اي لم يذللها العمل باثارة الارض باظلافها ولا تسقي الحرث
معناه ولا يستقى عليها الماء فيسقى الزرع كما يقال للدابة التي قد ذللها الركوب والعمل يقول دابة ذلول
بينة الذل بكسر الذال وفي مثلها من بني ادم رجل ذليل بين الذل والذلة قال الزجاج يحتمل ان يكون
اراد ليست بذلول وهي تثير الارض ويحتمل انها ليست ذلولا ولا مثيرة الارض قيل انها كانت
وحشية في قول الحسن مسلمة معناه من السلامة يقال منها سلمت تسلم فهي مسلمة من الشية
لا شية فيها لا بياض فيها ولا سواد وقال قتادة مسلمة من العيوب وبه قال الربيع وقال
ابن جريج لا عوان فيها قال المورج لا شية فيها اي لا وضح فيها بلغة ازدشنوءة والذي قال
اهل اللغة لا شية فيها اي لا لون يخالف لون جلدها واصله وشي الثوب واصله تحسين عيوب
الشيء يكون فيه بضروب مختلفة من الوان سداه ولحمته يقال منه وشيت الثوب اشيه شية ووشيا
ومنه قيل للساعي بالرجل الى السلطان او غيره واش لكذبه عليه عنده وتحسينه كذبه عنده بالا
باطيل يقال وشيت به وشاية قال كعب بن زهير يسعى الوشاة بجنبيها
وقولهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول يعني انهم يقولون الاباطيل ويخبرونه انه ان لحق
بالنبي عليه السلام قتله وقال بعض اهل اللغة ان الوشي العلامة واصله شية من وشيت
لكن لما اسقطت منها الواو ابدلت مكانها الهاء في اخرها كما قالوا زنة وزنة ووعدته
عدة وكذلك وشيته شية وقالوا الآن جئت بالحق موصولة الهمزة واذا ابتدأت بها
قطعت الالف الاولى لان الف الوصل اذا ابتدي بها قطعت قال الفراء والاصل الاوان فحذفت
الواو والالف واللام دخلتا فان لانهما ينوبان عن الاشارة المعنى انت الى هذا الوقت
تفعل هذا فلم يعرب الان كما لم يعرب هذا ومن العرب من يقول قالوا الان جئت بالحق و
يذهب الوصل ويفتح اللام ويحذف الهمزة التي بعد الكلام ويثبت الواو في قالوا ساكنة لانه
انما كان يذهبها لسكون اللام واللام قد تحركت لانه حول عليها حركة الهمزة قال الشاعر

اللام

ى وقد كنت تخفى حب سمراء حقبة ى فبح لان منها بالذى انت بائح كل

ومعنى قوله الان جئت بالحق يحتمل امرين احدهما الان بينت الحق وهو قول قتادة ى وهذا يدل على انه كان فيهم من شك في ان موسى عليه السلم ما بين الحق وقال عبد الرحمن يريد انه كان فيهم من لم يشك في انه حين بينها لهم قالوا هذه بقرة فلان الان جئت بالحق وهو قول من جوز انه قبل ذلك لم يجئ بالحق على التفصيل وان اتى به على وجه الجملة ى وقوله فذبحوها وما كادوا يفعلون ى يحتمل امرين احدهما كادوا لا يفعلون اصلاً لغلاء ثمنها لانه حكى عن ابن عباس ومحمد بن كعب انهم اشتروها بملء جلدها ذهباً من مال المقتول ى وقيل بوزنها عشرات ى والثانى ما قال عكرمة ووهب كادوا ان لا يفعلوا خوفا من الفضيحة على انفسهم في معرفة القاتل منهم قال عكرمة ما كان ثمنها الا ثلثة دنانير ومعنى كاد ى هم ولم يفعل ولا يقال كاد ان يفعل وانما يقال كاد يفعل قال الله وما كادوا يفعلون ى قال الشاعر ى قد كاد من طول البلى ان يمصحا ى يقال مصح الشى اذا فنى وذهب يمصح مصوحاً ى وانشد الاصمعى ى كادت النفس ان تفيض عليه ى اذ ثوى حشو ريطة وبرود ى ولم يجئ منه الا فعل يفعل وتثنيتها وقال بعضهم قد جاءت بمعنى ايقاع الفعل لا بمعنى الهم والقرب من ايقاعه وانشد قول الاعشى قد كاد يسمو الى الجرباء وارتفعا ى الجرباء السماء اى سما ى وارتفع وقال ذو الرمة ى ولو ان لقمان الحكيم تعرضت ى لعينيه مى سافراً كاد يبرق ى اى لو تعرضت لعينيه لبرق اى دهش وتحير وروى عن ابى عبد الله السلمى انه قرا الاذلول بفتح اللام غير منون وذلك لا يجوز لانه ليس المراد النفى وانما المراد بها بقرة غير ذلول وعندنا انه لا يجوز في البقر غير الذبح فان نحر معناه لم يجزه كله وفيه خلاف ذكرناه في خلاف الفقهاء ى وقد استدل اصحابنا بهذه الايات على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة ى فان قالوا ان الله امرهم بذبح بقرة هذه الصفات كلها ولم يبين ذلك في اول الخطاب حتى سالوا عنه وراجعوا فيه فبين حينئذ المراد لهم شيئا بعد شى وهذا يدل على جواز تاخير البيان ى فان قيل ولم زعمتم ان الصفات المذكورة في البقرة الاولى التى امروا بذبحها وما الذى يتنكروا انهم امروا بذبح البقرة اى بقرة كانت فلما راجعوا تغيرت المصلحة فامروا بذبح بقرة صفراء فاقع لونها ى فلما راجعوا تغيرت المصلحة فامروا بذبح بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها ى وانما يصح لكم لو كانت الصفات المذكورة كلها مرادة في البقرة الاولى قلنا هذا باطل لان الكناية في قوله قالوا ادع لنا ربك يبين

اخرى هي لا فارض ولا بكر فلما راجعوا تغيرت المصلحة فامروا بذبح بقرة

يبين لنا ما هى لا يجوز ان يكون كناية الا عن البقرة التى تقدم ذكرها وامروا بذبحها لانه لم يجر في الكلام ما يجوز ان يكون هذه الكناية كناية عنه الا البقرة ويجرى ذلك مجرى ان يقول واحد لغلامه اعطنى تفاحة فيقول الغلام ما هى بينها فلا يصرف واحد من العقلاء هذه الكناية الا الى التفاحة المامور باعطائه اياها ثم يقال بعد ذلك انها بقرة لا فارض ولا بكر وقد علمنا ان الهاء في قوله انه يقول كناية عنه تعالى لانه لم يتقدم ما يجوز ان يكون كناية عنه الا اسمه تعالى وكذلك يجب ان يكون قوله انها كناية عن البقرة المتقدم ذكرها والا فما الفرق بين الامرين وكذلك الكلام في الكناية الثانية والثالثة سواء ولا خلاف بين المفسرين ان الكناية في الاية من اولها الى اخرها كناية عن البقرة المامور بها في الاول ى وقالت المعتزلة انها كناية عن البقرة التى تعلق التكليف المستقبل بها ولا خلاف بين المفسرين ان جميع الصفات المذكورات للبقرة اعوز اجتماعها للقوم حتى توصلوا الى اجتماع بقرة لها هذه الصفات كلها بملء جلدها ذهبا وروى اكثر من ذلك ولو كان الامر على ما قاله المخالف لوجب ان لا يعتبروا فيما يتركا يبتاعونه الا الصفات الاخيرة دون ما تقدمها وتلغى الصفات المتقدمة وفي اجماعهم على ان الصفات كلها معتبرة دليل على ان الله تعالى اخر البيان ى فان قيل لم عنفوا على تاخيرهم امتثال الامر الاول مع ان المراد بالامر الاول لما اخر ولم قال فذبحوها وما كادوا يفعلون ى قلنا ما عنفوا بتاخير امتثال الامر الاول وليس في الظاهر ما يدل عليه بل كان البيان ياتى شيئا بعد شى كما طلبوه من غير تعنيف فلا قول يدل على انهم بذلك عصاة ى فاما قوله في اخر القصة فذبحوها وما كادوا يفعلون فانما يدل على انهم كادوا يفرطون في اخر القصة وعند تكامل البيان ولا يدل على انهم فرطوا في اول القصة ويقوى ذلك قوله تعالى بعد جمع الاوصاف الان جئت بالحق اى جئت به على جهة التفصيل وان كان جاءهم بالحق مجملاً وهذا واضح بحمد الله وقد استوفينا الكلام في هذه الاية وغيرها في العدة في اصول الفقه ما لا مزيد عليه قوله تعالى

واذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون آية

تقدير الاية واذكروا اذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها وهو عطف على قوله واذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وهو متقدم على قوله واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة لانهم انما امروا بذبح البقرة بعد تدارئهم في امر المقتول ومعنى ادارأتم اختلفتم واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال لما سكنت وجعلوا قبلها الفاً لتمكن النطق بها قال ابو عبيدة ادارأتم بمعنى اختلفتم فيها من التدارى وهو التدافع وقيل الدرء العوج اى العوج جميعاً عن الاستقامة ى ومنه قول الكاتب

فنكبت عنهم درء الاعادى . وداووا بالجنون من الجنون

اى اعوجاج الاعادى . وقال قوم الدرء المدافعة ومعناه تدافعتم فى القتل ومنه قوله ويدرء عنها العذاب . وقال روبة بن العجاج . ادركتها قدام كل مدرة . بالدفع عنى درء كل عنجه . ويقال فلان لايدارى ولايمارى اى لايخالف . ومنه قوله والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر ما كنتم تسرون من القتل قوله تعالى

فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون آية بلا خلاف

روى ابن سيرين عن ابى عبيدة السلمانى قال كان رجل من بنى اسرائيل عقيما وله مال كثير فقتله وارثه وجره فقدمه على باب اناس آخرين ثم اصبح يدعيه عليهم حتى تسلح هؤلاء وهؤلاء واراد وا ان يقتتلوا فقال ذووالنهى اتقتتلون وفيكم نبى الله فامسكوا حتى اتوه فامرهم ان يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها فقالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قال فوجدوها عند رجل فقال لا ابيعها الا بملء جلدها ذهبا وكان بارا بابيه فعوضه الله عن ذلك وجازاه عن بره بابيه اذ باع البقرة بملء جلدها ذهبا فضربوه ببعضها فتكلم فقال قتلنى فلان ثم عاد ميتا فلم يورث قاتل بعده واختلفوا فى اى موضع ضرب من القتيل فقال الفراء ضرب بذنبها والبعض اقل من النصف . وقال ابن زيد ضرب ببعض ارابها وقال ابو العالية ضرب بعظم من عظامها . وقال السدى ضرب بالبضعة التى بين الكتفين . وقال مجاهد وعكرمة وقتادة ضرب بفخذ البقرة . والهاء فى قوله فاضربوه كناية عن القتيل والهاء فى قوله ببعضها كناية عن البقرة وهذه الاقاويل كلها محتملة الظاهر والمعلوم ان الله تعالى امر ان يضرب القتيل ببعض البقرة ولا يضر الجهل بذلك البعض بعينه وانما امرهم بذلك لانهم اذا فعلوا حيى الميت فيقول فلان قتلنى فيزول الخلف والتدارى بين القوم والقديم تعالى وان كان قادرا على الاخبار بذلك فان هذا اظهر والاخبار به اعجب لانه معجز خارق للعادة والتقدير فى الاية فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيى كما قال اضرب بعصاك الحجر فانفلق تقديره فضرب فانفلق وكذلك قوله يحيى الله الموتى فيه اضمار كانه قال فقلنا اضربوه ببعضها فحيى كذلك يحيي الله الموتى اى اعلموا ان ما عاينتموه ان الله قادر على ان يحيي الموتى للجزاء والحساب الذى اوعدكم به ولما ضربوه ببعض البقرة احياه الله تعالى

تعالى فقال قتلنى ابن اخى ثم قبض وكان اسمه عاميل فقال بنو اخيه والله ما قتلناه وكذبوا بالحق بعد معاينته وانما جعل بسبب اصابته الضرب بموات لاحياة فيه لئلا يلتبس على ذى شبهة ان الحياة انتقلت اليه مما ضرب به لتزول الشبهة وتتاكد الحجة . وقوله كذلك يحيي الله الموتى يحتمل ان يكون حكاية عن قول موسى لقومه . ويحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى لمشركى قريش . وقوله لعلكم تعقلون اى لتعقلوا وقد كانوا عقلاء قبل ذلك لان من لا عقل له لا يلزمه الحجة لكنه اراد تنبيههم وان يقبلوا ما يدعون اليه ويطيعوه ويعرفوا حق معرفته . قوله تعالى

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون آية واحدة بلا خلاف

قرا ابن كثير وحده ههنا عما يعملون بالياء الباقون بالتاء الخطاب بقوله قلوبكم قيل فيمن يرجع اليه قولان احدهما انه اريد بنو اخى المقتول حين انكروا قتله بعد ان سمعوه منه عند احياء الله تعالى له انه قتله فلان هذا قول ابن عباس والثانى قول غيره انه متوجه الى بنى اسرائيل كلهم . قال وقوله من بعد ذلك اى من بعد آيات الله كلها التى اظهرها على يد موسى . وعلى الوجه الاول يكون ذلك اشارة الى الاحياء ومعنى قست قلوبكم اى غلظت ويبست وعميت القسوة ذهاب اللين والرحمة والخشوع والخضوع ومنه بعد احيائه قال الميت قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة . وقوله وقساوة . وقوله من بعد ذلك اى من بعد احياء الميت لكم ببعض اعضاء البقرة بعد ان تدارأتم فيه واخبرهم بقاتله والسبب الذى من اجله قتله . وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهدها ان يخضع ويلين قلبه . ويحتمل ان يكون من بعد احياء الميت والآيات الاخر التى تقدمت كمسخ القردة والخنازير ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من الحجر وانفراق البحر وغير ذلك وانما جاز ذلك وان كانوا جماعة ولم يقل ذلكم لان الجماعة فى معنى الجمع والفريق فالخطاب فى لفظ الواحد ومعناه جماعة . وقوله فهى كالحجارة يعنى قلوبكم فشبهها بالحجارة فى الصلابة واليبس والغلظ والشدة . اى اشد صلابة لامتناعهم بالاقرار اللازم من حقه الواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات . ومعنى او فى الاية يحتمل امورا احدها ذكره الزجاج فقال هو بمعنى التخيير كقولك جالس الحسن او ابن سيرين اى انهما جالست جاز

لك فكانه قال ان شبهت قلوبهم بالحجارة جاز وان شبهتها بما هو اصلب كان جايزا ، والثاني ان يكون
او بمعنى الواو وتقديره فهي كالحجارة واشد قسوة كما قال وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ، و
مثله قول جرير ، نال الخلافة او كانت له قدرا ، كما اتى ربه موسى على قدر ، وقال
توبة بن الحمير ، وقد زعمت ليلى بانى فاجر ، لنفسي تقاها او عليها فجورها ، اى وعليها ، ومثله
قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن او اباء بعولتهن الاية ، والثالث يكون المراد
الابهام على المخاطبين كما قال ابو الاسود الدولى ، احب محمدا حبا شديدا ، وعباسا وحمزة و
الوصيا ، فان يك حبهم رشدا اصبه ، ولست بمخطئ ان كان غيا ، وابو الاسود لم يكن
شاكا في حبهم ولكن ابهم على من خاطبه ، وقيل لابي الاسود حين قال ذلك شككت قال كلا
ثم استشهد بقوله تعالى ، قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ، افتراه كان شاكا حين
اخبر بذلك ، والرابع ان يكون اراد بل اشد قسوة ، ومثله وارسلناه الى مائة الف او يزيدون
اى بل يزيدون ولا يكون بل للاضراب عن الاول بل لمجرد العطف ، والخامس انها كالحجارة او
اشد قسوة عندكم ، السادس ان يكون اراد مثل قول القايل اطعمتك حلوا او حامضا وقد
اطعمه النوعين جميعا وهو انه لم يشك انه اطعمه الطعمين معا وكانه قال فهي كالحجارة او اشد
قسوة ومعناه ان قلوبهم لا تخرج من احدى هاذين المثلين اما ان يكون مثلا للحجارة في القسوة
وبعضها اشد قسوة من الحجارة ، وكل هذه الوجوه محتملة واحسنها الابهام على المخاطبين ولا
يجوز ان يكون بمعنى الشك لان الله تعالى عالم لنفسه لا يخفى عليه خافية وكذلك في امثال
ذلك نحو قوله فكان قاب قوسين او ادنى وغير ذلك وانشدوا في معنى او يراد به بل قول الشاعر
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى ، فصورتها او انت في العين املح ، يريد بل انت ،
والرفع في قوله او اشد قسوة يحتمل امرين احدهما ان يكون عطفا على معنى الكاف التي في قوله كالحجارة
لان معناها فهي مثل الحجارة ، والاخر ان يكون عطفا على تكرير هي فيكون التقدير فهي كا
لحجارة او هي اشد قسوة من الحجارة وقرى بنصب الدال شاذا فيكون نصبه على ان موضعه
الجر بالكاف وانما انتصب على انه على وزن افعل لا ينصرف وقوله وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار معناه ان من الحجارة ما هو انفع من قلوبكم القاسية يتفجر منها انهار وان منها لما يهبط
من خشية الله ، والتقدير ان من الحجارة حجارة يتفجر منها انهار الماء فاستغنى بذكر الانهار عن
ذكر الماء ، وذكر قوله منه للفظ ما والتفجر التفعل من فجر الماء ، وذلك اذا انزل خارجا من منبعه

واما ان تكون امثلتها ويكون معناه على هذا بعضها كالحجارة قسوة

منبعه وكل سايل شخص خارجا من موضعه ومكانه فقد انفجر ماء كان او دما او صديدا او غير ذلك قال
عمرو بن لجا ، ولما ان قربت الى جرير ، ابى ذو بطنه الا انفجارا ، يعني خروجا وسيلانا ، و
قوله وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء تشقق الحجارة انصداعها واصله يتشقق لكن التاء ادغمت
في الشين فصارت شينا مشددة ، وقوله فيخرج منه الماء يعني فيخرج منه الماء فيكون عينا
نابعة لا انها جارية حتى يكون مخالفا للاول ، وقال الحسين بن علي المغربي الحجارة الاولى حجارة
الجبال تخرج منها الانهار ، والثانية حجر موسى الذي ضربه فانفجرت منه عيون فلا يكون تكرارا ، و
قوله وان منها لما يهبط من خشية الله قال ابو علي والمغربي معناه بخشية الله كما قال
يحفظونه من امر الله اى بامر الله قال وهي حجارة الصواعق والبرد والكناية في قوله منها قيل فيها قولان
احدهما انها ترجع الى الحجارة لانها اقرب مذكور ، وقال قوم انها ترجع الى القلوب لا الى الحجارة
فيكون معنى الكلام وان من القلوب لما يخضع من خشية الله ذكره ابن بحر وهو احسن من الاول ومن
قال بالاول اختلفوا فيه فمنهم من قال ان المراد بالحجارة الهابطة البرد النازل من السحاب وهذا
شاذ لم يذكره غير ابي علي الجبائي ، وقال الاكثر ان المراد بذلك الحجارة الصلبة لانها اشد
صلابة وقالوا في هبوطها وجوها احدها ان هبوط ما يهبط من خشية الله تفيؤ ظلاله وثانيها
انه الجبل الذي صار دكا لما تجلى له ربه ، وثالثها قال مجاهد ان كل حجر تردى من راس جبل
فهو من خشية الله ، ورابعها ان الله تعالى اعطى بعض الجبال المعرفة فعقل طاعة الله تعالى فاطاعه
كالذي روي في حنين الجذع ، وما روي عن النبي عليه السلام انه قال ان حجرا كان يسلم علي في الجاهلية
اني لاعرفه الان وهذا الوجه فيه ضعف لان الجبل ان كان جمادا فمحال ان يكون فيه معرفة الله
وان كان عارفا بالله وبنيته بنية الحي فانه لا يكون جبلا ، واما الخبر عن النبي عليه السلام فهو خبر
واحد ولو صح لكان معناه ان الله تعالى احيا الحجر فسلم على النبي عليه السلام صلى الله عليه واله ويكون
ذلك معجزا له عليه السلام واما حنين الجذع فان الله تعالى خلق فيه الحنين فكان بذلك خارقا
للعادة لانه اذا استند اليه النبي صلى الله عليه واله سكن واذا تنحى عنه حن ، وقال قوم
يجوز ان يكون الله تعالى بنى داخله بنية حي فصح منه الحنين ، وقال قوم معنى يهبط من
خشية الله انه يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه كما قيل ناقة تاجر اذا كانت من نجابتها
وفراهتها تدعو الناس الى الرغبة فيها كما قال جرير بن عطية ، واعور من نبهان اما نهاره ،
فاعمى واما ليله فبصير ، فجعل الصفة لليل والنهار وهو يريد صاحبه النبهاني الذي يهجوه بذلك

من اجل انه كان فيهما على ما وصفه به ء والذى يقوى فى نفسى ان معنى الاية الابانة عن قساوة قلوب
الكفار وان الحجارة الين منها لو كانت تلين لشى للانت وتفجر منها الانهار وتشققت منها
المياة وهبطت من خشية الله وهذه القلوب لا يلين مع مشاهدتها الايات التى شاهدتها بنو
اسرائيل وجرى ذلك مجرى ما يقوله قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله ومعناه لو انزلنا هذا القرآن على جبل وكانت الجبال مما تخشع لشى
ما لرايته خاشعاً متصدعا وكقوله تعالى ولو ان قرآناً سيرت به الجبال او قطعت به الارض الى اخرها سواء
وادخلت هذه اللامات فيما تاكيداً للخبر والجزء فى قوله فهى كالحجارة اسكان الهاء وقد قرئ
به لان الفاء مع الهاء قد جعلت الكلمة بمنزلة فخذ فخذ فخذف الكسرة استثقالا والمعنى فى الاية انه تعالى
لما اخبر عن بنى اسرائيل وما انعم عليهم به واراهم من الايات وغير ذلك فقال مخبراً عن عصيانهم وطغيانهم
ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة ثم اخبر تعالى انه لا امتناع عند الحجارة مما يحدث
فيها من امره وان كانت قاسية بل هى متصرفة على مراده لا يعدم شى مما قدر فيها وبنو اسرائيل مع كثرة
نعمه عليهم وكثرة ما اراهم من الايات يمتنعون من طاعته ولا يلين قلوبهم لمعرفة حقه بل تقسو وتمتنع
من ذلك ء وقوله وان منها لما يهبط من خشية الله عند ما يحدث فيها من الاية الهايلة كالزلازل
وغيرها واضاف الخشية الى الحجارة وان كانت جماداً على مجاز اللغة والتشبيه والمعنى فى خشوع الحجارة
انه يظهر فيها ما لو ظهر فى حى مختار قادر لكان بذلك خاشعاً وهو ما يرى من حالها وانها منصرفة
لا امتناع عندها مما يراد بها وهو كقوله جداراً يريد ان ينقض لان ما ظهر فيه من الميلان لو ظهر من حى
لدل على انه يريد ان ينقض ليبين ان الجدار يريد مستناقى الحقيقة ومثله وان من شى الا يسبح
بحمده ء وقوله ولله يسجد من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر
والدواب وكثير من الناس ء وقوله والنجم والشجر يسجدان وقال زيد الخيل
بجمع تضل البلق فى حجراته ء ترى الاكم فيه سجداً للحوافر ء فجعل ما ظهر فى الاكم من اثار الحوافر
وقلة امتناعها عليها ومدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلب لحديد الصلب سجوداً لها ولو ان
الاكم كانت فى صلابة الحديد حتى تمتنع من الحوافر ولا تؤثر فيها ولا تذهب يمنا ولا شمالا
ولا انطامر بكثرة تزداد الحوافر عليها ما جاز ان يقال انها تسجد للحوافر ء وقال ابن
حمزة ء وعرفت من شرفات مسجدها ء حجرين طال عليهما القصر ء ركبا الخلاء فقلت
اذ بكيا ء ما بعد مثل بكاهما صبراء ء وقال جرير ء لما اتى خبر الزبير تواضعت
سور المدينة والجبال الخشع ء فصيرها متواضعة والعرب يفهم بعضها مراد بعض بهذه الاشياء فمن
تعلق بشى من هذا البطعن به فانما يطعن على لغة العرب بل على لغة نفسه من اهل اى لغة كان فان
فان هذا موجود متعارف فى كل لغة وعند كل جيل ء وقوله سبحانه وما الله بغافل عما تعملون من
قرا بالتاء قال الخطاب متوجه الى بنى اسرائيل فكانه قال وما الله بغافل يا معشر المكذبين باياته
والجاحدين بنبوة محمد صلى الله عليه واله وسلم عما تعملون ء ومن قرا بالياء فكان الخطاب لغيرهم
والكناية عنهم ء والغفلة عن الشى تركه على وجه السهو عنه والنسيان فاخبرهم الله تعالى انه غير غافل
عن اعمالهم السيئة ولا ساه عنها قوله تعالى

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ
وَهُمْ يَعْلَمُونَ ء آية بلا خلاف

الالف فى قوله افتطمعون الف استفهام والمراد به الانكار كقوله اربابا تكم نذير قالوا بلى فاذا
كان فى الالف نفياً كان الجواب بلى واذا لم يكن نفياً كان الجواب لا ء وهذا خطاب لامة
النبى عليه السلام فكانه قال افتطمعون ايها المؤمنون ان يؤمنوا لكم من طريق النظر و
الاعتبار ونفى التشبيه والانقياد للحق وقد كان فريق منهم اى ممن هو فى مثل حالهم من
اسلافهم يسمعون كلام الله ثم يعلمون انه حق ويعاندون فيحرفونه ويتاولونه على غير تاويله
ء وقوله وقد كان فريق منهم والفريق جمع كالطائفة لا واحد له من لفظه وهو فعيل من الفرق
سمى به الجمع كما سميت الجماعة بالحزب من التحزب ء قال اعشى بن ثعلبة ء اجدوا
فلما خفت ان يتفرقوا ء فريقين منهم مصعد ومصوب ء وقوله منهم يعنى من بنى
اسرائيل وانما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعده من بنى اسرائيل من اليهود الذين
قال الله تعالى لاصحاب محمد افتطمعون ان يؤمنوا لكم لانهم كانوا اباءهم واسلافهم فجعلهم منهم
اذ كانوا عشايرهم وفرطهم واسلافهم ء وقوله يسمعون كلام الله قال قوم منهم
مجاهد والسدى انهم علماء اليهود الذين يحرفون التورية فيجعلون الحلال حراما والحرام
حلالا اتباعا لاهوائهم واعانة لمن يرشوهم ء وقال ابن عباس والربيع وابن اسحاق
والبلخى انهم الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا امره وحرفوا القول
فى اخبارهم لقومهم حتى جعلوا الهم وهم يعلمون انهم قد حرفوا وهذا اقوى التاويلين لانه

تعالى اخبر عنهم بانهم يستمعون كلام الله والذين سمعوا كلام الله بلا واسطة هم الذين كانوا مع موسى فاما هؤلاء
فانما سمعوا ما يضاف الى كلامه بضرب من العرف دون حقيقة الوضع ومن قال بهذا قال هم الذين
سمعوا كلام الله الذى اوحى الله الى موسى وقال قوم هو التورية التى علمها علماء اليهود ٫ وقوله من بعد
ما عقلوه وهم يعلمون قيل فيه وجهان احدهما وهم يعلمون انهم يحرفونه والثانى من بعد ما تحققوه وهم
يعلمون ما فى تحريفه من العقاب ٫ والذى يليق بمذهبنا فى الموافاة ان نقول ان معناه وهم يعلمون انهم
يحرفونه ٫ فان قيل فلم اذا اخبر الله عن قوم بانهم حرفوا وفعلوا ما فعلوا من المعاندة يجب ان تويس
من ايمان من هو فى هذا الوقت واى علقة بين الموضعين والحالين ٫ قيل ليس كلما يطمع فيه ويونس
منه على وجه الاستيقان بانه لا يكون لان الواحد من افناء العامة لا يطمع ان يصير ملكا ومع ذلك
لا يمكن القطع على كل حال ان ذلك لا يكون ابدا ولكن لا يطمع فيه لبعده والله تعالى نفى عنهم الطمع ولم
يونسهم على القطع والبتات وانما لم يطمع فيهم لبعد ذلك من الوهم منهم مع احوالهم التى كانوا عليها
وشبههم باسلافهم المعاندين وقد كانوا قادرين على ان يومنوا وكان ذلك منه جايزا وهؤلاء
الذين عاندوا وحرفوا وهم يعلمون كان قليلا عددهم يجوز على مثلهم التواطى والاتفاق وكتمان
الحق وانما يمتنع ذلك فى الجمع العظيم والخلق الكثير لامر يرجع الى اختلاف الدواعى فاما على وجه
التواطى والعمد فلا يمتنع فيهم ايضا فتبطل بذلك قول من نسب فرقا الى المعاندة دون جميعهم
وان كانوا جميعهم كفارا قوله تعالى

واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلى بعضهم الى
بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون

هذه الاية فيها اخبار عن دفع الله الطمع فى ايمانهم من يهود بنى اسرائيل الذين كانوا
بين اظهرهم فقال افتطمعون ايها المومنون ان يومنوا لكم وهم القوم الذين كان فريق
منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون وهم الذين اذا لقوا الذين
امنوا قالوا امنا اى صدقنا بمحمد وبما صدقتم به واقررنا بذلك فاخبر الله بانهم تخلقوا
باخلاق المنافقين وسلكوا منهاجهم ٫ واذا خلا بعضهم الى بعض اى اذا خلى بعض
هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم الى البعض منهم فصاروا فى خلاء من الناس فى ذلك هو
الموضع الذى ليس فيه غيرهم قالوا يعنى بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ٫ وقال ابن

عباس بما فتح الله عليكم اى بما الزمكم الله به فيقول له اخرون انما نستهزئ بهم ونضحك ٫ وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس ان معناه قالوا لا تحدثوا العرب بهذا فانكم قد كنتم تستفتحون به عليهم فانزل
الله هذه الاية اى تقرون بانه نبى وقد علمتم انه قد اخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبركم انه النبى الذى
كنا ننتظره ونجده فى كتابنا اجحدوه ولا تقروا به لهم فقال الله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون ٫ وقال ابو العالية اتحدثونهم بما فتح الله عليكم اى بما انزل فى كتابكم من بعث محمد
صلى الله عليه وآله وسلم وبه قال قتادة ٫ وقال مجاهد ذلك قول يهود بنى قريظة حين
سبهم النبى صلى الله عليه وآله بانهم اخوة القردة والخنازير قالوا من حدثك بهذا حين ارسل
اليهم عليا فاذوا محمدا صلى الله عليه وآله فقال يا اخوة القردة والخنازير فقال بعضهم لبعض
ما اخبره بهذا الا منكم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم ٫ وقال السدى
هؤلاء ناس امنوا من اليهود ثم نافقوا وكانوا يحدثون المومنين من العرب بما عذب وابه فقال
بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به ليقولوا نحن احب الى الله
منكم واكرم عليه منكم ومثله روى عن ابى جعفر عليه السلام ٫ واصل الفتح فى لغة العرب القضاء
والنصر والحكم يقال اللهم افتح بينى وبين فلان اى احكم بينى وبينه ٫ ومنه قوله تعالى ويقولون
متى هذا الفتح يعنى القضاء فقال الله تعالى قل يوم الفتح يعنى يوم القضاء وقال الشاعر
الى ابلغ بنى عصم رسولا ٫ فانى عن فتاحتكم غنى ٫ ويقال للقاضى الفتاح قال الله
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين يعنى احكم به ويقال فتح بمعنى علم فقال افتح
على هذا اى اعلمنى بما عندك فيه واذا كان معنى الفتح ما وصف فقد بان ان معنى الاية اتحدثونهم
اتحدثونهم بما حكم الله عليكم وقضاه فيكم ومن حكمه ما اخذ به ميثاقهم من الايمان بمحمد صلى الله عليه
وآله بما بينه فى التوراة ومن قضائه انه جعل منهم القردة والخنازير فاذا ثبت ذلك فان
اقوى التاويلات قول من قال اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من بعث محمد صلى الله عليه وآله
وصفته فى التورية وامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى خلقه ٫ وروى عن ابى جعفر
عليه السلام انه قال كان قوم من اليهود ليسوا بالمعاندين المتواطئين اذا لقوا المسلمين
حدثوهم بما فى التورية من صفة محمد صلى الله عليه وآله فنهاهم كبراؤهم عن ذلك وقالوا لا
تخبروهم بما فى التورية من صفة محمد عليه السلام فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت الاية ٫ و
معنى قوله افلا تعقلون افلا تفهمون ايها القوم ان اخباركم محمد صلى الله عليه وآله واصحابه

بما تحدثونهم به واقراركم لهم بما يقرون لهم من وجود كم بعث محمد صلى الله عليه واله في كتبكم وانه نبي مبعوث
حجة عليكم عند ربكم يحتجون بها عليكم ٭ وقال ابو عبيدة بما فتح الله عليكم اي بما من عليكم
واعطاكم ليحاجوكم به ٭ الحسن قال في قوله ليحاجوكم به عند ربكم اي في ربكم فيكونوا اولى منكم اذا كانت
حجتهم عليكم قال الحسن ثم رجع الى المؤمنين فقال افلا تعقلون ايها المؤمنون فلا تطمعوا في ذلك
قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون آية بلا خلاف
معناه اولا يعلمون ان الله يعلم سرهم وعلانيتهم فكيف يستجيزون ان يسروا الى اخوانهم النهي عن التحدث
بما هو الحق وليسوا كسائر المنافقين وان كانوا يسرون الكفر فانهم عزموا اليقين بان الله يعلم سرهم
وجهرهم لانهم جاحدون له وهؤلاء مقرون فهم من هذه الجهة الوم واعجب شانا واشد جزاء
وقال قتادة في اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون من كفرهم وتكذيبهم محمدا اذا خلا بعضهم
الى بعض وما يعلنون اذا لقوا اصحاب محمد قالوا امنا يغرونهم بذلك ومثله روي عن ابي
العالية قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا
اماني وان هم الا يظنون آية بلا خلاف
قرا ابو جعفر المدني واماني مخففا الباقون بالتشديد قوله ومنهم يعني من هؤلاء اليهود الذين
قص الله قصتهم في هذه الآيات وقطع الطمع في ايمانهم ٭ وقال اكثر المفسرين سموا
اميين لانهم لا يحسنون الكتابة ولا القراءة يقال منه رجل امي بين الامية ومنه قوله عليه
السلام امامة اميين لا يكتب ولا يحسب وانما سمي من لا يحسن الكتابة اميا لاحد امور
قال قوم هو ماخوذ من الامي هو على اصل ما عليه الامة من انه لا يكتب لا يستفيد الكتابة
بعد اذ لم يكن يكتب ٭ الثاني ان الامة الخلقة فسمي اميا لانه باق على خلقته ٭ ومنه
قول الاعشى ٭ وان معوية الاكرمين ٭ حسان الوجوه طوال الامم ٭ و
الثالث انه ماخوذ من الام وانما اخذ منه لاحد امرين احدهما لانه على ما ولدته
امه من انه لا يكتب ٭ والثاني نسب الى امه لان الكتابة كانت في الرجال وعلى ما ولدته
امه من انه لا يكتب الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب من الرجال الى امه لجهله
بالكتابة دون ابيه ٭ وقال ابو عبيدة الاميون هم الامم الذين لم ينزل عليهم
كتاب والنبي الامي الذي لا يكتب ٭ وانشد لتبع ٭ له امة سميت في
الزبور ٭ امته هي خير الامم ٭ وروي عن ابن عباس ان الاميين قوم لم يصدقوا

رسولا ارسله الله عز وجل ولا كتابا انزله وكتبوا كتابا بايديهم وقالوا القوم جهال هذا من عند الله
وقال قد اخبر انهم يكتبون بايديهم ثم سماهم اميين لجحودهم كتاب الله عز وجل ورسله والوجه الاول
اوضح في اللغة وهذا الوجه مليح لقوله في الآية الثانية فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم
فاثبت انهم يكتبون ومن قال بالاول يحتاج ان يجعل هذا مستانفا لغير من تقدم ذكره او لبعضهم و
قوله لا يعلمون الكتاب اي لا يعلمون ما في الكتاب الذي انزل الله عز وجل ولا يدرون ما اودعه
من حدوده واحكامه وفرائضه كهيئة البهائم وانما هم مقلدة لا يعرفون ما يقولون والكتاب المعني
به التوراة وانما ادخل عليه لام التعريف لانه قصد به قصد كتاب معروف بعينه ومعنى الآية منهم
فريق لا يكتبون ولا يدرون ما في الكتاب الذي عرفتموه والذي هو عندكم وهم ينتحلونه ويدعون
الاقرار به من احكام الله عز وجل وفرائضه وما فيه من حدوده التي بينها فيه ٭ الا اماني ومعنى اماني
قال ابن عباس ومجاهد الا قولا يقولون بافواههم كذبا ٭ وقال قتادة الاماني انهم يتمنون
على الله ما ليس لهم ٭ وقال اخرون الاماني احاديث ٭ وقال الكسائي والفراء
وغيرهما معناه الا تلاوة وهو المحكي عن ابي عبيدة على ما رواه عنه عبد الملك بن هشام وكان ثقة
وضعف هذا الوجه الحسين بن علي المغربي ٭ وقال هذا لا يعرف في اللغة ومن صححه
استدل بقوله تعالى اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قال كعب بن مالك تمنى كتاب الله
اول ليلة ٭ واخره لاقى حمام المقادر ٭ وقال اخر ٭ تمنى كتاب الله بالليل خاليا ٭
تمني داود الزبور على رسل وقال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني الاماني التقدير
قال الشاعر ٭ ولا تقولن لشيء سوف افعله ٭ حتى تبين ما يمني لك الماني ٭ اي
ما يقدر لك القدر والا ههنا استثناء منقطع ومعناه لكن اماني وكل موضع يعلم انما بعد
الا خارج عن الاول فهو بمعنى لكن كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقولهم ما في الدار احد
الا حمارا او الا وتدا قال الشاعر ٭ ليس بيني وبين قيس عتاب ٭ غير طعن الكلى وضرب
الرقاب ٭ وقال اخر ٭ حلفت يمينا غير ذي مثنوية ٭ ولا علم الا حسن ظن بصاحب ٭
معناه لكن حسن ظن بصاحب ٭ ومثله وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومثله
لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ولولا ولوما وهلا والا للتفضيل بمعنى واحد
قال الشاعر ٭ تعدون عقر النيب افضل مجدكم ٭ بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا ٭ يعني هلا
وقال اخر ٭ اتيت بعبد الله في القيد موثقا ٭ فهلا سعيدا ذا الخيانة والغدر

ثم قال آخر ؛ وما شجوى عن ان ابن غالب ؛ وان من الاثرين عند الزعانف ؛ واحدهم زعنف وهو التابع وكل موضع حسن ان يوضع فيه مكان الا لكن فاعلم انه مكان استثناء منقطع ولو قيل هاهنا ومنهم اميون لايعلمون الكتاب لكن يتمنون لكان صحيحاً ؛ والاماني واحدها امنية مثقل ومن خفف الياء قال لان الجمع يكون على غير واحد بنقصان وزيادة والاماني كلام يخففونها لكثرة الاستعمال وكذلك الاضاحي واواني التاويلات قول ابن عباس ومجاهد ان الاميين الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الايه وانهم لايفقهون من الكتاب الذي انزله الله على موسى شيئا لكنهم يتخرصون الكذب ويقولون الباطل والتمني في هذا الموضع تخلق الكذب وتخرصه يقال منه تمنيت اذا افتعلته وتخلقته ؛ ومنه ما روي عن بعض الصحابة انه قال ما تغنيت ولا تمنيت اي ما تخرصت الباطل ولا تخلقت الكذب والافك ويقوي ذلك قوله في اخر الايه وان هم الا يظنون فبين انهم يتمنون ما يتمنون من الكذب ظناً لا يقيناً ولو كان المعنى انهم يتلونه لما كانوا ظانين وكذلك لو كانوا يتمنونه لان الذي يتلوه اذا تدبره علمه ولا يقال فيمن يقرا كتاباً لم يتدبره وترك انه ظان لما يتلو الا ان يكون شاكاً فيما يتلوه ولا يدري احق هو ام باطل ولم يكن القوم الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اليهود شاكين في التورية انها من عند الله وكذلك المتمني لا يجوز ان يقال هو ظان لتمنيه لان التمني من المتمني اذا وجد لا يقال فيه شاك فيما هو عالم به لانه ينافي العلم والمتمني في حال وجود تمنيه لا يجوز ان يقال هو يظن تمنيه ؛ وقوله وان هم الا يظنون فقال جميع المفسرين معناه يشكون والذي اقول ان المراد بذلك نفي العلم عنهم وقد ينتفي العلم تارة بالشك وتارة بالظن واما في الحقيقة فالظن غير الشك غير ان المعنى متفق عليه هاهنا قوله تعالى

فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون آية بلا خلاف

قال الزجاج الويل كلمة يستعملها كل واقع في هلكة واصله في اللغة العذاب والهلاك وارتفع بالابتداء وخبره الذين ولو كان في غير القرآن لجاز بالنصب على معنى جعل الله ويلا للذين والرفع على معنى ثبوت الويل للذين ومثله الويح والويس اذا كان بعد هن لام رفعتهن واما التعس والبعد وما اشبههما فهو نصب ابداً فان اضفت ويل وويح

وويس نصبت من غير تنوين فقلت ويل زيد وويح زيد ولا يحسن في التعس والبعد الاضافة بغير لام فلذلك لم ترفع وقد نصب قوم مع اللام فيقولون ويلا لزيد وويحا لخالد قال الشاعر كسا اللوم تيما خضرة في جلودها ؛ فويلا لتيم من سرابيلها الخضر قال ابن عباس الويل في الايه العذاب وقال المفضل الاصمعي هو التقبيح ومنه قوله ولكم الويل مما تصفون وقال المفضل معناه الحزن وقال قوم هو الهوان ؛ والخزي ومنه قول الشاعر

يا زبرقان اخا بني خلف ؛ ما انت ويل ابيك والفخر ؛

وقال ابو سعيد الخدري الويل واد في جهنم ؛ وقال عثمان بن عفان هو جبل في النار ؛ وقوله يكتبون الكتاب بايديهم معناه انهم يتولون كتبته ثم يضيفونه الى الله كقوله خلقت بيدي وعملت ايدينا اي نحن تولينا ذلك ولم نكله الى احد من عبادنا ؛ ومثله رايته بعيني وسمعته باذني ولقيته بنفسي والمعنى في جميع ذلك التاكيد ولانه قد يامر غيره بالكتابة فتضاف اليه مجازاً فلذلك يقول الامي كتبت الى فلان بكذا وهذا كتاب اليك وكما يقول حملت الى بلد كذا وانما امرت بحمله ؛ فاعلمنا الله تعالى انهم يكتبونه بايديهم ويقولون هو من عند الله وقد علموا يقيناً اذا كتبوه بايديهم انه ليس من عند الله وفي الايه دلالة على ابطال قول المجبرة لانه تعالى عابهم بهذا القول اذ نسبوا ما كتبوه من التحريف الى انه من عند الله وجعل عليهم الويل واذا كان تحريفه من الكتاب ليس من عند الله من جهة القول والحكم فليس ذلك منه من جهة القضا والحكم ولا التقدير والمشية ؛ وقال ابن السراج معنى بايديهم اي من تلقاء انفسهم وقوله ليشترون به ثمناً قليلا قال قوم اي انه عرض الدنيا لانه قليل المدة كما قال تعالى قل متاع الدنيا قليل ذهب اليه ابو العالية ؛ وقال آخرون انه قليل لانه حرام وروي عن ابي جعفر عليه السلام وذكره ايضا جماعة من اهل التاويل ان احبار اليهود كانت غيرت صفة النبي صلى الله عليه واله وسلم ليوقعوا الشك للمستضعفين من اليهود ؛ وقوله وويل لهم مما يكسبون يقولون مما ياكلون به الناس السفلة وغيرهم واصل الكسب العمل الذي يجتلب به نفع او يدفع به ضرر وكل عامل عملا بمباشرة منه لما عمل ومعناه هاهنا الاحتراف فهو كاسب لما عمل قال لبيد بن ربيعة ؛ بمعفر قهد تنازع شلوه ؛ غبس كواسب لا يمن طعامها ؛ وقيل الكسب عبارة عن كل عمل الجارحة يجتلب به نفع او يدفع به مضرة ومنه قيل للجوارح من الطير كواسب ؛ قوله تعالى

وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله
عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون آية بلا خلاف

قوله تعالى وقالوا يعني اليهود الذين قالوا لن تمسنا النار ولن ندخلها الا اياما معدودة وانما لم يبين عددها في التنزيل لانه تعالى اخبر عنهم بذلك وهم عارفون بعدد الايام التي يوقتونها في النار فلذلك ترك تسمية عدد الايام وسماها معدودة لما وصفناه ، وقال ابو العالية وعكرمة والسدي وقتادة هي اربعون يوما ورواه الضحاك عن ابن عباس ومنهم من قال انها عدد الايام التي عبدوا فيها العجل ، وقال ابن عباس ان اليهود تزعم انهم وجدوا في التورية مكتوبا ان ما بين طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة وهم يقطعون مسيرة كل سنة في يوم واحد فاذا انقطع المسير انقطع العذاب وهلكت النار ، وقال مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس انها سبعة ايام لان عمر الدنيا سبعة الاف سنة وانهم يعذبون بعدد كل الف سنة يوما واحدا من ايام الاخرة وهو كالف سنة من ايام الدنيا ولما قالت اليهود ما قالت من قولها لن تمسنا النار الا اياما معدودة على ما بيناه قال الله لا تنقضي لنبيه قل اتخذتم عند الله عهدا بما تقولون من ذلك وميثاقا فالله لا ينقض عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون من الباطل جهلا وجراءة عليه ، وفي القرآن قرأوا اتخذتم بادغام الذال في التاء ومنهم من لم يدغم ، واصل اتخذتم ااتخذتم دخلت الف الاستفهام لانها على الف القطع من نفس الكلمة فكره اجتماعهما فحذفت الاصلية وبقيت التي للاستفهام لانها المعنى وهي وان كانت للاستفهام في الاصل فالمراد بها هاهنا النكير والتوبيخ والاعلام لهم ولغيرهم ان الامر بخلاف ما قالوه وانهم يقولون بغير علم والدليل على انها الف استفهام كونها مفتوحة ولو كانت صلية لكانت مكسورة في اتخذتم ولذلك يدخل بينهما المدة كما ، قالوا في الله اذن لكم لان قوله اذن الله لو اخبر بها لكانت مقصورة ولو لم تدخل المدة كما قالوا لاشتبهت الف الاستفهام بهمزة الخبر وليس كذلك هاهنا لان الفتحة تختص للاستفهام وفي الخبر يكون مكسورة وفي المفتوحتين لا بد من الجمع بين الهمزتين ومنهم من يفصل بينهما بمدة ومنهم من لا يفصل نحو قوله ءامنتم من في السماء ، قوله تعالى

بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون آية بلا خلاف

قرأ اهل المدينة خطيئاته على الجمع الباقون على التوحيد ، قوله بلى جواب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة فرد الله عليهم بان قال بلى من احاطت به خطيئته ابدا وبلى تكون جوابا للاستفهام الذي اوله جحود وتكون جوابا للجحود وان لم يكن استفهاما كقوله ، يقول حين يرى العذاب الى قوله بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها ويقول القايل لم افعل كذا وكذا فيقول له غيره بلى قد فعلت وبلى ونعم جوابان احدهما يدخل فيما لا يدخل فيه الاخر لان بلى يدخل في باب الجحود ، وقال الفراء انما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد لانه اذا قال لغيره ما لك علي شيء فقال له نعم فكانه قد صدقه وكانه قال نعم ليس لي عليك شيء ولهذا اختلف نعم وبلى ، وقوله سيئة فمن همز اتى بها لانه يعدها همزة ومن ترك الهمزة على لغة اهل الحجاز يقول سية مثل عيه ومن لين قال سيه كانه يشير الى الهمزة ويسكنها ، قال مجاهد وابن عباس وابو وايل وقتادة وابن جريج السيئة هاهنا الشرك ، وقال السدي الذنوب التي وعد الله عليها النار ، والذي يليق بمذهبنا هاهنا قول مجاهد لان ما عدا الشرك لا يستحق عندنا عليه الخلود في النار واحاطت به خطيئته قال ابن عباس ومجاهد انها الشرك ، وقال الربيع بن خثيم من مات عليها ، وقال ابن السراج هي التي سدت عليه مسالك النجاة وقال جميع المعتزلة انه اذا كان ثوابه اكثر من عقابه والذي يقوله الذي يليق بمذهبنا ان المراد بذلك الشرك والكفر لانه الذي يستحق به الدخول موبدا ولا يجوز ان يكون مرادا بالاية ، وقوله واحاطت به خطيئته يقوي ذلك لان المعنى فيه ان يكون خطاياه كلها اشتملت عليه ولا يكون معه طاعة يستحق بها الثواب تشبيها بما احاط بالشيء من كل وجه ولو كان معه شيء من الطاعات لكان مستحقا للثواب فلا يكون السيئة محيطة به لان الاحباط عندنا باطل فلا يحتاج الى كثرة العقاب وقلة الثواب لان قليل الثواب عندنا يثبت مع كثرة العقاب لما ثبت من بطلان التحابط بادلة العقل وليس هذا موضع ذكرها لان الاية التي بعدها فيها وعد لاهل الايمان بالثواب الدايم فكيف يجتمع الثواب الدايم والعقاب الدايم وذلك خلاف الاجماع ومتى قالوا احدهما يبطل صاحبه قلنا الاحباط باطل ليس يصح على ما مضى قوله تعالى **والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون آية**

هذه الاية مناولة لمن امن بالله وصدق به وصدق النبي عليه السلام وعمل الصالحات التي اوجبها
الله تعالى عليه فانه يستحق بها الجنة خالدا ابدا وظاهرها يمنع من ان مرتكب الكبيرة مخلدا
في النار لانه اذا كان مؤمنا مستحقا للثواب الدايم فلا يجوز ان يستحق مع ذلك عقابا دايما لان
ذلك خلاف ما اجمع المسلمون عليه ومتى عادوا الى الاحباط كلموا فيه بينهم وبين بطلانه قوله تعالى

واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله و ۞ بالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين ۞ وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ۞ ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون اية ۞

بلا خلاف قرا ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون بالياء الباقون بالتاء وقرا حسنا
بنصب الحاء والسين حمزة والكسائي الباقون حسنا بضم الحاء واسكان السين وتقدير الاية صوابه يفغ
واذكروا ايضا يا معشر بني اسرائيل اذ اخذنا ميثاقكم لا تعبدون الا الله فلما سقطت
ان رفع كما قال الشاعر ۞ الا ايهذا اللايمي احضر الوغا ۞ وان اشهد اللذات هل
انت مخلدي ۞ ومثله قوله افغير الله تامروني اعبد ومن قرا بالياء تقديره انه
اخبر انه تعالى اخذ ميثاقهم لا يعبدون الا الله وبالوالدين احسانا ثم عدل الى خطابهم فقال
وقولوا للناس حسنا والعرب تفعل ذلك كثيرا وانما استجازوا ان يصيروا الى المخاطبة بعد
الخبر لان الخبر انما كان عن مخاطب بعينه لا عن غيره وقد يخاطبون ثم يصيرون بعد ذلك
الى الخبر عن المخاطب مثال الاول قول الشاعر ۞ شطت مزار العاشقين ۞
فاصبحت ۞ عسرا علي طلابك ابنة مخرم ۞ من رفع والتاء من اصبحت كنا يتم
عن المراة فاخبر عنها ثم خاطبها ومثال الثاني قول الشاعر
اسيئي بنا او احسني لا ملومة ۞ لدينا ولا مقلية ان تقلت ۞ وقال زهير
فاني لو الاقيك اجتهدنا ۞ وكان لكل منكر كفاء ۞ وابرى موضحات الراس منه
وقد يبرى من الجرب الهناء ۞ ومن قرا بالتاء فان الكلام من اوله خطاب وتقديره واذ ا
خذنا ميثاق بني اسرائيل قلنا لا تعبدوا الا الله قال بعض النحويين المعنى واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا حكاية كانه قال استحلفناهم لا يعبدون
الا الله اذ قلنا لهم والله لو قالوا والله لا تعبدون والاول اجود ۞ وقوله عز وجل

ثناؤه وبالوالدين احسانا عطف على موضع ان المحذوفة في تعبدون الا الله وبالوالدين
احسانا فرفع لا تعبدون لما حذفت ان ثم عطف بالوالدين على موضعها كما قال الشاعر
معاوي اننا بشر فاسجح ۞ فلسنا بالجبال ولا الحديدا ۞ فنصب ولا الحديد على موضع في
الجبال ۞ واما الاحسان فمنصوب بفعل مضمر يؤدي عن معناه وقوله وبالوالدين اذ كان مفهوما
معناه ۞ وتقدير الكلام واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله وان تحسنوا
الى الوالدين احسانا فاكتفى بقوله وبالوالدين عن ان يقول بان تحسنوا الى الوالدين احسانا
اذ كان مفهوما بما ظهر من الكلام ۞ وقال بعض اهل العربية تقديره وبالوالدين فاحسنوا
فجعل الباء التي في الوالدين من صلة الاحسان مقدمة عليه ۞ وقال اخرون الا تعبدوا
الا الله واحسنوا بالوالدين احسانا فزعموا ان الباء في وبالوالدين من صلة المحذوف اعني
من احسنوا فجعلوه الى الوالدين ما فرض على امتثالهم من فعل المعروف والقول الجميل وخفض
جناح الذل رحمة بهما والتحنن عليهما والرافة بهما والدعاء لهما بالخير وما اشبههما مما ندب الله
تعالى الى الفعل بهما ۞ وقوله عز وجل وذي القربى اي وبذي القربى ان تصلوا قرابة منهم و
رحمة والقربى مصدر على وزن فعلى من قولك قرب مني رحم فلان قرابة وقربى وقربا بمعنى واحد
واليتامى جمع يتيم مثل اسير واسارى ويدخل في اليتامى الذكور منهم والاناث ومعنى ذلك
اخذنا ميثاق بني اسرائيل بان لا تعبدوا الا الله وحده دون ما سواه من الانداد وبالوالدين
احسانا وبذي القربى ان تصلوا رحمه ويعرفوا حقه وباليتامى ان يتعطفوا عليهم بالرافة
والرحمة وبالمساكين ان يوفوهم حقوقهم التي الزمها الله في اموالهم ۞ والمسكين هو المتخشع لتذلل
من الفاقة والحاجة وهو مفعيل من المسكنة وهي ذل الحاجة والفاقة وقوله وقولوا للناس
حسنا فيه عدول الى الخطاب بعد الخبر على ما مضى القول فيه وقد ذكرنا اختلاف القراء في
حسنا وحسنا واختلف اهل اللغة في الفرق بينهما فقال بعض البصريين هو على احد وجهين
احدهما ان يكون اراد بالحسن الحسن ويكون لغتين مثل البخل والبخل واما ان يكون جعل
الحسن هو الحسن في التشبيه لان مصدر الحسن مصدر والحسن هو الشيء الحسن فيكون
ذلك كقول القايل ۞ انما انت اكل وشرب ۞ قال الشاعر ۞ وخيل قد
دلفت لها بخيل ۞ تحية بينهم ضرب وجيع ۞ فجعل التحية ضربا ۞ وقال اخرون
بل الحسن هو الاسم العام الجامع جميع معاني الحسن والحسن هو البعض من معاني الحسن ولذلك

ذلك من كلام من والاحسان
النعى اخذ عليهم الميثاق بان
يفعلوه

قال تعالى اذا وصى بالوالدين ووصينا الانسان بوالديه حسنا يعنى بذلك انه وصاه بجميع معانى الحسن وقرى في
الشواذ حسنى لا يقرى بها لشذوذها وحكاها الاخفش وذلك لا يجوز لان فعلى وافعل لا يستعمل الا بالالف
واللام نحو الاحسن والحسنى والافضل والفضلى قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وروى عن ابى جعفر
محمد بن على الباقر عليه السلام ⁂ وعن عطا انهما قالا وقولوا للناس حسنا للناس كلهم وعن الربيع بن انس
قولوا للناس حسنا اى معروفا ، وعن ابن الحنفية انه قال هل جزاء الاحسان الا الاحسان هى مسجلة
للبر والفاجر يريد بسجلها انها مرسلة ومنهم من قال امروا بان يقولوا لبنى اسرائيل حسنا قال ابن
عباس يأمرون بلا اله الا الله ومن لم يقبلها ويرغب عنها حتى يقولها كما قالوها فان ذلك
قربة لهم من الله قال والحسن ايضا من لين القول من الادب الحسن الجميل والخلق الكريم وهو ما ارتضاه الله تعالى واحبه وقال ابن جريج قولوا للناس حسنا اى صدقا فى شان محمد صلى الله عليه واله
وقال سفيان الثورى مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقوله اقيموا الصلوة ادوها بحدودها
الواجبة عليكم وآتوا الزكوة معناه واعطوها اهلها كما اوجبها عليكم والزكوة التى فرضها الله على بنى
اسرائيل قال ابن عباس كان فرض فى اموالهم قربانا تهبط اليه نار فتحملها وكان ذلك تقبله و
من لم يفعل النار به ذلك كان غير متقبل ⁂ وروى عنه ايضا ان المعنى بطاعة الله والاخلاص
وقوله ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون خبر من الله تعالى عن يهود بنى اسرائيل انهم نكثوا عهده
ونقضوا ميثاقه بعد ما اخذ ميثاقهم على الوفاء له بان لا يعبدوا غيره وبان يحسنوا الى الآباء
والامهات ويصلوا الارحام ويتعطفوا على الايتام ويردوا حقوق المساكين ويأمروا عباد الله
بما امرهم به ويقيموا الصلوة بحدودها ويؤتوا زكاة اموالهم فخالفوا امره فى ذلك كله وتولوا عنه ⁂
معرضين الا من عصمه الله منهم فوفى لله بعهده وميثاقه ووصف هؤلاء بانهم قليل بالاضافة الى من
لم يؤمن ، وقال بعضهم اراد ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون اليهود الذين كانوا على
عهد رسول الله صلى الله عليه واله وعنى بآبائهم الاسلاف كانه ذهب الى ان معنى الكلام ثم توليتم
الا قليلا منكم ثم تولى سلفكم الا قليلا منهم ثم قال وانتم معاشر بقاياهم معرضون ايضا عن الميثاق
الذى اخذ عليكم ، وقال قوم بلى قوله ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون خطاب
لمن كان بين ظهرانى مهاجرى رسول الله صلى الله عليه واله من يهود بنى اسرائيل وذم لهم ⁂
بنقضهم الميثاق الذى اخذ عليهم فى التورية وتبديلهم امر الله وركوبهم معاصيه ، وروى
عن ابن عباس انه قال قوله وقولوا للناس حسنا نسخ بقوله قاتلوهم حتى يقولوا لا اله الا الله

لله او يقروا بالجزية ، وقال آخرون ليست منسوخة لكن امروا بان يقولوا احسانا فى الاحتجاج
عليهم كما قال تعالى لنبيه عليه السلام ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن
عليهم اذا دعوا الى الايمان وبين ذلك لهم ، وقال قتادة نسخها آية السيف ، والصحيح انها ليست
منسوخة وانما امر الله تعالى بالقول الحسن فى الدعاء اليه والاحتجاج عليه كما قال تعالى لنبيه عليه السلام
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن وبين فى آية اخرى فقال
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وليس الامر بالقتال ناسخا لذلك
لان كل واحد منهما ثابت فى موضعه ، قوله تعالى واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم ثم اقررتم وانتم تشهدون آية بلا خلاف
بلا خلاف قد بينا فيما مضى ان الميثاق هو العهد والمعنى فى الاية واذكروا اذ اخذنا ميثاق
اسلافكم الذين كانوا فى زمن موسى والانبياء الماضين صلوات الله عليهم وانما اضاف
اليهم لما كانوا اخلافا لهم على ما مضى القول فيه وتقدير الاعراب فى هذه الاية مثل الاية الاولى
سواء واما سفك الدم فانه صبه واراقته ، ومعنى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم
من دياركم النهى عن ان يقتل بعضهم بعضا وكان اهل الدين الواحد فى ولاية بعضهم بعضا فى قتل
الرجل منهم قتل نفسه اذا كانت ملتهما واحدة ودينهما واحدا وكان اهل الدين الواحد فى
ولاية بعضهم بعضا بمنزلة رجل واحد كما قال النبى صلى الله عليه واله انما المؤمنون فى تعاطفهم و
تراحمهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر فهذا
قول قتادة وابى العالية ، ويحتمل ان يكون المراد لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاد به قصاصا
فيكون بذلك قاتلا نفسه لانه كالسبب فيه ، واضيف قتل الولى اياه قصاصا اليه بذلك
كما يقال للرجل يعاقب لجناية جناها على نفسه انت جنيت على نفسك ، وفيه قول ثالث
وهو ان قوله انفسكم اراد به اخوانكم لانهم كنفس واحدة وقوله ثم اقررتم وانتم تشهدون
اى اقررتم بذلك ايضا وبذلتموه من انفسكم وانتم شاهدون على من تقدمكم باخذنا منهم
الميثاق وما بذلوه من انفسهم وذكر جل ذكره اقرارهم وشهادتهم لان اخذ الميثاق كان على اسلافهم
وان كان لازما للجميع لتوكيد الحجة عليهم ، وقال بعض المفسرين نزلت هذه الاية
فى بنى قريظة والنضير يقول رحمه الله فى الكتاب ان تسفكوا دماءكم اى لا يقتلوا فيقتل

بعضكم ولا تتركوا اسيرا في يد الاسرين ليقتلوه ولا تخرجوا انفسكم من دياركم معناه لا تغلبوا احدا
على داره فتخرجوه فقبلتم ذلك واقررتم به وهو اخذ الميثاق وانتم تشهدون بذلك واما النفس
فماخوذة من النفاسة وهي الجلالة فنفس الانسان انفس ما فيه والدار هي المنزل الذي فيه ابنية المقام
بخلاف منزل الارتحال ، وقال الخليل كل موضع حل فيه قوم فهو دار لهم وان لم يكن فيه ابنية
وقيل ايضا ان معنى قوله ثم اقررتم وانتم تشهدون ان اقرارهم هو الرضاء به والصبر عليه
كما قال الشاعر ، الست كليبيا اذا سيم خطة ، اقر كاقرار الحليلة للبعل وقوله
وانتم تشهدون يحتمل امرين احدهما وانتم تشهدون على انفسكم بالاقرار ، والثاني وانتم تحضرون
دماءكم وتخرجون انفسكم من دياركم ، وحكي عن ابن عباس انه قال ذلك خطاب من الله ثم لليهود
الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه والدار ايام هجرته اليهم موبخا لهم على
تضييعهم احكام ما في ايديهم من التورية التي كانوا يقرون بحكمها فقال الله تعالى لهم ثم اقررتم
يعني بذلك اقراركم وسلفكم وانتم تشهدون على اقرارهم باخذي الميثاق عليهم بان لا يسفكوا
دماءهم ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم ويصدقوا بان ذلك حق من ميثاقي عليكم ، وقال
ابو العالية ذلك جرم من الله عن اوايلهم ولكنه اخرج الخبر مخرج المخاطبة عنهم على النحو الذي وصفناه
في ساير الايات وانتم تشهدون اي وانتم شهود ، قوله تعالى

ثم انتم هولاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان
ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم
افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من
يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون اية

بلا خلاف قرا اهل الكوفة تظاهرون هاهنا وفي التحريم بتخفيف الظاء الباقون
بالتشديد فيهما وقرا حمزة اسرى بفتح الهمزة وسكون السين بغير الف بعدها وقرا اهل
المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب تفادوهم بضم التاء وبالف وقوله ثم انتم هولاء يحتمل وجهين احدهما ان يكون اريد به ثم انتم يا هولاء فترك يا استغناء لدلالة الكلام عليه كما قال
يوسف اعرض عن هذا ومعنى الكلام ثم انتم يا معشر يهود بني اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذي

الذي اخذته عليكم الا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم وبعد شهادتكم على انفسكم
بذلك انه حق لازم لكم الوفاء به تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم متعاونين عليهم
في اخراجكم اياهم بالاثم والعدوان والتعاون هو التظاهر وانما قيل للتعاون التظاهر لتقوية
بعضهم ظهر بعض فهو تفاعل من الظهر وهو مساندة بعضهم ظهره الى ظهر بعض قال الشاعر
تظاهرتم استاه بيت تجمعت ، على واحد لا زلتم قرن واحد ، ومنه قوله تعالى
وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وقوله والملئكة بعد ذلك ظهير وقوله ولو كان بعضهم
لبعض ظهيرا ، وقوله ، ساحران تظاهرا وقوله وكان الكافر على ربه ظهيرا ويقال
اتخذ معك نفرا ونفرين ظهيرين يعني عدة ، والوجه الاعراب يكون معناه ثم انتم القوم
تقتلون انفسكم فرجع الى الخبر عن انتم وقد اعترض بينهم وبين الخبر عنهم هولاء كما يقول العرب انا ذا
اقوم وانا ذا اجلس ولو قيل انا هذا اجلس لكان صحيحا وكذلك انت ذاك تقوم وقال
بعض النحويين ان هولاء في قوله ثم انتم هولاء تنبيه وتوكيد لانتم وزعم ان انتم وان كان كناية عن اسماء
جميع المخاطبين فانما جاز ان يوكد بهولاء واولاء يكنى بها عن المخاطبين كما قال خفاف بن ندبة
اقول له والرمح ياطر متنه ، تبين خفافا انني انا ذا لكا ، يريد انا هو وكما قال حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم بريح طيبة ، والاثم قيل معناه هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب
ومنه قول النبي عليه السلام لنواس بن سمعان حين ساله عن البر والاثم فقال عليه السلام البر
ما اطمانت اليه نفسك والاثم ما حك في صدرك ، وقال قوم معنى الاثم ما يستحق عليه
الذم وهو الاصح والعدوان مجاوزة الحق ، وقال قوم هو الافراط في الظلم واسرى جمع
اسير واسارى جمع اسرى كما قالوا مريض ومرضى وجريح وجرحى وكسير وكسرى هذا قول المفضل
بن سلمة ، قال ابو عمرو بن العلاء الاسارى هم الذين في الوثاق والاسرى الذين
في اليد وان لم يكونوا في الوثاق ومعنى تفادوهم او تفدوهم طلب الفدية من الاسير الذي
في ايديهم من اعدائهم قال الشاعر ، فقلت فادي اسيرك ان قومي ، وقومك ما
ارى لهم اجتماعا ، وكان هذا محرما عليهم وان كان مباحا لنا فذكر الله تعالى توبيخا لهم في
فعل ما حرم عليهم ، وقال اخرون انه افتداء الاسير منهم اذا اسر اعداؤهم وهذا مدح
لهم ذكره من بعد ذمهم انهم خالفوه في سفك الدماء وذا العجب في افتداء الاسرى استشهادا
على هذا الباطل بقوله افتومنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، وقال

وتم الفرق بين تفدوهم وتفادوهم ان تفدوهم هو افتكاك بمال وتفادوهم هو افتكاك الاسرى بالاسرى
واختلفوا فيمن عنى بهذه الاية فروى عكرمة عن ابن عباس انه قال ثم انتم هولاء تقتلون انفسكم
الى قوله والعدوان اى اهل الشرك حتى يسفكوا دماءهم معهم ويخرجوهم من ديارهم معهم قال
انباهم الله بذلك من فعلهم وقد حرم عليهم في التورية سفك دمائهم وافترض عليهم فيها فداء
اسرائهم وكانوا فريقين طايفة منهم بنو قينقاع وانهم حلفاء الخزرج وحلفاء النضير وقريظة وانهم
حلفاء الاوس وكانوا اذا كانت بين الاوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج و
خرجت بنو النضير وقريظة مع الاوس تظاهر كل فريق حلفاءه على اخوانه حتى يتسافكوا دماءهم
بينهم وبايديهم التورية يعرفون منها ما عليهم ولهم والاوس والخزرج اهل شرك يعبدون
الاوثان ولا يعرفون جنة ولا نارا ولا قيامة ولا كتابا ولا حلالا ولا حراما فاذا وضعت
الحرب اوزارها افتدوا اسراهم تصديقا لما في التورية واخذا به يفتدي بنو قينقاع من كان من
اسراهم في ايدي الاوس ويفتدي بنو النضير وقريظة ما كان في ايدي الخزرج ويطلبون ما اصابوا
من الدماء وما قتلوا من قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرة لاهل الشرك عليهم يقول الله تعالى حين انباهم
بذلك افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض اى تفادونهم بحكم التورية وفي حكم التورية
ان لا يقتل ولا يخرج من داره وتظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الاوثان من دونه ابتغاء
عرض الدنيا ففي ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج نزلت هذه القصة ؛ وذكر فيه اقوال اخر
تزيد وتنقص لا فائدة في ذكرها معناها متقارب لما اوردنا ؛ وقوله عز وجل وان يأتوكم اسارى
تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض القصد بذلك
توبيخهم وتعنيفهم على سوء افعالهم فقال ثم انتم بعد اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم لا
تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم تقتلون انفسكم يعني يقتل بعضكم بعضا وانتم مع
قتلكم من يقتلون منكم اذا وجدتم اسيرا منكم في ايدي غيركم من اعدائكم تفدونهم ويخرج
بعضكم بعضا من ديارهم وقتلكم اياهم واخراجكم من ديارهم حرام عليكم كما حرام عليكم تركهم
اسرى في ايدي عدوكم فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم وتستجيزون
قتلهم وهما جميعا في اللازم لكم من الحكم فيهم سواء لان الذي حرمت عليكم من قتلهم و
اخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم اسرى في ايدي عدوهم اتؤمنون ببعض
الكتاب الذي فرضت عليكم فيه فرائضي وبينت لكم فيه حدودي واخذت عليكم بالعمل

بالعمل بما فيه ميثاقي فتصدقون به فتفادون اسراكم من ايدي عدوكم وتكفرون ببعضه فتجحدونه
فتقتلون من حرمت عليكم قتله من اهل دينكم ومن قومكم وتخرجونهم من ديارهم وقد علمتم ان في
الكفر منكم ببعضه نقضا منكم في عهدي وميثاقي ؛ وقوله عز وجل فما جزاء من يفعل ذلك
منكم الا خزي في الحيوة الدنيا فالخزي الذل والصغار يقال خزي الرجل يخزي خزيا في الحيوة
الدنيا يعني في عاجل الدنيا قبل الاخرة ؛ ثم اختلفوا في الخزي الذي جزاهم الله بما سلف منهم
من المعصية فقال بعضهم ذلك حكم الله الذي انزله على نبيه صلى الله عليه وآله من اخذ القاتل
بما قتل والقود به قصاصا والانتقام من الظالم للمظلوم ، وقال اخرون بل ذلك هو الجزية منهم
ما اقاموا على دينهم ذلة لهم وصغارا ؛ وقال اخرون الخزي الذي خزوا به في
الدنيا اخراج رسول الله صلى الله عليه وآله بني النضير عن ديارهم لاول الحشر وقيل مقاتلة بني
قريظة وسبي ذراريهم وكان ذلك خزيا في الدنيا وفي الاخرة عذاب عظيم ومعنى قوله
ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب اى اسوا العذاب يعني بعد الخزي الذي يحل بهم
في الدنيا يردهم الله الى اشد العذاب الذي اعده الله لاعدائه ؛ وقال بعضهم يردهم
يوم القيمة الى اشد العذاب يعني اشد من عذاب الدنيا والاول اقوى انه من اشد العذاب
يعني اشد جنس العذاب وذلك يقتضي العموم ولا يخص الا بدليل ؛ وقوله عز وجل وما الله
بغافل عما تعملون منهم من قرا بالياء رده الى من اخبر عنهم ومن قرا بالتاء رده الى المواجهين
بالخطاب والياء اقوى لقوله فما جزاء من يفعل ذلك ؛ وقوله عز وجل ويوم القيمة يردون
فالرد الى هذا اقرب من قوله افتؤمنون ببعض الكتاب فاتباع الاقرب اولى من الحاقه
بالاول والكل حسن ؛ والمعنى وما الله بساه عن اعمالهم الخبيثة بل هو محص لها و
حافظ لها حتى يجازي عليها ؛ فان قيل ظاهر الاية يقتضي ان يصح الايمان ببعض الاشياء
وان كفروا بالبعض الاخر وذلك مناف لمذهبكم في الارجاء والموافاة لان المعنى في ذلك
اظهار التصديق بالبعض والمنع بالتصديق بالبعض الاخر ويحتمل ان يكون المراد ان ذلك
على ما يعتقدونه لانكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم عملتم ببعضه دون بعض فكانكم امنتم
ببعضه دون بعض قوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الحياة بالاخرة ولا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينصرون اية بلا خلاف

الدنيا

قوله اولئك اشارة الى الذين اخبر عنهم انهم يؤمنون ببعض الكتاب فيفادون اساراهم من اليهود ويكفرون ببعض فيقتلون من حرم الله عليهم قتله من اهل ملتهم ويخرجون من داره من حرم الله اخراجه هم الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا ومعناه ابتاعوها على الضعفاء واهل الجهل والغبا منهم وانما وصفهم بانهم اشتروا الحياة الدنيا بالاخرة لانهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله عز وجل فيها عوضا من نعيم الاخرة الذي اعده الله للمؤمنين فجعل تركهم حظوظهم من نعيم الاخرة بكفرهم بالله ثمنا لما ابتاعوه من خسيس الدنيا بما اخبر الله انه لا حظ لهم من نعيم الاخرة وان لهم في الاخرة عذابا غير مخفف عنهم فيها العقاب ، وقوله ولا هم ينصرون اي لا ينصرهم احد في الاخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى ، قوله تعالى ،

ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون آية بلا

خلاف ، قرا اهل الكوفة الرسل مثقل في جميع القران وقرا ابن كثير القدس بسكون الدال حيث وقع الباقون بتثقيلها مع قوله اتينا موسى الكتاب انزلناه اليه واعطيناه و الكتاب المراد به التورية ، وقوله وقفينا معناه واردفنا واتبعنا بعضه خلف بعض كما يقفو الرجل الرجل اذا سار في اثره من ورائه واصله من القفا يقال فيه قفوت فلانا اذا صرت خلف قفاه كما يقال دبرته اذا صرت في دبره قال امرؤ القيس ، وقفا على آثارهن بحاصب ، من العشي البارد المحصب ، ومعنى قوله بالرسل من بعد موسى والمراد بالرسل الانبياء وهو جمع رسول يقال رسول ورسل كما يقال رجل صبور وقوم صبر ورجل شكور وقوم شكر ، والمعنى في قفينا اتبعنا بعضهم بعضا على منهاج واحد وشريعة واحدة لان كل من بعثه الله نبيا بعد موسى الى زمن عيسى بن مريم عليه السلام فانما بعثه باقامة التورية والعمل بما فيها والدعاء الى ما فيها فلذلك قال وقفينا من بعده بالرسل يعني على منهاجه وشريعته ، وقوله وآتينا عيسى بن مريم البينات اعطينا عيسى بن مريم الحجج والدلالات على نبوته من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ونحو ذلك من الايات التي دلت على صدقه وصحة نبوته وقوله وايدناه بروح القدس اي قويناه واعنّاه يقال منه ايدك الله اي قواك الله وهو رجل ذو ايد وذو آد اي ذو قوة ومنه قول العجاج

العجاج ، من ان تبدلت باد آدا ، يعني بقوة شباب قوة المشيب ، قال الشاعر ، ان القداح اذا اجتمعن فرامها ، بالكسر ذو جلد وبطش ايد ، يعني بالايد القوي قال قتادة والسدي والضحاك والربيع روح القدس هو جبرئيل عليه السلام ، وقال ابن زيد ايد الله عيسى بالانجيل روحا كما جعل القران روحا كلاهما روح الله كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ، وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح الاسم الذي كان يحيي به الموتى واقوى الاقوال قول من قال هو جبرئيل عليه السلام لان الله تعالى ايد عيسى به كما قال تعالى يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي التي انعمت عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل فاخبر انه ايده به فلو كان المراد به الانجيل لكان ذلك تكرارا وانما سمى الله تعالى جبرئيل روحا واضافه الى القدس لانه كان بتكوين الله روحا من عنده من غير ولادة والد ولده وقال قوم سمي روحا لانه كان بمنزلة الارواح للابدان تحيى بما ياتي به من البينات ، وقال اخرون سمي بذلك لان الغالب على جسمه الروحانية لرقته وكذلك ساير الملائكة وانما خص به تشريفا ، و التقديس التطهير والقدس الطهر ، وقال السدي القدس هاهنا البركة يقال قدس عليه ، برك عليه ويكون اضافه الى نفسه كقوله حق اليقين ، وقال الربيع القدس الرب ، وقال ابن زيد القدس هو الله وايده بروحه واحتج بقوله الملك القدوس و قال القدوس والقدس واحد ، وروى عن ابن عباس ان القدس الطاهر ، قال الراجز ، الحمد لله العلي القادس ، وقال رؤبة ، دعوت رب القوة القدوسا ، وقوله افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون فالخطاب بذلك متوجه الى يهود بني اسرائيل وكانه قال يا معشر يهود بني اسرائيل لقد آتينا موسى التورية وتابعنا من بعده الرسل اليكم وآتينا عيسى بن مريم الحجج والبينات اذ بعثناه اليكم ، وايدناه قوله بروح القدس وانتم كلما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه انفسكم استكبرتم عليهم تجبرا وبغيا وكذبتم منهم بعضا وقتلتم بعضا وظاهر الخطاب وان كان خرج مخرج التقدير فهو بمعنى الخبر قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون

آية بلا خلاف ، القراء المعروفون على تسكين اللام من قوله

علف وقال ابن محيصن غلُفُ بضم اللام وروى عن ابن عباس ذلك ومن قرا بالتسكين ❊ قال معنى
غلف لواحد منها اغلف وغلف مثل احمر وحمر فكانهم قالوا انفسنا التي تنبها قلوبنا ❊ او عية قالوا
كما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب اي لا تفقه انها
في حجاب ومنه يقال للرجل الذي لم يختن اغلف والمراة غلفاء ويقال للسيف اذا كان في
غلاف وقوس غلفاء وجمعها غلف وكذلك كل نعت على وزن افعل للذكر والانثى فعلاء يجمع
على فعل مضمومة الاول ساكنة الثاني نحو احمر وحمر واصفر وصفر فيكون ذلك جمعا للتذكير و
التانيث ولا يجوز تثقيل عين الفعل الا في ضرورة الشعر ❊ قال طرفة ❊ ايها الفتيان
في مجلسنا ❊ جردوا منها ورادا وشقر ❊ حرك لضرورة الشعر ومن قرا غُلُفٌ مثقلا ❊
قال هو جمع غلاف مثل مثال ومثل وحمار وحمر فيكون معناه ان قلوبنا اوعية للعلم فما بالها
لا تفهم وهي اوعية للعلم ❊ ويجوز ان يكون التسكين عن التثقيل مثل رسل ورسل
وقال عكرمة غلف اي عليها طابع ❊ والمعنى عندنا ان الله اخبر ان هؤلاء الكفار
ادعوا ان قلوبهم ممنوعة من القبول وذهبوا الى ان الله منعهم من ذلك فقال الله ردا
عليهم بل لعنهم الله بكفرهم اي انهم لما كفروا فالفوا كفرهم واشتد اعجابهم به ومحبتهم اياه
منعهم الله من الالطاف ❊ والفوايد ما يوتيه المومنين ثوابا على ايمانهم وترغيبا لهم
في طاعتهم وزجرا للكافرين عن كفرهم لان من سوى بين المطيع والعاصي له فقد اساء
اليهما وفي الاية رد على المجبرة ايضا لانهم قالوا مثل ما يقوله اليهود من ان على قلوبهم ما يمنع
من الايمان ويحول بينهم وبينه وكذبهم الله تعالى في ذلك بان لعنهم وذمهم فدل على انهم كانوا
مخطئين كاذبين محظون ❊ وقال ابو علي الفارسي ما يدرك به المعلومات من الحواس
وغيرها اذا ذكر بانه لا يعلم وصف بان عليه مانعا كقوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ام على
قلوب اقفالها فان القفل لما كان مانعا من الدخول الى المقفل عليه شبه القلوب به ومثله
قوله سكرت ابصارنا ❊ وقوله الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري ومثله بل هم قوم عمون
وقوله صم بكم عمي لان العين اذا كانت في غطاء لم ينفذ شعاعها فلا يقع بها ادراك فكان
شدة عنادهم بجملهم على دفع المعلومات ❊ واللعن هو الاقصاء والابعاد يقال لعن الله
فلانا يلعنه لعنا فهو ملعون ثم يصرف مفعول الى فعيل فيقال هو لعين كما قال الشماخ
بن ضرار ❊ دعوت به القطا ونفيت عنه ❊ مقام الذئب كالرجل اللعين ❊ اي

اي المبعد فصار معنى الاية قالت اليهود قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه محمد صلى الله عليه واله ❊
فقال الله ليس ذلك كما زعموا ولكنه تعالى اقصاهم وابعدهم من رحمته وطردهم عنها لجحودهم به و
برسله ❊ وقوله تعالى قليلا ما يومنون ❊ قال قتادة قليل الايمان بما انزل
على نبيه محمد صلى الله عليه واله ولذلك منهم من يومن ❊ وقال قوم قليلا ما يومنون اي
لا يومنون الا بقليل مما في ايديهم ❊ والذي نقوله ان معنى الاية ان هؤلاء الذين وصفهم
الله تعالى قليلو الايمان بما انزل على نبيه محمد صلى الله عليه واله ولذلك نصب قوله فقليلا
لانه نصب على نعت المصدر المتروك وتقديره لعنهم الله بكفرهم فايمانا قليلا يومنون ولو
كان الامر على ما قال قتادة لكان القليل مرفوعا وكان تقديره فقليل ايمانهم ❊ وقال
قوم من اهل العربية ان ما زايدة لا معنى لها كقوله فبما رحمة من الله لنت لهم وتقدير الكلام فقليلا
يومنون وانشد بيت مهلهل ❊ لو بابين جاء يخطبها ❊ ضرج ما انف خاطب
بدم ❊ يعني ضرج انف خاطب وما زايدة ❊ وقال قوم ذلك خطا في الاية وفي البيت
وان ذلك من المتكلم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الاشياء اذ كانت ما كلمة تجمع كل الاشياء
ثم يخص بعض ما عمه فانها يذكر بعدها وفي الناس من قال فقليلا ما يومنون لانه كان
معهم بعض الايمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان فرضا عليهم وذلك هو القليل
بالاضافة الى ما جحدوا به من التصديق بالنبي عليه السلام وما جاء به والذي يليق بمذهبنا
ان نقول انه لم يكن معهم ايمان اصلا وانما قال فقليلا ما يومنون كما يقول القايل قل ما رايت
هذا قط ❊ وروى عنهم سماعا عن العرب مررت ببلد قل ما ينبت الا الكراث والبصل
يريدون ما ينبت الا الكراث والبصل ❊ قوله تعالى ❊
ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا ❊
من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما ❊
عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين آية ❊
بلا خلاف ❊ التقدير ولما جاء اليهود من بني اسرائيل الذين وصفهم الله كتاب من عند الله
يعني به القران الذي انزل على محمد عليه السلام واشتقاق الكتاب من الكتب وهو جمع كتبة وهي
الخرزة وكلما ضممت بعضه الى بعض فقد كتبته والكتيبة من الجيش من هذا الانضمام بعضها
الى البعض ❊ وقوله مصدق لما معهم من الكتب التي انزلها الله قبل القران لم

التورية والانجيل وغيرهما ؛ ومعنى مصدق لما معهم لما في التورية والانجيل والاخبار التي فيهما
ويحتمل ان يكون المراد مصدق بان التورية والانجيل من عند الله ومصدق رفع لانه
نعت الكتاب ولو نصب على الحال لكان جايزا لكن لم يقرا به ؛ وقوله وكانوا من
قبل يستفتحون على الذين كفروا قال ابو عبيدة معناه يستنصرون قال ابن عباس ان
اليهود كانوا يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه واله قبل مبعثه
فلما بعثه الله في العرب فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن معرور يا معشر اليهود اتقوا الله
واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه واله ونحن اهل الشرك وتخبروننا انه
مبعوث فقال لهم سلام بن مشكم ما جاءنا بشيء وما هو بالذي كنا نذكر لكم فانزل الله
ذلك وقال قوم معنى تستفتحون يستحكمون ربهم على كفار العرب كما قال الشاعر
؛ الا ابلغ بني عصم رسولا ؛ فاني عن فتاحتكم غني ؛ اي محاكمتكم ؛ وقال قوم
معناه يستعلمون من علمائهم صفة نبي يبعث من العرب وكانوا يصفونه فلما بعث انكروه
؛ واما جواب قوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم فقال قوم ترك
جوابه استغناء بمعرفة المخاطبين معناه كما قال ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به
الارض او كلم به الموتى فترك الجواب وكان تقديره ولو ان قرآنا سوى هذا القرآن سيرت
به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لسيرت بهذا القرآن ذلك لدلالة الكلام عليه
وكذلك الاية الجواب فيها محذوف لدلالة قوله فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ؛ وقال
آخرون قوله كفروا جواب لقوله ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ولقوله
ولما جاءهم ما عرفوا ونظيره قوله فاما ياتينكم مني هدى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فصار
قوله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جوابا لقوله فاما ياتينكم ولقوله فمن تبع هداي ومثله
في الكلام قولك ما هو الا ان جاءني فلان فلما ان قعد وسعت له فصار قولك وسعت
له جوابا لقولك ما هو الا ان جاءني ولقولك فلما ان قعد وجه الاول للكتاب وجاءه الثاني
قيل انه للرسول فلذلك كرره وقوله فلعنة الله على الكافرين فقد بينا فيما مضى معنى اللعنة
ومعنى الكفر فلا وجه لاعادته وقد مضى الجواب عمن يستدل بمثل ذلك على ان الكافر قد يكون
عالما ببعض الاشياء التي اوجبها الله تعالى لخلاف ما يذهب اليه اصحاب الموافاة وان من
عرف الله فلا يجوز ان يكفر وان المعتمد على ذلك ان نقول لا يمتنع ان يكونوا قد عرفوا الله وكثيرا

وكثيرا مما وجب عليهم لكن لم يكن وقع نظرهم على وجه يستحقون به الثواب لان ذلك هو الممنوع منه
وقد بينا ايضا صفة من يتعلق بذلك من اصحاب الضرورات لان غاية ما في ذلك ان القوم
كانوا عارفين بمحمد واما عرفوا وليس يمتنع ان يكونوا عارفين استدلالا ثم جحدوا ؛
فالضرورة لم يجر لها ذكر ؛ قوله تعالى ؛
؛ بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله ؛
؛ بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا ؛
؛ بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين آية ؛
اصل بئس بئس من البؤس فاسكنت الهمزة ونقلت حركتها الى الباء كما قالوا في ظللت ظلت
وكما قيل للكبد كبد فنقلت حركة الباء الى الكاف لما سكنت الباء ويحتمل ان يكون
بئس وان كان اصلها بئس من لغة من ينقل حركة العين من فعل الى الفاء اذا كانت
عين الفعل احد حروف الحلق الستة كما قالوا في لعب لعب ؛ وفي سئم وسئم وهي
لغة تميم ؛ ثم جعلت دلالة على الذم والتوبيخ ووصلت بما واختلفوا في ما فقال
قوم من البصريين هي وحدها اسم وان يكفروا تفسير له كقولك نعم رجلا زيد ؛ وان ينزل
الله بدل من انزل ؛ وقال الفراء بئس الشيء اشتروا به انفسهم ان يكفروا
فما اسم بئس وان يكفروا الاسم الثاني ؛ وقوله ان ينزل الله من فضله
على من يشاء من عباده ان شئت جعلت ان في موضع رفع وان شئت في موضع
خفض فالرفع بئس الشيء هذا ان يكفروا ولبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله
الخفض بئس الشيء اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ؛ وفي قوله لبئس
ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم مثل ذلك قال ابو عبيدة والعرب
تجعل ما وحدها في هذا الباب بمنزلة الاسم التام وقوله فنعما هي وبئسما انت ؛
قال الراجز ؛ لا تعجلا بالسير وادلواها ؛ لبئسما بطؤ ولا نرعاها
قال ويقولون لبئسما تزويج ولا مهر فيجعلون ما وحدها اسما بغير صلة
ويروى عن النبي عليه السلام انه قال نعم ما المال الصالح للرجل الصالح فجعلت ما اسما
وقال قوم هذا الوجه ضعيف لان هذا القول يكون التقدير بئس الشيء
اشتروا به انفسهم فقد صارت ما بصلتها اسما موقتا لان اشتروا فعل ماض واذا

وصلت لفعل ماض كانت معرفة موقتة نقدمه ببئس شراءهم كفرهم وذلك غير جائز عنده
فبان بذلك فساد هذا القول وبئس ونعم لا يليهما اسم علم كزيد وعمرو واخيك وابيك
فانما يليهما المعرف بالالف واللام كقولك الرجل والمراة وما اشبه ذلك فان نزعتهما
نصبت كقوله بئس للظالمين بدلا (ع) وساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا فان كانت
نكرة مضافة الى نكرة جاز الرفع والنصب كقولك نعم غلام سفر غلامك بالرفع والنصب
حكاه الفراء (ع) وقال بعضهم ان ان في موضع خفض ان شئت وان شئت في موضع
رفع (ع) فالخفض ان ترده على الهاء في به على التكرير على كلامين لانك قلت اشتروا
انفسهم بالكفر (ع) والرفع ان يكون مكررا على موضع ما التي تلي بئس ولا يجوز ان يكون رفعا
على قولك بئس الرجل عبد الله (ع) وقال بعضهم اولى هذه الاقوال ان تجعل بئسما
مرفوعا بالراجع من الهاء في قوله اشتروا به كما رفعوا ذلك بعبد الله في قولهم بئسما
عبد الله وجعل ان يكفروا مترجما عن بئس فيكون التقدير بئس الشيء باع اليهود به انفسهم
بكفرهم بما انزل الله بغيا وحسدا ان ينزل الله من فضله ويكون ان التي في قوله ان ينزل الله
في موضع نصب لانه يعني به ان يكفروا بما انزل الله من اجل ان ينزل الله من فضله على من يشاء من
عباده وموضع ان جر والكسائي جعل ان في موضع خفض بنية الباء وانما كان النصب
اقوم لتمام الخبر قبلها ولا خافض معها وحرف الخفض اذا كان مضمرا لا يخفض به (ع) ومعنى
قوله اشتروا به انفسهم اي باعوا به انفسهم على وزن افتعلوا من الشراء وسمي البائع
الشاري بهذا لانه باع نفسه ودنياه عنده والاكثر في الكلام شريت بمعنى بعت واشتريت بردا
البني (ع) من قبل برد كنت هامه (ع) ومعنى قوله وشروه بثمن بخس اي باعوه (ع) وربما
استعملت اشتريت بمعنى بعت وشريت بمعنى ابتعت والاكثر ما قلناه (ع) وقوله بغيا اي
حسدا وتعديا فان قيل كيف باعت اليهود انفسها بالكفر وهل تشتري بالكفر شيء (ع) قيل
معنى الشراء والبيع عند العرب هو ازالة ملك المالك الى غيره بعوض يعتاضه منه ثم يستعمل
ذلك في كل معتاض من عمله عوضا خيرا كان او شرا فيقال نعم ما باع فلان نفسه به وبئس
ما باع به نفسه بمعنى نعم الكسب كسبها وبئس الكسب كسبها وكذلك (ع) قوله بئس
ما اشتروا به انفسهم بمعنى لما اوبقوا انفسهم بكفرهم بمحمد واهلكوها خاطبهم الله بما يعرف
الذي يعرفونه فقال بئسما اعتاضوا من كفرهم بالله وتكذيبهم محمدا اذ كانوا رضوا به عوضا

عوضا من ثواب الله وما اعد لهم لو كانوا امنوا بالله وما انزل على انبيائه بالنار وما اعد لهم
بكفرهم بذلك ونظير هذه الاية قوله في سورة النساء الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب الى
قوله واتيناهم ملكا عظيما وكان ذلك حسدا منهم لكون النبوة في غيرهم (ع) وقوله بغيا
نصب لانه مفعول له والمعنى فسادا (ع) قال الاصمعي ماخوذ من قولهم بغى الجرح اذا
فسد ويجوز ان يكون ماخوذا من شدة الطلب للتطاول وسميت الزانية بغيا لانها تطلب
واصل البغي الطلب وبغيا ان ينزل الله اي لان ينزل الله وكذلك كلما في القران ومثله
قول الشاعر (ع) اجزع ان بان الخليط المودع (ع) وحبل الصفا من عزة المتقطع (ع) و
قوله فباؤا بغضب على غضب اي رجعوا والمراد رجعت اليهود من بني اسرائيل بعدما كانوا
عليه من الاستنصار لمحمد صلى الله عليه واله في الاستفتاح به وبعدما كانوا يخبرون الناس
من قبل مبعثه انه نبي مبعوث مرتدين على اعقابهم حين بعثه الله نبيا بغضب من الله
استحقوه منه بكفرهم به وجحدهم نبوته وانكارهم اياه (ع) وقال السدي الغضب الاول
حين عبدوا العجل والثاني حين كفروا بمحمد صلى الله عليه واله وقال عطا وغيره الغضب
الاول حين غيروا التوراة قبل مبعث محمد صلى الله عليه واله والغضب الثاني حين كفروا
بمحمد عليه السلم (ع) وقال عكرمة والحسن الاول حين كفروا بعيسى والثاني حين كفروا
بمحمد صلى الله عليه واله وقد بينا ان الغضب من الله هو ارادة العقاب بهم وقوله
وللكافرين عذاب مهين معناه للجاحدين بنبوة محمد عذاب مهين من الله اما
في الدنيا واما في الاخرة (ع) ومهين هو المذل لصاحبه المخزي الملبس هوانا وذلة
وقيل المهين هو الذي لا ينتقل منه الى اعتزاز وتعظيم فعلى هذا من ينقل الكرام وقد
يكون غير مهين اذا كان تمحيصا وتكفيرا ينتقل بعده الى اعزاز وتعظيم فعلى هذا
من ينتقل من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهينا (ع) قال المورخ فباؤا واستوجبوا
اللعنة بلغة جرهم (ع) ولا يقال باء مفردة حتى يقول بكذا او كذا اما بخير واما بشر
قال ابو عبيدة فباؤا بغضب احتملوه واقروا (ع) به اصل البواء التقرير والاستقرار
قال الشاعر (ع) انا الحكم حتى تبوؤا بمثلها (ع) كصرخة حبلى بشرتها قبيلها
قوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم
تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين آية

بلا خلاف قوله بما انزل الله يعني القران قالوا نؤمن بما انزل علينا يعنون التورية و
يكفرون بما وراءه يعني بما بعده قال الشاعر تمني الاماني ليس شيء وراءها
كموعد عرقوب اخاه بيثرب وقال الفراء معنى وراءها سواه كما يقال للرجل يتكلم بالحسن
ما وراء هذا الكلام شيء يراد به ليس عند المتكلم شيء سوى ذلك الكلام ومعنى قوله
ويكفرون بما وراءه وهو الحق وبما سوى التورية وبما بعده من كتب الله عز وجل التي انزلها
الله الى رسله قوله وهو الحق مصدقا يعني القران مصدقا لما معهم ونصب على الحال وتمميه
الكوفيون على القطع وقوله من قبل ضم على الغاية وكذلك اخواتها نحو بعد وتحت وفوق اذا
جعلت غاية ضمت وفي ذلك خبر من الله تعالى ذكره انهم من التكذيب في التورية على مثل
الذي هم عليه من التكذيب بالانجيل والقران عنادا وخلافا لامره وبغيا قل يا محمد ليهود بني
اسرائيل اذا قلت لهم امنوا قالوا لك نؤمن بما انزل علينا لم تقتلون ان كنتم مؤمنين
بما انزل الله عليكم انبياءه وقد حرم عليكم في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم بل امركم فيه
باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم وفي ذلك تكذيب لهم في قولهم نؤمن بما انزل
علينا وتعيير عليهم وقوله فلم تقتلون ان كنتم مؤمنين بما انزل الله عليكم انبياءه
وقد حرم عليكم في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم بل امركم فيه باتباعهم وطاعتهم
وتصديقهم وفي ذلك تكذيب لهم في قولهم نؤمن بما انزل علينا وتعيير عليهم و
قوله فلم تقتلون وان كان بلفظ الاستقبال المراد به الماضي بدلالة قوله من قبل وذلك
لما مضى كما قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي ما تلت قال الشاعر
ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت عنه وقلت لا يعنيني وفي رواية اخرى ثمت
قلت يريد ولقد مررت بدلالة قوله مضيت ولم يقل فامضي وقال اخر
واني لاتيكم بذكر ما مضى من الامر واستيجاب ما كان في غد يعني بذلك
ما يكون في غد وقال الحطيئة شهد الحطيئة حين يلقى ربه ان الوليد
احق بالعذر يعني يشهد وقال اخر فما اضحى ولا امسيت الا اراني
منكم في كوفات فقال اضحى ثم قال ولا امسيت ومثله يحسب ان ماله اخلده
اي يخلده وقال بعض الكوفيين انما قال فلم تقتلون انبياء الله من قبل واراد

على رسله وقوله فلم تقتلون انبياء الله انكنتم من قبل انكنتم مؤمنين يعني من

بتوله

واراد به المضي كما يقول القائل موبخا لغيره ومكذبا له ولم تكذب ولم تبغض نفسك الى الناس
قال الشاعر اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا فالجزاء
المستقبل والولادة كلها قد مضت وجاز ذلك لانه معروف وقال قوم معناه فلم
ترضون بقتل انبياء الله ان كنتم مؤمنين وقالت فرقة ثانية فلم يقاتلون انبياء الله
تعبيرا عن القتال بالقتل لانه يؤول اليه قوله تعالى ولقد جاءكم
موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون اية
بلا خلاف ولقد جاءكم موسى يعني جاء اليهود موسى بالبينات الدالة على صدقه وصحة
نبوته كقلب العصى حية وانبجاس الماء من الحجر واليد البيضاء وفلق البحر والجراد والقمل والضفادع
وغيرها من الايات وسماها بينات لظهورها وتبينها للناظرين اليها انها معجزة لا يقدر
على ان ياتي بمثلها بشر وانما هي جمع بينة مثل طيبة وطيبات وقوله عز وجل ثم
اتخذتم العجل من بعده يعني بعد موسى لما فارقهم ومضى الى ميقات ربه ويجوز ان
يكون الهاء كناية عن المجيء فيكون التقدير ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء موسى بالبينات
وانتم ظالمون كما يقول القائل جئتني فكرهتك اي كرهت مجيئك وليس المراد بثم هاهنا
النسق وانما المراد بها التوبيخ والتعجب والاستعظام لكفرهم مع ما راوا من الايات وقوله
وانتم ظالمون يعني انكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل وليس ذلك لكم وعبدتم غير الله وكان
ينبغي لكم ان تعبدوا الله لان العبادة لا تكون لغير الله فانتم بفعل ذلك ظالمون انفسكم
قوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا
ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا و
اشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يا
مركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين اية
بلا خلاف تقديره واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم وعهودكم بان تاخذوا ما اتيناكم
من التورية التي انزلها الله على موسى بجد واجتهاد ومعناه اقبلوا ما سمعتم كما قيل سمع الله
لمن حمده اي قبل الله حمده وقال الراجز بالجد والطاعة والتسليم
خذوا على لغة تميم فصار تقدير الاية واذ اخذنا ميثاقكم بان خذوا ما اتيناكم بقوة
واعملوا بما سمعتم واطيعوا الله ورفعنا فوقكم الطور من اجل ذلك وقوله قالوا سمعنا

وعصينا فان الكلام خرج مخرج الخبر عن الغايب بعد ان كان الابتداء بالخطاب لما تقدم ذكره من ابتداء الكلام اذ كان حكاية والعرب تخاطب ثم تعود بعد ذلك الى الخبر عن الغايب ثم تخاطب لان قوله واذ اخذنا ميثاقكم يعني قلنا لكم فاجبتمونا ؛ وقوله سمعنا اخبار من الله تعالى عن اليهود الذين اخذنا ميثاقهم ان يعملوا بما في التورية وان يطيعوا الله بما يسمعون منها انهم قالوا حين قيل لهم ذلك سمعنا قولك وعصينا امرك ؛ ويحتمل ان يكون ما قالوه لكن فعلوا ما يدل على ذلك فقام الفعل مقام القول كما قال الشاعر ؛ امتلا الحوض وقال قطني ؛ مهلا رويدا قد ملات بطني ؛ وقوله واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم فيه وجوه احدها ما قال قتادة وابو العالية واشربوا في قلوبهم حب العجل يقال اشرب قلبه حب كذا وكذى ؛ قال زهير ؛ فصحوت عنها بعد حب داخل والحب يشربه فؤادك داء ؛ وقالت اعرابية حج باهلي من عاد ونفسي فداؤه ؛ به هام قلبي منذ حين ؛ هوى اشربته النفس ايام جهلها ولجعليه القلب في سالف الدهر ؛ وقال السدي لما رجع موسى الى قومه اخذ العجل الذي وجدهم عاكفين عليه فذبحه ثم حرقه بالبرد ثم ذراه في اليم فلم يبق بحر يجري يومئذ الا وقع فيه شيء منه ثم قال اشربوا فشربوا فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب والاول عليه اكثر محصلي المفسرين وهو الصحيح لان الماء لا يقال فيه اشرب منه فلان في قلبه وانما يقال ذلك في حب الشيء على ما بيناه ولكن ترك ذكر الحب اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام اذ كان معلوما ان العجل لا يشرب القلب وان الذي اشرب منه حبه كما قال واسال القرية وانما اراد اهلها كما قال الشاعر ؛ حسبت بغام راحلتي عناقا ؛ وما هي ويب غيرك بالعناق ؛ يريد بذلك حسبت بغام راحلتي بغام عناق ؛ وقال طرفة بن العبد ؛ الا انني سقيت اسود حالكا الا على الشراب لا بجلي ؛ يريد بذلك سقيت سم اسود فاكتفى بذكر اسود عن ذكر السم لمعرفة السامع بمعنى ما اراد بقوله سقيت اسود ؛ وقال اخر وكيف تواصل من اصبحت ؛ خلالته كابي مرحب ؛ اي كخلالة ابي مرحب ؛ وقال اخر ؛ وشر المنايا ميتة وسط اهله ؛ اي ميتة ميت ؛ وقد يقول العرب اذا سرك ان تنظر الى السخا فانظر الى هرم او الى حاتم فيجترون بذكر الاسم عن ذكر فعله للعلم به ؛ وقوله قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين معناه قل يا محمد

محمد ليهود بني اسرائيل بئس الشي يامركم به ايمانكم ان كان يامركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه وجحد ما جاء من عنده ؛ وقال الازهري معنى ان كنتم اي ما كنتم مؤمنين نفيا والاول اجود ومعنى ايمانهم تصديقهم الذي زعموا انهم مصدقون من كتاب الله اذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا وقوله ان كنتم مؤمنين اي ان كنتم مصدقين كما زعمتم فاخبران تصديقهم بالتورية انه كان يامرهم بذلك فبئس الامر يامرهم به وانما ذلك نفي عن التورية ان يكون يامر بشي مما يكرهه الله من افعالهم واعلاما منه ان الذي يامرهم به اهواؤهم ويحملهم عليه عدو انهم وهذا كما يقول الرجل بئس الرجل انا ان رضيت بفعلك او ساعدتك عليه والمعنى بما اشربوا من محبة العجل وليس المعنى انهم في ذلك اشربوا حب العجل جزاء على كفرهم لان محبة العجل كفر قبيح والله لا يفعل الكفر في العبد لا ابتداء ولا مجازاة قوله تعالى قل ان كانت لكم ؛ الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ؛ اية واحدة بلا خلاف هذه الاية مما احتج الله بها ولبها النبيه صلى الله عليه واله على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره وفضح بها احبارهم وعلماءهم لانه دعاهم الى قضية عادلة بينه وبينهم كما كان من الخلف الواقع بينهم فقال الفريق من اليهود ان كنتم صادقين ان الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم او دون محمد واصحابه الذين امنوا به فتمنوا الموت لان من اعتقد انه من اهل الجنة قطعا كان الموت احب اليه من حيوة الدنيا التي فيها التنغص وانواع الالام والمشاق ومفارقتها الى نعيم خالص يتخلص به من اذى الدنيا ؛ وقوله فتمنوا الموت وان كان صورته صورة الامر فالمراد به التوبيخ والزام الحجة ؛ وروي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا ولراوا مقاعدهم من النار فقال الله تعالى لهم ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم تحقيقا لكذبهم فقطع على انهم لا يظهرون التمني وفي ذلك اعظم الدلالة على صدقه لانه اخبر بشي قبل كونه فكان كما اخبر لانه لا خلاف انهم لم يتمنوا وقيل انهم ما تمنوا لانهم علموا انهم لو يتمنون الموت لماتوا كما قاله فلذلك لم يتمنوه وهذا قول ابن عباس ؛ وقال غيره ان الله صرفهم عن اظهار التمني ليجعل ذلك اية لنبيه صلى الله عليه واله اما التمني فهو قول لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليت كان ؛ وقال قوم هو معنى في القلب غير انه لا خلاف انه ليس من قبيل الشهوة فمن قال من المعتزلة انه اراد فتشهوا فقد اخطا ؛ وقد روي عن ابن عباس انه قال فسالوا الموت وهذا بعيد

لان التمني يجري مجرى السوال لا يعرف في اللغة ايضا فان قيل من اين انهم ما تمنوه بقلوبهم عند من قال

انه معنى في القلب ايضا قلنا لو تمنوه بقلوبهم لاظهروه بالسنتهم حرصا منهم على تكذيبه في

اخباره وجهدا في اطفاء امره وهذه القصة شبيهة بقصة المباهلة وان النبي صلى الله عليه

واله لما دعا النصارى الى المباهلة امتنعوا القلة ثقتهم بما هم عليه وخوفهم من صدق النبي صلى الله

عليه واله ومعنى خالصة صافية يقال خلص لي هذا الامر اي صار لي وحدي وصفا لي

يخلص خلوصا وخلصة والخالصة مصدر كالعافية يقال للرجل هذا خلصاني اي خاصتي

من دون اصحابي قوله تعالى **ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم**

والله عليم بالظالمين اية بلا خلاف اخبر الله تعالى عن

هولاء الذين قيل لهم تمنوا الموت ان كنتم صادقين بانهم لا يتمنون ذلك ابدا وقد بينا

ان ذلك دلالة على صدق النبي عليه السلام من حيث تضمنت انهم لا يتمنون ذلك في المستقبل

وكان كما قال وقوله ابدا نصب على الظرف اي لم يتمنوه طول عمرهم كقول القايل لا اكلمك ابدا و

انما يريد ما عشت ايضا وقوله بما قدمت ايديهم معناه بالذي قدمت ايديهم ايضا ويحتمل

ان يكون المراد بتقدمة ايديهم فيكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر ايضا وقوله والله

عليم بالظالمين انما خص الظالمين بذلك وان كان عالما بغيرهم لان الغرض بذلك

الزجر كانه قال عليم بمجازاة الظالمين كما يقول القايل لغيره مهددا له انا عالم بك

بصير بما تعمله ايضا وقيل انه عليم بانهم لا يتمنون ابدا حرصا على الحيوة لان كثيرا منهم

يعلم انه مبطل وهم المعاندون منهم الذين يكتمون الحق وهم يعلمون قوله تعالى

ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا يود احدهم

لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون اية

واحدة بلا خلاف ايضا قال ابن عباس وابو العالية ومجاهد والربيع ان المعنى بقوله

احرص الناس على حيوة اليهود واحرص من الذين اشركوا وهم المجوس وهم الذين يود احدهم

لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه لانه اذا دعى بعضهم لبعض يقول له هزار سال بزي اي

عشرة الاف سنة واليهود احرص على الحيوة منهم وما هو بمزحزحه اي بمباعده من

العذاب ان يعمر لانه لو عمر ما تمنى لما دفعه طول العمر من عذاب الله تعالى على معاصيه انما

وصف الله اليهود بانهم احرص الناس على حيوة لعلمهم بما قد اعد الله لهم في الاخرة على

كفرهم مما لا يقر به اهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث ويعلمون ما هنالك من العذاب

وان المشركين لا يصدقون ببعث ولا عقاب واليهود احرص منهم على الحيوة واكره للموت ايضا

قوله وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر يعني وما التعمير وطول البقاء بمزحزحه من عذاب

الله وهو عماد لطلب ما الاسم اكثر من ان في قوله ان يعمر رفع بمزحزحه وحسنت الباء

في قوله بمزحزحه كما يقول ما عبد الله بملازمه زيد وهي التي مع ما ذكره عماد للفعل لاستقباح

العرب النكرة قبل المعرفة وقال قوم ان هو التي مع ما كناية عن ذكر العمر وجعل ان يعمر مترجما

عن هو يريد ما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر اي وان عمر ايضا قال الزجاج وما هو كناية

عن احدهم كانه قال وما احدهم بمزحزحه من العذاب كانه قال وما احدهم بمزحزحه من العذاب

كانه قال يود احدهم ان يعمر الف سنة وما ذلك العمر بمزحزحه من العذاب ايضا وقوله

بمزحزحه اي بمبعده ايضا قال الحطيئة ايضا فقالوا تزحزح لابنا فضل حاجة

اليك ولا منا لوهيك راقع ايضا يعني تباعد يقال منه زحزحه يزحزحه زحزحة وزحزاحا

فتاويل الاية وما طول العمر بمبعده من عذاب الله ولا منجيه منه لانه لا بد للعمر من الفناء

فيصير الى الله تعالى ايضا وقال الفراء احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا الصا

والله اعلم ايضا كقولك هو اسخى الناس ومن حاتم ومن هرم لان تاويل قولك اسخى

الناس انما هو اسخى من الناس ايضا وقوله والله بصير بما تعملون قرئ بالتاء والياء معا اي

لا يخفى عليه شي من اعمالهم بل هو بجميعها محيط ولها حافظ حتى يذيقهم بها العذاب ومعنى

بصير مبصر عند اهل اللغة وسميع بمعنى مسمع لكنه صرف الى فعيل في بصير وسميع ايضا ومثله

عذاب اليم بمعنى مولم وبديع السموات بمعنى مبدع وعند المتكلمين المبصر هو المدرك للمبصرات

والبصير هو الحي الذي لا افة به لانه يجب ان يبصر المبصرات اذا وجدت وليس احدهما

هو الاخر ايضا وكذلك سميع ومسمع ايضا وقوله يود يقول وددت الرجل اوده ودا وودا

وودادا ووداده ومودة وودا ولا يكون ماضيه الا وددت وقد قال بعض المفسرين ان

تاويل قوله لتجدنهم احرص الناس على حيوة اي من الناس اجمع ثم قال واحرص من الذين اشركوا

على وجه التخصيص لان من لا يومن بالبعث والنشور يكون حرصه على البقاء في الدنيا

اكثر ممن يعتقد الثواب والعقاب ايضا فان قيل اليس نجد كثيرا من المسلمين يحرصون

على الحيوة ويكرهون الموت فكيف تدل هذه الاية على ان اليهود لم يكونوا على ثقة مما كانوا

طلبها الفعل كما قال الشاعر

وهل هو مرفوع بما ههنا راس

يدعونه من انهم اولى به من المسلمين مع ان المسلمين يشاركونهم في الحرص على الحيوة وهم على يقين
من الاخرة وما فيها من الثواب والعقاب ﴿ا﴾ قيل ان المسلمين لا يدعون ان الدار الاخرة لهم
خالصة ولا انهم احبا الله ولا انهم من اهل الجنة قطعا كما كانت اليهود تدعي ذلك بل هم
مشفقون من ذنوبهم يخافون ان يعذبوا عليها في النار فلهذا يشفقون من الموت
ويحبون الحياة ليتوبوا من ذنوبهم التي يخافون ان يعذبوا عليها في النار فلهذا يشفقون
من الموت ويحبون الحيوة ليتوبوا من ذنوبهم ويصلحوا اعمالهم ومن كان على يقين مما يصير اليه
لم يؤثر الحيوة على الموت كما روي عن علي عليه السلم انه قال لا ابالي سقط الموت علي او
سقطت على الموت ﴿ا﴾ وقال اللهم سئمتهم وسئموني فابدلني بهم خيرا
منهم وابدلهم بي شرا مني ﴿ا﴾ وقوله اللهم عجل لي الراحة وعجل لهم الشقوة
وكما روي عن عمار رحمة الله عليه انه قال يوم صفين اليوم القى الاحبة محمدا وصحبه وكما
قال حذيفه عند الموت حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم ﴿ا﴾ قوله تعالى

﴿قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله
مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾ آية

واحدة بلا خلاف ﴿ا﴾ قرا ابن كثير جبريل بفتح الجيم وكسر الراء وبعدها ياء ساكنة
من غير همز ومكسورة ﴿ا﴾ وقرا حمزة والكسائي وخلف وابو بكر الا يحيى بفتح الجيم
والراء بعدها همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن جبرعيل وروى يحيى لذلك
الا انه حذف بعد الهمزة فيصير جبرئل الباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء ساكنة من
غير همز ﴿ا﴾ وقرا اهل البصرة ميكال بغير همز ولا ياء وقرا اهل المدينة بهمزة مكسورة بعد
الالف مثل ميكاعل الباقون باثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على وزن ميكاعيل
قال ابو الحسن الاخفش في جبرئيل ست لغات جبرائيل وجبرئيل وجبرل
وجبريل وجبرئل وجبرئل ﴿ا﴾ وحكى الزجاج بالنون ايضا بدل اللام وهي لغة بني اسد
وبتشديد اللام اجمع اهل التاويل على ان هذه الاية نزلت جوابا لليهود حين زعموا
محمد صلى الله عليه واله وقالوا جبرئيل عدونا ياتي بالحرب والجدب وميكائيل ياتي
بالسلام والخصب ﴿ا﴾ فقال الله تعالى قل من كان عدوا لجبريل اذ كان هو المنزل
الكتاب عليه فانه انما انزله على قلبه باذن الله لا من تلقاء نفسه وانما انزل لما هو

ان جبريل عدو لهم وان ميكائيل ولي لهم لما اخبروا ان جبرئيل هو الذي نزل على محمد

هو مصدق بين يديه من الكتب التي في ايديهم لا مكذب لها وانه وان كان فيما انزل الامر بالحرب
والشدة على الكافرين فانه هدى وبشرى للمؤمنين ﴿ا﴾ وقوله على قلبك ولم يقل على قلبي كقولك للذي
تخاطبه لا يقل للقوم ان الخبر عندك ويجوز ان يقول لا يقل ان الخبر عندي وكما تقول قال القوم
جبرئيل عدونا ويجوز ان يقول قالوا جبرئيل عدوهم ولا ينبغي ان يستنكر احد ان اليهود يقول ان
جبرئيل عدونا الان يجهل في هولاء اكثر من ان يحصى وهم الذين اخبر الله عنهم بعد مشاهدة
فلق البحر والمعجزات الباهرة اجعل لنا الها كما لهم الهة وقالوا ارنا الله جهرة ومثل ذلك
طائفة من النصارى تعادي سليمان فلا تذكره ولا تعظمه ولا تقر بنبوته ﴿ا﴾ وجبرائيل وميكائيل
اسمان اعجميان اعربا ﴿ا﴾ وقيل ان جبر عبد وايل الله ومثل عبد الله وضعف ذلك
ابو علي الفارسي من وجهين احدهما ان ايل لا يعرف في اسماء الله في لغة العرب والثاني انه
لو كان كذلك لكان اخره مجرورا كما فعل ذلك في سائر الاسماء المضافة والامر بخلافه
وكان سبب نزول هذه الاية ما روي ان ابن صوريا وجماعة من يهود اهل فدك لما قدم
النبي عليه السلام المدينة سالوه فقالوا يا محمد كيف نومك فقد اخبرنا عن نوم النبي الذي ياتي
في اخر الزمان فقال تنام عيناي وقلبي يقظان فقالوا صدقت يا محمد فاخبرنا عن الولد يكون
من الرجل او من المراة فقال اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المراة قالوا صدقت يا محمد فما بال الولد يشبه اعمامه ليس فيه من شبه اخواله شي او يشبه
اخواله ليس فيه من شبه اعمامه شي فقال ايهما علا ماؤه كان الشبه له قالوا صدقت يا محمد
فاخبرنا عن ربك ما هو فانزل الله تعالى قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد فقال له ابن صوريا خصلة واحدة ان قلتها امنت بك واتبعتك اي
ملك ياتيك بما ينزل الله لك قال جبرئيل قالوا ذلك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب
وميكائيل ينزل بالبشر والرخاء فلو كان ميكائيل هو الذي ياتيك امنا بك فانزل الله
عز وجل هذه الاية ﴿ا﴾ وقوله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين يعني القران
ونصب مصدقا على الحال ﴿ا﴾ والهاء في قوله نزله على قلبك يا محمد مصدقا لما بين يديه
يعني القران ويعني مصدقا لما سلف من كتب الله امامه التي انزلها على رسله وتصديقه اياها
موافقة لمعانيها في الامر باتباع النبي صلى الله عليه واله وما جاء به من عند الله وانما اضافه
هدى وبشرى للمؤمنين من حيث كانوا المهتدين به والعاملين به على ما بيناه وما مضى

قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين آية قد بينا اختلاف القراء في جبريل وميكائيل وان كانا من جملة الملائكة فانما افردا بالذكر لاجل امرين احدهما ذكر الفضلهما ومنزلتهما كما قال فيهما فاكهة ونخل ورمان ولما تقدم من فضلهما وان الاية نزلت فيهما وفيما جرى من ذكرهما والثاني ان اليهود لما قالت جبريل عدونا وميكال ولينا خصا بالذكر لئلا يزعم اليهود ان جبريل وميكائيل مخصوصان من جملة الملائكة وغير داخلين في جملتهم فنص الله تعالى عليهما لابطال ما يتأولونه من التخصيص ثم قال فان الله عدو للكافرين ولم يقل فانه فكرر اسم الله لئلا يظن ان الكناية راجعة الى جبرائيل او ميكائيل ولم يقل لهم لانه يجوز ان ينتقلوا عن العداوة بالايمان وفي هذه الاية دلالة على خطاء من قال من المجبرة ان الامر ليس بمحدث احتجاجا بقوله الا له الخلق والامر قالوا فلما افرد الامر بالذكر بعد ذكره الخلق دل على ان الامر ليس بمخلوق ولو كان الامر على ما قالوه لوجب ان لا يكون جبريل وميكائيل من الملائكة ونظير ذلك ايضا قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح

قوله تعالى

ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون

آية بلا خلاف معنى الايات يحتمل امرين احدهما ذكره البلخي وجماعة من اهل العلم انه سائر الايات المعجزات التي اعطاها الله النبي عليه السلام من الايات القرآن وما فيه وغير ذلك من الدلالات وقال بعضهم هو الاخبار عما غمض مما في كتب الله السالفة من التورية والانجيل وغيرهما وقال ابن عباس ان ابن صوريا القطراني قال لرسول الله صلى الله عليه وآله يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية بينة فنتبعك لها فانزل الله في ذلك ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون فان قال بعض اليهود انتم مقرون بآبائنا ونحن نجحد بآبائكم فحجتنا لازمة لكم لانها مردودة الى ما تعترفون به قيل لهم يجب على هذا الا يكون لهم حجة على الدهرية والبراهمة والثنوية لانهم لا يعترفون بآبائكم وانما قال وما يكفر بها الا الفاسقون ولم يقل الكافرون وان كان الكفر اعظم من الفسق لاحد امرين احدهما انه عنى انها خرجت عن اديانهم وان ظهروا انهم يتمسكون بها لان اليهود قد خرجت بالكفر بالنبي عليه السلام من شريعة موسى والفسق هو الخروج عن امر الله الى ما يعظم من معصيته والثاني انه اراد الفاسقين المتمردين في كفرهم

كفرهم لان الفسق لا يكون الا اعظم الكبائر فان كان في الكفر فهو اعظم الكفر وان كان فيما دون الكفر فهو اعظم المعاصي هذا انما يجيء على مذهب الحسن لانه ذكر ان الفاسقين عنى به جميع من كفر بها وقد يدخل في هذا الكلام احد امرين احدهما القوم يتوقعون الخبر والمقرب الماضي من الحال يقول قد ركب الامير وجاء زيد وقد عزم على الخروج اي عازما عليه وهي ها هنا مع لام القسم على هذا التقدير قوم يتوقعون الخبر لان الكلام اذا خرج ذلك المخرج كان اوكد وابلغ والاية هي العلامة التي فيها عبرة وقيل العلامة هي الحجة والبينة الدلالة الفاصلة بين القصة الصادقة والكاذبة مأخوذة من ابانة احد الشيئين عن الآخر فيزول التباسه به

قوله تعالى

اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون آية واحدة

الواو في قوله اوكلما عند سيبويه واكثر النحويين واو العطف الا ان الف الاستفهام دخلت عليها لان لها صدر الكلام وهي اول الاستفهام بدلالة ان الواو يدخل على هل لان الالف اقوى منها قال الزجاج وغيره يقول وهل زيد عاقل ولا يجوز وازيد عاقل وقال بعضهم يحتمل ان يكون زائدة كزيادة الفاء في قولك افالله لتصنعن والاول اصح لانه لا يحكم بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة والعطف على قوله خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم وانما اتصل ذكر العهد بما قبله لاحد امرين احدهما بقوله واذ اخذنا ميثاقكم والثاني انهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات والمراد بالعهد ها هنا الميثاق الذي اخذ الله ليؤمنن بالنبي الامي على قول ابن عباس وقال ابو علي المعني به العهود التي كانت اليهود اعطوها من انفسهم في ايام انبيائهم وفي ايام نبينا محمد صلى الله عليه وآله لانهم كانوا عاهدوه انهم لا يعينوا عليه احدا فنقضوا ذلك واعانوا عليه قريشا يوم الخندق وقوله نبذه النبذ والطرح والالقاء نظائر قال صاحب العين والنبذ طرحك الشيء عن يدك امامك او خلفك والمنابذة انتباذ الفريقين للحرب يقول نابذناهم على سواء اي نابذناهم الحرب والمنبوذون هم الاولاد الذين يطرحون والنبيذ معروف والفعل نبذت لي ولغيري وانتبذت خاصة لنفسي والمنابذة في البيع منهي عنها وهي كالرمي كانه اذا رمى اليه وجب له وسمي النبيذ نبيذا لان التمر كان يلقى في الجر وغيره وهو فعيل بمعنى مفعول واصاب الارض نبذ من المطر اي قليل قال فلان معنى نبذه في الاية نقضه وقيل تركه وقيل القاه والمعنى متقارب قال ابو الاسود الدؤلي نظرت الى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا وقوله بل اكثرهم الهاء والميم عائدتان على العاهدين ولا يصلح

على الفريق اذ كانوا كلهم غير مومنين ؛ واما المعاهدون فمنهم من آمن كعبد الله ابن سلام وكعب الاحبار
وغيرهما وانما دخلت بل على قوله بل اكثرهم لا يومنون لامرين احدهما انه لما قال نبذه فريق منهم
دل على انه كفر ذلك الفريق بالنقض وحسن هذا التفصيل لان منهم من ينقض عنادا ومنهم من ينقض جهلا
والوجه الثاني كفر فريق منهم بالنقض وكفر اكثرهم بالجحد للحق وهو امر النبي عليه السلام وما يلزم من اتباعه
والتصديق به ؛ وقيل بل يعني ان الفريق وان كانوا هم المعاندون والجميع كافرون كما يقول زيد كريم بل
بل قومه جميع كرام ؛ وقوله اوكلما انصب على الظرف والعامل فيه نبذه ولا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا
لانه متمم لما ما صلة واما صفة ؛ قوله تعالى ولما جاءهم رسول من
عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب
كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون الآية ؛
قال السدي واكثر المفسرين المعني بالرسول محمد صلى الله عليه واله وقال بعضهم يجوز ان يعني
به ها هنا الرسالة كما قال كثير ؛ لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ؛ بليلى ولا ارسلتهم برسول
وهذا ضعيف لانه خلاف الظاهر قليل الاستعمال ؛ والكتاب يحتمل ان يراد به التورية والانجيل
ان يراد به القران قال السدي نبذوا التورية واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت
يعني انهم تركوا ما يدل عليه التورية من صفة النبي عليه السلام ؛ وقال قتادة وجماعة من اهل العلم
ان ذلك الفريق كانوا معاندين ؛ وقال ابو علي لا يجوز على جماعتهم ان يكتموا ما علموا مع كثرة
عددهم واختلاف هممهم لانه خلاف العادة ولكن يجوز على الجمع الكثير ان يتواطوا على الكتمان ولذلك
قال فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله ؛ وقوله مصدق لما معهم يحتمل امرين احدها
مصدق لما معهم لانه جاء على الصفة التي تقدمت بها البشارة ؛ والثاني انه مصدق بالتورية
انها حق من عند الله والاول احسن لان فيه حجة عليهم وعبرة لهم ؛ وقال الحسن مصدق لما
معهم من التورية والانجيل ؛ وقال غيره يصدق بالتورية لان الاخبار ها هنا عن اليهود دون
النصارى وانما قال نبذه فريق منهم من الذين اوتوا الكتاب ولم يقل منهم اذ تقدم ذكرهم ؛
لاحد امرين احدهما انه لما اريد علماء اهل الكتاب اعيد ذكرهم لاختلاف المعنى على قول
البلخي ؛ والثاني انه للبيان وكان يجوز النصب في مصدق لان كتابا قد وصف لانه
من عند الله على ما قاله الزجاج ؛ وقوله كانهم لا يعلمون فمعناه انهم يعلمون وكانهم لكفرهم
وكتمانهم لا يعلمون ؛ قوله تعالى ؛ ؛ واتبعوا

واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمن وما كفر سليمن
ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما
انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما
يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر
فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم
بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم
ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتريه ما له في الآخرة من خلاق
ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ١٠٢ آية بلا خلاف
قرا ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ولكن الشياطين ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف
النون من لكن وكسرها في الوصل ورفع الاسم بعدها ؛ الباقون بالتشديد وروي تثنية
الملكين بكسر اللام ها هنا حسب واختلفوا في المعني بقوله واتبعوا على ثلثة اقوال فقال ابن جريج
وابو اسحاق المراد به اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه واله ؛ وقال الجبائي
المراد به اليهود الذين كانوا في زمن سليمن وقال قوم المراد به الجميع وهو قول المتاخرين وقال
لان متبعي السحر من اليهود لم يزالوا منذ عهد سليمن الى ان بعث محمد صلى الله عليه واله
وروي عن الربيع ان اليهود سالوا محمدا صلى الله عليه واله زمانا عن امور من التورية
لا يسالونه عن شيء من ذلك الا انزل الله عليه ما سالوا عنه فيخبرهم فلما راوا ذلك قالوا
هذا اعلم بما انزل علينا منا وانهم سالوه عن السحر وخاصموه فانزل الله عز وجل واتبعوا ما
تتلوا الشياطين على ملك سليمن ومعنى تتلوا قال ابن عباس تتبع لان التالي تابع وقال
بعضهم بدعي وليس بمعروف ؛ وقال قتادة وعطا معناه تقرا من تلوت كتاب الله اي
قراته ؛ وقال تعالى هنالك تتلوا كل نفس ما اسلفت اي تتبع ؛ وقال
حسان بن ثابت ؛ نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ؛ ويتلو كتاب الله في كل
مشهد ؛ والذي تتلو هو السحر على قول ابن اسحاق وغيره من اهل العلم ؛ وقال بعضهم
الكذب بمعنى قوله على ملك سليمن على عهد سليمن قال ابن اسحاق وابن جريج في ملك
سليمن حين كان حيا وهو قول المبرد ؛ وقال قوم انما قال تتلوا على ملك لانهم كذبوا عليه
بعد وفاته كما قال ويقولون على الله الكذب ؛ وقال اتقولون على الله ما لا تعلمون وقال

وقال الشاعر عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصح مرّ وما بي ان اكون اعيب يحيى ويحيى طاهر الاخلاق برّ ولكن قد اتاني ان يحيى يقال عليه في نفعا بشر فاذا صدق قيل تلا عنه واذا كذب قيل تلا عليه واذا اتهم جاز فيه الامران وقوله الشياطين قال قوم هم شياطين الجن لان ذلك هو المستفاد من اطلاق هذه اللفظة وقال بعضهم المراد به شياطين الانس المتمردة في الضلالة كما قال جرير ايام يدعونني الشيطان من غزل وكن يهوينني اذ كنت شيطانا وقوله وما كفر سليمان وان لم يجر لذلك ذكر يكون هذا تكذيبا لمن ادعاه ان اليهود اضافوا الى سليمان السحر وزعموا ان ملكه كان به فبرّأه الله مما قالوا وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وقال ابن اسحاق قال بعض احبار اليهود الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا والله ما كان الا ساحرا فانزل الله تعالى وما كفر سليمان وقيل تقدير الكلام واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان من السحر فتضيفه الى سليمان وما كفر سليمان لان السحر لما كان كفرا نفى الله تعالى عنه ذلك عليه السلام وان كانوا لم يضيفوا اليه كفرا والسبب الذي لاجله اضافت اليهود الى سليمان السحر ان سليمان جمع كتب السحر تحت كرسيه وقيل في خزائنه لئلا يعمل به فلما مات وظهر عليه قالت الشياطين بهذا كان يتم ملكه وشاع في اليهود وقبلوه لعداوتهم لسليمان وقيل انهم وضعوا الكتاب بعد سليمان واضافوه اليه وقالوا بهذا كان يتم له ما كان فيه فكذبهم الله تعالى في ذلك ونفى عنه ذلك والسحر والكهانة والحيلة نظائر يقال سحره يسحره سحرا واسحرنا اسحارا وسحره تسحيرا قال صاحب العين السحر عمل يقرب الى الشيطان كل ذلك تكونه السحر ومن السحر الاخذة التي تاخذ العين حتى يظن ان الامر كما يرى وليس الامر كما ترى والجمع الاخذ والسحر البيان من اللفظ كما قال النبي عليه السلام ان من البيان لسحرا والسحر فعل السحر وشي يلعب به الصبيان اذا مد خرج على لون فاذا مد من جانب اخر خرج على لون اخر يسمى السحارة والسحر الغدو قال لبيد ارانا موضعين لامر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب وقال اخر فان تسألينا مم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر وقوله انما انت من المسحرين يعني من المخلوقين وفي تفسير العربية هو المخلوق الذي يطعم ويسقى والسحر اخر الليل تقول لقيته سحرا منون وسحر بلا تنوين اذا جعلته مقصودا اليه ولقيته بالسحر الاعلى ولقيته بسحرة ولقيته سحرة بالتنوين قال الطرماح بان الخليط بسحرة فتبددوا والدار تشعب بالخليط وتبعد وتسحرنا اكلنا سحرا واسحرنا كقولك

كقولك اصبحنا والسحر الرئة مخفف وما يتعلق بالحلقوم ويقال للجبان اذا جبن انتفخ سحره و استحر الطاير اذا غرد بسحر واصل الباب الخفا والسحر قيل الخفا سببه توهم قلب الشي عن حقيقته كفعل السحرة في وقت موسى لما اوهموا ان العصا والحبال صارت حيوانا فقال يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقوله لكن الشياطين كفروا قيل فيه ثلثة اقوال احدها انهم كفروا بما نسبوه الى سليمان من السحر والثاني انهم كفروا بما استخرجوه من السحر والثالث معناه ولكن الشياطين سحروا فعبر عن السحر بالكفر وقوله يعلمون الناس السحر قيل فيه قولان احدهما انهم القوا السحر اليهم فتعلموه وقوله وما انزل على الملكين قال ابن عباس وقتادة وابن زيد و السدي ان ما بمعنى الذي وقال الربيع في احدى الروايتين عن ابن عباس انها بمعنى الجحد وقيل انها عطف وروى عن القسم بن محمد انها تحتمل الامرين وموضع ما نصب لعطفها على السحر وقيل انها عطف على ما في قوله ما تتلوا الشياطين وقال بعضهم موضعها جر عطف على ملك سليمان وعلى ما انزل ومن قرا بكسر اللام في الملكين قال هما من ملوك بابل وعلوجها وهو قول ابي الاسود الدؤلي والربيع والضحاك وبه قرا الحسن البصري ورواها عن ابن عباس واختلف من قال بهذا فقال قوم كانا مومنين ولذلك نهيا عن الكفر وقال قوم انهما كانا نبيين من انبياء الله ومن قرا بالفتح قال قوم منهم كانا ملكين وقال اخرون كانا شيطانين وقال قوم هما جبريل وميكائيل خاصة واختلفوا في بابل فقال قوم هي بابل العراق لانها تتبلبل بها الالسن روي ذلك عن عايشة وابن مسعود وقيل بابل دماوند ذكره السدي وقال قتادة هي من نصيبين الى راس العين وقال الحسن ان الملكين ببابل الكوفة الى يوم القيمة وان من اتاهما سمع كلامهما ولا يراهما وبابل بلد لا ينصرف وقيل في معنى السحر اربعة اقوال احدها انه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها يخيل الى المسحور ان لها حقيقة والثاني انه اخذ بالعين على وجه الحيلة والثالث انه قلب الحيوان من صورة الى صورة وانشاء الاجسام على وجه الاختراع فيمكن الساحر ان يقلب الانسان حمارا وينشي اجساما والرابع انه ضرب من خدمة الجن كالذي يمسك له التجدل فيصرع واقرب الاقوال الاول لان كل شي خرج عن العادة الخارقة فانه لا يجوز ان يتاتى من الساحر ومن جوز للساحر شيئا من هذا فقد كفر لانه لا يمكنه مع ذلك العلم بصحة المعجزات الدالة على النبوات

لانه اجاز مثله من جهة الحيلة والسحر، وقوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا
تكفر يتصل قوله فلا تكفر باحد ثلثة اشياء، احدها فلا تكفر بالعمل بالسحر ر والثاني فلا
تكفر بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله عز وجل به كما امتحن بالنهر في قوله فمن شرب منه
فليس مني وثالثها فلا تكفر بواحد منهما للتعلم للسحر والعمل به ر فان قيل كيف يجوز
ان يعلم الملكان السحر قيل يعلمان ما السحر وكيف الاحتيال به ليجتنب ولئلا يتموه على الناس
انه من جنس المعجزات التي تظهر على يد الانبيا فيبطل الاستدلال بها ر وقال جماعة من
المفسرين منهم ابو علي وغيره انزلهما الله من السماء وجعلهما بهيئة الانس حتى ينبا الناس
ببطلان السحر ر وقال الحسن وقتادة اخذ عليهما الا يعلماه حتى يقولا انما نحن فتنة فلا
تكفر على قول من جعل ما جحدا ر وقوله وما انزل على الملكين ان يكون ذلك من قول
هاروت وماروت وليسا ملكين كما يقول الغاوي الخليع لنا انك في ضلال فلا ترد ما انا
فيه فيقر بالذنب وهو يابيه والتقدير على هذا ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت
فمن قرا الملكين بفتح اللام وهو قراة الجمهور اختلفوا فمنهم من قال ان سحرة اليهود زعموا ان
الله انزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمان فاكذبهم الله تعالى وفي الكلام تقديم و
تاخير فتقديره وما كفر سليمان وما انزل على الملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس
السحر ببابل هاروت وماروت وهما رجلان ببابل عن الملكين اسم احدهما هاروت
والاخر ماروت ويكون هاروت وماروت بيانا عن الناس ر وقال قوم ان
هاروت وماروت ملكان من الملئكة واختلفوا في سبب هبوطهما على قولين فقال
قوم ان الله اهبطهما ليامرا بالدين وينهيا عن السحر لان السحر كان كثيرا في ذلك الوقت
ثم اختلفوا فقال قوم كانا يعلمان الناس كيفية السحر وينهيانهم عن فعله ليكون النهي
بعد العلم به لان من لا يعرف الشي فلا يمكنه اجتنابه ر وقال قوم اخرون لم يكن للملكين
تعليم السحر ولا اظهاره لان في تعليمه من الاغراء بفعله ر والثالث هبطا لمجرد النهي اذ كان
السحر فاشيا ر وقال قوم كان سبب هبوطهما ان الملئكة تعجبت من معاصي بني آدم
مع كثرة نعم الله عليهم فقال لهم اما لو كنتم مكانهم لعملتم مثل اعمالهم فقالوا سبحانك
ما كان ينبغي لنا فامرهم ان يختاروا ملكين ليهبطا الى الارض فاختاروا هاروت
وماروت فاهبطا الى الارض وركب فيهما شهوة الطعام والشراب والنكاح واحل

ومعنى قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر

واحل لهما كل شي بشرط الا يشركا بالله ولا يشربا الخمر ولا يزنيا ولا يقتلا النفس التي حرم الله فعرضت
لهما امراة للحكومة فمالا اليها فقالت لهما لا اجيبكما حتى تعبدا صنما وتشربا الخمر وتقتلا
النفس فعبدا الصنم وواقعاها وقتلا سايلا مر بهما خوفا ان يشهر امرهما في حديث طويل
لا فايدة في ذكره قال كعب فوالله ما امسيا من يومهما الذي اهبطا فيه حتى
استكملا جميع ما نهيا عنه فتعجبت الملئكة من ذلك ثم لم يقدر هاروت وماروت على
الصعود الى السماء وكانا يعلمان الناس السحر ومن قال بعصمة الملئكة لم يجز هذا الوجه
وقال قوم من اهل التاويل ان ذلك على عهد ادريس ر وانما قوله انما نحن فتنة ا
ي الامتحان والفتنة والاختبار نظاير يقال فتنه فتنة وافتتنه افتتانا وقال
ابو العباس فتن الرجل وفتن يعني اختبر وتقول فتنت الرجل وافتتنته ولغة قريش
فتنته ر قال الله تعالى وفتناك فتونا ر وقال ولقد فتنا سليمن وقال
اعشى همدان ر لئن فتنتني فهي بالامس افتتنت ر سعيدا فامسى قد قلا كل مسلم
لجا باللعنين ر وقوله تعالى فظن داود انما فتناه اي اختبرناه ويقال فتنت الذهب
في النار اذا اختبرته فيها لتعلم اخالص هو ام مشوب فقيل لكل ما احميته في النار فتنته
ويقول فتنت الخبزة في النار اذا انضجتها ومثله يقال في اللحم ر وقوله والفتنة اشد
من القتل اي الكفر اشد من فتنة السيف من القتل والفتن في الدين والحروب وقولهم
فتنة السوط اشد من فتنة السيف ومعناه اختبار السوط اشد لان فيه تعذيبا
متطاولا وقوله يوم هم على النار يفتنون اي يشوون من قولك فتنت الخبزة والمعنى
الصحيح انهم يعذبون بكفرهم يقال فتن الكافر وافتنه العذاب اي جزاه بفتنته
كقولك كذب والكذبة وكل من صبا فقد فتن ر وقوله بايكم المفتون قال الاخفش
معناه الفتنة فهو مصدر كقولك رجل ليس له معقول وخذ ميسوره ودع
معسوره وابى ذلك سيبويه وقال خذ ميسوره اي ما تيسر له وليس له مرفوع
اي ما يرفع ر قال صاحب العين فتن فلان فتونا فهو فاتن اي مفتن وقوله
وما انتم عليه بفاتنين اي مضلين عن الحسن ومجاهد واصل الباب الاختبار ر و
معناه في الاية انهما انما نحن اختبار وبلوى وامتحان فلا تكفر ر وقال قتادة انما
نحن فتنة اي بلاء ويحتمل ان يكون معناه انهما كانا كافرين فيكون معنى قولهما انما

يعني فتنة اي شيء عجيب مستطرف كما يقال للمراة الحسناء انها فتنة من الفتن ويكون قوله
فلا تكفر على هذا الوجه يعني بما جئناك به بل صدق به واعمل عليه وقوله حتى يقولا
يحتمل امرين احدهما ان حتى بمعنى الا وتقديره وما يعلمان من احد الا ان يقولا انما نحن
فتنة فلا تكفر ويكون ذلك زيادة في الابتلاء من الله في التكليف والثاني انه
نفي لتعليمهما الناس السحر وتقديره ولا يعلمان احدا السحر فيقولا انما نحن فتنة فلا
تكفر فعلى هذا يكون تعليم السحر من واحد الشياطين والنهي عنه من الملكين و
قوله فيتعلمون قال قوم معنى تعلم واعلم واحد كما جاء علمت واعلمت وفهمت وافهمت
قال كعب بن زهير تعلم رسول الله انك مدركي وان وعيدا منك
كالاخذ باليد وقال القطامي تعلم ان بعد الغي رشدا وان لهذه
الغير انقشاعا ومنهم من قال تعلم بمنزلة تسبب الى ما به يعلم من النظر في الادلة و
ليس في اعلم ذلك لانه تذ بينهم على ما يعلمه بالناس له كقوله اعلم ان الفعل يدل على الفاعل
وما لم يسبق المحدث فهو محدث والاول كقوله اعلم ان الفعل يدل تعلم النحو
والفقه فان قيل كيف يفرق بين المرء وزوجه قلنا فيه ثلثة اقوال احدها انه
اذا تعلم السحر كفر فحرمت عليه امراته والثاني ان يمشي بينهما بالنميمة حتى
يفسد بينهما فيفضي الى الطلاق والبينونة والثالث قال قتادة وغيره يوجد كل
واحد منهما على صاحبه ويبغضه اليه وقيل انه كان من شرع سليمان ان من تعلم
السحر بانت منه زوجته وقوله منهما الضمير قيل انه راجع الى الملكين وقيل بل
الى الكفر والسحر لانه تقدم الدليل عليهما في قوله ولكن الشياطين كفروا كما جاء سيذكر
من يخشى ويتجنبها الاشقى اي يتجنب الذكرى ومن قال الملئكة معصومون يقول
الكناية ترجع الى الكفر والسحر لا غير دون الملكين وكانه قيل فيتعلمون مكان ما علماهم ما
يفرقون به بين المرء وزوجه كقول القايل قال الشاعر جمعت من الخيرات ليت لنا من كذا وكذا كذا
رطبا وغلبته وصر الاخلاف المزمة البزل ومن كل اخلاق الكرام نميمة وسعيا
على الجار المجاور بالمحل يريد جمعت مكان خيرات الدنيا هذه الخيرات الردية والافعال
الدنية وقوله بين المرء وزوجه فالمرء تانيثه المراة قال صاحب العين المرء تانيث
امراة ويقال مراة بلا الف والمراءة مصدر الشيء المري الذي يستمرا يقال ما كان مريا ولقد
مرؤ واستمراته وهو المري للطعام واصل الباب المجيء فقولهم مراة كقولهم جارية اي جرت
في النمو والشباب فاما امراء الطعام فانه يجري وينفذ في مجاديه ولا يقف وكذلك المراة
تجري في السن الى حد وقرئ في الشواذ بين المرء بضم الميم وهي لغة هذيل وقوله
وما هم بضارين به من احد فالضر والالم والاذى نظاير والضر نقيض النفع يقال ضره يضره
ضرا واضر به اضرارا واستضر استضرارا واضطر اليه اضطرارا وضاره مضارة وضرارا
قال صاحب العين الضر والضر لغتان فاذا جمعت الضر والنفع فتحت الضاد
والضر نقصان يدخل في الشيء يقال دخل عليه ضرر في ماله والضرورة اسم لمصدر
الاضطرار والضرير الذاهب البصر من الناس تقول رجل ضرير بين الضرارة والضراء
من الضر وقوم اضراء والضير مصدر اضر مضارة وفي الحديث لا ضرر ولا
يستعمل في الغير يقول ضار واذا اضر به المرض قيل ضرير وامراة ضريرة والضر اسم للهزال
والاكثر ما يستعمل في الغير يقول ما اشد ضرير عليها قال الشاعر
يصف حمار وحشي حتى اذا ما لان من ضريره والضرتان
امراتان للرجل والجمع الضراير والضرتان الالية من جانبي عظمها وهما الشحمتان
اللتان يهد لان من جانبيها وضرة الابهام لحمة تحتها وضرة الضرع لحمة تحتها
والضر الهزال وضير الوادي جانباه وكل شيء دنا منك حتى يزحمك فقد اضر بك
واصل الباب الانتقاص وقوله من احد الا باذن الله يحتمل امرين احدهما
بتخليته الله والثاني الا بعلم الله من قوله فاذنوا بحرب من الله معناه اعلموا
بلا اختلاف ويقال اذنت اذن اذنا قال الحطيئة ما هندان
حددت وصلا والا فاذنيني بها جلابا لصرام وقال الحرث بن
حلزة اذنتنا ببينها اسماء معناه اعلمتنا والاذن في اللغة
على ثلثة اقسام احدها بمعنى العلم وذكرنا شاهده والثاني الاباحة والا
طلاق كقوله فانكحوهن باذن اهلهن وقوله يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والثالث بمعنى الامر كقوله انه نزله على قلبك
باذن الله وقد اجمعت الامة على انه لم يامر بالكفر ولم يتجه نفي القسم
الثالث ولا يجوز ان يكون المراد الا باذنه الا بارادته ومشيئته لان الارادة

لا تسمى اذنا الا ترى ان من اراد الشئ من غيره ان يفعله لا يقال اذن له فيه فبطل ما قالوه وقد
روى عن سفين الا بقضاء الله وقال بعض من لا معرفة له الاذن بمعنى العلم بفتح الهمزة
والذال دون الاذن بكسر الهمزة وسكون الذال وهذا خطا لان الاذن مصدر يقال فيه اذن
واذن مثل حذر وحذر وقال الفقها حذر واحذر واحذر كما والجوز فيه لغتان مثل شبه وشبه ومثل و
مثل وقال هذا القايل من شاء الله منعه فلم يضره السحر ومن شاء خلى بينه وبينه فضره وقوله
لا ينفعهم فالنفع نقيض الضر والنفع والمنفعة واللذة نظاير يقال نفع ينفع نفعا فهو نافع وانتفع فلان
بكذا وكذا ورجل نفاع ينفع الناس واصل النفع ضد الضر وحد النفع هو كل فعل يكون الحيوان به ملتذا
اما لانه لذة او يؤدى الى اللذة والضر كل معنى يكون الحيوان به ألما اما لانه الم او يؤدى الى
الالم والهاء فى قوله لمن اشتراه عايدة الى السحر والمعنى لقد علمت اليهود ان من استبدل السحر
بدين الله ماله فى الاخرة من خلاق وهو قول ابن زيد وقتادة وقال قوم من المفسرين
كابى على وغيره كانوا يعطون عليه الاجرة فذلك اشتراؤهم له والخلاق النصيب من الخير وهو قول
مجاهد وسفين وقال قوم ماله من جهة وقال الحسن ماله من دين قال امية
بن ابى الصلت يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم الا سرابيل من قطر واغلال اى لا نصيب
لا نصيب لهم فى الاخرة من الخير ومعنى شروا به انفسهم باعوا به انفسهم فى قول السدى وغيره
فان قيل كيف قال لو كانوا يعلمون وقد قال قبله ولقد علموا لمن اشتراه قلنا عنه ثلثة اجوبة
احدها انهم فريقان فريق علموا وعاندوا وفريق علموا وضيعوا والثانى انهم فريق واحد
الا انهم ذموا اى احد الكلامين بنفى العلم لانه بمنزلة المنتفى واخبر عن حالهم فى الاخرة وتقدير
انهم علموا قدر السحر ولم يعلموا ان هلاكهم بتصديقه واستعماله او لم يعلموا كنه ما اعد الله من العذاب
على ذلك وان علموه على وجه الجملة وقال قوم هو مقدم ومؤخر وتقديره وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون
ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق وقال بعضهم هما جميعا خبر عن فريق
واحد واراد بقوله ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون اى لو كانوا يعلمون
بما علموه فعبر عن العلوم بالعلم كما قال كعب بن زهير المزنى يصف ذئبا وغرابا يتبعانه لينالا من
طعامه وزاده اذا حضرانى قلت لو تعلمانه الم تعلما انى من الزاد مرمل
فاخبر انه قال لهما لو تعلمانه فنفى عنهما العلم ثم استخبرهما فقال الم تعلما وكذلك الاية وقال قوم

ثم ان الذين علموا الشياطين والذين لم يعلموا الناس دون الشياطين فان قيل ما معنى لمن اشتراه
واين جوابها ان كانت شرطا قلنا عنه جوابان احدهما انها بمعنى الجزاء والاخر بمعنى الذى فى قول
الزجاج وجوابها مكتفى منه بجواب القسم كما قال لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولذلك رفع قالوا
ولا يجوز الجزم الا فى ضرورة الشعر كما قال الشاعر لئن كان ما حدثته اليوم صادقا
اصم فى نهار القيظ للشمس باديا والوجه لا اصوم ولا يجوز لا اصم الا فى ضرورة الشعر كما قال
لئن بك قد ضاقت عليكم بيوتكم ليعلم ربى ان بيتى واسع قالوا وان جزمت الاول
جاز جزم الثانى كقولك لئن تقم لا اقم اليك وقوله فيتعلمون يجوز ان يكون عطفا
على فيأتون فيتعلمون وقد دل اول الكلام على يأتون وقيل فيعلمون الناس السحر فيتعلمون وكلاهما
ذكره الكسائى والفراء وانكر الزجاج القول الاخر لاجل قوله منهما اى من الملكين واجاز القول الاول
واختار قولا ثالثا وهو يعلمان فيتعلمون والذى انكره يجوز اذا كان منهما راجعا الى السحر والكفر
ولا يجوز ان يكون فيتعلمون جوابا لقوله فلا تكفر فينصب لان تقديره لا يكن كفر فتعلم كما يقول
لا تدن من الاسد فيأكلك اى لا يكن دنو فاكل فهذا نهى عن دنو يقع بعده اكل وانما النهى فى
الاول عن الكفر بتعلم السحر للعمل به وليس يصلح الجواب على هذا المعنى ولا يجوز ان يكون جوابا
للنفى فى قوله وما يعلمان لان لفظه على النفى ومعناه الايجاب كانه قيل يعلمان اذا فالا نحن
فتنة فلا تكفر فان قيل ما اللام الاولى فى قوله ولقد علموا وما الثانية فى قوله لمن اشتراه و
مثله قوله ولئن جئتهم باية ليقولن قيل الثانية لام القسم باجماع قال الزجاج لانك
فاما انما تحلف على فعلك لا على فعل غيرك فى قولك والله لئن جئتنى لاكرمنك فاما
الاولى فزعم بعض النحويين انها لما دخلت فى اول الكلام اشبهت لام القسم فاجيبت بجوابه
قال الزجاج هذا خطا لان جواب القسم لا يشبه القسم ولكن اللام الاولى دخلت اعلاما
ان الجملة بكمالها معقودة بالقسم لان الجزاء وان كان القسم عليه فقد صار للشرط فيه حظ
ولذلك دخلت اللام قال الرمانى هذا الذى ذكره لا يبطل شبهها بالقسم
لانها للتوكيد كما انه للتوكيد فكانه قال والله ان اتيتنى لاكرمنك والظاهر فى روايات
اصحابنا ان الساحر يجب قتله وفيه خلاف ذكرناه فى الخلاف وقال ابو على لانه لا
يجد بيت ما ادعى ويبين انهم ضلال واما من قال انه يموه ويخرق فانه يؤدب فلا
يقتل واما الروايات فى ان الملكين اخطيا وركبا الفواحش فانها فهو اخبار

آحاد من اعتقد عصمة الملكين يقطع على كذبها ولمن لم يقطع على ذلك جوز ان يكون صحيحاً ولا يقطع على بطلانها ؛ والذى نفعله ان كان الملكان رسولين فلا يجوز عليهما ذلك وان لم يكونا رسولين جاز ذلك وان لم نقطع به وقد بينا الكلام عليه فيما مضى فاما ما روى من ان النبى عليه السلام سحر وكان يرى انه يفعل ما لم يفعله وانه لم يفعل ما فعله فاخبار آحاد لا يلتفت اليها و حاشى النبى عليه السلام من كل صفة نقص اذ تنفر عن قبول قوله لانه حجة الله على خلقه وصفيه من عباده واختاره الله على علم منه فكيف يجوز ذلك مع ما جنبه الله من الفظاظة والغلظة وغير ذلك من الاخلاق الدنية والخلق المشينة ولا يجوز ذلك على الانبياء الا من لم يعرف مقدارهم ولا يعرفهم حقيقة معرفتهم وقد قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقد اكذب الله من قال ان تتبعون الا رجلا مسحوراً فقال وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحوراً فنعوذ بالله من الخذلان و نحمده على التوفيق لما يرضاه. ولكن مشددة ومخففة معناها واحد قال الكسائى والذى اختاره العرب اذا كانت ولكن بالواو مشددة واذا كانت بلا واو اختاروا التخفيف وكل صواب وقرأ بغيرها اختاره اتباعاً للاختيار فى القراءة ۶ قوله تعالى ؛

؛ ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير ؛
؛ لو كانوا يعلمون آية بلا خلاف ؛

الضمير فى قوله ولو انهم امنوا عايد على الذين يتعلمون السحر قال الحسن تعلموا ان ثواب الله خير لهم من السحر واما جواب لو فللنحويين فيه قولان ؛ فالبصريون يذهبون الى ان جوابه محذوف وتقديره ولاثيبوا واوقع لمثوبة من عند الله موقعه لدلالته عليه وقال بعضهم التقدير ولو انهم امنوا واتقوا لاثيبوا ثم قال ولمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون اى لو كانوا يستعملون ما يعلمون وليس انهم كانوا يجهلون ذلك كما يقول الانسان لصاحبه وهو يعظه ما ادعوك اليه خير لك لو كنت تعقل او تنظر فى العواقب والفكر فيها ٥ وقال الفراء الجواب فى لمثوبة لان لو اشبهت لئن من حيث كان كل واحد منهما جزاء فلما اشبهتها اجيبت بجوابها ؛ فالمعنى لئن امنوا لمثوبة فعلى القول الاول لا يجوز لو اتانى زيد لعمرو خير منه ؛ وعلى الثانى يجوز ولو قلت لو اتانى زيد لاكرامى خير له جاز على الوجهين واللام التى فى لمثوبة لام الابتداء لانها دخلت على الاسم كما دخلت فى علمت لزيد خير منك ولو جاز ها هنا لام القسم لنصب الاسم فى علمت

فان قيل ما معنى قول الله تعالى لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون وهو خير علموا او لم يعلموا ؛ قيل لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك اى لعلموا ان ثواب الله خير من السحر ؛ و قال ابو على المعنى فى ذلك الدلالة على جهلهم والترغيب لهم فى ان يعلموا ذلك وان يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذى ينال بطاعته واتباع مرضاته وفيه دلالة على بطلان قول اصحاب المعارف لانهم لو كانوا عارفين على ما يقولونه لما قال لو كانوا يعلمون و المثوبة الثواب فى قول قتادة والسدى والربيع ؛ والثواب هو الجزاء على العمل بالاحسان وهو منافع مستحقة يقارنها تعظيم وتبجيل ؛ والمثوبة والثواب والاجر نظاير ونقيض المثوبة العقوبة يقال ثاب يثوب ثوباً واثابه اثابة وثواباً ومثوبة واستثابه وثوب تثويباً ؛ والثواب فى الاصل معناه ما رجع اليك من شئ يقال اعترت الرجل غشية ثم ثابت اليه نفسه ولذلك صار حق الثواب الجزاء لانه العايد على صاحبه مكافاة ما فعل ؛ ومنه التثويب فى الأذان وغيره وهو ترجيع الصوت ولا يقال ذلك للصوت مرة واحدة ويقال ثوب الداعى اذا كرر دعاءه الى الحرب او غيرها ويقال انهزم القوم ثم ثابوا اى رجعوا والثوب مشتق من هذا لانه ثاب لباساً بعد ان كان قطناً او غزلاً والثيب التى قد تزوجت وثابت بوجه ما كان ولا يوصف به الرجل الا ان يقول ولد الثيبين وولد البكرين ؛ والمثابة الموضع الذى يثوب اليه الناس قال الله تعالى ؛ واذ جعلنا البيت مثابة للناس اى مجتمعاً بعد التفرق وانه لم يكن تفرقوا من هنا لك فقد كانوا متفرقين ثم ثابوا اليه ويقال ثاب الحوض ثؤوباً اذا امتلا او كاد يمتلى ؛ و اصل الباب الثؤوب الرجوع وقرأ قتادة لمثوبة بسكون الثاء وفتح الواو وهى لغة ؛ جارية على الاصل كما قالوا مثورة ومشورة بفتح الواو وسكون الشين وضم الشين و سكون الواو والقرآء على خلافه والعرب مجمعون على القاء الالف من قولهم هذا خير منك وشر منك الا بعض بنى عامر فانهم يقولون ما اريد خيراً اخير من ذا وقال بعضهم ايضاً هذا اشر من ذا والوجه طرح الالف ؛ قوله تعالى

؛ يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا ؛
؛ انظرنا واسمعوا وللكافرين ؛
؛ عذاب اليم آية بلا خلاف ؛

المراعاة التفقد للشئ فى نفسه او احواله ر والمراعاة والتحفظ والمحافظة والمراقبة نظائر و
نقيض المراعاة الاغفال يقال رعى يرعى رعيا ر والرعى ما تاكله الماشية من نبات الارض ورعى
الله فلانا اذا حفظه ورعيت له عهده وحقه لبعده او فيمن خلف وارعيته سمعى اذا صغيت
اليه وراعيته بنفسى اى لاحظته وجمع الراعى رعاة ورعاء ورعيان والرعاية فعل الراعى يرعاها
رعاية اذا اساقها وسرحها واراحها فقد رعاها وكل من ولى قوما فهو راعيهم وهم رعيته
والمرعى من الناس المسوس والراعى السائس ويقال فلان يراعى كذا معناه ينظر الى ما يصير
اليه امره ورعيت النجوم اى رقبتها واسترعاه الله خلقه اى ولاه امرهم ليرعاهم والارعاء
الابقاء على اخيك وتقول ارعنى سمعك اى اسمع يا فلان ر وكان المسلمون يقولون
يا رسول الله راعنا اى استمع منا فحرفت اليهود فقالوا يا محمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة
يريدون به النقيصة والوقيعة فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فنهى الله عن ذلك
فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا ر ورجل ترعية الذى لم يزل صنعته
وصنعة ابائه الرعاية ر قال الشاعر: لبوسها ترعية جاف فضل ر فات
رعت صلا والاين يصل ر واصل الباب الرعى الحفاظ ر واما الاية فللمفسرين فيها
ثلثة اقوال قال ابن عباس ومجاهد لا تقولوا راعنا اى لا تقولوا اسمع منا ونسمع منك
وقال عطاء لا تقولوا راعنا اى لا تقولوا خلافا ر وروى ذلك ايضا عن مجاهد وهذا
الاوجه له الآن يراد راعنا بالتنوين ر وقيل معناه ارقبنا قال الاعشى
يرعى الى قول سادات الرجال اذا ر ابدوا له الحزم او ما شاء ابتدعا ر يعنى يصغى
وقال الاعشى ايضا ر ظللت ارعاها وظل يحوطها ر يحوطونها اذا الظلام
دنا لها ر والسبب الذى لاجله وقع النهى عن هذه الكلمة قيل فيه خمسة اقوال احدها
ما قاله قتادة وعطية انها كلمة كانت تقولها فى الجاهلية فنهوا عنها فى الاسلام ر وقال
ابو العالية ان مشركى العرب كانوا اذا حدث بعضهم بعضا يقول احدهم لصاحبه ارعنا سمعك
فنهوا عن ذلك ر وقال السدى كان ذلك كلام يهودى بعينه يقال له رفاعة
بن زيد يريد بذلك الرعونة فنهى المسلمون عن ذلك ر وقال ابو على قد بين الله
عز وجل انها كلمة كانت اليهود تلوى بها السنتهم فى قوله من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى

تقولها اليهود على وجه الاستهزاء والسب ... وكانت الانصار من ...

فى الدين وهو قول ابن عباس وقتادة ر وقيل لا تقولوا راعنا من المراعاة والمكافاة فامروا ان يخاطبوا
النبى عليه السلام بالتوقير والتعظيم اى لا تقولوا راعنا سمعك حتى نفهمك وتفهم عنا ر وقال ابو
جعفر عليه السلام هذه الكلمة سب بالعبرانية اليه كانوا يذهبون ر قال الحسين بن على المغربى
فبحثت عن ذلك فوجدتهم يقولون راع رن فكلمة معنى الفساد ر والبلاء ويقولون
نا بتفخيم النون واشمامها يعنى لان مجموع اللفظين واللفظتين فاسد لان كلما عوتبوا على ذلك
قالوا انا نقول كما يقول المسلمون فنهى المسلمون عن ذلك ر ولما كان معنى راعنا يراد به
النظر قال قولوا عوضها انظرنا اى انظر الينا واسمعوا ما يقوله لكم الرسول ر وروى
عن الحسن انه كان يقرا راعنا بالتنوين يعنى لا تقولوا قولا راعنا يعنى من الرعونة وهى
الحمق والجهل وهذا شاذ لا يوخذ به ر وفى قراءة ابن مسعود راعونا خطاب
من جماعة لجماعة بمراعاتهم وهذا ايضا شاذ ومعنى انظرنا يحتمل امرين احدهما
انظرنا نفهم وتبين ما تعلمنا ر والثانى قال مجاهد معناه فهمنا بين لنا يا
محمد يقال منه نظرت الرجل انظره نظرة بمعنى انتظرته وارتقبته ر ومنه قوله انظرونا
نقتبس اى انتظرونا ويقال قيل معناه اقبل علينا ر وقوله واسمعوا يحتمل امرين احدهما
قال الحسن والسدى ان معناه اسمعوا ما ياتيكم به الرسول ر والثانى ما قال ابو على
معناه اقبلوا ما يامركم به الرسول من قوله سمع الله لمن حمده وسمع الله دعاك وقبله
وقال علقمة والحسن والضحاك كل شئ من القرآن يا ايها الذين امنوا فانه نزل بالمدينة
قوله تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا
المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم
والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم آية واحدة بلا خلاف
معنى ما يود ليس يحب يقال منه ود يوده ودا وودا والمودة المحبة ولا المشركين
فى موضع جر بالعطف على اهل الكتاب وتقديره ولا من المشركين فى موضع جر
لعطفه على اهل وقوله ان ينزل فى موضع نصب بقوله يودوا انما ذموا على ذلك وان
كان ذلك ميل الطباع لان فى ذلك دلالة على انهم فعلوا كراهته لذلك ولتعرضوا بذلك لعداوة المؤمنين وكان الذم عليهم لذلك
ولو رفع المشركين عطفا على الذين كفروا كان جائزا ولكن لم يقرا به احد
ومثله فى احتماله الامرين قوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم

لهوا ولعباً من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء بخفض الراء ونصبها وقوى بهما ومن في
قوله من خير زايدة مؤكدة كقولك ما جاءني من احد وموضعها رفع اه قال ابو ذويب
جزيتك ضعف الود لما استبنته وما ان جزاك الضعف من احد قبلي اه واما من
في قوله من ربكم فلابتداء الغاية والتي في قوله من اهل الكتاب فللتبيين مثل روى عن علي
عليه السلام التي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان اه قوله يختص برحمته من يشاء
روي عن علي عليه السلام وابي جعفر الباقر عليه السلام انه اراد النبوة وبه قال الحسن وابو
علي والرماني والبلخي وغيرهم من المفسرين اه وقال يختص بها من يشاء من عباده اه و
روي عن ابن عباس انه اراد دين الاسلام وهذا بعيد لانه تعالى وصف ذلك بالانزال
وذلك لا يليق الا بالنبوة والاختصاص بالشيء هو الانفراد به والاخلاص له مثله وضد
الاختصاص الاشتراك ويقال خص خصوصاً وتخصص تخصصاً وخصصه تخصيصاً وكلمة
خاصة من ذلك وكلمة عامة ووسايط من ذلك ويقال خصه بالشيء يخصه خصا اذا
وصله به وخصان الرجل من يخصه من اخوانه والخصايص الفروج والخصاصة الحاجة
والخص شبه كوة تكون في قبة او نحوها اذا كان واسعاً قدر الوجه اه وقال الراجز
وان خصاص ليلهن استدا اه ركبت في ظلمائه ما اشتدا اه شبه القمر بالخصاص وكل
خلل او خروق تكون في السحاب او النخل تسمى الخصاصة اه والخصايص فرج بين الاثافي
واصل الباب الانفراد بالشيء فمنه الخصايص الفرج لانه انفرد كل واحد عن الاخر من غير
جمع بينهما ويقال اختصصته بالفايدة واختصصت بها انا كقولك افردته بها اه و
انفردت بها اه وتقدير الاية ما يحب الكافرون من اهل الكتاب ولا المشركين بالله
من عبدة الاوثان ان ينزل عليكم شيئاً من الخير الذي عنده اه والخير الذي تمنوه الا ينزله
الله عليهم ما اوحى الى نبيه وانزله عليه من الشرايع والقران بغياً منهم وحسداً اه والله
ذو الفضل العظيم خبر منه تعالى ان كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه من عنده ابتداء
وتفضلا منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلك عليه اه قوله تعالى

ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها
الم تعلم ان الله على كل شيء قدير اية بلا خلاف

قرا ابن عامر الا الداجوني عن هشام ما ننسخ بضم النون وكسر السين اه الباقون بفتحهما وقرا

الهمزة الساكنة بعد السين الباقون بضم النون وخفض السين بلا همز النسخ والبدل

قرا ابن عامر الا الداجوني عن هشام ما ننسخ بضم النون كثير وابو عمرو ننساها بفتح النون والسين واثبات
والبدل والخلف نظاير يقال نسخ نسخاً وانتسخ انتساخاً واستنسخ استنساخاً وتناسخ تناسخاً
مناسخة اه قال ابن دريد كل شيء خلف شيئاً فقد انتسخه ونسخت الشمس الظل وانتسخ وناسخ
الشيب الشباب اه وقال صاحب العين النسخ ان تزيل امراً كان من قبل يعمل به ثم تنسخه
بحادث غيره كالاية ينزل فيها امر ثم يخفف الله عن العباد بنسخها باية اخرى فالاية الاولى منسوخة و
الثانية ناسخة وتناسخ الورثة ان يموت ورثة بعد ورثة واصل الميراث قايم لم يقسم وكذلك
تناسخ الازمنة الازمنة من القرون بعد القرون الماضية واصل الباب الابدال من الشيء غيره اه و
قال الرماني النسخ الرفع لشيء قد كان يلزم العمل به الى بدل وذلك كنسخ الشمس بالظل لانه يصير بدلا
منها في مكانها اه وهذا ليس بصحيح لانه ينتقض بمن تلزمه الصلوة قائماً فيعجز عن القيام فانه
يسقط عنه القيام لعجزه ولا يسمى العجز ناسخاً ولا القيام منسوخاً اه وينتقض بمن يستبيح الشيء
بحكم العقل عند من قال بالاباحة فاذا ورد الشرع بحظره لا يقال الشرع نسخ حكم العقل عند
من قال بالاباحة فاذا ورد الشرع ولا حكم العقل يوصف بانه منسوخ فالذي الاولى في ذلك ما ذكرناه
في اول الكتاب وهو ان حقيقته كل دليل شرعي دل على ان مثل الحكم الثابت بالنص الاول غير
ثابت فيما بعد على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الاول مع تراخيه عنه فاذا ثبت ذلك فالنسخ
في الشرع على ثلثة اقسام نسخ الحكم دون اللفظ اه ونسخ اللفظ دون الحكم ونسخهما معا فالاول
كقوله يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الى
قوله الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ط
فكان الفرض الاول وجوب ثبات الواحد للعشرة فنسخ بثبوت الواحد للاثنين وغير ذلك
من الاي المنسوخ حكمها وتلاوتها ثابتة كاية العدة واية حبس من يأتي بالفاحشة و
غير ذلك اه والثاني كاية مجوزة ان لم يقطع الرجم قيل انها كانت منزلة فرفع لفظها و
بقي حكمها اه والثالث هو مجوز وان لم يقطع بانه كان وقد روي عن ابي بكر انه كان
يقرا لا ترغبوا عن ابائكم قوم يجوز فانه كفر اه واختلفوا في كيفية النسخ على اربعة
اوجه اه فقال قوم يجوز نسخ الحكم والتلاوة من غير افراد واحد منهما عن الاخر اه وقال
آخرون يجوز نسخ الحكم دون التلاوة فقال آخرون يجوز نسخ القرآن من اللوح المحفوظ كما
ينسخ الكتاب من كتاب قبله اه وقالت فرقة رابعة يجوز نسخ التلاوة وحدها والحكم

وحده ونسخهما معاً وهو الصحيح وقد دللنا على ذلك وافردنا ساير الاقسام في العدة في اصول الفقه
وذلك ان سبيل النسخ سبيل ساير ما تعبد الله تعالى به وشرعه على حسب ما يعلم من المصلحة فيه
فاذا زال الوقت الذى يكون المصلحة مقرونة به زال بزواله وذلك مشروط بما في المعلوم
من المصلحة به اه وهذا القدر كاف في ابطال قول من ابى النسخ جملة اه واستيفاؤه في
الموضع الذى ذكرناه اه وقد انكر قوم جواز نسخ القران وفيما ذكرناه دليل على بطلان قولهم
وقد جاءت اخبار متظاهرة بانه كانت اشياء من القران نسخت تلاوتها اه فمنها ما روى
عن ابى موسى انهم كانوا يقرؤن لو ان لابن ادم واديين من مال لابتغى اليهما ثالثا و
لا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب ثم رفع اه وروى عن قتاده
قال حدثنا انس بن مالك ان السبعين من الانصار الذين قتلوا ببئر معونه قرانا
فيهم كتابا بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ثم ان ذلك رفع اه ومنها الشيخ
والشيخة وهى مشهورة اه ومنها ما حكى ان سورة الاحزاب كانت ما روى عن ابى بكر
انه قال كنا نقرا لا ترغبوا عن ابائكم فانه كفر اه ومنها ما حكم ان سورة الاحزاب
كانت تعادل سورة البقرة في الطول وغير ذلك من الاخبار المشهورة بين
اهل النقل اه والخبر على ضربين احدهما يتضمن معنى الامر والنهى فهذا حكمه يجوز دخول
النسخ فيه اه والاخر يتضمن الاخبار عن صفة الامر لا يجوز تغيره في نفسه ولا يجوز ان
تتغير من حسن الى قبيح او قبيح الى حسن فان ذلك لا يجوز دخول النسخ فيه وقد بينا
شرح ذلك في العدة والافعال على ثلثة اقسام احدها لا يكون الا حسنا وثانيها لا
يكون الا قبيحا اه وثالثها يحتمل الحسن والقبح بحسب ما يقع عليه من الوجوه فالاول
كارادة الافعال الواجبة او المندوبة التى لا يجوز تغيرها كشكر المنعم ورد الوديعة و
الاحسان الخالص وغير ذلك اه والثانى كارادة القبيح وفعل الجهل والثالث كساير
الافعال التى تقع على وجه فتكون حسنة وعلى اخر فتصير قبيحة اه فالاول والثانى
لا يجوز فيه النسخ والثالث يجوز فيه النسخ ومن قرا ننسخ بفتح النون فمن نسخت الكتاب
فانا ناسخ والكتاب منسوخ اه ومن قرا بضم النون وكسر السين فانه يحتمل امرين احدهما
قال ابو عبيدة ما ننسخك يا محمد يقال نسخت الكتاب وانسخته غيرى اه والاخر
ان نجعله ذا نسخ كما قال قوم للحجاج وقد قتل رجلا اقبرنا فلانا اى جعله ذا قبر يقال

يقال قبرت زيدا اذا دفنته واقبره الله جعله ذا قبر كما قال ثم اماته فاقبره اه وقوله او ننساها فالنسى
التاخير ونقيضه التقديم يقال انسات الابل عن الحوض انساها نسا اذا اخرتها عنه وانتسات عن الشى
اذا تباعدت عنه انتساء ونسات الابل في ظمئها فانا انساها نسا اذا زدتها في ظمئها يوما او
يومين او اكثر من ذلك وظمؤها منعها الماء ونسات الماشية تنسا نسا اذا سمنت وكل سمين
ناسى تاويلها ان جلودها انسات اى تاخرت عن عظامها قال الزجاج اه وقال غيره انما قيل ذلك
لانها تاخرت في المرعى حتى سمنت ونسات المراة تنسى نسا اذا تاخر حيضها عن وقته ورجى
حملها اه ويقال انسات فلانا المنع ونسا الله في اجل فلان وانسا الله اجله اذا اخر اجله و
النسى تاخر الشى ودفعه عن وقته ومنه قوله تعالى انما النسى زيادة في الكفر وهو ما كانت
العرب تؤخر من الشهر الحرام في الجاهلية ونسات اللبن انسا نسا اذا اخذت حليبا وصببت
عليه الماء واسم ذلك النسى والنسو هذا سمى بذلك لانه اذا خالطه الماء اخر بعض اجزاء اللبن
عن بعض شعر قال الشاعر شعر سقونا النسى ثم يكنفون اه عداة الله من كذب
وزور اه ويقال للعصاة المنساة لانها ينسا بها اى يؤخر بها ما يساق عن مكانه ويدفع
بها الانسان عن نفسه اه ونسات ناقتى اذا رفعتها في السير واصل الباب التاخير اه وقال
الحسن في قوله ما ننسخ من اية او ننساها ان نبيكم صلى الله عليه واله اقرى قرانا ثم نسيه فلم يكن
شيئا ومن القران ما قد نسخ وانتم تقرؤنه اه وقال ابن عباس ما ننسخ من اية اى ما نبدل
من اية ومن قرا ننساها بالهمز فان معناه نؤخرها من قولك نسات هذا الامر انساه نسا اذا اخرته
وبعته بنسا اى بتاخير وهو قول عطا وابن ابى نجيح ومجاهد وعطية وعبيد بن عمير وعلى هذا
يحتمل تاخيرها امرين احدهما فلا ننزلها وننزل بدلا منها ما يقوم مقامها في المصلحة او ما يكون
اصلح للعباد منها وهذا ضعيف لانه لا فائدة في تاخير ما لا يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه والثانى
نؤخرها الى وقت ثان فناتى بدلا منها في الوقت المتقدم بما يقوم مقامها فاما من حمل ذلك
على معنى يرجع الى النسخ فليس يحسن لانه يصير تقديرها ما ننسخ من اية او ننسخها وهذا لا يجوز
ومعنى قوله نات بخير منها او مثلها اه قيل فيه قولان احدهما قال ابن عباس نات بخير منها
لكم في التسهيل والتيسير كالامر بالقتال الذى سهل على المسلمين بدلالة قوله الان خفف الله
عنكم اه او مثلها كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد ما كان الى بيت المقدس والوجه الثانى
بخير منها في الوقت الثانى اى هو لكم خير من الاولى في باب المصلحة او مثلها في ذلك وهو

قول الحسن وهذا الوجه اقوى وتقديره كان الآية الاولى في الوقت الثاني الداعية الى الطاعة والزاجرة عن المعصية مثل الآية الاولى في وقتها فيكون اللطف بالثانية كاللطف بالاولى الا انه في الوقت الثاني تستقيم بها دون الاولى. وقال ابو عبيدة معنى ننساها اي نمضها فلا ننسخها قال طرفة: وعيس كالواح الاران نسأتها * على لاحب كأنه ظهر برجد. يعني امضيتها. ومن قرأ ننسها بضم النون وكسر السين يحتمل امرين احدهما ان يكون ماخوذا من النسيان الا انه لا يجوز ان يكون ذلك من النبي عليه السلام لانه لا يجوز ذلك من حيث ينفر عنه ويجوز ذلك على الامة بان يؤمروا بترك قراءتها وينسونها على طول الايام ويجوز ان ينسيهم الله تعالى ذلك وان كانوا جمعا كثيرا ويكون ذلك معجزا يعني الترك من قوله نسوا الله فنسيهم والاول عن قتادة والثاني عن ابن عباس وقال معناه نتركها لا نبدلها. وقال الزجاج ننسها بمعنى نتركها خطأ انما يقال نسيت بمعنى تركت ولا يقال انسيت بمعنى تركت انما معنى ننساها نتركها اي نامركم بتركها قال الرماني انما فسر المفسرون على ما يؤول اليه المعنى لانه اذا امر بتركها فقد تركها. فان قيل اذا كان نسخ الآية رفعها وتركها فايش معنى ذلك الا ان يترك ولم جمع بينهما. قيل ليس معنى تركها الا ان يترك وقد غلط الزجاج في توهمه ذلك وانما معناه اقرارها فلا ترفع كما قال ابن عباس نتركها ولا نبدلها وانما قال الم تعلم ان الله على كل شيء قدير تنبيها على انه يقدر على آيات وسور مثل القرآن ينسخ بها امره لنا فيه بما امرنا فيقوم في النفع مقام المنسوخ او اكثر وقال بعضهم معنى او في الآية الواو كانه قال ما ننسخ من آية وننساها نأت بخير منها فعلى هذا ازالت الشبهة. فان قيل اي تعلق بين هذه الآية وبين التي قبلها قلنا لما قال في الآية الاولى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم دل في هذه الآية على انه جل وعز لا يخليهم من انزال الخير اليهم خلاف ما يوده اعداؤهم لهم. فان قيل هل يجوز نسخ القرآن بالسنة ام لا. قلنا فيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في اصول الفقه وبين اصحابنا ايضا فيه خلاف الا ان يقوى في النفس جواز ذلك وقد ذكرنا ادلة الفريقين والشبه فيها في اصول الفقه لا يحتمل ذكرها هذا المكان وانما اخرنا ذلك لان تلاوة القرآن والعمل بما فيه تابع للمصلحة ولا يمتنع ان تتغير المصلحة تارة في التلاوة فتنسخ وتارة في الحكم فينسخ وتارة فيهما فينسخان وكذلك لا يمتنع ان يكون المصلحة في ان ننسخ تارة بقرآن وتارة بالسنة المقطوع بها فذلك

موقوف على الادلة. وقوله نأت بخير منها لا يدل على ان السنة خير من القرآن لان المراد بذلك نأت بخير يكون ناسخا فلا متعلق منها في باب المصلحة على ان قوله نأت بخير منها نحن ايضا نقول ان ذلك الخير يكون ناسخا فلا متعلق في الآية يمنع من ذلك والاولى جوازه على ان هذا وان كان جائزا فعندنا انه لم يقع لانه لا شيء من ظاهر القرآن يمكن ان يدعى انه منسوخ بالسنة اجماعا ولا بدليل يوجب العلم واعيان المسائل فيها خلاف نذكر ما عندنا فيه اذا مررنا بها او بلغنا ذلك. واما ما روي عن سعيد بن المسيب من انه كان يقرأ او تنسها بالتاء المعجمة من فوق وفتح السين فشاذ لا يلتفت اليه لانا قد بينا ان النبي لا يجوز عليه ان ينسى شيئا من وحي الله وكذلك ما روي عن ابي رجاء العطاردي نُنَسِّها بضم النون الاول وفتح الاخرى وتشديد السين وكونها شاذة. وفي الآية دليل على ان القرآن غير الله وان الله هو المحدث له والقادر عليه لان ما كان بعضه خيرا من بعض او شرا من بعض فهو غير الله لا محالة وفيها دليل على ان الله قادر عليه وما كان داخلا تحت القدرة فهو فعل والفعل لا يكون الا محدثا ولانه لو كان قديما لما صح وجود النسخ فيه لانه اذا كان الجميع حاصلا فيما لم يزل فليس لبعضه بان يكون ناسخا والآخر منسوخا باولى من العكس. فان قيل لم قال الم تعلم ان الله وما كان النبي عليه السلام عالما بان الله على كل شيء قدير. قلنا عنه جوابان احدهما ان معنى قوله الم تعلم اما علمت. والثاني انه خرج ذلك مخرج التقرير كما قال أأنت قلت للناس وفيه جواب ثالث انه خطاب للنبي عليه السلام والمراد به امته بدلالة قوله بعد ذلك وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير. قوله تعالى:

الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير آية

الولي في الآية هو القيم بالامر من وليه الشيء ومنه ولي عهد المسلمين ومعنى قوله من دون الله سوى الله. قال امية بن ابي الصلت: يا نفس ما لك دون الله من واق * وما على حدثان الدهر من باق. وفي قوله ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ثلثة اوجه احدها التحذير من سخط الله وعقابه اذ لا احد يمنع منه. والثاني التسكين لنفوسهم ان الله ناصرهم دون غيره اذ لا يعتد بنصر احد مع نصره. الثالث التفريق بين حالهم وحال عباد الاوثان مدحا وذما لاولئك وبهذا قال ابو

على الجباه ء وانما قال للنبي عليه السلام الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وان كان النبي عليه السلام
عالما بان له الملك كله لامرين احدهما التقرير والتنبيه الذي يؤول الى معنى الايجاب كما قال
جرير ء الستم خير من ركب المطايا ء واندى العالمين بطون راح ء وانكر الطبري ان يدخل
حرف الاستفهام على حرف الجحد بمعنى الاثبات والبيت الذي انشدناه يفسد ما قاله وايضا
قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى ٢ وخطاب للنبي عليه السلام والمراد به امته كما قال
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ء وقال جميل بن معمر ء الا ان جيران العشية
رايح ء دعتهم دواع من هوى ومنادح وانما حسن ذلك لان غرضه الخبر عن واحد
فلذلك قال رايح ء وقال ايضا ء خليلي فيما عشتما او رايتما
قتيلا بكى من حب قاتله قبلي يريد قاتلته فكنى بالمذكر عن المؤنث قال الكميت
ء الى السراج المنير احمد لا ء يعدلني رغبة ولا رهب ء عنه الى غيره ولو رفع ء
ء الناس الى العيون وارتقبوا ء وقيل افرطت بل قصدت ولو ء عنفني العاذلون او ثلبوا ء
ء لج بتفضيلك اللسان ولو ء اكثر فيك الضجاج واللجب ء انت المصفى المحض المهذب
ء النسبة ان نص قومك النسب ء قالوا انما خرج كلامه على وجه الخطاب للنبي عليه السلام
واراد به اهل بيته بدلالة قوله ولو اكثر فيك الضجاج واللجب لانه لا احد لا يوصف
من المسلمين يعنف مادح النبي عليه السلام ولا باكثار الضجاج واللجب في اطناب القول
فيه وانما قال له ملك السموات ولم يقل ملك لانه اراد ملك السلطان والمملكة دون
الملك يقال من ذلك ملك فلان على هذا الشيء يملكه ملكا وملكا وملكا و
النصير فعيل من قولك نصرتك انصرك فانا ناصرك ونصيرك وهو المؤيد والمقوي
قوله تعالى ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل آية خلاف
بلا خلاف ء اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الاية فروي عن ابن عباس
انه قال قال رافع بن حريملة ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه واله ايتنا
بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه وفجر لنا انهارا نتبعك ونصدقك فانزل الله
في ذلك من قولهما ء ام تريدون ان تسالوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ء و
قال الحسن عنى بذلك المشركين من العرب لما سالوا فقالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا

قبيلا وقالوا او نرى ربنا ء وقال السدي سالت العرب محمدا صلى الله عليه واله
ان ياتيهم بالله فيروه جهرة ء وقال مجاهد سالت قريش محمدا ان يجعل لهم
الصفا ذهبا فقال نعم هو لكم كالمائدة لبني اسرائيل فابوا ورجعوا ء وقال ابو علي
روي ان النبي صلى الله عليه واله ساله قوم ان يجعل لهم ذات انواط كما كان للمشركين
ذات انواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها التمر وغيره من الماكولات كما سالوا
موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ء ومعنى ام في قوله ام تريدون التوبيخ وان كان لفظها
لفظ الاستفهام كقوله تعالى كيف تكفرون بالله ء وام على ضربين متصلة ومنفصلة ء فا
لمتصلة عديلة الالف وهي مفرقة لما جمعته اي كما ان او مفرقة لما جمعته احد يقول
اضرب ايهم الا بعد كلام شئت زيدا ام عمروا ام بكرا ء والمنفصلة غير المعادلة لالف
الاستفهام قبلها لا يكون الا بعد كلام لانها بمعنى بل والالف كقول العرب انها لابل ام شاء
كانه قال بل هي شاء ومنه قوله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام
يقولون افتراه كانه قال بل يقولون افتراه وكذلك ام تريدون كانه قيل بل تريدون
وقال الاخطل ء كذبتك عينك ام رايت بواسط ء غلس الظلام من
الرباب خيالا ء وقال الفراء ان شئت قلت قبله استفهام فرده عليه و
هو قوله الم تعلم ان الله على كل شيء قدير ء وقال الرماني في هذا بعد لان
يكون على المعادلة ولا بد ان يقدر له ام تعلمون خلاف ذلك فتسالون رسولكم
كما سئل موسى من قبل والمعنى انهم يتخيرون الايات ويسالون المحالات كما
سئل موسى فقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ء وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى
الله جهرة وهذا الوجه اختاره البلخي والمغربي ء وحكي عن بعضهم ان ذلك
عطف على قوله افتؤمنون ببعض الكتاب ء وقيل ايضا لما قيل لهم قولوا انظرنا
واسمعوا كان تقدير الكلام فهل تعقلون هذا ام تريدون ان تسالوا رسولكم
وقوله سواء السبيل معناه قصد الطريق على قول الحسن ء وسواء بالمد يكون على ثلثة
اوجه بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط كقوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم وقوله
فاطلع فراه في سواء الجحيم اي وسطها ء قال حسان ء يا ويح انصار النبي ونسله
ء بعد المغيب في سواء الملحد ء ويكون بمعنى غير كقولك للرجل اتيت سواك اي

عنك ومعنى ضل هاهنا الذهاب عن الاستقامة قال الاخطل كنت القذى في موج
اكدر مزبد قذف الاتي به فضل ضلالا اي ذهب يمينا وشمالا والسبيل والطريق والمذهب
نظاير ويقال اسبل اسبالا وسبله تسبيلا والتسبيل يذكر ويونث وجمع السبل كقولهم سعر
ساعر والسابلة المختلفة في الطرقات في حوايجهم وجمع السوابل وسبيل سابل كقولهم سعر
ساعر والسبلة ما على الشفة العليا من الشعر يجمع الشاربين وما بينهما والسبل المطر المسبل
المسبولة هي سنبلة الذرة والارز ونحوه اذا مالت ويقال للزرع اذا سنبل سنبل ويقال
اسبلت الستر اسبالا اذا ارخيته واسبل الرجل ازاره اذا ارخاه من الخيلا
قال الشاعر واسبل اليوم من برد عليك لباسا لا واصل الباب الاسبال و
هو الحد والسؤال هو الطلب ممن يعلم معنى الطلب امرا من الامور ووجه اتصال هذه
الاية بما قبلها والتعلق بينهما انه لما دل الله بما تقدم من الايات على تدبير الله لهم فيما يأتي
به من الايات وما ينسخه فكانه موسى الا ان الله تعالى انما ياتي بالايات على ما يعلم فيها من
المصلحة فاذا اتى باية تقوم بها الحجة فليس لاحد الاعتراض عليها ولا له اقتراح غيرها لانه
تعنت اذ قد صح البرهان بها وقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان معناه من يستبدل الكفر يعني
الجحود بالله وباياته بالتصديق بالله وباياته والاقرار به وقال بعضهم عنى بالكفر هاهنا
عن الشدة وبالايمان عن الرخاء وهذا غير معروف في اللغة ولا العرف الا ان يراد بذلك الثواب
والعقاب اللذان يستحقا عليهما فيكون له وجه في التفسير والتنزيل قوله تعالى
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا
واصفحوا حتى ياتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير
اية واحدة المعنى بقوله ود كثير من اهل الكتاب عن الحسن النصارى واليهود و
قال الزهري وقتادة كعب بن الاشرف وعن ابن عباس حيي بن اخطب
وابو ياسر بن اخطب وحسدا نصب على احد امرين احدهما على الجملة التي قبله بدلا
من الفعل كانه قال حسدوكم حسدا كانه قال يحسدونكم حسدا والاخر ان
يكون مفعولا له كانه قال يردونكم لاجل الحسد كما يقول جيته خوفا منه يقول حسدت
احسد حسدا وحسدتك على الشيء وحسدتك الشيء بمعنى واحد قال الشاعر

قال ابن الترضون بذلك تحيز الآيات وتساءلوا المحالات كما سئل

فغلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما ورجل حاسد وحسود وحساد
والحسد هو الاسف بالخير على من له خير واشد الحسد التعرض للاغتمام بكون الخير لا
وقد يكون الحاسد متمنيا لزوال النعمة عن المحسود وان لم يكن يطمع في تحول تلك النعم
والصفح هو التجاوز عن الذنب والصفح والعفو والتجاوز بمعنى يقال صفح صفحا وتصفح تصفحا
وتصافحوا تصافحا والصفحة ما كان من ظاهر الشيء يقال لظاهر جلد الانسان
صفحة وكذا هو من كل شيء ومن هذا اصافحه اي لقيت صفحة كفي صفحة كفه وفي
الحديث التسبيح للرجال والتصفيق للنساء اي التصفيق فانما هو لانها تضرب بصفحة كف
على صفحة الاخرى وانشد الاصمعي كان المآلي جمع مئلاة وهي خرقة تمسكها
النائحة تلقى بها دمعتها والصفاح من السيوف العراض واحدها صفحة وصفيحة وقال
ضربناهم حتى اذا ارفض جمعهم علوناهم بالمرهفات الصفائح وصفحت عنه قبل
فيه بمعنى قولان احدهما اني لم اخذه بذنبه وابديت له مني صفحة جميلة وقيل لم ير
ما يقبض صفحة ويقول صفحت الورقة اي تجاوزتها الى غيرها ومنه تصفحت الكتاب وقد
تصفح الكتاب وقد يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرا وسمي الصفح من المصحف وغيره من الدفاتر
من الصفحة ومنه فاصفح الصفح الجميل وقوله فاعفوا واصفحوا قال الحارث بن هشام
وصفحت عنهم والاحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مشهد اي لم اجازهم لا اقبض في
صفاحهم او اردتهم ذلك في نفسي ويقال نظر اليهم صفحا بقدر ما ابدى صفحته لم يجاوز
والصفاح موضع سمي بذلك لانه صخور مستوية تبدو صفاحها واصل الباب صفحة الشيء
وهي ظاهره وقوله من عند انفسهم قال الزجاج متعلق بود كثير لا بقوله حسدا لان
حسد الانسان لا يكون من غير نفسه وقد يجوز ان يتصل بقوله حسدا على التوكيد كما قال عز
وجل ولا طائر يطير بجناحيه ويحتمل وجها اخر وهو ان اليهود كانوا يضيفون الكفر والمعاصي الى الله
تعالى فقال الله من عند انفسهم تكذيبا لهم انها من عند الله وقوله من بعد ما تبين لهم
الحق قال قتادة من بعد ما تبين لهم ان محمدا رسول الله والاسلام دين الله وهو قول الربيع
والسدي وابن زيد وروي عن ابن عباس مثله وقال ابن عباس ان قوله فاعفوا
واصفحوا حتى ياتي الله بامره منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم و

كان مصفحا في قراءة والواحا بايديها

وقال قتادة نسخت بقوله قاتلوا المشركين الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية
وبه قال الربيع والسدي ، وروي عن ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام انه قال
لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال ولا اذن له فيه حتى نزل جبرئيل عليه السلام بهذه
الآية اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وقلده سيفا وقوله حتى يأتي الله بامره قال ابو
علي بامره لكم بعقابهم او يعاقبهم هو على ذلك ثم اتاه بامره فقال قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
، وقوله ان الله على كل شيء قدير قيل فيه ثلثة اقوال ، قال ابو علي انه قدير على عقابهم
اذ هو على كل شيء قدير ، وقال الزجاج قدير على ان يدعوا الى دينه بما احب مما هو الاليق
بالحكمة اي فيأمر بالصفح تارة وبالعقاب اخرى على حسب المصلحة والثالث انه لما امرهم
بالامهال والتأخير في قوله فاعفوا واصفحوا كان فيه تعلق النفس بالمعاقبة في ذلك فقال انهم
فانهم لا يعجزون الله ولا يفوتونه انه هو على كل شيء قدير ، وانما امرهم بالصفح والعفو وان كانوا
مضطهدين مقهورين مقموعين من حيث ان كثيرا من المسلمين كانوا عزيزين في عشائرهم
واقوامهم يقدرون على الانتصاف والانتقام من الكفار فامرهم الله تعالى بان يعفوا وان قدروا
حتى يأتي الله بامره قوله تعالى واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان
الله بما تعملون بصير آية واحدة بلا خلاف
ان قيل ما المقتضي لذكر الصلوة والزكوة هاهنا ، قلنا انه تعالى لما اخبرهم بشدة عداوة اليهود
لهم وامرهم بالصفح عنهم ، قال اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فان في ذلك معونة على الصبر
مع ما تحوزون بهما من الثواب والاجر كما قال في موضع آخر واستعينوا بالصبر والصلوة
وقوله وما تقدموا معنى ما الجزاء وجوابه تجدوه ومثله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا
ممسك لها ، والخير المذكور في الآية هو العمل الصالح قال الربيع كما قال ابن نجا ، و
سبحت المدينة لا ابكيها ، اي سبح اهل المدينة ، وقوله ان الله بما تعملون
بصير معناه انه لا يخفى عليه شيء من اعمالكم جازاكم على الاحسان ما تستحقونه من الثواب
وعلى الاساءة بما تستحقونه من العقاب فاعملوا عمل من يدري انه يجازيه من لا يخفى
عليه شيء من عملكم ، نفي ذلك دلالة على الوعد والوعيد والامر والزجر وان كان

الصالح الذي يرضاه ويعني تجدوه اي تجدوا ثوابه وكذا قال

كان جزاء غير ذلك في اللفظ قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين آية بلا خلاف
قوله هودا يريد يهودا فحذف الياء الزائدة ووحد كان لان لفظة من قد تكون للواحد ويكون
للجماعة والعرب تقول من كان صاحبك ، ولا يجوز الوقف بين اليهود والنصارى في الحكاية
على قوله وقالوا بل يجب صلته بقوله لن يدخل الجنة الآية ، فان قيل كيف جمع بين اليهود والنصارى
في الحكاية مع افتراق مقالتهما في المعنى وكيف يحكى عنهما ما ليس يقول لهما ، قلنا فعل ذلك للايجاز
والاختصار وتقديره قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت النصارى
لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا فادرج الخبر عنهما للايجاز من غير اخلال اذ شهرة حالهما
تغني عن البيان ، ومثله في الادراج والجمع من غير تفصيل قوله قلنا اهبطوا وانما كانت
الصورة اهبط لابليس ثم قيل اهبطا لآدم وحواء فحكاه على المعنى غير ابي مخشي والتقدير
وقال بعض اهل الكتاب لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقال البعض لن يدخل الجنة
الا من كان نصارى والبعض الثاني غير الاول الا انه لما كان اللفظ واحدا جمع
مع الاول ، قال حسان بن ثابت ، امن يهجو رسول الله منكم ، ويمدحه
وينصره سواء ، تقديره ومن يمدحه وينصره غير انه لما كان اللفظ واحدا جمع مع
الاول وصار كانه اخبار عن جملة واحدة وانما حقيقته عن بعضين متفرقين
ومثله هو الذي خلقكم من نفس واحدة والمراد بها آدم ثم قال وجعل منها زوجها اي
من النفس بمعنى الجنس فهو في اللفظ على مخرج الراجع الى النفس الاولى وفي المعنى لغيرها
اي لغيرها ، وهذا قول اكثر المفسرين ، الذي عنو وفي هود ثلثة اقوال في اللفظ ثلثة اقوال احدها انه جمع هائد وهود كحائل وحول وعائذ وعوذ ، و
عائط وعوط وهو جمع الذكر والمؤنث على لفظ الواحد ، والهائد التائب عائط
وعوط الراجع الى الحق ، والوجه الثاني ان يكون مصدرا يصلح للواحد والجمع كما يقال
رجل فطر وقوم فطر ونسوة فطر ورجل صوم وقوم صوم ، والثالث ان يكون
معناه الا من كان يهوديا الا ان الياء الزائدة حذفت ورجع الى معنى الاصل من
اليهود ، ومعنى امانيهم قال المؤرج اباطيلهم بلغة قريش وقال قتادة امانيّ
يتمنونها على الله كاذبة وبه قال الربيع ، وقيل ايضا معناه تلك اقاويلهم وتلاوتهم

كما قال الذين لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة ۝ ومعنى هاتوا احضروا وهو وان كان على لفظ الامر المراد به
الانكار والتعجيز وتقديره ان اتيتم ببرهان صحت مقالتكم ولن تأتوا به لان كل مذهب باطل فلا برهان
عليه والبرهان والحجة والدلالة والبيان بمعنى واحد وهو ما امكن الاستدلال به على ما هو دلالة
عليه مع قصد فاعله الى ذلك وفرق الرماني بين الدلالة والبرهان بان قال الدلالة قد تنبئ عن
معنى فقط لا تشهد بمعنى آخر وقد تنبئ عن معنى يشهد بمعنى آخر ۝ والبرهان ليس كذلك لانه بيان
عن معنى ينبئ عن معنى آخر ۝ وهذا الذي ذكره لا يسلم له لانه محض الدعوى وبه قال الحسن
ومجاهد والربيع والسدي ۝ هاتوا برهانكم اي حجتكم وفي الاية دلالة على فساد التقليد
لانه لو جاز التقليد لما الزم القوم ان يأتوا فيما قالوه ببرهان وقد يجوز في العربية اما بنهم با
لتخفيف على ما ذكر الزجاج والتثقيل اجود ۝ قوله تعالى بلى من اسلم وجهه
لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون آية بلا خلاف
فان قيل بلى انما يكون جواب الاستفهام مثل قوله الست بربكم قالوا بلى فكيف
دخلت هاهنا ۝ قلنا انما جاز ذلك لانه يصلح ان يكون تقديره اما يدخل الجنة احد
فقيل بلى من اسلم وجهه لله لان ما تقدم يقتضي هذا السؤال ويصلح ان يكون جوابا
للجحد على التكذيب كقولك ما قام زيد فيقول بلى قد قام ۝ ويكون التقدير هاهنا
ليس الامر كما قال الزاعمون لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى ولكن من اسلم وجهه
لله وهو محسن فهو الذي يدخلها وينعم فيها ۝ او بلى من اخلص نفسه لطاعة الله ومعنى
اسلم يحتمل امرين احدهما اسلم الى كذا بمعنى صرفه اليه كقولك اسلمت الثوب اليه ۝ و
الثاني اسلم له بمعنى اخلص له من قولك قد سلم الشيء لفلان اذا اخلص له ۝ ومنه قوله و
رجلا سالما لرجل اي خالصا ۝ وقال زيد بن عمرو بن نفيل ۝ اسلمت نفسي لمن
اسلمت له المزن ۝ تحمل عذبا زلالا ۝ وانما جاز اسلم وجهه لله على معنى اسلم
نفسه لله على مجرى كلام العرب في استعمال وجه الشيء وهم يريدون نفس الشيء الا انهم
ذكروه باللفظ الاشرف الانبه ودلوا عليه به كما قال عز وجل كل شيء هالك الا وجهه
اي الا هو ۝ وقال كل من عليها فان ويبقى وجه ربك اي ويبقى ربك ۝ وقال

وقال الاعشى ۝ واول الحكم على وجهه ۝ ليس قضائي بالهوى الجائر ۝ يعني على ما هو من صحته
وصوابه ۝ وقال ذو الرمة ۝ واطراد متنهى الخيل اوجه نازل ۝ من الامر لم يترك خلاجا
بزولها ۝ يريد والخيل النازل من الامر وقال ابن عباس اسلم وجهه لله اخلص عمله لله ۝ و
قال الربيع اخلص لله وقال الحسن يعني بوجهه وجهه في الدين وقيل معناه استسلم لامر الله و
من الوجه يقال توجه توجها وواجه مواجهة وتواجهوا تواجها ۝ والجهة النحو تقول كذا على وجه
كذا ۝ والوجهة القبلة شبهها في كل وجهة اي كل وجه استقبلته واخذت فيه ۝ وتقول توجهوا
اليك ووجهوا اليك كل يقال غير ان قولك توجهوا اليك على معنى ولوا اليك وجوههم ۝
والتوجه الفعل اللازم والوجاه والتجاه لغتان وهو ما استقبل شيء شيئا يقول دار فلان تجاه
دار فلان والمواجهة استقبالك بكلام او بوجه واصل الباب الوجه مستقبل كل شيء ووجه
الانسان محياه ۝ ونقيض الوجه القفا ۝ ويقال وجه الكلام تشبيها بوجه الانسان لانه اول
ما يبدو منه ويعرف به ۝ وكذلك يقال في الجواب هذا وجه وذلك خلف تشبيها ايضا
من جهة الحسن لان الغالب في الوجه انه احسن ويقال هذا وجه الراي اي الذي يبدو
منه ويعرف به ۝ والوجه من كل شيء اوله يبدو فينظر فيظهر ما بعده ۝ وقوله
وهو محسن في موضع نصب لانه في موضع الحال وانما قال فله اجره على التوحيد ثم قال ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون على الجمع لان من لفظها لفظ الواحد ومعناها الجمع فمرة تحمل على اللفظ و
اخرى على المعنى كما قال ومنهم من يستمع اليك ۝ وفي موضع آخر ومنهم من يستمعون اليك
وقال الفرزدق ۝ تعال فان عاهدتني لا تخونني ۝ نكن مثل من يا ذئب
يصطحبان ۝ فثنى وهو واللفظ واحد لاجل المعنى ۝ فان قيل اذا كان قد ذكر فلهم اجرهم
عند ربهم فلم قال ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ۝ قيل عن ذلك جوابان احدهما
الدلالة على انهم على يقين لا على رجاء يخاف معه الا يكون الموعود به ۝ والثاني الفرق
بين حالهم وبين حال اهل العقاب الذين يخافون ويحزنون قوله تعالى
وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال
الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون آية بلا خلاف

اختلفوا فيمن نزلت هذه الاية فقال ابن عباس انه لما قدم اهل نجران من النصارى على رسول
الله صلى الله عليه واله اتتهم احبار يهود فتنازعوا عند رسول الله فقال رافع بن حريملة
ما انتم على شيء وجحد بنبوة عيسى وكفر بالتورية كفر بعيسى وبالانجيل فقال رجل
من اهل نجران من النصارى ما انتم على شيء وجحد بنبوة موسى وكفر بالتورية فانزل الله في
ذلك الاية الى قوله فيما كانوا فيه يختلفون ٭ وقال الربيع هؤلاء اهل الكتاب الذين كانوا
على عهد رسول الله صلى الله عليه واله ٭ ومعنى هؤلاء اهل الكتاب الذين كانوا على عهد
رسول الله صلى الله عليه واله ٭ ومعنى الاية احد شيئين احدهما حل الشبهة بانه ليس
في تلاوة الكتاب معتبر في الانكار لما لم يؤت على انكاره برهان فلا ينبغي ان تدخل
الشبهة بانكار اهل الكتاب لملة اهل الاسلام اذ كل فريق من اهل الكتاب قد انكر ما عليه
الاخر ثم بين ان سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب في الانكار لدين الاسلام من مشركي
العرب وغيرهم ممن الكتاب له فهم وجحدهم لذلك سواء اذ لا حجة معهم يلزم بها
تصديقهم لا من جهة سمع ولا عقل والوجه الاخر الذم لمن انكر ذلك من اهل الكتاب
على جهة العناد اذ قد ساوى المعاند منهم للحق الجاهل به في الدفع له فلم ينفعه علمه بل حصل
على مضرة الجهل كما حصل عليه من لا علم له به ٭ فان قيل اذا كانت اليهود انما قالت
ليست النصارى على شيء في تدينها بالتورية فكيف قال كذلك قال الذين لا يعلمون مثل
قولهم ٭ واهل الحق ايضا يقولون مثل قولهم ٭ قيل ان المعنى كذلك قال الذين لا يعلمون
الكتاب اي فقد ساووا في ذلك من لا كتاب له وكما لا حجة في جحدها ولا كذلك
لا حجة في جحدهم ولم يساووا اهل الحق فيه لانهم قالوه عن علم ٭ والمعنى بقوله كذلك
قال الذين لا يعلمون مثل قولهم في قول السدي هم العرب الذين قالوا ليس محمد
على شيء ٭ وقال الربيع قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم ٭ ووجه هذا
القول اي فقد ساووكم يا معشر اليهود في الانكار وهم لا يعلمون ٭ وقال عطاء
هؤلاء الذين لا يعلمون امم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التورية والانجيل ٭ و
القيمة مصدر الا انه صار كالعلم على وقت بعينه وهو الوقت الذي يبعث
الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم الى محشرهم يقال قام يقوم قياما وقيامة
مثل عاد عيادا وعيادة وصان صيانا وصيانة ٭ وعاد عيادة ٭ وقوله

وقوله فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ٭ يحتمل امرين احدهما قال الحسن حكمه
فيهم ان يكذبهم جميعا ويدخلهم النار ٭ وقال ابو علي حكمه الانصاف من الظالم المكذب
بغير حجة ولا برهان للمظلوم المكذب ٭ وقال الزجاج حكمه ان يريهم من يدخل الجنة عيانا و
هذا هو حكم الفصل في الاخرة فاما حكم العقل في الدنيا فالحجة التي دل الله بها على الحق من الباطل
في الديانات ٭ قوله تعالى ومن اظلم ممن منع
مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها ٭
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اية واحدة ٭
اختلف المفسرون في المعنى بهذه الاية فقال ابن عباس ومجاهد واختاره الفراء انهم الروم لانهم
كانوا غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت ايام عمر فاظهر الله عليهم المسلمين وصاروا لا
يدخلونه الا خائفين ٭ وقال الحسن وقتادة والسدي هو بخت نصر خرب بيت المقدس
قال قتادة واعانه عليه النصارى ٭ وقال قوم عنى به سائر المشركين لانهم يريدون
صد المسلمين عن المساجد ويمنعونه ٭ وقال ابن زيد والبلخي والجبائي والرماني المراد به
مشركو العرب وضعف هذا الوجه الطبري من بين المفسرين بان قال ان مشركي قريش لم يسعوا
قط في تخريب المسجد الحرام وهذا ليس بشيء لان عمارة المساجد كانت بالصلوة فيها وخرابها
بالمنع من الصلوة فيها ٭ وقد روي انهم هدموا مساجد كان اصحاب النبي يصلون فيها بمكة
لما هاجر النبي واصحابه وقال وهو ايضا لا يتعلق بما قبله من ذم اهل الكتاب كما يتعلق اذا
عني به النصارى وبيت المقدس فيصير الكلام منقطعا فيقال له قد جرى ذكر لغير اهل الكتاب
من المشركين في قوله كذلك قال الذين لا يعلمون وهذا اقرب من اليهود والنصارى ولان
ذلك كله ذم فمرة يوجه الى اليهود ومرة الى النصارى ومرة الى عباد الاوثان وغيرهم
من اهل الشرك فان قيل كيف قال مساجد الله بالجمع وهو اراد المسجد الحرام او بيت المقدس
قيل عنه جوابان احدهما ان كل موضع منه مسجد كما يقال لكل موضع من المجلس العظيم
مجلس فيكون اسما يصلح ان يقع على جملته وعلى كل موضع سجود فيه ٭ وقال
الجبائي لانه يدخل فيه المساجد التي بناها المسلمون للصلوة بالمدينة ٭ وقوله
ممن منع والمنع والصد والحيلولة نظاير ٭ وضد المنع الاطلاق يقال منع
منعا وامتنع امتناعا وتمنع تمنعا وتمانع تمانعا ومانعه ممانعة ٭ وقال صاحب العين

المنع ان يحول بين الرجل وبين الشي يريده ويقول منعته فامتنع ورجل منيع لا يخلص اليه وهو
في عز ومنعة بالجفف ويثقل وامراة منيعة ممتنعة لا تواتي على فاحشة وقد تمنعت مناعة
وكذلك الحصن وغيره يقول منع مناعا اذا الهرم ومناع اي امنع قال الشاعر
مناعها من ابل مناعها الا ترى الموت لدى ارباعها ومساجد الله قد بينا ان منهم
من اراد المسجد الاقصى ومنهم من اراد المسجد الحرام ومنهم من قال اراد جميع المساجد
وروى عن زيد بن علي عن ابيه عليهما السلام انه اراد جميع الارض لقوله عليه السلام جعلت
لي الارض مسجدا وترابها طهورا وقوله وسعى في خرابها والسعي والعدو والركض نظاير
وضد السعي الوقف تقول سعى سعيا واستسعى استسعاء وتساعوا تساعيا قال
صاحب العين السعي عدو دون الشديد وكل عمل من خير او شر فهو السعي يقال فلان
يسعى على عياله اي يكسب لهم يقولون ان السعي الكسب والعمل قال الشاعر
سعى عقالا فلم يترك لنا سبدا وكيف لو قد سعى عمرو عقالين عقال صدقة عام و
الساعية ان تسعى للسلطان اذا ولي الصدقة وساعي بصاحبك الى وال من فوقه والسعاية
ما يستسعى به العبد من ثمن رقبته اذا اعتق بعضه وهو ان يكلف من العمل ما يودي عن نفسه
ما بقي ويقال سعى للسلطان اذا ولي الصدقة وساعى الرجل الامة اذا فجر بها ولا
يكون المساعاة الا في الاماء واصل الباب السعي العدو وقوله في خرابها فالخرب و
الهدم والنقض نظاير ونقيض الخراب العمارة يقال خرب خرابا واخربه اخرابا وتخرب تخربا
وخربه تخريبا والخرب الذكر من الحبارى والجمع الخربان قال الشاعر ما رابنا
خربا ينفر عنه البيض صقر لا يكون العير مهرا لا يكون المهر مهر و
الخربة سعة خرق الاذن قال ذو الرمة كانه حبشي يبتغي اثرا او
من معاشر في اذانها الخرب والخربة عروة المزادة وكذلك كل ثقب مستدير
والخارب اللص وما رابنا من فلان خربة اي فسادا في دينه او شينا والخارب
من شذاذ الدهر قال الشاعر ان بها اكتل او رزاما خويربان
ينقفان الهاما والرزام الهزال والخروبة شجرة الينبوت والخرابة سرقة الابل
قال الاصمعي لا يكادون يسمون الخارب الا سارق الابل واصل الباب الخراب ضد العمران
وقوله ومن اظلم رفع لانه خبر الابتداء وتقديره اي احد اظلم وقوله ان يذكر

يذكر يحتمل وجهين من النصب قال الاخفش يجوز ان يكون على حذف من وتقديره من ان يذكر ويجوز ان
يكون على البدل من مساجد الله وقال الزجاج يجوز على معنى كراهية ان يذكر وعلى الوجوه
كلها العامل فيه منع ومعنى قوله اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين فيها خلاف قال
قتادة هم اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا نهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة
وبه قال السدي وقال ابن زيد نادى رسول الله صلى الله عليه وآله الا لا يحج بعد
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وقال الجبائي بين الله انه ليس لهؤلاء المشركين
دخول المسجد الحرام ولا دخول المساجد فان دخل منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين
اخراجه منه الا ان يدخل الى بعض الحكام لخصومة بينه وبين غيره الى بعض القضاة فيكون
في دخوله خائفا من الاخراج على وجه الطرد بعد ويمكن الاستدلال به على ان الكفار لا يجوز
انفصال الخصومة ولا يقعد مطمئنا كما كان يقعد المسلم وهو الذي يليق بمذهبنا ويمكن الاستدلال
به على ان الكفار لا يجوز ان يمكنوا من دخول المساجد على كل حال فاما المسجد الحرام خاصة
فان المشركين يمنعون من دخوله ولا يتركون ليدخلوه لحكومة ولا غيرها لان الله تعالى قد امر
بمنعهم من دخوله بقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مسجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر يعني
المسجد الحرام وقال الزجاج اعلم الله ان امر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن
دخول مخالف الى مساجدهم الا خائفا وهو كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
كانه قيل اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لاعزاز الله الدين واظهار المسلمين
قوله تعالى لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم اية
قال قتادة معناه انهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وقال السدي خزيهم في
الدنيا انهم اذا قام المهدي وفتحت قسطنطينية قتلهم فذلك خزيهم في الدنيا ان يقتلوا
ان كانوا حربا ويؤدوا الجزية ان كانوا ذمة وقال الجبائي الخزي لهؤلاء الكفار
الذين امرنا بمنعهم من دخول المساجد على سبيل ما يدخلها المؤمنون وقوله ولهم في الاخرة
عذاب عظيم قال الفراء يقول فيما وعد الله المسلمين من فتح الروم وان لم يكن بعد والناس
على خلافه في ان معنى الاخرة يوم القيمة كانه قيل لهم في الاخرة عذاب جهنم قوله تعالى
ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه
الله ان الله واسع عليم اية بلا خلاف

المشرق والشرق اسمان لمطلع الشمس والمغرب والغرب اسمان لغربها يقال شرق شروقا واشرق اشراقا
وكشرق تشريقا ٭ والمشرقان والمغربان مشرقا[٣] الاول في الحول وشرقت الشمس اذا طلعت و
اشرقت اذا اضاءت ويقول لا افعل ذلك ما ذر شارق اي ما طلع قرن الشمس وشرق
يشرق شرقا اذا اغتص ٭ وقال عدي بن زيد ٭ لو بغير الماء حلقي شرق ٭ كنت
كالغصان بالماء اغتصاري ٭ والمشرقة حيث يقعد المشرق في وجه الشمس ٭ قال
الشاعر ٭ تحبتي الطلاق وانت عندي ٭ بعيش مثل مشرقة الشتاء ٭ وشرق
الثوب بالصبغ اذا احمر واشتدت حمرته ٭ ولطمه فشرق الدم في عينه اذا احمرت ٭
ويقول اشرورقت عينه واغرورقت وناقة شرقاء اذا اشقت اذنها بنصفين طولا
وكذلك الشاة وايام التشريق ايام تشريق اللحم في الظل ٭ وقال صاحب العين كانوا
يشرقون اللحم تلك الايام في الشمس ٭ وقوله فاخذتهم الصيحة مشرقين اي
حيث طلعت عليهم الشمس والشرق طاير من الطيور الصوايد مثل الصقر والشاهين
وقال الشاعر ٭ قد اعتدي والصبح ذو بنيق ٭ لسلح اكلب شوذنيق ٭
اجدل او شرق من الشروق ٭ وكل شيء طلع من الشمس يقال شرق يشرق وفي الحديث
لا تشريق الا في مصر ومسجد جامع اي لا صلوة عيد لانها وقت طلوع الشمس واصل الباب
الطلوع ٭ والمغرب والغيب نظاير يقول غرب يغرب غروبا واغرب اغرابا واغترب اغترابا
واستغرب استغرابا وغرب تغريبا ٭ وسمي الغراب غرابا لبعده ونفوره وانه اشد الطير
خوفا واصل الباب الحد والتباعد حتى يبلغ النهاية من هذا مغرب الشمس والرجل الغريب
المتباعد وشطت غربة النوى اي بعد المتناءى وهو البعد البعد وغرب السيف والسهم
حده سمي بذلك لانه يمضي فلا يرد فهو ماخوذ من الابعاد ٭ ويقال لموضع الرداء غارب
وقولهم للدابة مغرب اذا ابيضت حدقته واهدابه تشبيه بابيضاض الشمس عند الغروب
وقيل للرجل اغرب معناه ابعد وثوب غربي اذا لم تستحكم حمرته ماخوذ من الدابة المغرب
ويقول اصابه حجر غرب اذا اتاه من حيث لا يدري من رماه حجر غرب اذا رمى غيره فاصابه
ويقال اقطع غرب لسان فلان عني اي اقطع حدة لسانه ٭ وناقة ذات غرب اي ذات
حدة والغرب والعرب الدمع لحار الفاسد ٭ وقال الكميت الي غرب عينك الاثم
انها لا وجعه غروب ٭ والغرب دلو ضخم تتخذ من جلد تام ٭ والغرب ما قطر من الماء

الشتاء والصيف ومغربا[هما] او المشارق مطالع الشمس في كل يوم حتى يعود الى المشرق الاول ح

من الدلاء من الحوض والبير ٭ ويقال الغرب الحوض اذا سال من جوانبه وفاض والغرب جنس
الشجر خارج عن حدها يحمل الجمل او طيب الريح او صلابة وعانة مغربة اي بعيد ٭ والغرب الفضة
وقيل انه جام من فضة ٭ وقيل انه الذهب ٭ قال الشاعر ٭ كما نزع سا[قي] الا
عاج الغربا ٭ والغارب اعلى الموج والغارب ما بين يدي السنام ٭ وعنقاء مغرب موضوع
على طاير لا يعرف حده ٭ والغربيب الاسود الشديد السواد ٭ واصل الباب الغرب الحد
واللام في قوله ولله المشرق لام الملك واصلها لام الاضافة وهي على ثمانية اوجه الملك والفعل
والعلة والولادة والاختصاص والاستغاثة ولام كي ولام العرض وهي لام العاقبة فلام الملك
قولك له مال والفعل له كلام والعلة هو اسود لان فيه السواد والولادة له ابن وله ولد وله
اخ ٭ والاختصاص له علم وله ارادة واختصاص بارادة والاستغاثة يا لبكر ولام كي ليرضوه
وليقترفوا ما هم مقترفون ٭ ولام العاقبة فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا فهذه وجوه
لام الاضافة ٭ وانما قيل ولله المشرق والمغرب بالتوحيد ولم يجمع المشارق والمغارب لاحد امرين احدهما
انه اخرج ذلك مخرج الجنس فدل على الجمع كما قيل اهلك الناس الدينار والدرهم ٭ والاخر انه على الحذف كانه
قيل المشرق الذي يشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذي تغرب منه كل يوم وانما خص الله تعالى ذكر ذلك
هاهنا لاحد امور احدها قال ابن عباس واختاره الجبائي انه رد على اليهود لما انكروا تحويل
القبلة الى الكعبة وقال البلخي هو في جهة دون جهة كما يقول المشبهة ٭ والثاني قال ابن
زيد وقتادة كان للمسلمين التوجه بوجوههم الى الصلوة حيث شاؤوا ثم نسخ ذلك بقوله فول و
جهك شطر المسجد الحرام وانما كان النبي عليه السلام اختار التوجه الى بيت المقدس وقد
كان له التوجه الى حيث شاء ٭ وقال اخرون كان ابن عمر يصلي حيث توجهت به
راحلته في السفر تطوعا وذكر ان رسول الله كان يفعل ذلك ويتاول عليه الاية وقيل
نزلت في قوم صلوا في ظلمة وقد خفيت عليهم جهة القبلة فلما اصبحوا اذا هم صلوا الى غير القبلة
فانزل الله هذه الاية ٭ وهذا قول عبد الله بن عامر عن ابيه والنخعي والاول اقوى
الوجوه ٭ وقوله فثم وجه الله المراد بالوجه فيه اختلاف ٭ قال الحسن ومجاهد
المراد به فثم جهة القبلة وهي الكعبة لانه يمكن التوجه اليها من كل مكان ٭ قال ابن بيض
اي الوجه انتجعت قلت لها ٭ لاي وجه الا الى الحكم ٭ متى يقل صاحبا سرادقه ٭ هذا
ابن بيض بالباب يبتسم ٭ وقيل معناه فثم وجه الله فادعوه كيف توجهتم ٭ وقال اخرون

واختاره وقيل معناه فثم وجه الله فادعوه كيف توجهتم قاله الرماني والجبائي فثم رضوان الله كما يقال هذا وجه العمل
وهذا وجه الصواب وكانه قال الوجه الذي يؤدي الى رضوان الله وتقدير الاية واتصالها بما
قبلها كانه قال لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد ان تذكروه حيث كنتم من اي وجه وله المشرق
والمغرب والجهات كلها وقوله عز وجل والله واسع عليم قال قوم معناه غني فكانه قيل واسع
المقدور وقال الزجاج يدل على التوسعة للناس فيما رخص لهم في الشريعة وكانه قيل واسع
الرحمة وكذلك رخص في الشريعة ومعنى القول الاول انه غني عن طاعتكم وانما يريدها لمنفعتكم
وقال الجبائي معناه واسع الرحمة والسعة والفسحة والمباعدة نظائر وضد السعة الضيق يقال
وسع يسع سعة واوسع ايساعا وتوسع توسعا واتسع اتساعا ووسع توسعة والوسع جدة الرجل
وقدرة ذات يده فرحمة الله وسعت كل شيء وانه ليسعني ما وسعك وتقول وسعت الوعا فاتسع
فعل لازم وكذلك توسع وسع الفرس سعة ووساعة فهو وساع ~~وفي القران لا يكلف الله الا ما~~
فهو موسع وموسع عليه ويقول سير وسيع ووساع وفي القران لا يكلف الله الا وسعها اي
طاقتها واصل الباب السعة نقيض الضيق ومعنى عليم انه عالم بوجه الحكمة فبادروا الى ما امركم به
من الطاعة وقيل واسع الرحمة عليم اين يضعها على وجه الحكمة ومعنى ثم هناك يقول لما قرب
من المكان هنا وما تراخى ثم وهناك وانما بني لان فيه معنى الاشارة الى المكان لابهامها وبني على
الحركة لالتقاء الساكنين وفتح لخفة الفتحة في المضاعف وقوله فاينما تولوا فثم وجه جزم باينما
والجواب فثم وجه الله وثم موضعه النصب لكنه بني على الفتح وقوله اينما تكتب موصولة في اربعة
مواضع ليس في القران غيرها هذه واحدة وفي النحل اينما يوجهه وفي الاحزاب ملعونين
اينما ثقفوا وفي الشعراء اينما كنتم تعبدون ومن الناس من يجعل معها الذي في النساء اينما
تكونوا يدرككم الموت وكلها على القياس الا التي في الشعراء فان قياسها ان تكتب موصولة لان
ما اسم موصول بما بعده بمعنى الذي قوله تعالى وقالوا اتخذ الله
ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون آية واحدة بلا خلاف
قرا ابن عامر وحده قالوا بلا واو والمعني بهذه الاية النصارى وقال قوم النصارى ومشركوا
العرب معا من حيث قالوا الملائكة بنات الله وقالت النصارى المسيح بن الله هذا قول
الزجاج وفي هذه الاية دلالة على انه لا يجوز الولد على وجه من الوجوه لانه اذا كان جميع ما في السموات

واوسع الرجل اذا كان واسعا في المال

السموات والارض ملكا له فالمسيح عبد مربوب وكذلك الملائكة المقربون صلوات الله عليهم
اجمعين ولان الولد لا يكون الا من جنس الوالد ولا يكون المفعول الا من جنس الفاعل وكل جسم
فعل لله فلا مثل له ولا نظير على وجه من الوجوه تعالى الله عن صفات المخلوقين وقوله كل له
قانتون الاصل في القنوت الصلوة الدوام وينقسم اربعة اقسام الطاعة كقوله كل له قانتون
اي مطيعون والقنوت الصلوة كقوله يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي والقنوت
طول القيام وروي عن جابر بن عبد الله قال سئل النبي صلى الله عليه واله اي
الصلوة افضل فقال طول القنوت ويكون القنوت السكوت كما قال زيد بن ارقم
كنا نتكلم في الصلوة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامسكنا عن الكلام وقيل
في قانتون هاهنا ثلثة اقوال قال مجاهد معناه مطيعون وطاعة الكافر في سجود ظله
وقال ابن عباس مطيعون الثاني قال السدي كل له مطيعون في يوم
القيمة وقال الربيع كل قائم له يوم القيمة الثالث قال الحسن
كل قائم له بالشهادة عبده وقالت فرقة رابعة وهو الاقوى كل دائم على حال واحدة
بالشهادة بما فيه من اثار الصنعة والدلالة على الربوبية وزعم الفراء انها خاصة لاهل الطاعة
بدلالة انا نجد كثيرا من الخلق غير طائعين وعلى ما اخترناه لا يحتاج الى التخصيص واما
القنوت في اللغة فقد يكون بمعنى الطاعة يقول قنت يقنت قنوتا فهو قانت اذا
اطاع وقال صاحب العين القنوت في الصلوة دعاء بعد القراءة في اخر الوتر يدعو
قائما ومنه قوله يا مريم اقنتي في هذا الموضع وقيل اطيلي في قيامك في الصلوة وقوله وقوموا لله
قانتين اي خاشعين وقال ابن دريد القنوت الطاعة وقال ابو عبيدة
القانتات الطائعات والقنوت في الصلوة طول القيام على ما قاله المفسرون في
قوله وقوموا لله قانتين واصل الباب المداومة على الشيء قوله تعالى
بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما
يقول له كن فيكون آية بلا خلاف
قرا ابن عامر فيكون نصبا الباقون بالرفع بديع بمعنى مبدع مثل اليم بمعنى مؤلم وسميع
بمعنى مسمع وبينهما فرق لان في بديع مبالغة ليس في مبدع ويستحق الوصف في غير حال
الفعل على الحقيقة بمعنى ان من شانه الانشاء لانه قادر عليه ففيه معنى مبدع

امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما والقنوت الى الدعاء

وقال السدي يقول ابتدعها فخلقها ولم يخلق قبلها شيئا تمثل به ؛ والابتداع والاختراع
والانشاء نظاير وضد الابتداع الاحتذاء على مثال يقال ابدع ابداعا وابتدع ابتداعا ؛ وبدع
يبتدع بدعا ؛ وقال ابن دريد بدعت الشي اذا انشاته وبديع السموات والارض اي
منشئهما وبدعت الركي اذا استنبطتها وركي بديع اي جديد بديع الحفر ولست ببدع في كذا
اي لست باول من اصابه هذا ؛ ومنه قوله ما كنت بدعا من الرسل وكل من احدث
شيئا فقد ابدعه والاسم البدعة وابدع وفي الحديث بالرجل اذا كلت راحلته وانقطع
به ؛ وقوله ما كنت بدعا من الرسل اي ما كنت باول مرسل والبدعة ما ابتدع
من الدين وغيره وجمعها بدع وفي الحديث كل بدعة ضلالة ؛ وتقول جئت
بامر بديع اي مبتدع عجيب وابدعت الابل اذا تركت في الطريق من الهزال واصل
الباب الانشاء ؛ وقوله واذا قضى امرا يحتمل امرين احدهما اذا خلق امرا كما قال
فقضاهن سبع سموات في يومين اي خلقهن وهو اختيار البلخي والرماني والجبائي
والثاني حتم بان يفعل امرا وحكم وقيل احكم امرا كما قال ابو ذويب
وعليهما مسرودتان قضاهما ؛ داود او صنع السوابغ تبع ؛ قضاهما احكمهما والقضا
والحكم نظاير يقال قضى يقضي قضاء ؛ واقتضى اقتضاء ؛ وتقاضا تقاضيا ؛ واستقضى
استقضاء وتقضى تقضيا ؛ وقضي تقضية ؛ وقاضاه مقاضاة ؛ وانقضى انقضاء
قال صاحب العين قضى يقضي قضاء وقضية يعني حكم وتقول قضى اليه عهدا معناه
اوصى اليه ومنه قوله وقضينا الى بني اسرائيل ؛ وقضى عليه الموت اي اتى عليه و
الانقضاء فناء الشي وذهابه وكذلك التقضي واصل الباب القضاء والفصل و
القضاء ينصرف على وجوه منها الامر كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه اي
امر ؛ ومنه الخلق كقوله فقضاهن سبع سموات اي خلقهن ؛ ومنه الاخبار و
الاعلام كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب اي اخبرناهم ؛ ومنه الفصل قضى
القاضي بين الخصمين اي فصل الامر بينهما ومعنى قوله فانما يقول له كن فيكون قيل فيه
قولان احدهما انه بمنزلة المثل ومعناه ان منزلة الفعل له في السهولة وانتفاء التعذر
كمنزلة ما يقال له كن فيكون كما يقال قال فلان براسه كذا وقال بيده اذا حرك راسه
واومى بيده ولم يقل شيئا في الحقيقة ؛ وقال ابو النجم ؛ اذ قالت الانساء للبطن

للبطن الحق ؛ قدما فاضت كالفنيق المحنق ؛ وقال عمرو بن حممة الدوسي ؛ شعر
فاصبحت مثل النسر طارت فراخه ؛ اذا رام تطيارا يقال له قع ؛ وقال آخر
امتلا الحوض وقال قطني ؛ مهلا رويدا قد ملات بطني وقال آخر
فقالت له العينان سمعا وطاعة ؛ وحدرتا كالدر لما يثقب ؛ وقال العجلي يصف
ثورا ؛ وفيه كالاعراض للعكورد ؛ فكر ثم قال في التفكر ؛ ان الحياة اليوم في
الكرور ؛ والوجه الاخر انه علامة جعلها الله للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث
امرا وكلاهما حسن والاول احسن واشبه في كلام العرب في عادة الفصحاء ونظيره
قوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وهو الذي
اختاره البلخي والرماني واكثر المفسرين وقد قيل في ذلك اقوال فاسدة لا يجوز التعويل
عليها ؛ منها ان الامر خاص في الموجودين الذين قيل لهم كونوا قردة خاسئين
ومن جرى مجراهم لانه لا يومر المعدوم عندهم ؛ ومنها انه امر للمعدوم من حيث هو لله
معلوم فصح ان يومر فيكون ومنها ان الاية خاصة في الموجودات من اماتة الاحياء
الموتى وما جرى مجرى ذلك من الامور وانما قلنا بافساد هذه الاقوال لانه لا يحسن
ان يومر الا من كان عاقلا مميزا يقدر على ما امر به ويتمكن من فعله وجميع ما ذكروه بخلافه
لان المعدوم ليس بحي ولا عاقل ولا يصح امره ومن كان موجودا لا يجوز ان يومر ان يكون
قردة لان المعاني التي تكون بها كذلك ليس في مقدوره وكذلك القول في الاماتة والاحياء
؛ وتاويل قوله كونوا قردة خاسئين قد بيناه فيما مضى فقال بعضهم انه امر للموجود
في حال كونه لا قبله ولا بعده وانه مثل قوله ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم
تخرجون وان دعاء الله اياهم لا يتقدم خروج القوم من قبورهم ولا يتاخر عنه وهذا
فاسد لان من شرط حسن الامر ان يتقدم المامور به وكذلك القول في الدعاء
فلا يسلم ما قالوه ؛ وتاويل ؛ ما استشهدوا به على ما بيناه في الاية سواء في انه
اخبار عن تسهيل الفعل وسرعته ووقوعه وارادته لا ان يكون هناك دعاء على الحقيقة
ثم يلزم على جميع ما ذكروه ان تكون الاشياء مطيعة لله تعالى لان الطاعة هي موافقة الامر
من الامثال التي قالها كونوا بان فعلت نفسها ويلزم ان يكون لها عقل وتمييز وكل ذلك
فاسد ؛ فاما من استدل بهذه الاية ونظايرها على ان كلام الله قديم من حيث انه

لو كان محدثا لاقتضى الا يحصل الا بكن والكلام في كن كالكلام فيه الى ان ينتهي الى كن قديمة وهو كلام الله
القديم فهذا باطل لانا قد بينا معنى الاية فلا يصح ما قالوه على ان الاية تقتضي حدوث كلامه
من حيث اخبر ان المكونات تكون عقيب كن بكونها لان الفاء توجب التعقيب فاذا كانت الاشيا
محدثة فما يتقدمها بوقت واحد لا يكون الا محدثا فبطل ما قالوه ۞ وايضا فانه قال
اذا قضى امرا ومعناه خلق فبين انه يخلق الامر وقوله كن امر يوجب ان يكون محدثا ۞ و
دلت الاية على نفي الولد عن الله من وجهين احدهما ان الذي ابتدع السموات والارض
من غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير والد ۞ والاخر ان من هذه صفته
لا يجوز عليه اتخاذ الولد كما لا يجوز صفات النقص عليه تعالى عن ذلك واذا حملنا الاية على
وجود المثال في جرد الخلق هو قوله كن الا انه خرج على تقدير فعليت كما يقال اذا تكلم
فلان بشيء فانما كلامه مباح واذا امر بشي فانما هو حتم ۞ وكما قال تاب فاهتدى فسرعته
هي اهتداؤه فلا يتعذر ان يقال كن قبله او معه ۞ ومن حملنا ذلك على انه علامة للملائكة
فانه يحتمل ان يكون معه ويحتمل ان يكون قبله كما يقول اذا قدم زيد قدم عمرو فانه يحتمل ان يكون
وقتا للامرين معا الا انه اشبه الشرط كقولك ان جئتني اعطيتك ولذلك دخلت الفاء
في الجواب كما يجي في الشرط كقوله ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل وكذلك يحتمل الاية الامرين
ورفع قوله فيكون يحتمل امرين احدهما ان يكون عطفا على يقول ۞ والاخر على الاستيناف
اي فهو يكون ونصبه على جواب الامر فلا يجوز لانه انما يجب الجواب بوجود الشرط فاما كان على
فعليت في الحقيقة كقولك ائتني فاكرمك فالاتيان غير الاكرام ۞ فاما كن فيكون فالكون
الحاصل هو الكون المامور به ومثله انما اقول له ائتني فياتيني وقال ابو علي الفارسي يجوز
ذلك على وجه وهو ان لفظه لما كان لفظ الامر نصب كما نصب في جواب الامر فان كان
الامر بخلافه كما قال ابو الحسن في نحو قوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وجوز
ذلك في الاي على انه اجرى مجرى جواب الامر وان لم يكن جوابا له في الحقيقة وقد يكون اللفظ
على شي والمعنى على غيره كقولهم ما انت وزيد والمعنى لم تؤذيه وليس ذلك في اللفظ
ومثله فلا تكفر فيتعلمون ليس فيتعلمون جوابا لقوله فلا تكفر ولكن معناه يعلمون ۞
فيتعلمون ليس فيتعلمون او يعلمان فيتعلمون منهما غير ان قوله فلا تكفر نهي على الحقيقة
وليس قوله كن امرا على الحقيقة فمن هاهنا ضعفت هذه القراءة ۞ قوله تعالى وقال

۞ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا ۞
۞ آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت ۞ مثل
۞ قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون آية بلا ۞

المعني بهذه الاية في قول مجاهد النصارى وفي قول ابن عباس اليهود وفي قول الحسن وقتادة
مشركوا العرب وكل ذلك يحتمل غير انه لمشركي العرب اليق لانه يشاكل ما طلبوا حين قالوا لن نؤمن
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا ويقوى ذلك قوله وقال الذين لا
يعلمون الكتاب فبين انهم ليسوا اهل كتاب ومن اختار ان المراد بها النصارى قال لانه قال
قبلها وقالوا اتخذ الله ولدا وهذا لا دلالة فيه ولا يمتنع ان يذكر قوما ويخبر عنهم ثم يستانف
قوما اخرين فيخبر عنهم على ان مشركي العرب قد اضافوا الى الله البنات فدخلوا في جملة من
قال اتخذ الله ولدا ومعنى قوله لولا هلا كما قال الاشهب بن رميلة ۞ تعدون
عقر النيب افضل مجدكم ۞ بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا ۞ اي هلا تعقرون الكمي المقنعا ۞
وانما قالوا او تاتينا اية وقد جاءتهم الآيات لانهم طلبوا اية كما كانت آية الرسل توافق
دعوتهم ويكلمهم الله كما كلمهم الله ۞ والمعني بقوله كذلك قال الذين من قبلهم مثل
قولهم اليهود على قول مجاهد وعلى قول قتادة والسدي والربيع اليهود والنصارى وغيرهم
في قوله تشابهت قلوبهم يعني في الكفر بالاعتراض على انبيائه كناية عن قلوب اليهود والنصارى
وغيرهم وعلى قول الربيع وقتادة عن العرب واليهود والنصارى وغيرهم فقوله تشابهت
قلوبهم يعني في الكفر بالاعتراض على انبياء الله ما جهلا لان اليهود قالت لموسى ارنا الله
جهرة وقالت النصارى للمسيح انزل علينا مائدة من السماء ۞ وقالت العرب لمحمد
صلى الله عليه وآله حول لنا الصفا ذهبا وغير ذلك وكذلك قال الله تعالى اتواصوا به
۞ وما روي عن ابن اسحق انه قرا تشابهت بتشديد الشين خطا لان ذلك انما يجوز
في المضارع بمعنى تتشابه فتدغم احدى التاءين في الشين هكذا قال الفراء وغيره من اهل
العلم ۞ وقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون معناه انهم يوقنون بها من حيث
دلتهم على الحق فالواجب على كل هؤلاء ان يستدلوا بها ليصلوا الى اليقين كما وصل
غيرهم اليه بها ۞ واليقين والعلم والمعرفة نظائر في اللغة ونقيضه الشك و
الجهل يقول ايقن ايقانا ويقن يقنا واستيقن استيقانا ۞ وقال صاحب العين

اليقين النفس قال الشاعر ، وما بالذي ابصرته العيون ، من قطع يأس
ولا من يقين ، واليقين علم يثلج به الصدر ولهذا يقولون اجد برد اليقين ولا يقولون
وجد برد العلم ، فان قيل لم لم يؤتوا الآيات التي طلبوها لتكون الحجة آكد ، قلنا
اظهار الآيات المعتبر فيه المصالح وليس بموقوف على اقتراح العباد ولو علم الله ان ما اقترحوا من
الآيات فيه مصلحة لاظهرها فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن فيها مصلحة لنا اصلا
قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا
تسأل عن اصحاب الجحيم آية بلا خلاف
قرا نافع لا تسأل بفتح التاء وجزم اللام على النهي ، وروى ذلك عن ابي جعفر محمد بن علي
الباقر عليه السلام وابن عباس ذكر ذلك الفراء والبلخي ، الباقون على لفظ الخبر
على ما لم يسم فاعله ، معنى قوله ولا تسأل عن اصحاب الجحيم تسلية للنبي عليه السلام فقيل
له انما انت بشير ونذير ولست تسأل عن اصحاب الجحيم ، ومثله قوله فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات وقوله ليس عليك هداهم ، وقوله عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ، وموضع
ولا تسأل يحتمل امرين احدهما ان يكون استينافا ولا موضع له ، والآخر ان يكون
حالا فيكون موضعه نصبا ذكر ذلك الزجاج لانه قال انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا
ونذيرا غير مسؤول عن اصحاب الجحيم ، ومن فتح التاء فعلى الخبر تقديره غير سائل
وانكر قوم الحال واعتلوا بان في قراءة ابي وما تسأل وفي قراءة عبد الله ولن تسأل
وهذا غير صحيح لانه ليس فيها ما يقتضي ما فيه لحن وما لانه يجوز ارسلناك لا سائلا
ولا يجوز ما سائلا ولذلك احتمل مع لا الحال ولم يحتمل مع لن وما لان لا لا تنصرفا
ليس لهما فيجوز ان يعمل ما قبلها فيما بعدها ولا يجوز ذلك فيهما يقول جئت
بلا زاجر ولا يجوز بما زاجر ، والجحيم النار بعينها اذا شبت وقودها قال امية بن
ابي الصلت ، اذا شبت جهنم ثم زادت ، واعرض عن قوابسها الجحيم
فصار كالعلم على جهنم ، وقال صاحب العين الجحيم النار الشديدة التاجج
والالتهاب كما اججوا نار ابراهيم وهي تجحم تجحما يعني توقدت جمرتها وجاحم
الحرب شدة القتل في معركتها وقال سعيد بن مالك بن ضبيعة ، والحرب
لا يبقى لجاحمها ، التخيل والمراح ، الا الفتى الصبار في ، النجدات والفرس الوقاح

١٣٦

الوقاح ، والجحمة العين بلغة حمير ، قال الشاعر ، ايا جحمتي بكي على ام واهب ،
اكيلة قلوب باحدى المذانب ، والجحمتان الاسد عيناه ، ويقول جحمت النار جحما اذا اضطرمت وجحم
جاحم اذا اشتد اشتعاله ومنه اشتقاق الجحيم واصل الباب الالتهاب ، ومنه الاجحم الشديد حمرة
العين تشبيها بالنار في حمرتها والحرب تشبيها بالتهاب النار ، وفي الآية دلالة على انه لا يواخذ احد
بذنب غيره قريبا كان منه او بعيدا كما بين الله انه لا يطالب احدا بذنب غيره وان كان قد فرض على
النبي صلى الله عليه واله ان يدعو الى الحق ويزجر عن الباطل وليس عليه ان يقبل المدعو من الباطل
وليس عليه ان يقبل المدعو ومن قرا بلفظ النهي قال الزجاج يحتمل امرين احدهما ان يكون امره بترك
المسألة والآخر ما قاله الاخفش ان يكون المعنى على تفخيم ما اعد لهم من العقاب كما يقال لا تسأل عن فلان
اي قد صار الى امر عظيم ، وقال قوم لو كان على النهي لقال فلا بالفاء لانه يصير بمنزلة الجواب كانه يدل على
لانا ارسلناك الا بالحق فلا تسأل عن اصحاب الجحيم ولا يحتاج في الرفع الى الفاء واذا كان على الرفع فظاهر
الكلام الاول يقتضيه اقتضاء الاحوال واقتضاء الباب الذي يجري مجرى الحجاج على من اعترض بان فعل الله
الى الايمان لا يجل موقعه الا بان يقبل المدعو اليه ، واما الصلة بما تقدم على الجزم فانما هو على معنى التغليظ
لشان الجحيم ليزجر بذلك عن ترك اتباعه صلى الله عليه واله والتصديق بما اتى به من البشارة قال
ابو علي الفارسي انما يلزم الفاء اذا كان الكلام الاول علة فيما بعد ذلك كقولك اعطيك فرسا فلا تسأل
شيئا آخر والآية بخلاف ذلك ، وفي الناس من قال القراءة بالجزم مردودة لانه لم يتوجه له اتصال
الكلام ولا كيف جاء بالواو دون الفاء ، وقد بينا الاتصال فاما المجيء بالواو فلانه لم يرد الدلالة
على معنى الجواب ولكن عطف جملة على جملة تتعلق بها وتقتضي على ما انطوى عليه معناها ومعنى الحق
في قوله انا ارسلناك بالحق الاسلام بشيرا من اتبعك عليه بالثواب نذيرا من خالفك فيه بالعقاب
وقيل انا ارسلناك بالحق يعني على الحق كما قال خلق الله السموات والارض بالحق كانه قال
على انها حق لا باطل قوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود و
النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى و
لئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير آية
قيل في معنى هذه الآية قولان احدهما ان النبي صلى الله عليه واله كان مجتهدا في طلب ما يرضيهم
ليقبلوا الى الاسلام ويتركوا القتال فقيل له دع ما يرضيهم الى ما امر الله به من مجاهدتهم ، والآخر
قال الزجاج كانوا يسالونه عليه السلام الهدنة والمسالمة ويرونه انه ان امهلهم اسلموا فاعلمه الله

انهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم والنصارى لا يرضون عنه حتى يكون صلى الله عليه وآله حتى يهوديا
والنصارى لا يرضون عنه حتى يكون نصرانيا فاستحال ان يكون يهوديا نصرانيا في حال استحال رضاهم
بذلك والرضا والمحبة والمودة نظاير وضد الرضا الغضب ويقال رضي يرضى رضا، وارضاه ارضاء
وارتضاه ارتضاء واسترضاه وترضاه ترضيا وتراضوا تراضيا والرضي والمرضي بمعنى واحد والرضا مقصور
من بنات الواو بدلالة الرضوان تقول رجل رضا ورجال رضا وامراة ونساء رضى واصل الباب الرضا
نقيض الغضب ؛ وقوله حتى تتبع ملتهم فالملة والنحلة والديانة نظاير ويقول وجد فلان ملة
وملالا وهو عدوى الحمى وملت الشى امله ملا وملالة ومللا اذا سئمته ومللت الخبز امله
ملا اذا دفنتها في الجمر والجمر بعينه الملة وقال صاحب العين الملة الرماد والجمر وكلشى تملي
في الجمر فهو مملول ؛ قال الشاعر في وصف حرباء ؛ كان صاحبه في النار مملول
والملول المثل من الملة ؛ وطريق ممل مليل قد سلك حتى صار معلما وملة رسول الله الامر الذى
اوضحه وامتل الرجل اذا اخذ في ملة الاسلام اى قصدها ما امل منه والاملال املال الكتاب
ليكتب والمليلة من الحمى معروفة واصل الباب الملة وهي الحمى ؛ وقوله قل ان هدى الله
هو الهدى معناه هو الذى يهدى الى الجنة لا اليهودية ولا النصرانية وقيل ان معناه الدعاء
الى هدى الله الذى يكذب قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وهي الادلة الواضحة
على ان المطيع لله هو الذى يفوز بثوابه في الجنة لا من ذكروه من العصاة له وهذه الاية تدل على ان
من علم الله منه انه لا يعصى يتناوله الوعيد والزجر لانه تعالى علم ان النبى عليه السلام لا يعصيه ولا
يتبع اهواءهم ومنها دلالة على ان كل من اتبع الكفار على كفرهم ماله من الله من ولى ولا نصير لانه اذا
وجب ذلك في متبع واحد وجب ذلك في الجميع حتى تتبع نصب بحتى ؛ وحكى الزجاج عن
الخليل وسيبويه وجميع البصريين ان الناصب للفعل ان بعد حتى لان حتى تخفض الاسم
في قوله حتى مطلع الفجر ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم وفعل ولا ما يكون خافضا
الاسم يكون ناصبا الفعل فصار ذلك مثل قولك جئته زيد ليضربك فانها تنصب الفعل
باضمار ان لكونها جارة للاسم ؛ قوله تعالى **الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق**
تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون اية بلا خلاف
بلا خلاف المعنى بهذه الاية في قول قتادة واختيار الجبائى اصحاب النبى صلى الله
عليه وآله الذين امنوا بالقرآن وصدقوا به ؛ وقال ابن زيد هم من آمن بالنبى عليه

وهذه الاية تدل انه لا يصح رضا اليهود ولا النصارى على حال لانه علق رضاهم بان [illegible] اليهود [illegible]

عليه السلام من بني اسرائيل والكتاب على قوله التورية ؛ ومعنى قوله يتلونه حق تلاوته ؛ قال ابن
عباس يتبعونه حق اتباعه ولا يحرفونه ثم يعملون بحلاله ويقفون عند حرامه ؛ ومثله
قوله والقمر اذا تلاها اى تبعها وبه قال ابن مسعود ومجاهد وقتادة وعطا ؛ وروى
عن ابى عبد الله عليه السلام حق التلاوة الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسال في الاولى و
يستعيذ من الاخرى ؛ وقال قوم يتلونه حق تلاوته يقرؤنه حق قراءته ؛ والتلاوة
في اللغة على وجهين احدهما القراءة والثاني الاتباع والاول اقوى وعليه اكثر المفسرين
؛ ولا يجوز ان يقال يتلونه حق التلاوة على مذهب الكوفيين كما لا يجوز يتلونه اى التلاوة لان
ايا اذا كانت مدحا وقع على النكرة ولم يقع على المعرفة فلا يجوز مررت بالرجل حق الرجل وكما
لا يجوز مررت بابى عبد الله اى زيد ؛ وانما جاز تلاوة كما يجوز رب رجل واخيه ؛ وقال
بعض البصريين يجوز مررت بالرجل حق الرجل ولا يجوز مع اى لان ايا تدل على التبعيض وليس كذلك
حق فاما مررت بالرجل كل الرجل كل مجاز عند الجميع لان اصله التوكيد فترك على حاله والمعنى
بقوله ومن يكفر به اليهود على قول ابن زيد والاولى ان يكون ذلك محمولا على عمومه في جميع الكفار
وبه قال الجبائى واكثر المفسرين قوله تعالى **يا بني**
اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني
فضلتكم على العالمين آية واحدة
هذا خطاب من الله لبني اسرائيل الذى كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله امرهم
الله ان يذكروا نعمته التى انعم بها عليهم والنعمة النفع الذى يستحق به الشكر والانعام والاحسان
والافضال نظاير ونقيض النعمة النقمة وهو الضرر المستحق ومعنى قوله وانى فضلتكم على العالمين يعنى
عالمى زمانهم وتفضيله اياهم بان جعل فيهم النبوة والحكم وهذه الاية قد تقدم ذكر مثلها في راس
نيف واربعين ؛ وقيل في سبب تكريرها ثلثة اقوال احدها ان نعم الله لما كانت الاصل
الذى به يجب شكره وعبادته ذكرهم بها ليقبلوا الى طاعته واتباع امره وليكون مبالغة في
استدعائهم الى ما يلزمهم لربهم التظاهر بالنعم عليهم ؛ والثاني انه لما ذكر الكتاب وعنى به
التوراة وكان فيه الدلالة على شان عيسى ومحمد صلى الله عليهما في النبوة والبشارة المتقدمة
ذكرهم عز وجل بما انعم به عليهم من ذلك وفضلهم كما جاء فبأي آلاء ربكما تكذبان بعد نعم ذكرهم
بها ثم عدد نعما اخر وقال فيها فبأي آلاء ربكما تكذبان اى فبأي هذه تكذبان وكل تقريع

لا يجوز مررت بالرجل اى الرجل

جاء فانما هو موصول بتذكير نعمة غير الاولى والثالث غير الثاني وهكذا الى اخر السورة ، وكذلك الوعيد في سورة المرسلات بقوله ويل يومئذ للمكذبين انما هو بعد الدلالة على اعلى العظم التكذيب بما تدعو اليه الادلة ، والثالث انه مقدمة لما بعده لانه تعالى لما اراد وعظهم ذكرهم قبل ذلك بالنعم عليهم لانه استدعاء الى قبول الوعظ لهم ، وقيل فيه وجه رابع وهو انه لما تباعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير ، وموضع الذي نصب بالعطف على نعمتي قوله تعالى

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ آية بلا خلاف

ومثل هذه الاية ايضا تقدم وبينا ما فيها فلا معنى للتكرار وبينا ان العدل هو الفدية وقيل هو المثل ويقال هذا عدله اي مثله ، والعدل هو الحمل وبينا قول من يقول ان الشفاعة لا تكون الا لمرتكبي الكبائر اذا ماتوا مصرين ، فان قلنا ظاهر الاية متروك بالاجماع لانه لا خلاف ان ها هنا شفاعة نافعة والاية تقتضي نفيها ، وان خصوا بانها لا تنفع المصرين وانما تنفع التائبين قلنا لنا ان نخصها بالكافرين دون فساق المسلمين ، واما قوله لا يشفعون الا لمن ارتضى فنتكلم عليه اذا انتهينا اليه ، ومن قال انه ليس يعني انه يشفع لها شافع فلا تنفع شفاعته لكنه يريد لانا ناتي بمن يشفع لها كما قال الشاعر ، على لاحب لا يهتدى بمناره ، وانما اراد به لا منار هناك فيهتدى به لا يبصر لانا لا نقول ان هناك شفاعة تحصل ولا ينفع بل نقول ان الشفاعة اذا حصلت من النبي وغيره فانها تنفع لا محالة وكذلك عند المخالف وان قلنا انها ينفع في اسقاط المضار وقالوا هم في زيادة المنافع غير انا اتفقنا على انها تحصل لا محالة ولسنا ممن ينفي حصول الشفاعة اصلا ، قوله تعالى

وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ آية بلا خلاف

اسكن الياء من عهدي حمزة وحفص لا ابن شاهي يكتب في بعض المصاحف ابرهيم بغير ياء وفي اكثرها بالياء قال بعض الجرهميين الخي ورثنا على عهد ابراهيم ، وقرا ابن عامر ابراهام في خمسة وثلثين موضعا في القران كله في البقرة خمسة عشر موضعا وهو جميع ما فيها تقدير الاية واذكروا اذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات والابتلاء هو الاختبار وهو مجاز ها هنا لان

لان حقيقة الامر من الله تعالى بتحصيل الايمان فسمي ذلك اختبار الا ان ما يستعمل بالامر منا في مثل ذلك على جهة الاختبار والامتحان مجرى تشبيها بما يستعمله اهل اللغة عليه ، وقال ابن الاخشاذ انما ذلك على انه جل ثناؤه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم لانه لو جاز ان يجزيهم بعلمه فيهم كان ظالما لهم ، والكلمات التي ابتلى الله ابراهيم بها فيها خلاف فروي في بعض الروايات عن ابن عباس وبه قال قتادة وابو الخلد انه امره اياه بعشرة سنن خمس في الراس وخمس في الجسد ، فاما التي في الراس فالمضمضة والاستنشاق والفرق وقص الشارب والسواك واما التي في الجسد فالختان وحلق العانة وتقليم الاظفار ونتف الابطين والاستنجاء ، وفي احدى الروايتين عن ابن عباس انه ابتلاه من شرايع الاسلام بثلثين منها عشرة منها في براءة التائبون العابدون الحامدون الى اخرها[3] وعشرة في سال سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون فجعلها اربعين سهما ، وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه امره بمناسك الحج الوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة[7] قال لا ينال عهدي الظالمين وقال البلخي الكلمات الجبار اي اراد بذلك كلما كلفه من طاعته العقلية على انفال الاحكام والشرعية وقوله فاتمهن معناه وفى بهن على قول الحسن ، وقال قتادة والربيع عمل بهن فاتمهن وقال البلخي الضمير في اتمهن راجع الى الله وهو اختيار الحسين بن علي المغربي قال البلخي الكلمات هي الامامة على ما قال مجاهد قال لان الكلام متصل ولم يفصل بين قوله اني جاعلك للناس اماما وبين ما تقدمه بواو فاتمهن الله بان اوجب بها الامامة له بطاعته واضطلاعه ومنع ان ينال العهد الظالمين من ذريته واخبره بان منهم ظالما فرضي به واطاعه وكل ذلك ابتلاء واختبار والتمام والكمال والوفاء نظاير وضد التمام النقصان يقال تم تماما واتممته اتماما واستتم استتماما وتمم تتميما وتتمة وتتمة كل شيء ما يكون تمامه بغايته كقولك هذه الدراهم تمام هذه المائة وتتمة هذه المائة والتم الشيء التام يقول جعلته لك تما اي بتمامه ، والتميمة قلادة من سيور وربما جعلت فيه العوذ تعلق على الصبيان والليلة التمام اطول الليل في السنة ويقال بل الليل اربع عشرة[7] لانه يتم فيها القمر فيصير بدرا ويقال حملته لتمام بفتح التاء وكسرها والتام في لغة تميم هو التام وفي كتاب ابن دريد امراة حبلى متم وولد الغلام لتم وتمام وبدر

[3] وعشرة في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى اخرها وعشرة في سورة المؤمنين الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون اين

[7] والا فمنه قال الحسن ابتلاه الله بالكوكب وبالقمر وبالشمس وبالختان وبذبح ابنه وبالنار وبالهجرة وكلهن وفى لله فيهن وقال مجاهد ابتلاه الله بالايات التي بعدها وهي اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي ...

[7] التمام لثلث عشرة لانه يتبين فيها نقصانها من زيادتها ويقال بل ليلة الربع عشر

تمام وليل تمام بالكسر فيهن وما بعد هذا فهو تمام بالفتح ؛ واصل الباب التمام وهو الكمال ؛
قوله من ذريتي معناه واجعل من ذريتي من يؤتم به ويقتدى به على قول الربيع اكثر المفسرين
وقال بعضهم معناه انه سال لعقبه ان يكونوا على عهده وورثته كما قال واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فاخبر الله ان في عقبه الظالم المخالف له وذريته بقوله لا ينال
عهدي الظالمين والاول اظهر ؛ وقال الجبائي قوله ومن ذريتي مسؤال منه لله
ان يعرفه هل في ذريته من يبعثه نبيا كما بعثه هو وجعله اماما ؛ وهذا الذي قاله ليس
في الكلام ما يدل عليه بل الظاهر خلافه ولو احتمل ذلك لم يمتنع ان يضيف الى ذلك مسئلة
منه لله ان يفعل ذلك بذريته مع سواله تعريفه ذلك ؛ والذرية والنسل والولد
نظاير واراد ابرهيم عليه السلام هنا وقال بعضهم عبر بالذرية عن الاباء قال تعالى وآية
لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون اي اباهم وهذا ليس بواضح ولبعض العرب ذرية بكسر
الذال وبها قرأ زيد بن ثابت قال صاحب العين الذر صغار النمل واحده ذرة ؛
الذر اخذك الشي باطراف اصابعك تقول ذررت الدواء اذره ذرا وكذلك الملح وغيره
واسم الدواء الذي يتخذ للعين ذرور والذريرة ذات قصب الطيب وهو قصب يجاء
به من الهند كانه قصب النشاب ؛ والذراوه ما تناثر من الشي الذي تذره والذرية
فعيلة من ذروت لان الله تعالى ذرهم في الارض فنشرهم فيها كما كان السرية من سررت
والجمع الذراري والسراري وما اشبهه وان خففت جاز والذر ذرور الشمس فصوته
ذرورا وذلك اول طلوعها وسقوطها الى الارض والشجر ويقول ذرقرن الشمس اي طلع
واصل الباب الذر وهو التفرقة ؛ وقوله لا ينال عهدي والنيل واللحاق والادراك
نظاير والنيل والنوال ما نلته من معروف انسان وانا له معروفه ونوله اعطاه نوالا
قال طرفة ؛ ان تنوله فقد تمنعه ؛ وتريه النجم يجري بالظهر ؛ وقولهم
نولك ان تفعل ذلك معناه حقك ان تفعل والنول خشبة الحايك الذي ينسج
الوسايد عليه ونحوها ؛ والنوال المنصوبه الضابيه للنوال واصل الباب النيل وهو اللحوق
والمراد بالعهد هاهنا فيه خلاف قال السدي واختاره الجبائي انه اراد النبوة ؛
وقال مجاهد هو الامامة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام قالوا لا
يكون الظالم اماما ؛ وقال ابو حنيفه لا اتخذ اماما لا في الدنيا ؛ وقيل معناه

معناه الامر بالوفاء له فيما عقده من ظلم ؛ وقال ابن عباس فاذا عقد عليك في ظلم فانقضه
؛ وقال الحسن ليس لهم عند الله عهد يعطيهم عليه خيرا في الاخرة فاما في الدنيا فقد
يعاهدون فيوفى لهم ؛ وكانه على هذا التاويل طاعة يحتسب بها في الاخرة ؛ وقوله
لا ينال عهدي الظالمين يدل على انه يجوز ان يعطي ذلك بعض ولده اذا لم يكن ظالما لانه لو لم
يرد ان يجعل احدا منهم اماما للناس كان يجب ان يقول في الجواب لا او لا ينال عهدي
ذريتك وكان يجوز ان يقول في العربيه لا ينال عهدي الظالمون لان ما نالك فقد نلته
وروى ذلك في قراءة ابن مسعود الان في المصحف بالياء يقول نالني خيرك ونلت خيرك
واستدل اصحابنا بهذه الايه على ان الامام لا يكون الا معصوما من القبايح لان الله تعالى نفى
ان ينال عهده الذي هو الامامة ظالم ومن ليس بمعصوم فهو ظالم اما لنفسه او لغيره فان قيل
انما نفى ان يناله ظالم في حال كونه كذلك فاما اذا تاب واناب فلا يسمى ظالما فلا يمتنع
ان ينال ؛ قلنا اذا تاب لا يخرج من ان يكون الايه تناولته في حال كونه ظالما فاذا نفى ان
يناله فقد حكم عليه بانه لا ينالها ولم يفيد بانه لا ينالها في هذه الحال دون غيرها فيجب
ان يحمل الايه على عموم الاوقات في ذلك ولا ينالها وان تاب فيما بعد ؛ واستدلوا
بها ايضا على ان منزلة الامامه منفصله من النبوه لان الله خاطب ابرهيم وهو نبي فقال له انه
سيجعله اماما جزاء له على اتمامه ما ابتلاه الله به من الكلمات ولو كان اماما في الحال لما كان
للكلام معنى فدل ذلك على ان منزلة الامامة منفصلة من النبوة وانما اراد الله ان يجمعها
لابرهيم عليه السلام ؛ وقد املينا مسئلة مقررة في الفرق بين النبي والامام وان النبي
قد لا يكون اماما على بعض الوجوه فاما الامام فلا شك انه يكون غير نبي واوضحنا القول في
ذلك من اراده وقف عليه من هناك وابرهم وابرهيم لغتان واصله ابراهام فحذفت الالف
استخفافا ؛ قال الشاعر عذت بما عاذ به ابرهم وقال امية
مع ابرهيم التقي وموسى وقوله تعالى واذ جعلنا
البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى و
عهدنا الى ابرهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطائفين
والعاكفين والركع السجود آية واحدة

قرا نافع وابن عامر واتخذوا على لفظ الخبر الباقون بلفظ الامر، قوله واذ جعلنا عطف على قوله
واذ ابتلى ابرهيم ربه وذلك معطوف على قوله يا بني اسرائيل اذكروا النعمة التي انعمت عليكم واذكروا
اذ ابتلى ابرهيم ربه واذ جعلنا البيت مثابة ❊ والبيت الذي جعله مثابة هو البيت
الحرام والبيت في اللغة والمنزل والماوى نظاير يقال بات يبيت بيتوتة وبيته مبا...
وتبيت تبييتا وتباتوا ابتاتا ❊ والبيت من ابيات الشعر ومن بيوت الناس والبيت
من بيوتات العرب لخيارها وبيت فلان ابيانا تبييتا اذا بناها والبيتوتة الدخول في
الليل يقول بت افعل كذا وبالنها وظللت ❊ وباتوا بيتوته حسنة واباتهم الله
اباته وابانهم الامر ابانا كل ذلك دخول الليل وليس من النوم في شيء ❊ وما
عند بيت القوم اذا اوقعت فيهم ليلا والمصدر التبيت والاسم البيات ومنه
قوله باسنا بياتا ويسمى البيت من الشعر بيتا لضمه الحروف والكلام كما يضم البيت
اهله وامراة الرجل بيته ❊ قال الراجز ❊ مالى اذا
اخذتها صايت ❊ اكبر قد نالني ام بيت ❊ وما بيوت اذا بات ليلة في
اماته واصل الباب البيت المنزل وقوله مثابة في معناه خلاف ❊ قال
الحسن يثوبون اليه كل عام اي ليس هو مرة في الزمان فقط ❊ وقال ابن عباس معناه
انه لا ينصرف عنه احد وهو يرى انه قد قضى منه وطرا فهم يعودون اليه وقال
ابو جعفر عليه السلام يرجعون اليه لا يقضون منه وطرا ❊ وبه قال مجاهد ❊ وحكى
الماوردي ان معناه يحجون اليه فيثابون عليه ❊ وقال لسدي يثوبون اليه
يصيرون اليه ❊ والفرق بين مثابة ومثاب ان الاخفش قال مثابة للمبالغة لما
كثر من يثوب اليه كما قيل علامة ونسابه وسياره ❊ وقال الفراء والزجاج معناهما
واحد كالمقامة والمقام بمعنى واحد ووزن مثابة مفعلة واصلها مثوبة من ثاب
يثوب مثابة ومثابا وثوابا اذا رجع فنقلت حركة الواو الى الثاء ثم قلبت على ما قبلها
قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم ❊ مثاب لافناء القبايل كلها
تخب اليه اليعملات الطلايح ❊ ومنه ثاب اليه عقله اي رجع اليه بعد عزوبه
وقوله وامنا الامن مصدر قولك امن يامن امنا وانما جعله امنا بان حكم ان من
عاذ به والتجى لا يخاف على نفسه ما دام فيه بما جعله في نفوس العرب من تعظيمه فلهذا

لكان من فيه امنا على ماله ودمه ويتخطف الناس من حوله كما قال اولم يروا انا جعلنا حرما
آمنا ويتخطف الناس من حولهم ❊ ولعظم حرمته ان من جنى جناية والتجا اليه لا يقام عليه
الحد حتى يخرج لكن يضيق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشرا حتى يخرج منه فيقام عليه
الحد فان احدث فيه ما يوجب الحد اقيم عليه فيه لانه هتك حرمة الحرم ولان الله تعالى جعل
الاشهر الحرم لا يحل فيها القتال والقتل وكل ذلك بسبب البيت الحرام فهو آمن بهذه
الوجه ❊ وقوله واتخذوا من مقام ابراهيم اكثر القرا على لفظ الامر الا ابن عامر ونافع
فانهما قرا على لفظ الخبر من فعل ماض ❊ ويحتمل ان يكون اللفظ معطوفا على قوله و
اذكروا كانه قال يا بني اسرائيل اذكروا النعمة واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى ، و
قال الربيع بن انس من الكلمات التي ابتلى ابرهيم ربه قوله واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى وكانه قال اني جاعلك للناس اماما وقال اتخذوا من مقام ابرهيم ❊ وقيل انه
معطوف على واذ جعلنا البيت لان معناه واذكروا اذ جعلنا البيت واتخذوا ❊ و
قيل انه معطوف جعلنا البيت مثابة للناس لان فيه معنى ثوبوا اليه واتخذوا وظاهر
قوله واتخذوا انه عام لجميع المكلفين الا من خصه الدليل وعليه اكثر المفسرين ❊ وقال
ابو علي الفارسي وجه قراءة من قرا على الخبر انه عطف على ما اضيف اليه اذ كانه قال واذ
اتخذوا قال وتقويه ❊ قوله انما بعده خبر وهو قوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل
والمعنى بقوله من مقام قيل فيه اربعة اقوال احدها قال ابن عباس الحج كله مقام ابراهيم
❊ وقال عطا مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار ❊ وقال مجاهد الحرم كله
مقام ابرهيم ❊ وقال السدي مقام ابراهيم هو الحجر الذي كانت زوجة اسمعيل
وضعته تحت قدم ابراهيم حين غسلت راسه فوضع ابراهيم رجله عليه وهو راكب
فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر فوضعته تحت الشق
الاخر فغسلته فغابت ايضا رجله فيه فجعلها الله من شعايره فقال واتخذوا
من مقام ابراهيم مصلى وبه قال الحسن وقتادة والربيع واختاره الجبائي والرماني
وهو الظاهر في اخبارنا وهو الاقوى لان مقام ابراهيم اذا اطلق لا يفهم منه الا المقام
المعروف الذي هو في المسجد الحرام ❊ وفي المقام دلالة على نبوة ابراهيم عليه السلام
لان الله تعالى جعل الصخرة تحت قدمه كالطين حتى دخلت قدمه فيها وكان ذلك

على معنى

مجرة له وقيل في معنى ولد مصلى ثلثة اقوال قال مجاهد مدعى مأخوذ من صليت بمعنى دعوت وقال الحسن والجبائي قبلة وقال قتادة والسدي امروا ان يصلوا عنده وهو المروي في اخبارنا وبذلك والامر يقتضي الوجوب وليس هاهنا صلوة تجب اداؤها عنده غير هذه بلا خلاف وقوله وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اي امرنا ان طهرا قال الجبائي امران يطهراه من فرث ودم كان يطرحه عنده المشركون قبل ان يصير في يد ابراهيم والجوزان يريد طهراه من الاصنام والاوثان التي كانت عليه للمشركين قبل ان يصير في يد ابراهيم وبه قال قتادة ومجاهد وقال السدي طهراه ببناء يكماله على الطهارة كما قال افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير والطايف والدائر والجائل نظاير طاف يطوف طوافا اذا دار حول الشيء واطاف به اطافة اذا الم به وطوف تطويفا والطوف خشب وقصب يجمع بعضه الى البعض يركب عليه في البحر والطوفان مصدر طاف يطوف طوفا فاما طاف بالبيت فهو طواف واطاف به اذا احاط به والطايف العاس والطوافون المماليك كقوله طوافون عليكم والطايف طايف الجن والشيطان وكل شيء يغشى القلب من وسواسه فهو طيف والطايفة من كل شيء قطعة يقول طايفة من الناس وطايفة من الليل قال الله تعالى وطايفة من الذين معك واصل الباب الطوف الدور ومعنى الطائفين هاهنا قيل فيه قولان احدهما ما قال سعيد بن جبير الطائفين من اتاه من غربة والثاني قال عطا واختاره الجبائي وغيرهم الطائفون بالبيت وهو الاصح وقوله والعاكفين هاهنا قيل فيه اربعة اقوال قال عطا واختاره الجبائي انهم المقيمون بحضرته والثاني قال مجاهد وعكرمة انهم المجاورون وقال سعيد بن جبير وقتادة انهم اهل البلد الحرام والرابع قال ابن عباس هم المصلون والاول اقوى لانه المفهوم من اطلاق هذه اللفظة قال النابغة عكوف على ابياتهم يثمدونها رمى الله في تلك الاكف الكوانع والعكف واللزوم والدوام على الشيء نظاير يقول عكف يعكف ويعكف عكفا وعكوفا اذا لزم الشيء واقام عليه فهو عاكف وعكف الطير بالقتيل والعاكف المعتكف في المسجد قل ما يقولون عكف وان قيل كان صوابا وانما يقولون اعتكف ويقال للنظم اذا نظم فيه الجوهر عكف تعكيفا والمعكوف المحبوس واصل الباب العكف وهو اللزوم والمعنى بقوله والركع السجود قال قتادة وعطا هم الذين

استدلوا على ان الصلوة الطواف في جوف الكعبة ... لان الله تعالى امر ... بذلك

الذين يصلون عند الكعبة يركعون عندها ويسجدون وقال الحسن والركع السجود جميع المؤمنين وبه قال الفراء وهو الاقوى لانه العموم فان قيل كيف امر الله تعالى ان يطهر بيته ولم يكن هناك بيت بعد قيل معناه ابنيا لي بيتا مطهرا في قول السدي وقال عطا معناه طهرا مكان البيت الذي يتبنيانه فيما بعد وفي الاية دلالة على ان الصلوة جوف البيت جايزة قوله تعالى وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير آية بلا خلاف

التقدير واذكروا اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا فان قيل هل كان الحرم امنا قبل دعوة ابراهيم عليه السلام قيل فيه خلاف قال مجاهد عن ابن عباس وابو شريح الخزاعي كان امنا لقول النبي عليه السلام حين فتح مكة هذه حرم حرمها الله يوم خلق السموات والارض وهو الظاهر في رواياتنا وقال قوم كانت قبل دعوة ابراهيم كساير البلاد وانما صارت حرما بعد دعوته عليه السلام كما صارت المدينة لما روي ان النبي عليه السلام قال ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وقال بعضهم كانت حراما والدعوة بوجه غير الوجه الذي صارت به حراما بعد الدعوة والاول يمنع الله اياها من الاصطلام والانتفال كما لحق غيرها من البلاد وبما جعل في النفوس من تعظيمها والهيبة لها والوجه الثاني بالامر على السنة الرسل فاجابه الله الى ما سال وانما سال ان يجعلها امنا من الجدب والقحط لانه اسكن اهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع ولم يساله امنه من ائتفال وخسف لانه كان امنا من ذلك وقال قوم ساله الامرين على ان يديمهما له وان كان احدهما مستانفا والاخر كان قبل ومعنى قوله بلدا امنا اي يامنون فيه كما يقال الليل نائم اي النوم فيه والبلد والمصر والمدينة نظاير ورجل بليد اذا كان بعيد الفطنة وكذلك يقال للدابة التي تقصر عن نظايرها واصل البلادة التأثير ومن ذلك قولهم لكركرة البعير بلدة لانه اذا برك اثرت والبلد الاثر في الجلد وغيره وجمعه ابلاد وانما سميت البلاد من قولك بلد او بلدة لانها مواضع مواطن الناس وتأثيرهم والبلد المقبرة ويقال هو نفس القبر قال حفاف كل امرئ نازل احبته ومسلمه وجهه الى البلد ولا اقسم بهذا البلد يعني بمكة والتبلد نقيض التجلد وهو استكانة وخضوع وتبلد الرجل اذا انكسر وضعف في العمر وعجز حتى في الجود

والبلدة منزل من منازل القمر واصل الباب البلد وهو الاثر في الجلد وغيره ٥ وقوله فامتعه
قليلا يعني بالرزق الذي ارزقه الى وقت مماته ٥ وقيل فامتعه بالبقاء في الدنيا ٥ وقال
الحسن فامتعه بالامن والرزق الى خروج محمد عليه السلام فيقتله ان اقام على كفره او يجليه عنها
٥ وقد قرئ في الشواذ فامتعه على وجه الدعاء بصورة الامر ثم اضطره بمثل ذلك على ان يكون
ذلك من الامر ابرهيم ان يمتع الكافر قليلا ثم يضطر بعد ذلك الى عذاب النار ٥ والاول اجود
لانه قراءة الجماعة هذا مروي عن ابن عباس والراء مفتوحة في هذه القراءة وكان يجب ان
تكسر كما يقال مد ومد ولم يقرا به احد ٥ وقرا ابن عباس وحده فامتعه قليلا من المتعة على
الخبر الباقون بالتشديد يدل على تكثير الفعل وليس كذلك التخفيف وفعلت يجي على خمسة
اقسام احدها ان يكون بمعنى واحد كقولهم سميت وقسمت ويجي على التكثير والقليل ويجي على النقص
كقولك فرطت قصرت وافرطت جاوزت ٥ والرابع توليت الفعل وتركته حتى يقع
كقوله يخربون بيوتهم اي يهدمون فاما اخربت فمعناه تركت المنزل وهربت منه حتى
خرب ٥ والخامس ان ينفرد احدهما عن الاخر كقولك كلمت لا يقال منه افعلت و
اجلست ولا يقال منه فعلت ومعنى ثم اضطره ادفعه الى عذاب النار واسوقه اليها ٥ والاضطرار
هو الفعل في الغير على وجه لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس مقدوره ٥ ولهذا
لا يقال فلان مضطر الى كونه وان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه لما لم يكن الكون من جنس مقدوره
ويقال هو مضطر الى حركة الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره ٥ وقوله
وبئس المصير هو الحال التي يؤدي اليها اوّلها ٥ فصار وحال وآل نظائر يقال صار يصير
مصيرا قياسه رجع رجعا وصيرة تصيرا قال صاحب العين صير كل امر مصيره والصيرورة
مصدر صار يصير صيرورة ٥ وقال بعضهم صيور الامر اخره ٥ قال الكميت يمدح هشام
ابن عبد الملك ٥ ملك لم يضيع الله منه ٥ بك امر ولم يضع صيّورا ٥ وصارة
الجبل راسه والصير الشق وفي الحديث من نظر في صير باب ففقئت عينه فهي هدر
وصير البقر موضع تتخذه لحضرة واذا كان للغنم فهو زريبة واصل الباب المصير وهو
المآل ٥ ومعنى الاية سال سؤال عارف بالله مطيع له وهو ان يرزق من الثمرات
من امن بالله واليوم الاخر فاجاب الله ذلك ثم اعلمه انه يمتع من كفر به لاجل الدنيا
ولا يمنعه من ذلك كما يتفضل به على المومن ثم يضطره في الاخرة الى عذاب النار وبيس

بلا لمقوله متعناهم الى حين
والفرق بين متعت
وامتعت ان التشديد

وبئس المصير وهي كما قال نعوذ بالله منها ٥ وقوله في الاية قليلا يحتمل ان يكون صفة للمصدر كما
قال متاعا حسنا فوصف به المصدر وليس لاحد ان يقول كيف يوصف به المصدر وهو فعل
يدل على التكثير وكيف يستقيم وصف الكثير بالقليل في قوله فامتعه وهلا كانت قراءة ابن عامر
ارجح على هذا او ذلك ايضا انما وصفه بانه قليل من حيث كان اخره الى نفاد ونقص ولما كما قال
متاع الدنيا قليل ٥ ويجوز ايضا ان يكون صفة للزمان كما قال عما قليل ليصبحن نادمين يعني
بعد زمان قليل ٥ وعن ابي جعفر عليه السلام في قوله وارزقهم من الثمرات اي تحمل اليهم من الافاق
قوله تعالى وَاِذْ يَرْفَعُ اِبْرٰهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَاِسْمٰعِيلُ
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اية
تقديره واذ يرفع ابرهيم القواعد والرفع والاعلاء والاصعاد نظائر ونقيض الرفع الوضع و
نقيض العلو السفل ونقيض الاصعاد الانزال يقول رفع يرفع رفعا وارتفع الشيء بنفسه و
برق رافع ساطع ٥ والمرفوع من سير الفرس والبرذون دون الحضر وفوق الموضوع ويقال انه
لحسن الموضوع ويقال ارفع من دابتك وقد رفع الرجل يرفع رفاعة فهو رفيع ٥ والمراة رفيعة
والحمار يرفع في عدوه ترفيعا اذا كان عدو بعضه ارفع من بعض وكذلك لو احدث شيئا فرفعه
الاول فالاول قلت رفعته ترفيعا فالرفع نقيض الخفض في كل شيء والرفعة نقيض الذلة ورفعته
الى السلطان رفعا اي قربته اليه وفي التنزيل وفرش مرفوعة اي مقربة والمرفع كل شيء رفعت
به شيئا فجعلته عليه ٥ واصل الباب الرفع نقيض الخفض تقول رفع رفعا وارتفع ارتفاعا
ورفع ترفيعا وترافعوا ترافعا وترفع ترفعا ورافعه مرافعة ٥ والقواعد واحدها قاعدة قال
الزجاج اصلها في اللغة الثبوت والاستقرار فمن ذلك القاعدة من الجبل وهي اصله وقواعد
البناء اساسه الذي يبنى عليه واحدتها قاعدة وامراة قاعد اذا اتت عليها سنون لا
تتزوج ومنه قوله والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا واذا لم تحمل المراة ولا النخلة
يقال قد قعدت وهي قاعدة وجمعها قواعد ايضا ونا ويلها انها قد ثبتت على ترك الحمل
٥ واذا قعدت المراة عن الحيض فهي قاعد ايضا بغيرها لانه لا فعل لها في قعودها عن الحيض
وقد قعدت المراة اذا كانت بلا ولا دليل ام فهي قاعد ٥ والاقعاد ان يقعد الرجل عن الشيء
البتة يقال اقعد فهو مقعد اي اقعدته الزمانة وللجارية ذي مقعد اذا كان متمكنا لا ينكس
وشهر ذي القعدة كانت العرب تقعد فيه عن القتال ٥ والقعود ما يقتعده الراعي والحمل عليه

متاع وجمعه قعدان ، ويقعد الانسان جلسه ومنه قوله عن اليمين وعن الشمال قعيد
يعنى والجبان قاعد لانه قعد عن الحرب وقعد اللئيم عن الكرم ، قال الحطيئة ، دع المكارم
لا ترحل لبغيتها ، واقعد فانك انت الطاعم الكاسي ، والقعدد في النسب اقرب
القرابة الى الاب الاكبر والمقاعد مواضع القعود في الحرب وغيرها ومنه قوله مقاعد للقتال
وقعيدة الرجل امرأته القاعدة في بيته واصل الباب القعود نقيض القيام والقواعد والاساس
والاركان نظاير ، وقيل انما قيل في واحدة القواعد من النساء قاعد لشيئين احدهما ان
ذلك كالطالق والحائض وما اشبه ذلك من الصفات التي تختص بالمونث دون المذكر
فلم يحتج الى علامة التانيث وان اردت الجلوس قلت قاعدة لا غير لانها تشارك فيه
ذلك الرجال ، والوجه الاخر ان ذلك على وجه النسبة اي ذات قعود كما يقال
نابل ودارع اي ذو نبل ودرع لا يريد به تثبيت الفعل وموضع الجملة من قوله ربنا تقبل منا
نصب بقول محذوف فكانه قال يقولان ربنا تقبل منا واتصل بما قبله لانه من تمام الحال
لان يقولان في موضع الحال ، قال ابن عباس معناه يقولان ربنا وفي حرف عبد الله
ويقولان ربنا ومثله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم اي يقولون و
مثله والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اي يقولون ، وقال بعضهم هو بتقدير
يقول ربنا يوديه الى اسماعيل وحده ولا يحمل على ذلك الا بدليل ، وقال اكثر المفسرين
كالسدي وعبيد بن عمير الليثي واختاره الجبائي وغيرهم ان ابرهيم واسمعيل معا رفعا
القواعد ، وقال ابن عباس كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله ، وقال بعضهم السلام
وان ابرهيم وحده رفعها ان ابرهيم وحده رفعها وكان اسمعيل صغيرا وهو ضعيف لانه خلاف
ظاهر اللفظ وخلاف اقوال المفسرين وقال اكثر اهل العلم انهما رفعا البيت للعبادة
لا للسكنى بدلالة قوله ربنا تقبل منا ، وهل كانت للبيت قواعد قبل ابرهيم فيه
خلاف فقال ابن عباس وعطا قد كان آدم عليه السلام بناه ثم عفى اثره فجدده ابرهيم
وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ، وقال مجاهد وعمرو بن دينار بل
انشاه ابرهيم بامر الله عز وجل اياه ، وكان الحسن يقول اول من حج البيت ابرهيم ، و
قد روي في اخبارنا ان اول من حج البيت ادم وذلك يدل على انه قد كان قبل ابرهيم
، وانما قال انك انت السميع العليم بنا وبما يصلحنا ومعنى قوله تقبل منا اي اثبنا على عمله

بغيتها
[12] المكان والقعيد كلما اتى من خلف
طائر او ظبي ويقال للعين تعد

لانه لما ذكر الدعا اقتضى حينئذ
ذكر ذلك كانه قال انك انت
السميع العليم

عمله وهو مشبه بقبول الهدية في اصل اللغة ، وروي عن محمد بن علي الباقر عليهما السلام انه قال ان الله
تعالى وضع تحت العرش اربع اساطين وسماه الضراح وهو البيت المعمور وقال للملائكة طوفوا به
ثم بعث ملائكة فقال ابنوا في الارض بيتا بمثاله وقدره وامر من في الارض ان يطوفوا بالبيت
وقال ابو جعفر عليه السلام اسماعيل اول من شق لسانه بالعربية وكان ابوه يقول وهما
يبنيان البيت يا اسماعيل هاي ابن اي اعطني حجرا فيقول له اسماعيل بالعربية يا ابت
هاك حجرا وابرهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة ، وروى ابو قلابة عن عبد الله بن عمر قال
لما اهبط الله ادم من الجنة قال اني منزل معك او مهبط معك بيتا يطاف حوله
كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى عند عرشي ولما كان زمن الطوفان رفع وكانت
الانبياء يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بواه الله لابراهيم اعلم مكانه فبناه من خمسة اجبل من حراء وثبير ولبنان وجبل الطور وجبل الخمر قال الطبري هو جبل
بدمشق قوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم
ابصر بلا خلاف ، روي في الشواذ عن عوف بن الاعرابي انه قرا مسلمين على الجمع وانما
سالا الله تعالى ان يجعلهما مسلمين بمعنى ان يفعل لهما من الالطاف ما يتمسكان معه
بالاسلام في مستقبل عمرهما لان الاسلام كان حاصلا في وقت دعائهما ويجري ذلك
مجرى احدنا اذا ادب ولده وعرضه لذلك حتى صار اديبا جاز ان يقال جعل ولده اديبا
وعكس ذلك اذا عرضه للبلاء والفساد جاز ان يقال جعله ظالما محتالا فاسدا ، و
يجوز ان يكون اراد لا ذلك تعبدا كما قال تعالى رب احكم بالحق ، والاسلام هو الانقياد
لامر الله تعالى بالخضوع والاقرار بجميع ما وجب عليه وهو والايمان واحد عندنا وعند
اكثر المرجئة والمعتزلة وفي الناس من قال بينهما فرق وليس ذلك بصحيح لقوله ان الدين
عند الله الاسلام ، وقوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وانما خصا
بالدعوة بعض الذرية في قوله ومن ذريتنا لان من للتبعيض من حيث ان الله تعالى كان
اعلمهما ان في ذريتهما من لا ينال العهد لكونه ظالما ، وقال السدي انما عنيا بذلك
العرب والاول هو الصحيح وهو قول اكثر المفسرين ، وقوله وارنا مناسكنا فالمناسك
هاهنا المتعبدات ، قال الزجاج كل متعبد منسك ، وقال الجبائي المناسك
وهي ما يتقرب به الى الله من الهدي والذبائح وغير ذلك من اعمال الحج والعمرة ، وقال قتادة

اراها الله مناسكهما الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة والافاضة من عرفات
والافاضة من جمع ورمي الجمار حتى اكمل الله الدين فهذا القول اقوى لان العرف في معنى
المناسك ، وقال عطاء مناسكنا مذابحنا والنسك في اللغة العبادة رجل ناسك
عابد ، وقد نسك نسكا ، والنسك الذبيحة يقال من فعل كذا فعليه نسك اي دم
يهريقه ، ومنه قوله او نسك اي دم واسم تلك الذبيحة النسيكة والموضع الذي يذبح فيه
المناسك المنسك والمنسك هو النسك نفسه قال الله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا ،
ويقال نسك ثوبه اي غسله ، وقال ابن دريد النسك اصله ذبائح كانت تذبح في الجاهلية
والنسيكة شاة كانوا يذبحونها في الحرم في الاسلام ثم نسخ ذلك بالاضاحي ، قال الشاعر
وذا النصب المنصوب لا تنسكنه ، ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا ، واصل الباب العبادة
وقيل ان النسك الغسل قال الشاعر فلا تثبت المرعى بسباخ عراعر ولو
نسكت بالماء ستة اشهر ، اي غسلت ذكره الحسين بن علي المغربي قال والنسك يعرف
وقوله وارنا يحتمل امرين احدهما ان يكون من رؤية البصر والآخر ان يكون من رؤية
القلب يعني اعلمنا ، قال حطائط بن يعفر ، اريني جوادا مات هزلا لعلني
ارى ما ترين او بخيلا مخلدا ، اي عرفيني ، ومعنى قوله وتب علينا اي ارجع علينا بالرحمة
والمغفرة وليس فيه دلالة على جواز الصغيرة او فعل القبيح عليهم ومن ادعى ذلك فقد
ابطل ، وقال قوم معناه تب على ظلمة ذريتنا ، وقيل بل قالا ذلك انقطاعا اليه
تعالى ليقتدى بهما فيه وهو الذي نعتمده ، والتواب القابل للتوبة هاهنا
واذا وصف به العبد فمعناه انه فاعل التوبة دفعة بعد اخرى فيفيد المبالغة فعلى مذهبنا
اذا قلنا قبل الله توبته اي تاب عليه معناه انه يستحق الثواب واذا قلنا تاب العبد من كبيرة
مع الاقامة على كبيرة اخرى معناه عند من اجاز ذلك انه رفع العقاب بها على تلك
الكبيرة التي تاب منها وعندنا انه يستحق بها الثواب ايضا ، وفي الآية دلالة على انه يحسن
الدعاء بما يعلم الداعي انه يكون لا محالة لانهما كانا عالمين بانهما لا يفارقان الاسلام ولا
باثبات الكبيرة والاختيار في ارنا كسر الراء وهي قراءة الجمهور لانها كسرة الهمزة حولت
الى الراء لان اصله كان ارءنا فنقلت الكسرة الى الراء وسقطت الهمزة فلا ينبغي ان
تسكن لئلا تجحف بالكلمة وتبطل الدلالة على الهمزة وقد سكنه ابن كثير وفي بعض الروايات

الروايات عن ابي عمرو على وجه التشبيه بما يسكن في مثل كبد وفخذ وقال الشاعر ، لو عصر
منه المسك والبان انعصر ، وقال آخر ، قالت سليمى اشتر لنا دقيقا ، واشتر
وعجل خادما لبيقا ، قوله تعالى

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم اية واحدة بلا خلاف

الضمير في قوله فيهم راجع الى الامة المسلمة التي سال الله ابراهيم من ذريته والمعني بقوله رسولا
منهم هو النبي صلى الله عليه واله لما روي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال انا دعوة
ابي ابراهيم وبشارة عيسى عليه السلام يعني قوله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد وهو قول الحسن وقتادة والسدي وغيرهم من اهل العلم ، ويدل على ذلك
ايضا ان المراد به نبينا عليه السلام دون الانبياء الذين بعثهم الله من بني اسرائيل انه دعى
بذلك لذريته الذين يكونون بمكة وما حولها على ما تضمنته الآية ، وفي قوله ربنا
وابعث فيهم رسولا منهم ولم يبعث الله من هذه صورته الا محمدا صلى الله عليه واله
والمراد بالكتاب القرآن على قول ابن زيد واكثر المفسرين ، ومعنى الحكمة هاهنا السنة
، وقيل المعرفة بالدين والفقه في التاويل وقيل العلم بالاحكام التي لا يدرك علمها
الا من قبل الرسل عليهم السلام ، فالاول قول قتادة والثاني قول الربيع بن مالك
والثالث قول ابن زيد وقال قوم هو كلام مثنى كانه وصف التنزيل بانه كتاب وبانه
حكمة وبانه آيات ، وقال بعضهم الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره به كما ينور البصر
فيدرك المبصر وكل حسن ومعنى قوله ويزكيهم ، قال ابن عباس هو طاعة الله و
الاخلاص له ، وقال ابن جريج يطهرهم من الشرك ويخلصهم منه ، وقال الجبائي
يزكيهم معناه يستدعيهم الى فعل ما يزكون به من الايمان والصلاح ويحتمل ان
يراد به انه يشهد لهم بانهم ازكياء امنوا واصلحوا ، والعزيز القادر الذي لا يعجزه شيء
وقيل القادر الذي لا يمتنع عليه شيء اراد فعله ، وقيل القدير وهو مبالغة في
الوصف بالقدرة ، ونقيض العز الذل ويقال عز يعز عزة وعزازا واعتز به اعتزازا
وتعزز تعززا وعازه معازة يقال عز يعز عزة وعزا اذا صار عزيزا وعز يعز عزا اذا
قهر ومنه قولهم من عز بز اي من غلب سلب وكل شيء صلب فقد اعتز وسمي العزاز من

الارض وهو الطين الصلب الذى لا يبلغ ان يكون حجارة ، وعز الشى اذا قل لا يكاد يوجد وفلان
يعتز بفلان اذا تشرف به ، وعزنى فى الخطاب اى غلبنى فى محاورته الكلام والعزاء السنة الشديدة
، والمطر يعز الارض تعزيزا اذا لبدها ، واصل الباب القوة ، وقوله الحكيم يحتمل
امرين احدهما المدبر الذى يحكم الصنع بحسن التدبير ، والثانى بمعنى عليم والاول بمعنى محكم
فى فعله بمعنى محكم فعدل الى حكيم للمبالغة وانما ذكر الحكيم هاهنا لانه يتصل بالدعاء كانه قال
فزعنا اليك فى دعائنا لانك القادر على اجابتنا العالم بما فى ضمايرنا وبما هو اصلح لنا مما لا يبلغه
علمنا قوله تعالى **ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه ولقد**
اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخرة
لمن الصالحين آية بلا خلاف
قوله ومن يرغب فالرغبة المحبة لما فيه للنفس منفعة ورغب فيه ضد رغب عنه
والرغبة المحبة والمحبة والارادة نظاير وبينها فرق نقيض الرغبة الرهبة ونقيض المحبة
البغضة ونقيض الارادة الكراهية يقول رغب رغبه وارغبه ارغابا ورغبه ترغيبا
ويقول رغب رغبة ورغبا ورغبى ورغبا اذا املت لمحبتك ورغبت عنه اذا صددت
عنه وانا راغب به فيهما جميعا والشى مرغوب فيه ومرغوب عنه ولى عن فلان مرغب
وهو رجل رغيب جم سديد الاصل وفرس رغيب السحرة كثير الاخذ بقوايمه من الارض و
موضع رغيب واسع والرغيبة العطاء الكثير الذى يرغب فى مثله ، وقال صاحب العين
اللهم اليك الرغباء الرغباء ومن لدنك النعماء ، ورغبت عن الشى اذا تركته ، ومعنى
ومن يرغب عن ملة ابرهيم لفظه لفظ الاستفهام ومعناه الجحد كانه قال ما يرغب عن
ملة ابرهيم ولا يزهد فيها الا من سفه نفسه والاولى على الاستفهام ومعناها الجحد
والثانية بمعنى الذى كانه قال الا الذى سفه نفسه وفى نصب نفسه خلاف قال
الاخفش معناه ، وقال يونس اراها لغة ، قال الزجاج اراد ان سفه لغة
فى المبالغة كان فعل كذلك فعلى هذا يجوز سفهت زيدا بمعنى سفهت ، وقال
ابو عبيد معناه اهلك نفسه واوبق نفسه ، و قال ابن زيد الا من اخطا حظه
وقال ابن ثعلب والمبرد سفه بكسر الفاء يتعدى وسفه بضم الفاء لا يتعدى فهذا كله
وجه واحد ، والثانى ان يكون على التفسير كقوله فان طبن لكم عن شىء منه نفسا وهو

وكانه قال واى الناس يزهد فيها الا من سفه نفسه

الا سفه نفسه

١٤٨

وهو قول الفراء قال العرب توقع سفه على نفسه وهى معرفة وكذلك بطرت معيشتها وانكر
الزجاج هذا الوجه وقال معنى التميز لا يحتمل التعريف لان التميز انما هو واحد يدل على جنس
فاذا عرفته صار مقصود العين ، والوجه الثالث ان يكون على التميز والمضاف على
على الانفصال كما تقول مررت برجل مثله اى مثل له ، والوجه الرابع على حذف الجار كما قال لا جناح عليكم
ان تسترضعوا اولادكم اى لاولادكم ، ومثله ولا تعزموا عقدة النكاح اى على عقدة النكاح قال
الشاعر ، نغالى اللحم للاضياف نيا ، ونبذله اذا نضج القدور ، والمعنى نغالى باللحم ، وقال الزجاج
وهذا مذهب صحيح واختار هو ان سفه بمعنى جهل وهو موافق لمعنى ما قال ابن السراج فى بطرت
معيشتها لان البطر يستقل النعمة غير راض بها ، وقال ابو مسلم معناه جهل نفسه وما فيها من الايات
الدالة على ان لها صانعا ليس كمثله شى فيعلم به توحيد الله وصفاته ، ومعنى قوله ولقد اصطفيناه فى
الدنيا اخترناه للرسالة ، والصفو التميز من ساير الكدر واصطفيناه على وزن افتعلنا من الصفوة
وانما قلبت الطاء لانها اشبه بالصاد بالاستعلاء والاطباق وهى من مخرج التاء فانى بحرف وسط بين
الحرفين والاصطفاء والاختيار والاجتباء نظاير والصفاء والنقاء والخلوص نظاير والصفاء نقيض
الكدر وصفوة كل شى خالصه من صفوة الدنيا وصفوة الماء وصفوة الاخاء تقول صفا صفاء و
اصفاه اصفاء واصطفاه اصطفاء وتصفى تصفيا وتصافوا تصافيا وصفاه تصفية وصافاه مصافاة
واستصفاه استصفاء والصفاء مصافاة المودة والاخاء والصفاء مصدر الشى الصافى واذا اخذت
صفوة ماء من غدير قلت استصفيت صفوة ، وصفى الانسان الذى يصافيه المودة وناقة
صفى كثيرة اللبن ، والنخلة صفية كثيرة الحمل والجمع الصفايا والصفا الحجر الضخم الاملس الصلب
فاذا انثوا الصخرة قالوا صفاة صفوا واذا ذكروا قالوا صفا صفوان والصفوان واحدته
صفوانة ومن الحجارة التى لا تنبت شيئا قال تعالى كمثل صفوان عليه تراب واصل الباب الصفاء
الخلوص قوله وانه فى الاخرة لمن الصالحين انما خص الاخرة بالذكر وان كان فى الدنيا
كذلك لان المعنى من الذين يستوجبون على الله الكرامة وحسن الثواب فلما كان خلوص
الثواب فى الاخرة دون الدنيا وصفه بما ينبئ عن ذلك ففى قوله ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من
سفه نفسه دلالة على ان ملة ابرهيم هى ملة نبينا محمد عليه السلام لان ملة ابرهيم داخلة فى
ملة محمد عليه السلام مع زيادات فى ملة محمد عليه السلام وبين ان الذين يرغبون من
الكفار عن ملة محمد التى هى ملة ابرهيم قد سفهوا انفسهم وهو معنى قول قتاده والربيع

قوله تعالى اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين آية بلا خلاف

قوله اذ قال له ربه متعلق بقوله ولقد اصطفيناه وموضعه نصب وتقديره اصطفيناه حيث قال له ربه ولقد
اسلم وقال الحسن انما قال ذلك حين افلت الشمس فقال يا قوم انى برئ مما تشركون انى وجهت
وجهى وانه اسلم حينئذ وهذا يدل على انه كان ذلك قبل النبوة وانه قال له ذلك الهاما استدعاء به
الى الاسلام فاسلم حينئذ لما وضح له طريق الاستدلال بما راى من الايات والعبر الدالة على توحيده و
لا يصح ان يوحى الله تعالى اليه قبل اسلامه بانه نبى الله لان النبوة حال اعظام واجلال ولا يكون ذلك
قبل الاسلام وانما قال اصطفيناه على لفظ المتكلم مع قوله اذ قال له ربه على لفظ الغايب للتصرف
فى الكلام كما قال الشاعر باتت تشكى الى النفس مجهشة وقد حملت سبعا بعد سبعا
والاسلام واجب على كل مكلف وان اختلفت شرايع الانبياء فيما يتعبدون من الحلال والحرام
لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وان الاسلام انما هو الاخلاص لله بالعمل بالطاعة واجتناب
معصيته وذلك واجب على كل متعبد وكله اسلام قوله تعالى ووصى
بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله
اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون

آية بلا خلاف قرا اهل المدينة وابن عامر واوصى بهمزة مفتوحة بين الواوين والتخفيف الصاد
الباقون ووصى مشددة الصاد ومن قرا اوصى ذهب الى قوله فلا يستطيعون توصية ومصدره
وصى مثل قطع تقطعة ولم يجيئوا به على تفعيل كراهية اجتماع اليا آت مع الكسرة ومن قرا اوصى
فلقوله من بعد وصية يوصون بها وكلاهما جيدان والوصية ماخوذة من قولهم اوصى النبت اذا اتصل
بعضه ببعض فلما اوصل الموصى حبل امره الى الموصى اليه قيل وصية ووصى واوصى وامر وعهد نظاير
فى اللغة وضد اوصى اهمل والوصاة كالوصية والوصاية مصدر الوصى والفعل اوصيت ايصاء ووصيت
توصية فى المبالغة والكثرة ويقول قد قبل الوصاية واذا انطاع المرعى للسايمة فاصبت رواعد
قيل وصى لها الرعى يصى وصيا ووصيا واصل الباب الوصية وهى الدعاء الى الطاعة والهاء
فى قوله ووصى بها يحتمل ان تعود الى احد شيئين احدهما الى الملة وقد تقدم ذكرها فى قوله
اسلمت ومن يرغب عن ملة ابرهيم والثانى ان تعود الى الكلمة فى قوله اسلمت لرب العالمين
والاول اقوى لانه مذكور فى اللفظ وهو قول الزجاج واكثر المفسرين والثانى حكاه البلخى
وبعض اهل اللغة وارتفع يعقوب لانه معطوف على ابراهيم والمعنى ووصى بها يعقوب وبه قال

قال ابن عباس وقتادة وقال بعضهم انه على الاستيناف كانه قال ووصى يعقوب ان
يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين والاول اظهر لان عليه اكثر المفسرين والالف واللام فى الدين
للعهد دون الاستغراق لانه انما اراد بذلك دين الاسلام دون غيره من الاديان وانما سقطت
ان فى وصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ان يا بنى واثبتت فى انا ارسلنا نوحا الى قومه ان
انذر لان اوصى فى الاية بمعنى القول فجعل بمنزلته ولذلك لا يقدره تقدير القول فيجوز ذلك
حينئذ الحاق ان كما قال انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر ومثله وآخر دعويهم ان
الحمد لله وقوله فاذن موذن بينهم ان لعنة الله وكل هذا الباب يجوز فيه الوجهان
بان تقدره تقدير القول فيكمل به تقدير الفعل الذى ليس بقول واما قوله ان كان ذا مال
وبنين فلا يجوز اسقاطها فى مثله من الكلام لانه ليس فيه معنى الحكاية والقول كما فى الدعوى
والارسال واما قوله والملئكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم فلا يجوز فى مثله اثبات
لانه يضمر معه القول ولا يجوز معه التصريح بالقول ولا مع اضماره ان لانه حكاية كما يقول قلت
له زيد فى الدار ولا يجوز قلت له ان زيدا فى الدار وانشد الكسائى انى
سابدى لك فيما ابدى لى شجنان شجن بنجد وشجن لى ببلاد الهند لان الابداء
قول ومنه قوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لان العدة
قول فان قيل كيف قال لا تموتن على وجه النهى لهم عن الموت والموت ليس فى مقدورهم
فيصح ان ينهوا عنه قلنا اللفظ وان كان على لفظ النهى فما نهوا عن الموت وانما نهوا
فى الحقيقة عن ترك الاسلام لئلا يصادفهم الموت عليه وتقديره لا تتعرضوا للموت على
ترك الاسلام بفعل الكفر ومثله من كلام العرب لا اريتك هاهنا فالنهى فى اللفظ للمتكلم
وانما هو فى الحقيقة للمخاطب فكانه قال لا تتعرض لان اراك بكونك هاهنا ومثله لا ا
يصادفنك الامام على ما يكره وتقديره لا تتعرض لان يصادفك على ما يكره ومثله لا يكونن
زيدا الا عندك تقديره لا تتعرض لان يكون زيد ليس عندك بالتفريط فى ذلك والاهمال له
والاصل فى هذا ان التعرض لوقوع الشى بمنزلة ايقاع الشى وقوله وانتم مسلمون جملة فى
موضع الحال وتقديره لا تموتن الا مسلمين قوله تعالى
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال
لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك

﴿ واله اباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ﴾
﴿ ونحن له مسلمون ﴾ اية واحدة بلا خلاف

ام هاهنا منقطعة وليست بمتصلة كقوله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه ومثله قول الشاعر، كذبتك عينك ام رايت بواسط، غلس الظلام من الرباب خيالا ولا تجي منقطعة الا في قد تقدمها كلام لانها بمعنى بل والف الاستفهام كانه قيل بل كنتم شهداء، ومعناها هاهنا الجحد اي ما كنتم شهداء، واللفظ لفظ الاستفهام والمعنى على خلافه لان اخراجه مخرج الاستفهام ابلغ في الكلام واشد مظاهرة في الحجاج ان يخرج الكلام مخرج التقرير بالحق فيلزم الحجة والانكار له فيظهر الفضيحة فلذلك اخرج الجحد الاخبار مخرج الاستفهام، والمخاطب بام كنتم شهداء اهل الكتاب في قول الربيع والمعنى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الاباطيل بنحلكم اياهم خلاف الاسلام من اليهودية والنصرانية فاني ما بعثتهم الا بالحنيفية والشهداء جمع شهيد واذ هاهنا بدل من اذ الاولى والعامل فيها معنى الشهداء، وقيل بل العامل فيها حضر وكلاهما حسن والحاضر والشاهد من النظاير ونقيض الحاضر الغايب ويقال حضر حضورا واحضر احضارا واستحضره استحضارا واحتضره احتضارا وحاضره محاضرة والحضر خلاف البدو، وحضرت القوم احضرهم حضورا اذا شهدتهم، والحاضر خلاف الغايب واحضر الفرس احضارا اذا عدا عدوا شديدا، واستحضرته استحضارا والحضرة الجماعة من الناس ما بين الخمسة الى العشرة وحاضرت الرجل محاضرة وحضارا اذا عدوت معه وحاضرته اذا جاثيته عند السلطان او في خصومة ومحضر القوم مرجعهم الى المياه بعد النجعة وفرس محضر ولا يقال محضار والقت الشاة حضيرتها يعني المشيمة وغيرها والابل الحضار البيض لا واحد لها من لفظها مثل الهجان سواء، وحضرة الرجل فناؤه واصل الباب الحضور خلاف الغيبة وقوله الها واحدا يحتمل انتصابه احد امرين احدهما ان يكون حالا من قوله الهك والاخر ان يكون بدلا من الهك ويكون الفايدة فيه التوحيد وانما قدم اسماعيل على اسحاق لانه كان اكبرهم، به قال ابن زيد وقوله ونحن له مسلمون الجملة في موضع نصب على الحال وقيل لا موضع لها لانها على الاستيناف وابراهيم واسماعيل واسحاق في موضع خفض و العامل فيها ما عمل في ابائك لانه مبين له كما تقول مررت بالقوم اخيك وغلامك وصاحبك وانما قال اباءك واسماعيل عم يعقوب لما قاله الفراء وابو عبيدة من ان العرب تسمى العم ابا فالاية والة على ان العمومة يسمون ابا، وقد روى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ردوا علي ابي يعني العباس عمه فسمى العم ابا كما سمى الجد ابا من حيث يجب له التعظيم نحو ما يجب للاب، وقد قرى في الشواذ والد ابيك فعلى هذا يجر اسماعيل واسحاق على العطف وهو غير المعنى الاول لانه مترجم عن الاباء، وفي الثاني عطف غير ترجمة كما يقول رايت غلام زيد وعمرو اي غلاميهما فكانه قال الههم ولم يذكر بالابوة الا ابراهيم وحده والقراءة الاولى هي المشهورة وعليها القراء قوله تعالى ﴿ تلك امة قد خلت لها ما كسبت ﴾
﴿ ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون ﴾ اية بلا خلاف

قوله تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم فالامة المراد بها هنا الجماعة والامة على ستة اقسام الجماعة، والامة الحين لقوله وادكر بعد امة اي بعد حين، والامة القدوة والامام لقوله ان ابراهيم كان امة قانتا، والامة القامة وجمعها امم قال الاعشى، وان معوية الاكرمين، حسان الوجوه طوال الامم والامة الاستقامة في الدين والدنيا، قال النابغة، وهل ياثمن ذو امة وهو طايع، والامة اهل الملة الواحدة كقولهم امة موسى وامة عيسى وامة محمد واصل الباب القصد من امه يومه اذا قصده، ومعنى خلت مضت كما تقول لثلاث خلون من الشهر اي مضين واصله الانفراد، منه خلا الرجل بنفسه اذا انفرد وخلا المكان من اهله اي انفرد منهم وحد الخلو حصول الشي وحده والفرق بين الخلو والفراغ ان الخلو اذا لم يكن مع الشي غيره وقد يفرغ منه وهو معه فاذا قلت خلا منه فليس معه، والكسب العمل الذي يجلب به نفع او يدفع به ضرر عن النفس وكسب لاهله واذا اجتلبت ذلك لهم بعلاج ومراس ولذلك لا يجوز في صفة الله، وقوله ولا تسالون عما كانوا يعملون معناه انه لا يقال لكم لم عملوا كذا وكذا او على جهة المطالبة بما يلزمهم من اجل عملهم كما لا يقال لهم لم عملتم انتم كذا وكذا انما يطالب كل انسان بعمله دون عمل غيره كما قال ولا تزر وازرة وزر اخرى وفي الاية دلالة على بطلان قول المجبرة ان الابناء يوخذون بذنوب الاباء ويوخذ الطفل بذنب ابيه لان الله تعالى نفى ذلك ومثله قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم والاشارة بقوله تلك امة

الى ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب وولدهم يقول الله تعالى لليهود والنصارى يا معاشر اليهود
والنصارى دعوا ذكر ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والمسلمين من اولادهم لغيرهم اهله
ولا تنسبوا اليهم الكفر واليهودية والنصرانية ولا تضيفوها اليهم وانها امة قد خلت ولا تسئلون
انتم عما كانوا يعملون وقوله لها ما كسبت يحتمل ان يكون في موضعه نصب بانه حال
كانه قال قد خلت ثابتا لها ما تستحقه بعملها ويجوز ان لا يكون لها موضع لانها مستانفة ولا يكون
جزا من الخبر الاول لكن تكون متصلة به في المعنى وان لم يكن جزءا منه لانهما خبران في المعنى
عن شيء واحد كانه قيل الجماعة قد خلت والجماعة لها ما كسبت وقوله تعالى

وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين اية بلا خلاف

الضمير في قوله وقالوا كونوا يرجع الى اليهود والنصارى لان كل فريق منهم دعى الى ما هو عليه
ومعنى تهتدوا اي تصيبوا طريق الحق كانهم قالوا تهتدوا الى الحق وروي عن عبد الله
بن عباس انه قال قال عبد الله بن صوريا الاعور لرسول الله صلى الله عليه واله ما
الهدى الا ما نحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد وقالت النصارى مثل ذلك فانزل الله
تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا الاية وفي قوله بل ملة ابرهيم حنيفا حجة على
وجوب اتباع ملة ابرهيم اذ كانت سليمة من التناقض وكان في اليهودية والنصرانية
تناقض وذلك لا يكون من عند الله فصارت ملة ابرهيم احق بالاتباع من غيرها والتناقض
في اليهودية مثل منعهم من جواز النسخ بما في التورية مما يدل على جواز ذلك وامتناعهم من العمل
بما تقدمت به البشارة في التورية من اتباع النبي الامي مع اظهارهم التمسك بها وامتناعهم
من الاذعان بما دلت عليه المعجزة من نبوة عيسى ونبوة محمد صلى الله عليه واله مع اقرارهم
بنبوة موسى من اجل المعجزة الى غير ذلك من انواع التناقض واما النصارى اب وابن
وروح قدس اله واحد مع زعمهم ان الاب ليس هو الابن وان الاب اله والابن اله
وروح القدس اله فاذا قيل لهم قولوا ثلثة الهة امتنعوا من ذلك الى ما يصفون
به الباري تعالى مما يوجب الحاجة والحدث ويقولون مع ذلك انه قديم لم يزل الى غير
ذلك من مناقضاتهم التي لا تحصى كثرة وهي موجودة في الكتب عليهم نبهنا على جملها
واما الحنيفية فهي الاستقامة وانما قيل للذي يقبل باحدى قدميه على الاخرى احنف

تفاولا

تفاولا بالسلامة كما قيل للهلكة مفازة تفاولا بالفوز والنجاة وهو قول الرياشي وابن
قتيبة واهل اللغة وقال الزجاج اصله الميل ك وابرهيم حنيف الى
دين الاسلام وقال العادل الى دين وتبعه
عن اليهودية والنصرانية وقال ابو حاتم قلت للاصمعي من اين عرف في الجاهلية
الحنيف فقال لانه من عدل عن دين اليهود والنصارى فهو حنيف عندهم ولان كل من
حج البيت كانوا يسمونه حنيفا وكانوا اذا ارادوا الحج قالوا هلم نتحنف وقال صاحب
العين الحنف ميل في صدر القدم يقال رجل احنف ورجل حنفاء وسمي الاحنف
لحنف كان به وقالت حاضنة وهي ترقصه والله لولا حنف برجله ما كان في
صبيانكم كمثله والحنيف المسلم الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة ابرهيم وكان
حنيفا مسلما وقال بعضهم الحنيف كل من اسلم في امر الله ولم يلتو في شيء
والجمع الحنفاء وقال بعضهم قيل حنيف لانه تحنف عن الاديان كلها اي مال
الى الحق وفي الحديث احب الاديان الى الله الحنيفية السمحة وهي ملة ابرهيم
صلى الله عليه واله لا حرج فيها ولا ضيق واصل الباب الحنف الميل ونصب ملة
ابرهيم يحتمل اربعة اوجه احدها ان كونوا هودا او نصارى قد تضمن معنى اتبعوا اليهودية
والنصرانية فعطف به على المعنى والثاني على الحال قال بل نتبع ملة ابرهيم
فالاول عطف والثاني ع والثالث على معنى بل اهل ملة ابرهيم فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية ح والرابع على الاغرا

تم الجزو الاول من التبيان من اول الفاتحة الى قوله وما كان من المشركين ويتلوه
الجزو الثاني من قوله قولوا آمنا بالله الى قوله في سورة النساء فخذوهم
واقتلوهم وكان الفراغ من ذلك في اليوم خميس يوم الثامنة عشر
يوم الغدير من شهر ذي الحجة الحرام من سنة خمس عشرين
ثلث مية والف من الهجرة على مهاجرها [illegible]
افضل صلوات الله واكمل تسليماته والحمد لله
اولا واخرا وظاهرا وباطنا واخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
حرره الراجي المنجي محمد الكرجي

قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ آية قولوا امنا بالله جواب لنفر من اليهود اتوا رسول الله فسالوا عمن تومن به من الرسل فقال أؤمن بالله وما انزل الينا الى اخرها فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا لا نؤمن بعيسى ولا نؤمن لمن امن به فانزل الله قل هل تنقمون منا الا ان امنا بالله الاية وقيل امر الله المؤمنين ان يقولوا امنا بالله وما انزل الينا وجعل ذلك محنة فيما بينهم وبين اليهود والنصارى والاسباط جمع سبط يقال عليه العطاء الضرب اذا تابع عليه حتى يصل بعضه ببعض والسبط جماعة ومنه قيل لولد يعقوب الاسباط قال ابن دريد السبط واحد الاسباط وهم اولاد بني اسرائيل والحسن والحسين سبطا رسول الله اي ولداه والسبط من اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب واصل الباب السبط وهو التتابع قال وان الاسباط يوسف وبنوا يعقوب اثنا عشر رجلا ولد لكل واحد منهم امة من الناس فسموا الاسباط واسماؤهم يوسف وبنيامين وروبيل ويهودا وشمعون ولاوي ودان وقهاب ويشجر ونفتالي وجاذ واشر وقيل انهم كانوا انبياء والذي يقتضيه مذهبنا انهم لم يكونوا انبياء باجمعهم لانه وقع منهم من المعصية ما فعلوه بيوسف ما لا خفاء به وقوله وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط لا يدل على انهم كانوا انبياء لان الانزال يجوز ان يكون كان على بعضهم ممن كان نبيا ولم يقع منه ما ذكرنا من الافعال القبيحة وقوله لا نفرق بين احد منهم انا لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى فكفرت اليهود بعيسى ومحمد وكفرت النصارى بسليمان ومحمد ونحن له مسلمون اي خاضعون بالطاعة وقيل مذعنون له بالعبودية وقيل مستسلمون لامره ونهيه عقدا وفعلا وقيل داخلون في حكم الاسلام الذي هو دينه التفرق جعل الشيء مفارقا مع غيره والفرق جعل الشيء لا مع غيره

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ اخبر الله بان هؤلاء الكفار متى امنوا على حد ما امن المؤمنون فقد اهتدوا على طريق الجنة والباء في مثل يجوز ان يكون زائدة والتقدير فان امنوا مثل الذي امنتم به مثل ايمانكم كما قال لكفى بالله اي كفى الله ويجوز ان يكون بمثل هذا ولا يكون زائدة كانه قال فان امنوا مثل ايمانكم فان تولوا معناه ان اعرضوا عن الايمان وجحدوه ولم يعترفوا به فانما هم في شقاق اي في مفارقة

وهذا

مع هامشها استفيت من نسخة غير هذه النسخة لان التبيان نسختان نسخة مفصلة واخرى موجزة هذه الصغير والطوال في صلب من نسخة الموجزة ١٢

وان تولوا

وقيل في منازعة ومحاربة وقيل في معاداة واصل الشقاق يجوز ان يكون ماخوذا من الشق لانه صار في شق غير شق صاحبه للعداوة والمباينة ويجوز ان يكون ماخوذا من المشقة لانه يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه

صِبْغَةَ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ

اية بلا خلاف قوله صبغة الله معناه فطرة الله في قول الحسن وقتادة وابي العالية ومجاهد وعطية وابن زيد والسدي وقال البلخي والفراء انه شريعة الله في الختان الذي هو التطهير وقوله صبغة الله ماخوذ من الصبغ لان بعض النصارى كانوا اذا ولد لهم مولود جعلوه في ماء لهم يجعلون ذلك تطهيرا له ويسمونه العمودية فقيل صبغة الله اي تطهير الله لا تطهيركم بتلك الصبغة وهو قول الفراء وقال قتادة اليهود تصبغ ابناءها يهودا والنصارى تصبغ ابناءها نصارى فهذا غير المعنى الاول وانما معناه انهم يلقنونه اليهودية والنصرانية فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبهم منه فقيل صبغة الله التي امر بها ورضيها يعني الشريعة لا صبغتكم وقال الجبائي سمي الدين صبغة الله لانه هيئة يظهر بالمشاهدة من اثر الطهارة والصلاة وغير ذلك من الاثار الجميلة التي هي كالصبغة وقال امية بن في صبغة الله كان اذ نسي العهد وخلى الصواب اذ عرما قال صاحب العين الصبغ ما يلون به الثياب والصبغ مصدر صبغت والصباغة حرفة الصباغ والصبغ والصباغ ما يصطبغ به في الاطعمة والاصبغ من الطير ما ابيض ذنبه او بعضه واصل الباب الصبغ وهو المزج للتلوين ونصب صبغة الله في الاية يحتمل امرين احدهما ان يكون مردودا على بل ملة ابرهيم بدلا منه وتفسيرا له والثاني اتبعوا صبغة الله والاجود الاول وكان يجوز الرفع بتقدير هي صبغة الله ومعنى قوله ومن احسن من الله صبغة الجحد اي لا احد احسن من الله صبغة واللفظ لفظ الاستفهام وبه قال الحسن وغيره ونحن له عابدون يجب ان يتبع صبغته لا ما صبغنا عليه الاباء والاجداد وقيل معناه ونحن له عابدون في اتباعنا ملة ابرهيم صبغة الله الاعتراف بالوجه الذي اتبعوه قوله تعالى

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَ
نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ آية

امر الله نبيه في هذه الاية ان يقول لهؤلاء الكفار اتحاجوننا في الله ومعناه

اولادهم

ان من نحن له عابدون

ما لكفاية ... فالمعنى ... الامر ... الكفاية ... هو طوع ...

١٥٣

تخاصموننا وتجادلوننا فيه وهو تعالى الذي خلقنا وانعم علينا وخلقكم وانعم عليكم وكان محاجتهم للنبي عليه السلام انهم زعموا انهم اولى بالحق لانهم راسخون في العلم وفي الدين لتقدم النبوة فيهم والكتاب فهم اولى بان يكون الرسول منهم وقال قوم بل قالوا نحن احق بالايمان لانا لسنا من العرب الذين عبدوا الاوثان فبين الله تعالى على وجه الحجة عليهم بانه ربنا وربهم فهو اعلم بتدبيرنا وتدبيرهم ومصلحتنا ومصلحتهم وانه لا حجة علينا في اجرام غيرنا ومعاصيهم وقال الحسن كانت محاجتهم ان قالوا نحن اولى بالله منكم وقالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وغرضهم بذلك الاحتجاج بان الذين ينبغي ان يلتمس من جهتهم وان النبوة اولى ان يكون فيهم وليس الامر على ما ظنوا لان الله اعلم حيث يجعل رسالاته ومن الذي يقوم باعبائها ويتحملها على وجه يكون اصلح للخلق واولى بتدبيرهم وقوله ولنا اعمالنا معنا الانكار لاحتجاجهم باعمالهم لانهم مشركون ونحن مصلحون وقيل معناه الانكار الاحتجاج بعبادة العرب للاوثان وقيل لا حجة في ذلك اذ لكل احد عمله لا يوجد بجرم غيره والاعمال والافعال والاحداث نظائر والاخلاص والافراد والاختصاص نظائر وضد الخالص المشوب وقوله ونحن له مخلصون فيه الاحتجاج بان المخلص لله اولى بالحق من المشرك به وقيل معناه الرد عليهم بما احتجوا به من عبادة العرب للاوثان بانه لا عتب علينا في ذلك اذا كنا مخلصين كما لا عيب عليكم بفعل من عبد العجل من الاسلاف اذا اعتقدتم الانكار عليهم عبادة العجل وقيل معناه الانكار عليهم بانهم على الاشراك بالله بالتشبيه له والكفر بآياته وقال ابن عباس معنى اتحاجوننا اتجادلوننا وقال مجاهد معناه اتخاصموننا وبه قال ابن زيد ومعنى في الله في دين الله والالف صورتها الاستفهام ومعناها الانكار ويجوز في اتحاجوننا ثلثة اوجه من العربية الاظهار والادغام والحذف فالادغام لتشديد للنون والحذف تخفيف النون الواحدة قوله تعالى

ام يقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى قل انتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون آية بلا خلاف

قرا اهل الكوفة الا ابا بكر يقولون بالتاء والمعهم ابن عامر ورويس الباقون بالياء من قرأ بالتاء جعله متصلا بما قبله من الاستفهام كانه قال اتحاجوننا في الله ام تقولون

مخلصون

اذ الانبياء كانوا على دينكم والتقدير بأي الحجتين تتعلقون في امرنا اما التوحيد فنحن موحدون ام باتباع دين الانبياء فنحن لذلك متبعون ومن قرأ بالياء فالوجه فيه انه عدل الى حجاج اخر عن الاول كانه قال بل تقولون ان الانبياء من قبل ان تنزل التورية والانجيل كانوا هودا او نصارى ويكون قد اعرض عن خطابهم استجهالا لهم بما كان منهم كما يقبل العالم على من بحضرته بعد ارتكاب مخاطبه جهالة شنيعة فيقول قد قامت عليه الحجة ام يقول بابطال النظر المؤدي الى المعرفة وقد انكر الطبري القراءة بالياء وقال هي شاذة لا تجوز القراءة بها وليس الامر على ما ظن بل وجهها ما بيناه ومعنى الآية الاحتجاج في قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فقيل لهم كيف ذلك والامر بخلافه من وجهين احدهما ما اخبر به نبينا عليه السلام مع ظهور المعجزة الدالة على صدقه والاخر ما في التورية والانجيل من انهم على الحنيفية لان عندهم اسم اليهودية يقع على من تمسك بشريعة التورية والنصرانية اسم لمن تمسك بشريعة الانجيل وقد قال الله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وقيل ايضا ان معناه التوبيخ لاهل الكتاب ما دعاهم عليهم خلاف الاسلام بغير حجة ولا برهان وقوله انتم اعلم ام الله صورته صورة الاستفهام والمراد به التوبيخ ومثله قوله اهم اشد خلقا ام السماء بناها والاعلم والادرى ولا اعرف بمعنى واحد ولا اظلم ولا اجور ولا اعتى نظائر فان قيل لم قال انتم اعلم ام الله وقد كانوا يعلمونه فكتموه وانما ظاهر هذا الخطاب لمن لا يعلم قلنا من قال انهم كانوا على ظن وتوهم توجه الخطاب على قوله واضح ومن قال كانوا يعلمون ذلك وانما كانوا يجحدونه يقول معناه ان منزلتكم منزلة المعترض على ما يعلم ان الله اخبر به فما ينفعه ذلك مع اقراره بان الله اعلم منه وانه لا يخفى عليه شيء لان ما دل على انه اعلم هو الدال على انه لا يخفى عليه شيء وهو انه عالم لنفسه يعلم جميع المعلومات وقوله ومن اظلم ممن كتم قيل في من في قوله من الله ثلثة اقوال احدها انها بمعنى ابتداء الغاية لان الله تعالى ابتدأ الشهادة في التورية والانجيل بصحة النبوة لمحمد صلى الله عليه واله ويكون ابتداء الشهادة بان الانبياء كانوا على الحنيفية فهذه شهادة من الله عندهم والثاني كتمها من عباد الله والثالث

كانوا

الثالث ما حكاه البلخي انه بمنزلة من اظلم ممن يجور على الفقير الضعيف من السلطان الغني
القوي اي فلا احد اظلم منه والمعنى انه يلزمكم ان لا احد اظلم من الله تعالى عن ذلكم ذلك
ما فيه العزوف للعباد ليوقعهم في الضلال وهو الغني بنفسه الذي لا يجوز ان يلحقه
المنافع والمضار وجل ثنائه وتقدست اسماؤه وهذا الذي يلزم اليهود الجهال كما حكى ذكره
الله عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا والشهادة التي
كتموها قيل فيها قولان احدهما قال مجاهد والربيع وابن جريج انهم كتموا الشهادة بانهم كانوا
على الاسلام والثاني قال الحسن وقتادة وابن زيد واختاره الجبائي انهم كتموا الشهادة بالبشارة
التي عندهم بالنبي عليه السلام فان قيل اذا كان الذي كتموه امر محمد صلى الله عليه واله
فكيف تتصل بما قبله قال الحسن كتموا محمدا صلى الله عليه واله ودينه ولان دينه ان ابراهيم
كان مسلما ولم يكن من المشركين والاحتجاج عليهم بما انتم اعلم ام الله على وجه الالزام لهم
للجهالة كانه قيل اذا زعمتم ان هولاء كانوا هودا او نصارى وقد اخبر الله بخلاف
ذلك منهم فقد لزمكم ان يكونوا اعلم من الله تعالى وهذا غاية الخزي لمن بلغه وقوله
وما الله بغافل عما تعملون فالغفلة والسهو والسنة نظائر ومعنى الاية يحتمل امرين
احدهما الوعيد لهم بالله بما هم عن كتمان الشهادة التي لزمكم القيام بها لله تعالى الثاني ان
يكون على عمومه والمعنى انه لا يخفى عليه شيء من المعلومات لا صغيرها ولا كبيرها
فكونوا على حذر من الجزاء على السيئات بما يستحقونه من العقاب وكرر ذا خبر واسم معناها
واحد والبينة والحجة واحدة قوله تعالى

تلك أمة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون اية بلا خلاف

قيل في تكرار قوله تلك امة قولان احدهما انه عني بالاول ابرهيم ومن ذكر معه من
الانبياء والثاني عني به اسلافهم من اباهم الذين هم على ملتهم والقول الثاني
ان الجواب اذا اختلفت اوقاته وكان الثاني في غير موطن الاول وكان بعد مدة
من وقوع الاول بحسب ما اقتضاه الحال لم يكن ذلك معيبا عند اهل اللغة
ولا عند العقلاء والاعتراض عليهم بقوله تلك امة قد خلت انه اذا لم يستنكر ان يكون
فرضهم غير فرض الامة التي قد خلت قبلكم فلا تحتجوا بانه لا يجوز ان تخالفوا عليه

فلو سلم

١٥٤

فلو سلم لكم انهم كانوا على ما يذكرون ما جاز لكم ان تتركوا ما نقلكم الله عنه على لسان
رسوله محمد صلى الله عليه واله وسلم ان لله تعالى ان ينسخ من الشريعة ما يشاء ويقرها
ما يشاء على ما يعلم من وجوه الحكمة وعموم المصلحة وقيل ان ذلك ما يعلم ورد مورد الوعظ نحو ذلك
لهم بانه اذا كان لا يؤخذ الانسان الا بعمله فينبغي ان تحذروا على انفسكم وتبادروا
الى ما يلزمكم ولا تتكلوا على فضائل الاباء والاجداد فان ذلك لا ينفعكم اذا خالفتم امر الله
فيما اوجب عليكم والمعنى بقوله تلك امة قد خلت على قول قتادة والربيع ابراهيم ومن ذكر
معه وعلى قول الجبائي ونحوه من سلف من اباهم الذين كانوا على ملتهم اليهودية او
النصرانية وقد بينا فيما مضى ان الامة الجماعة التي يؤم جهة واحدة كانه النبي محمد صلى
الله عليه واله ادى يوم العمل على ما دعا اليه وكذلك امم سائر الانبياء صلوات
الله عليهم والخلاء الفراغ يقال فرغ من عمله وفرغ من مكانه وانما قيل لما مضى خلا
لانه خلا منه مكانه والكسب الفعل الذي يجر فاعله به نفعا او يدفع به ضررا وانما قيل
كسب لسيئة لانه اجلبها النفع عاجلا وقوله ولا تسئلون معناه لا تطالبون فالسؤال الطلب
وهو ايضا الاخبار الذي اقتضاه ما تقدم من الكلام اي لا يقال لكم لم عصيتم باؤكم عصيتم
وانما يقال لكم لم عصيتم ولم ظلمتم قوله تعالى سيقول السفهاء

من الناس ما ولىهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها قل لله المشرق و
المغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

اية واحدة بلا خلاف اخبر الله تعالى نبيه عليه السلام انه سيقول
لك فيما بعد السفهاء وهو جمع سفيه وهو الجاهل والغبي نظائر وما ولاهم
اي شيء ولاهم ومعنى ولاهم صرفهم عنه وتحوله تلبه عنه ونقله عنه عن قبلتهم التي
كانوا عليها فالقبلة الجهة التي تستقبل في الصلوة وقبلة المسلمين الكعبة والسفيه
الخفيف الى ما لا يجوز له ان يخف اليه وهي صفة ذم في الدين وضد السفيه الحكيم واشتقاق
ولاهم من الولي وهو حصول الثاني بعد الاول من غير فصل والثاني يلي الاول والثالث يلي الثاني
والرابع يلي الثالث ثم هكذا ابدا والاعراض خلاف ما ولى اليه مثل قولك عدل عنه
عدل اليه وانصرف عنه وانصرف اليه فاذا كان النبي يليه متوجها اليه فهو متولي اليه

واذا كان متوجها الى جهات جهته فهو متولى عنه والقبلة مثل الجلسة الحالة التي تقابل الشي
عنه عليها كما ان الجلسة التي يجلس عليها وكان يقال هو لي قبله وانا له قبله ثم صار
علما على الجهة التي يستقبل في الصلوة واختلفوا في الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن
قبلة بيت المقدس الى الكعبة على ثلاثة اقوال فقال ابن عباس والبراء بن عازب هم اليهود و
قال الحسن هم مشركوا العرب وان رسول الله لما حول الى الكعبة من بيت المقدس قالوا يا
محمد رغبت عن قبلة ابائك ثم رجعت اليها ايضا والله لترجعن الى دينهم والثالث
قال السدى انهم المنافقون قالوا ذلك على وجه الانكار للنسخ وقال ابن عباس ان
قوما من اليهود قالوا يا محمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها ارجع اليها نتبعك و
نؤمن واراد وا بذلك فتنته الثالث انه قال ذلك مشركوا العرب ليتوهموا ان الحق ما
هم عليه وانما صرفهم الله عن القبلة الاولى لما علم الله تعالى من تغير المصلحة
في ذلك وقيل انما فعل ذلك لما قال الله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت
عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه لانهم كانوا بمكة امروا ان يتوجهوا
الى بيت المقدس ليتميزوا من المشركين الذين كانوا بحضرتهم يتوجهون الى الكعبة
فلما انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة كانت اليهود المجاورون للمدينة
يتوجهون الى بيت المقدس نقلوا الى الكعبة ليتميزوا من هؤلاء كما اريد في الاول ان
يتميزوا من اولئك واختار ذلك البلخي والجبائي والرماني وقوله قل لله المشرق
والمغرب امر من الله تعالى لنبيه ان يقول لهؤلاء الذين عابوا انتقالهم عن بيت
المقدس الى الكعبة المشرق والمغرب ملك الله يتصرف فيهما كيف يشاء على ما يقتضيه حكمته
والمشرق والمطلع نظائر وكذلك المغرب والمغيب نظائر وفي الاية دلالة على جواز النسخ
لانه تعالى نقلهم عن عبادة كانوا عليها الى اتباعها على وجه اخر وهذا هو النسخ وقوله
ولله المشرق والمغرب فيه دلالة على ان من له المشرق والمغرب فله التدبير فيهما وفي ذلك
اسقاط قول من زعم ان ارض المقدسة اولى بالتوجه اليها لانها موطن الانبياء وقد
شرفها الله وعظمها فلا وجه للتولية عنها فرد الله عليهم بان المواطن كلها تشرف منها
ما يشاء في كل زمان على ما يعلم من مصالح العباد وقال ابن عباس والبراء بن عازب
انه كانت الصلوة الى بيت المقدس الى بعد مقدم النبي عليه بسبعة عشر شهرا وقال انس بن

فلو ذلك استهزاء بالاسلام
واختلفوا في سبب عيبهم
الصرف عن القبلة فقال
قوم انهم قالوا ذلك

مالك انما كان ذلك بسبعة اشهر وعشرة اشهر وقال معاذ بن جبل كان ثلثة
عشر شهرا وقال قتاده صلت الانصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي عليه
وصلى النبي بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة ولا خلاف
ان التوجه الى بيت المقدس قبل النسخ كان فرضا واجبا ثم اختلفوا فكان الربيع كان ذلك
على وجه التخيير خيره الله تعالى بينه وبين ان يتوجه الى بيت المقدس وبين غيرهما وقال ابن
عباس واكثر المفسرين كان ذلك فرضا معينا وهو الاقوى لقوله وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها فبين انه جعلها قبلة وظاهر ذلك انه معين لانه لا دليل على
التخيير على انه لو ثبت انه لو كان مخيرا ما خرج من ان يكون فرضا كما ان الفرض ان يصلي
الصلوة في الوقت ثم هو مخير بين اوله ووسطه واخره وقوله والله يهدي من يشاء الى
صراط مستقيم معناه يهديهم الى الدين المستقيم الذي يؤديهم الى الجنة فلذلك سماه صراطا
كما يؤدي الطريق الى المقصد قوله تعالى وكذلك جعلناكم

امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا وما
جعلنا القبلة التي كنت عليها الا
لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب
على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين
هدى الله وما كان الله ليضيع
ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم

اية بلا خلاف قرء ابن كثير ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم لرؤف على وزن
لرعوف الباقون لرؤف على وزن فعل اخبر الله تعالى انه جعل امة نبيه محمد
وسطا اى سماها بذلك وحكم لها به والوسط العدل وقيل الخيار ومعناهما واحد
وقيل انه ماخوذ من المكان الذي يعتدل المسافة منه الى اطرافه وقيل بل اخذ الوسط
من التوسط بين المقصر والغالي فالحق معه وقال مورج اى وسط بين الناس وبين انبيائهم
قال زهير هم وسط يرضى الانام بحكمهم اذا نزلت احدى الليالي المعظم وروي عن النبي
عليه السلام انه قال امة وسطا عدلا وهو قول مجاهد وقتاده والربيع وابن عباس

والوسط

واكثر المفسرين وقال صاحب العين الوسط من الناس وغيرهم ومن كل شيء اعدله وافضله
وقيل الواسط بمعنى كما قيل يابس ويبس بمعنى واحد وقال تعالى في البحر يبسا والوسط بتسكين
السين الموضع والوسط بالتحريك لما بين طرفي كل شيء وسمي واسط الرحل لانه وسط العالية
والاخرة وكذلك واسطة القلادة واصل الباب الوسط العدل وقولهم ملأت مراوسطهم
نسبا اي تكللها الشرف من نواحيه واللام الاولى في قوله ليكونوا شهداء على الناس لام كي كانه
قال كي يكونوا واصلها لام الاضافة واللام في قوله وان كانت لكبيرة لام تاكيد وهي تلزم المخففة ان
من الثقيلة لئلا يلتبس بان التي بمعنى ما كقوله ان الكافرون الا في غرور وهي لام الابتداء
اخرت الى الخبر في باب ان خاصة واما اللام الثالثة قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم فلام الجحد
واصلها لام الاضافة والفعل ينصب باضمار ان فلا تظهر بعدها ان لان التاويل ما كان الله مضيعا
ايمانكم فلا يحمل معناه على التاويل حمل لفظه اتصالا على التاويل من غير تصريح باظهارها فان قيل
باي شيء يشهدون على الناس قلنا فيه ثلاثة اقوال احدها ليشهدوا على الناس باعمالهم
التي خالفوا فيها الحق في الدنيا وفي الاخرة كما قال وجيء بالنبيين والشهداء وقال يوم يقوم الاشهاد
قال ابن زيد الاشهاد اربعة الملائكة والانبياء وامة محمد والجوارح كما قال يوم يشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون الثاني يشهدون للانبياء على اممهم المكذبين بانهم بلغوا
وكان ذلك لاعلام النبي عليه السلام اياهم بذلك الثالث ليكونوا شهداء على الناس اي حجة
عليهم فيما يشهدون كما ان النبي عليه السلام شهيد بمعنى حجة في كل ما اخبر به والنبي وحده
كذلك فاما الامة فجماعتها حجة مخبر بغير الاسم على زمان بعينه بان يوصف بانه غد قبل حصوله فاذا
حصل قيل انه اليوم فاذا تقضى وصف بانه امس ويتغير عليه الاسم والمعلوم لم يتغير وقوله ممن
ينقلب على عقبيه قيل في معناه قولان احدهما ان قوما ارتدوا عن الاسلام لما حولت
القبلة جهلا منهم بما فيها من وجوه الحكمة والاخر ان المراد به كل مقيم على كفره لان جهة الاستقامة
اقبال وخلافها ادبار وكذلك وصف الكافر بانه ادبر واستكبر وقال لا يصلاها الا الاشقى
الذي كذب وتولى اي عن الحق والعقب مؤخر القدم قال تعالى ونرد على اعقابنا اي نعقب بالشر
بعد الخير وكذلك رجع على عقبيه وسميت العقوبة لانها تتلو الذنب والعقبة كرة بعد كرة
في الركوب والمشي والمعقبات ملائكة الليل يعاقب ملائكة النهار وعقب الانسان نسله
والعقاب معروف والعقب عصب من العصب والمتن يعقب به الرماح والتعقيب الرجوع

الى امر

الى امر يريده ومنه قوله ولم يعقب ويقال عقب الليل النهار يعقبه واعقب الراي خيرا
واعقب عزه ذلا اي ابدل به والعقبة طريق في الجبل وعر والعقاب الراية تشبيها بعقاب
الطاير واليعقوب ذكر القبج تشبيه به الخيل في السرعة لا معقب لحكمه اي لا راد لقضائه
والمعقب الذي يتبع الانسان في طلب حق واصل الباب التلو والضمير في قوله وان كانت لكبيرة
يحتمل رجوعه الى ثلاثة اشياء القبلة على قول ابي العالية والتحويلة على قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة وهو الاقوى لان القوم ثقل عليهم التحويل لا نفس القبلة وعلى قول ابن
زيد الصلاة وقوله لكبيرة قال الحسن معناه ثقيلة يعني التحويلة الى بيت المقدس لان العرب
لم يكن قبلة احب اليهم من الكعبة وقيل معناه عظيمة على من لم يعرف ما فيها من وجوه
الحكمة فاما الذين هداهم الله لذلك فلا يعظم عليهم فعلى قول الحسن يكون قوله الا على
الذين هدى الله لان المعرفة بما فيها من المصلحة تسهل المشقة فيصير بمنزلة ما لا يعتد بها
ولذلك حسن الاستثناء بما يخرجهم منها وقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم
في معناه اقوال احدها قال ابن عباس وقتادة والربيع لما حولت القبلة قال الناس
كيف باعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الاولى وقيل كيف من مات من اخواننا
قبل ذلك فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم الثاني معناه قال الحسن و
انه لما ذكر ما عليهم من المشقة في التحويلة اتبعه بذكر ما لهم عنده بذلك من المثوبة
وانه لا يضيع ما عملوه من الكلفة فيه لان التذكير به يبعث على ملازمة الحق و
الرضا به الثالث قال البلخي انه لما ذكر انعامه عليهم بالتولية الى الكعبة ذكر سبب ذلك
الذي استحقوه به وهو ايمانهم بما حملوه اولا فقال وما كان الله ليضيع ايمانكم
الذي استحققتم به تبليغ محبتكم في التوجه الى الكعبة والاضاعة مصدر اضاع
يضيع وضاع الشيء يضيع ضياعة وضيعة تضييعا قال صاحب العين ضيعة الرجل حرفته
يقال ما ضيعتك اي ما حرفتك هذا في الضياع وضاع عيال فلان ضيعة وضياعا
وتركهم بضيعة ومضيعة والضيعة والضياع معروف واصل الباب الضياع الهلاك
وقوله ان الله بالناس لرؤف رحيم ان قيل ما الذي اقتضى ذكر هذه
الصفة قلنا الرؤف بعباده الرحيم بهم لا يضيع عنده عمل منهم فدل ما الرافة والرحمة عامل
على التوفير عليهم فيما استحقوه دون التضييع لشيء منه وانما قدمت الرافة على الرحمة

لان الرأفة اشد مبالغة من الرحمة لتجري على طريقة التقديم بما هو اعرف مجرى اسماء
الاعلام ثم اتباعه بما هو دونه ليكون مجموع ذلك تعريف ابلغ منه لو انفرد كل واحد عن الاخر
كما قيل في الرحمن الرحيم فرؤوف على وزن فعول لغة اهل الحجاز وعلى وزن فعل لغة غيرهم قال الانصاري
يطيع لنا بنبنا نطيع رباهو الرحمن كان بنا رؤوف وقال جرير يمدح المسلمين حقا كفعل
الوالد الرؤوف الرحيم والرأفة الرحمة يقول راف يراف رافة واستدل من قال
الايمان بهذه الاية فقالوا سمى الله الصلوة ايمانا على تاويل ابن عباس وقتادة
والسدي والربيع وداود بن ابي عاصم وابن زيد وسعد بن المنذر وعمرو بن عبيد وواصل
وجميع المعتزلة ومن خالفهم من المرجئة لا يسلم هذا التاويل ويقول الايمان على ظاهره وهو
التصديق ولا يترك ذلك لقول من ليس قوله حجة لانهم نسبوا جميع المفسرين بل بعضهم
ولا يكون ذلك حجة واستدل الجبائي بهذه الاية على ان الشاهد هو الحاضر دون
من مات بان قال لو كان الرسول شاهدا على من مضى قبله او من ياتي بعده ومن
هو حاضر معه لم يكن لقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا معنى ويؤكد ذلك قوله وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقال غيره قد يجوز ان يشهد العالم بما علم وان لم يحضره وهو
الاقوى وهذه الاية فيها دلالة على جواز النسخ في الشريعة بل على وقوعه لانه قال
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها فاخبر ان الجاعل لتلك القبلة كان هو تعالى وانه هو الذي
نقل عنها وذلك هو النسخ فان قيل كيف اضاف الايمان الى الاحياء وهم كانوا قالوا كيف بمن
مضى من اخواننا قلنا يجوز ذلك على التغليب لان من عادتهم ان يغلبوا المخاطب على الغائب
كما يغلبون المذكر على المؤنث الاثنين على الكل فيقولون فعلنا بكما وبلغنا كما وان كان احدهما حاضرا
والاخر غائبا فان قيل كيف جاز على اصحاب النبي عليه السلام الشك فيمن مضى من اخوانهم
فلم يدروا انهم كانوا على حق في صلاتهم الى بيت المقدس قيل في ذلك كيف اخواننا
لو ادركوا الفضل بالتوجه وانهم احبوا لهم ما احبوا لانفسهم ويكون قال ذلك
منافق بما فيه الرد على المخالفين المنافقين قوله تعالى

قد نرى تقلب وجهك في السماء
فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا

وجوهكم

وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب
ليعلمون انه الحق من ربهم وما
الله بغافل عما يعملون

اية بلا خلاف قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو جعفر وروح عما تعملون بالتا
الباقون بالياء وقال قوم ان هذه الاية نزلت قبل التي تقدمها وهي قوله سيقول
السفهاء فان قيل لم قلب النبي عليه السلام عليه السلام وجهه في السماء قلنا عنه جوابان
احدهما انه كان وعد بالتحويل عن بيت المقدس وكان يفعل ذلك انتظارا وتوقعا لما وعد به
والثاني انه كان يحبه محبة طباع ولم يكن يدعوا به حتى اذن له فيه لان الانبياء
لا يدعون الا بما اذن لهم فيه لئلا يكون المصلحة في خلاف ما سالوه فيكون في
ردهم تنفر عن قبول قولهم وهذا الجواب يروى عن ابن عباس وقتادة وقيل في
سبب محبة التوجه الى الكعبة ثلثة اقوال اولها قال مجاهد وابن زيد اراد مخالفة اليهود و
التميز منهم والثاني قال ابن عباس وقتادة وقيل في سبب محبة التوجه الى الكعبة ثلثة
اقوال اولها قال مجاهد انه احب ذلك لانها كانت قبلة ابرهيم الثالث حكاه
الزجاج انما احب ذلك استدعاء للعرب الى الايمان وقوله قد نرى فالرؤية
هي ادراك الشيء من الوجه الذي يتبين عن البصر وقوله تقلب وجهك التقلب والتحول
والتصرف نظائر وهو التحرك في الجهات وقوله ترضيها اي تحبها والرضا
ضد السخط وهو ارادة الثواب والسخط ارادة الانتقام وقوله شطر المسجد اي نحوه
وتلقاه بلا خلاف بين اهل اللغة وعليه المفسرون كابن عباس ومجاهد وابي
العاليه وقتاده والربيع وابن زيد وغيرهم قال الشاعر وقد اظلكم من شطر ثغركم
له ظلم يغشاكم قطعا اي من نحو ثغركم وانشد ابن عبيدة الهذلي
ان العسير بها داء تخامرها :: فشطرها نظر العينين محسور :: وقال الراجز
تعدوا بنا شطر جمع وهي عاقدة :: قد كارب العقد من ايفادها الحقبا ::
وقال الجبائي اراد بالشطر النصف كانه قال فول وجهك نصف المسجد لان
شطر الشيء نصفه فامره ان يولي وجهه نحو نصف المسجد حتى يكون مقابل الكعبة و
هذا فاسد لانه خلاف اقوال جميع المفسرين ولان اللفظ اذا كان مشتركا بين

النصف وبين النحو ينبغي الا يحمل على احدهما الا بدليل وعلى ما قلناه اجماع المفسرين قال الزجاج
يقال هولاء القوم مشاطرونا اى دورهم يتصل بدورنا كما يقال هولاء يناحوننا
اى نحن نحوهم وهم نحونا وقال صاحب العين شطر كل شئ نصفه وشطره
قصده ونحوه ومنه المثل احلب حلبا لك شطره اى نصفه وشطرت الشئ جعلته
نصفين وقد شطرت الشاة شطارا وهو ان يكون احد طبييها اكبر من الاخر وان
حلبا جميعا ومنزل شطير اى بعيد وشطر فلان على اهله اى تركهم مراغما او مخالفا
ورجل شاطر وقد شطر شطورا وشطورة وشطارة وهو الذي اعيا اهله ومودتهم
خبثا واصل الباب الشطر النصف وقال السدى المعنى بقوله وان الذين اوتوا الكتاب
هم اليهود وقال غيره بل هم احبار اليهود وعلماء النصارى يجوز على مثلهم اظهار خلاف
ما يبطنون لان الجمع الكثير لا يتاتى فيه ذلك لما يرجع الى العادة وانها لم تجر بذلك
مع اختلاف الدواعي وانما يجوز العناد على النفر القليل وقد مضى فيما تقدم نظير ذلك
وان على ما نذهب اليه في الموافاة لا يمكن ان يكونوا عارفين بذلك الا ان يكون نظرهم
لا يوجب وجوب المعرفة فاذا حصلت المعرفة عند ذلك فلا يستحقون عليها الثواب لان النبي
يمنع منه ان يكونوا مستحقين للثواب الدائم ويكفرون فيستحقون العقاب الدائم
والاحباط باطل فيؤدي ذلك الى اجتماع الاستحقاقين الدائمين وذلك خلاف الاجماع
وهذه الاية ناسخة لفرض التوجه الى بيت المقدس قبل ذلك وروى عن ابن
عباس انه قال اول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شان القبلة وقال قتادة
نسخت هذه الاية ما قبلها وقال جعفر بن مبشر هذا مما نسخ من السنة بالقرآن وهذا
هو الاقوى لانه ليس في القرآن ما يدل على تعبده بالتوجه الى بيت المقدس ومن قال
انها نسخت قوله فاينما تولوا فثم وجه الله قلنا له هذه ليست منسوخة بل
هي مختصة بالنوافل في حال السفر فاما من قال يجب على الناس ان يتوجهوا الى
الميزاب الذي على الكعبة ويقصدوه فقوله باطل لانه خلاف ظاهر القرآن قال ابن عباس
البيت كله قبلة وهو قول جميع المفسرين وروى بعض اصحاب الحديث ان البيت هو
القبلة وان قبلته بابه وهذا يجوز فاما ان يجب على جميع الخلق التوجه اليه فهو خلاف
الاجماع وقوله حيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره روى عن ابي جعفر وابي عبد الله ان ذلك

غير انهم جماعة قليلة

في الفرض

في الفرض وقوله فاينما تولوا فثم وجه الله في النافلة وروي عن ابن عباس وابي جعفر محمد
بن علي انه لما حول الكعبة اتى رجل من عبد الاشهل من الانصار وهم قيام يصلون
الظهر قد صلوا ركعتين نحو بيت المقدس فقال ان الله قد صرف رسوله نحو البيت الحرام
فصرفوا وجوههم نحو البيت الحرام في بقية صلاتهم وقوله وحيثما كنتم موضع كنتم جزم بالشرط و
تقديره وحيث ما تكونوا والفاء جواب ولولا ما لم يجز الجزاء بحيث بخروجها عن نظائرها
فانه لا يستفهم بها ولان الاضافة لها كالصلة لغيرها وليست بصلة كصلة اخواتها
والهاء في قوله وانه الحق على قول الجبائي يعود على التحويل وقال الحسن هي عائدة الى
التوجه الى الكعبة لانها قبلة ابرهيم والانبياء قبله والحق وضع الشئ في موضعه اذا لم يكن فيه
وجه من وجوه القبح والغفلة هي السهو عن بعض الاشياء خاصة واذا كان السهو عاما فهو فوق
الغفلة وهو السهو العام لان النائم لا يقال انه غفل عن الشئ الا مجازا وقال عطا
في قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام قال الحرم كله مسجد وهذا مثل قول اصحابنا ان الحرم قبلة
من كان نائيا عن الحرم من اهل الافاق واختلف الناس في صلوة النبي عليه السلام الى بيت
المقدس فقال قوم كان يصلي بها الى الكعبة فلما صار بالمدينة امر بالتوجه الى بيت المقدس سبعة عشر
شهرا ثم اعيد الى الكعبة وقال قوم كان يصلي بمكة الى بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينها ولا يصلي من غير المكان الذي يمكن هذا فيه وقال قوم بل كان يصلي
بمكة وبعد قدومه الى المدينة سبعة عشر شهرا الى بيت المقدس ولم يكن عليه ان يجعل الكعبة
بينه وبينها ثم امره الله بالتوجه الى الكعبة ومن صلى الى غير القبلة لشبهة دخلت عليه ثم تبينه
فان كان الوقت باقيا اعاد الصلاة وان خرج الوقت فان كان صلى يمينا وشمالا فلا اعادة
عليه وان صلى الى استدبارها اعاد وفيه خلاف بين الفقهاء ذكرناه في الخلاف

قوله تعالى ولئن اتيت الذين اوتوا
الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك
وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم
بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهواءهم
من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين

اية بلا خلاف اختلف النحويون في ان جواب لئن لم كان جواب لو فقال الاخفش

ومن بتعد اجيبت بجواب لو لان الماضي وليها كما يلي لو فاجيبت بجواب لو ودخلت كل واحدة
منهما على صاحبتها قال الله تعالى ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من
بعده يكفرون فجعل مجرى ولو ارسلنا وقال ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله على
جواب لئن وقال سيبويه وجميع اصحابه ان معنى لظلوا من بعده يكفرون ليظلن و
معنى لئن غير معنى لو في قول الجماعة وان قالوا ان الجواب متفق لانهم لا يدفعون ان معنى لئن
ما يستقبل ومعنى لو ما مضى وحقيقة معنى لو انها يمتنع بها الشيء لامتناع غيره لقولك لو اتيتني
لاكرمتك اي لم تاتني فلم اكرمك فامتنع الاكرام لامتناع الاتيان ومعنى ان ولئن انما يقع بها الشيء
لوقوع غيره تقول ان تاتني اكرمك فالاكرام يقع بوقوع الاتيان وقال بعضهم ان كل واحد منهما
على موضعهما وانما التحق في الجواب هذا التداخل لدلالة اللام على معنى القسم فجاء الجواب بجواب
القسم فاغنى عن جواب الجزاء لدلالته عليه لان معنى لظلوا ليظلن وهذا هو معنى قول سيبويه ويجوز
ان يكون ان اتيتني لم اجفك ولا يجوز ان تقول ان اتيتني ما جفوتك لان ما منفصلة ولم تخرج من الفعل الا
ترى انه يجوز ان تقول زيدا لم اضرب ولا يجوز زيدا ما ضربت وانما يجاب الجزاء بالفعل او الفاء فاذا
تقدم لام القسم جاز فقلت لئن اتيتني ما جفوتك فان قيل كيف قال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل
اية ما تبعوا قبلتك وقد امن منهم خلق قلنا عن ذلك جوابان احدهما قال الحسن ان المعنى ان جميعهم
لا يؤمن وهو اختيار الجبائي والثاني انه ذلك مخصوص بمن كان معاندا من اهل الكتاب دون جميعهم
الذين وصفهم الله فقال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم اختاره البلخي والزجاج وهذه الاية دالة على فساد
قول من قال لا يكون الوعيد بشرط وعلى فساد قول من قال بالموافاة وان من علم الله انه
يؤمن لا يستحق العقاب اصلا لان الله تعالى علق الوعيد بشرط فوجب ان يكون متى حصل
الشرط يحصل استحقاق العقاب وفيها دليل على فساد قول من قال ان الوعيد لا يقع
لمن علم انه لا يعصي لان الله تعالى علم من حال الرسول انه لا يتبع اهواهم ومع هذا توعده
ان اتبع اهواهم وفي الاية دلالة على بطلان قول من قال ان في المقدور لطفا لو فعل
الله بالكافر لامن لا محالة من قبل انه قيل في قوله ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل
اية ما تبعوا قبلتك قولان احدهما ان المعاند لا ينفعه الدلالة لانه عارف والاخر انه
لا لطف لهم فيلتمس ليؤمنوا وعلى القولين فيه دلالة على فساد قول اصحاب اللطف
لان مخرجه مخرج التنظيم من التخلف عنهم ما يؤمنون عنده طوعا فلو قال قائل وما في الاية

لا ينفعهم

لا ينفعهم في الايمان وثم لطف ينفعهم فيه لكان لا يسقط سؤاله الاباء يقال لا لطف لهم
كما لا اية تنفعهم فقوله وان اتبعت اهواءهم قيل في معناه ثلاثة اقوال احدها لئن اتبعت
اهواهم والمداراة لهم حرصا على ان يؤمنوا انك اذا لمن الظالمين لنفسك مع اعلامنا اياك
انهم لا يؤمنون هذا قول ابي علي الجبائي الثاني الدلالة على ان الوعيد يجب باتباع اهوائهم
فيما دعوا اليه من قبلتهم وانه لا ينفع مع ذلك عمل سلف لانه لا بد لا والخطاب للنبي والمراد
به كل من كان بتلك الصفة كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك وهذا قول الحسن والزجاج الثالث
ان معناه الدلالة على فساد مذاهبهم وتبكيتهم بها كما يقول لئن قبل منكم انه لخاسر يريد به
التبكيت على فساد دابه والتبعيد من قبوله وقوله وما انت بتابع قبلتهم قيل فيه
اربعة اقوال اولها انه لما قال ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا
قبلتك قال وما انت بتابع قبلتهم على وجه المقابلة كما يقول ما هم بتاركي انكار الحق وما انت
بتارك به الاعتراف به فيكون الذي جزء الكلام الثاني القابل للكلام الاول وذلك حسن
من كلام البلغاء الثاني ان يكون المراد به ليس يمكنك استصلاحهم باتباع قبلتهم لاختلاف
وجهتهم لان النصارى يتوجه الى المشرق واليهود الى بيت المقدس فبين الله ان
ارضاء الفريقين محال الثالث ان يكون المراد حسم طمعهم اهل الكتاب من اليهود اذ كانوا
طمعوا في ذلك وظنوا انه يرجع الى الصلوة الى بيت المقدس وما جرى في ذكره الرابع
انه لما كان النسخ مجوزا قبل نزول هذه الاية فانزل الله الاية ليرتفع ذلك التجويز
وقوله وما بعضهم بتابع قبلة بعض في معناه قولان احدهما قال الحسن والسدي
وابن زيد والجبائي انه لا يصير النصارى كلهم يهودا ولا اليهود كلهم يصيرون نصارى
ابدا كما لا يتبع جميعهم الاسلام وهذا من الاخبار بالغيب وقال غيرهم معناه اسقاط
الاعتلال بانه مخالفة لاهل الكتاب الذين قربوا ذلك عن انبياء الله بامرهم اياهم
به كما جاز ان يخالف به بين وجهتهم للاستصلاح جاز ان يخالف توجههم بامر الله للاستصلاح
في بعض الازمان وقد بينا حد الظلم فيما تقدم واعترضنا قول من قال هو الضرر
القبيح الذي يستحق به الذم من حيث ان ذلك ينتقض بفعل الساهي والنائم والطفل
والمجنون اذا كان بصفة الظلم فانه يكون قبيحا وان لم يستحقوا به ذما ومن خالف
في ذلك كان الكلام عليه في موضع اخر على ان المخالف في ذلك ناقض فانه قال ان

الكذب يقع من الصبي ويكون قبيحا وهذا اذا كان جاهلا جاز ان يقع منه الظلم فان قال
فان العقل للانسان البالغ يزجر الصبي عن ذلك بالتاديب قلنا مثل ذلك في الظلم سواء

قوله تعالى الذين اتيناهم
الكتاب يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون آية بلا خلاف

اخبر الله تعالى عن اهل الكتاب انهم يعرفون النبي عليه السلام كما يعرفون
ابناءهم وان جماعة منهم يكتمون الحق مع علمهم بانه حق وقيل في الحق الذي يكتمونه قولان
احدهما قال مجاهد كتموا محمدا صلى الله عليه وآله ونبوته وهم يجدونه مكتوبا عندهم في
التوريه والانجيل الثاني قال الربيع انهم كتموا امر القبلة وقوله وهم يعلمون
يحتمل امرين احدهما يعلمون صحة ما كتموه والثاني يعلمون ما لمن دفع الحق من العقاب و
الذم عائده في قول ابن عباس والربيع على ان امر القبلة حق وقال الزجاج هي عايده
على انهم يعرفون النبي عليه السلام وصحة امره وثبوت نبوته وانما قال وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وفي اول الآية قال يعرفونه على العموم لان اهل الكتاب
لان اهل الكتاب منهم من اسلم واقر بما يعرف فلم يدخل في جملة الكاتمين كعبد الله بن سلام
وكعب الاحبار وغيرهما ممن دخل في الاسلام والعلم والمعرفة واحد وحده ما اقتضى
سكون النفس وان فصلت قلت هو الاعتقاد المبتنى على ما هو به مع سكون النفس وفصل الرمانى
بين العلم والمعرفة بان قال المعرفة هي التي يتبين بها الشيء من غيره على جهة التفصيل والعلم
قد لا يتميز به الشيء على طريق الجملة دون التفصيل كعلمك بان زيدا في جملة العشرة وان لم تعرفه
بعينه وان فصلت بين الجملة التي هو فيها والجملة التي ليس هو فيها والجملة التي هو فيها وهذا
الذي ذكره ليس بصحيح لان المعرفة ايضا قد يتميز بها الشيء على طريق الجملة فلا فرق بينهما فان قيل
لم قال يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وهم لا يعرفون ابناءهم انهم ابناؤهم في الحقيقة ويعرفون
ان محمدا هو النبي المبشر به في الحقيقة قلنا التشبيه وقع بين المعرفة بالابن في الحكم وهي معرفة تميزه
بها من غيره وهي المعرفة بالشيء المبشر به في الحقيقة فوقع التشبيه بين معرفتين احداهما من الاخرى

قوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين آية بلا خلاف

الحق مرتفع

الحق مرتفع بانه خبر ابتداء محذوف وتقديره ذلك الحق من ربك وهو الحق من ربك ومثله
مررت برجل كريم زيد اي هو زيد ولو نصب كان جائزا في العربية على تقدير اعلم
الحق من ربك وقوله فلا تكونن من الممترين معناه من الشاكين ذهب اليه ابن زيد والربيع
وغيرهما من المفسرين والامتراء الاستخراج وقيل الاستدرار وكانه قال فلا تكونن من الشاكين
فيما يلزمك استخراج الحق فيه قال الاعشى
يدر على اسوق الممترين ركضا اذا ما السحاب ارجحن
يعني الشاكين في درورها لطول سيرها وقيل المستخرجين ما عندها قال
صاحب العين المري مستحلب ضرع الناقة يمريها بيده لكي تسكن للحلب والريح تمري
السحاب مريا والمرية من ذلك والمرية الشك ومنه الامتراء والتماري والمماراة والمراء
واصل الباب الاستدرار ويقال بالشكر تمترى النعم اي تستدر وقال الحسن والربيع
والجبائي معنى الآية فلا تكونن من الممترين في الحق الذي تقدم اخبار من الله تعالى
به من امر القبلة وعناد من كتم النبوة وامتناعهم من الاجماع على ما قامت به الحجة
وقال بعضهم لا تكونن من الممترين في شيء يلزمك العلم به وهو اولى لانه اعم
والخطاب وان كان متوجها الى النبي فالمراد به الامة كما قال يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء وقال يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وقال قوم ان الخطاب
له لانه انما لا يجوز عليه ذلك للملازمة لامر الله تعالى ولو لم يكن هنا الامر لم يصح ان
يلازم والنون الثقيلة يؤكد بها الامر والنهي ولا يؤكد بها الخبر يدل على كون المخبر به
وليس كذلك الامر والنهي والاستخبار لانه لا يدل على كون المدلول عليه فالزم الخبر التاكيد
بالقسم وما يتبعه من جوابه واختصت هذه الاشياء بنون التاكيد ليدل على اختلاف
المعنى في المؤكد ولما كان الخبر احتمل الحيل اكد بابلغ التاكيد وهو القسم

قوله تعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا
الخيرات اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله
على كل شيء قدير آية بلا خلاف

قرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم مولاها وروى ذلك عن ابن عباس ومحمد بن علي
فجعلا الفعل واقعا عليه والمعنى واحد كذا قال الفراء وفي قوله ولكل وجهة
هو موليها اقوال احدها قال مجاهد والربيع وابن زيد وابن عباس والسدي

ان لكل اهل ملة من اليهود والنصارى الثاني قال الحسن ان لكل نبي وجهة واحدة وهي
الاسلام وان اختلفت الاحكام كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اى في شرايع الانبياء
الثالث قال قتادة هو صلاتهم الى بيت المقدس وصلاتهم الى الكعبة الرابع ان
لكل قوم من المسلمين وجهة من كان منهم وراء الكعبة او قدامها او عن يمينها او عن
شمائلها وهو الذي اختاره الجبائي والوجهة قيل فيه قولان احدهما انه قبلة ذهب
اليه مجاهد وابن زيد الثاني قال الحسن هو ما شرعه الله لهم من الاسلام وفي
وجهة ثلث لغات وجهة ووجهة ووجهة وانما اتم الاية اسم لم يجي على الفعل ومن
قال جهة قال المبرد جاء به على قولهم وجهتي ووجهة ومعنى موليها مستقبلها في
قول مجاهد وغيره كانه قال مول اليها لان ولي اليه نقيض ولي عنه كقولك انصرف
اليه وانصرف عنه وقوله هو عائد على قول اكثر المفسرين الى كل وقال قوم يعود على
اسم الله حكاهما الزجاج والخيرات هي الطاعات لله على قول ابن زيد وغيره وقوله يات
بكم الله جميعا يعني يوم القيامة من حيث ما متم من بلاد الله وهو قول السدي والربيع
وقدير ولكل وجهة مضاف غير منون وذلك لا يجوز لانه يكون الكلام ناقصا لا معنى له ولا
فائدة فيه وقوله استبقوا يحتمل معنيين احدهما بادروا الى ما امرتم به مبادرة من يطلب السبق
اليه والثاني قال الربيع سارعوا الى الخيرات وهو الاولى لانه اعم والاستباق والابتدار
والاسراع نظائر وقال صاحب العين السبق القدم في الجري وفي كل امر تقول له في
هذا الامر سبقة وسابقة وسبق اي سبق الناس اليه والسبق الخطر الذي يوضع بين اهل السباق
وجمعه اسباق والسباقان في رجل الطائر الخارج قيداه من خيط او سير واصل الباب
السبق التقدم في الامر

قوله تعالى

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا
اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ آية

بلا خلاف قيل في تكرار قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام قولان احدهما
انه لما كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التاكيد لينصرف الناس الى الحال الثابتة
بعد الحال الاولى على تبيين والثاني انه مقدم لما ياتي بعده ويتصل به فاشبه

الاسم

الاسم الذي يكرر ليخبر عنه باخبار كثيرة كقولك ربك كريم وربك عالم وربك
حكيم وما اشبه ذلك مما يذكره لتعلق الفائدة به وان كانت في نفسها معلومة
عند السامع ومعنى قوله وانه للحق الدلالة على وجوب المحافظة من حيث كان حقا لله فيه طاعة ومعنى
قوله وما الله بغافل عما تعملون ها هنا التهدد كما تقول الملك لعبده ليس يخفى علي ما انت فيه ومثله قوله
ان ربك لبالمرصاد والوجه الحاجة المخصوصة وقد حده الرماني بانه صفحة فيها محاسن يعرف بها الجملة
وحيث مبنية على الضم لانها كالغاية بتمامها الاضافة الى المفرد دون الجملة بمنزلة الصلة فجرت
لذلك مجرى قوله من قبل ومن بعد قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك

شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره
لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم
فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون آية

بلا خلاف قيل في تكرار قوله ومن حيث خرجت ثلثة اقوال احدها الاختلاف المعنى وان اتفق
اللفظ لان المراد بالاول من حيث خرجت منصرفا عن التوجه الى بيت المقدس فول
وجهك شطر المسجد الحرام واريد بالثاني ان كنت من البلاد فتوجه نحو المسجد الحرام مستقبلا
كنت لظهر الكعبة او وجهها او يمينها او شمالها الثاني لاختلاف المواطن التي يحتاج
الى هذا المعنى فيها الثالث لانها مواضع التوكيد بالنسخ الذي نقلوا فيه من جهة الى
جهة التقرير والتثبيت فان قيل هل في قوله وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره حذف
منه في الصلاة ام هو مدلول عليه من غير حذف قيل هو محذوف لانه اجتزي بدلالة
الحال عن دلالة الكلام ولو لم يكن هناك حال دالة لم يكن بد من ذكر هذا المحذوف
اذا اريد به الافهام لهذا المعنى فاما قوله عليم وحليم فانه يدل على المعلوم
من غير محذوف ومعنى قوله لئلا يكون للناس عليكم حجة ها هنا قيل فيه قولان
احدهما لا تعدلوا عما امركم الله في التوجه الى الكعبة فيكون لهم عليكم حجة
بان تقولوا لو كنتم تعلمون انه من عند الله ما عدلتم عنه الثاني لئلا يكون لاهل الكتاب
عليكم حجة لو جاء على خلاف ما تقدمت به البشارة في الكتب السالفة من ان المؤمنين
سيوجهون الى الكعبة وموضع اللام من لئلا نصب والعامل فيه احد شيئين ولو الثلا
والاخر ما دخل الكلام من معنى عرفتكم ذلك لئلا وهو قول الزجاج وقوله الا الذين

ظلموا منهم فقيل فيه اربعة اقوال احدها انه استثناء منقطع والا بمنزلة لكن كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وكقولك ما له علي حق الا التعدي والظلم كانك قلت لك تتعدى وتظلم وتضع ذلك موضع الحق اللازم وكذلك لكن الذين ظلموا منهم فانهم يتعلقون بالشبهة ويضعونها موضع الحجة فلذلك حسن الاستثناء المنقطع قال النابغة

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ∴ بهن فلول من قراع الكتائب ∴

جعل ذلك عيبهم على طريق البلاغة وان كان ليس بعيب كانه يقول ان كان لهم عيب فهذا وليس هذا بعيب فاذا ليس فيهم عيب فكذا ان كان على المؤمنين حجة فلا ظالم في احتجاجه ولا حجة لهم فليس اذا عليهم حجة القول الثاني ان يكون الحجة بمعنى المحاجة والمجادلة كانه قال لئلا يكون الناس عليكم حجاج الا الذين ظلموا منهم فانهم يحاجونكم بالباطل الثالث ما قاله ابو عبيدة ان الا ههنا بمعنى الواو وكانه قال لئلا يكون للناس عليكم حجة ولا الذين ظلموا منهم وانكر ذلك الفراء والمبرد قال الفراء لا يجيء الا بمعنى الواو الا اذا تقدم استثناء كما قال الشاعر ∴ ما بالمدينة دار غير واحدة ∴ دار الخليفة الا دار مروانا ∴

وانشد الاخفش ∴ وارى لها دارا باغدرة ∴ السيدان لم يدرس لها رسم

الا رمادا هامدا دفعت عنه الرياح خوالد سحم

يعني ارى لها دارا ورمادا وكانه قال في البيت الاول ما بالمدينة دار الا دار الخليفة ودار مروان وخالفه ابو العباس فلم يجز ان يكون الا بمعنى الواو اصلا الرابع قال قطرب يجوز على معنى لئلا يكون للناس عليكم حجة الا على الذين ظلموا وموضع الذين عنده خفض على هذا الوجه بجعله بدلا من الكاف كانه قيل في التقدير لئلا يكون للناس على احد حجة الا الظالم قال الرماني وهذا وجه بعيد لا ينبغي ان يتاول عليه ولا على وجه الذي قاله ابو عبيدة والاختيار القول الاول واثبت الياء في قوله واخشوني ههنا وحذفت فيما عداه لانه الاصل وعليه اجماع ههنا واما الحذف فللاجتزاء بالكسرة من الياء وقوله واخشوني معناه واخشوا عقابي بدلالة الكلام عليه في الحال وانما ذكرهم فقال لا تخشوهم لما ذكرهم بالظلم والاستطالة في الخصومة والمنازعة طيبا بنفوس المؤمنين اى فلا تلتفتوا الى ما يكون منهم فان عاقبة السوء عليهم وقال قتادة والربيع المعنى بالناس ههنا اهل الكتاب وقال غيرهما هو على

العموم

العموم وهو الاولى وقال ابن عباس والربيع وقتادة المعني بقوله الذين ظلموا مشركو مشركوا العرب وقال قوم هو على العموم وهو الاولى وقوله لئلا بترك الهمزة نافع والباقون يهمزون بلين كل همزة مفتوحة قبلها كسرة والحجة في الدلالة وهي البرهان

قوله تعالى كما ارسلنا فيكم
رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا
ويزكيكم ويعلمكم الكتاب و
الحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

آية بلا خلاف التشبيه بقوله كما ارسلنا يحتمل امرين احدهما ان النعمة في امر القبلة كالنعمة بالرسالة لان الله لطف لعباده بها على ما يعلم من المصلحة ومحمود العاقبة الثاني الذكر الذي امر الله به كالنعمة بالرسالة فيما ينبغي ان يكون عليه من المنزلة في العظم والاخلاص لله لعظم النعمة وهو على نحو قوله واحسن كما احسن الله اليك والعرب يقول الجزاء بالجزاء فيسمى الاول باسم الثاني للمقابلة والتشبيه لكل واحد منهما بالاخر وما في قوله كما مصدرية كما قال كارسالنا فيكم ويحتمل ان يكون كافة كما قال الشاعر ∴ اعلاقة ام الوليد بعدما ∴ افنان راسك كالثغام المخلس

لانه يجوز كما زيد محسن اليك فاحسن الى اصحابه والعامل في قوله كما يجوز ان يكون احد امرين احدهما الفعل الذي قبله وهو قوله ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم والقول الثاني الفعل الذي بعده وهو فاذكروني كما ارسلنا والاول احد قولي الفراء والزجاج واختاره الجبائي والثاني قول مجاهد والحسن وابن ابي نجيح واحد قولي الفراء والزجاج واختيار الزجاج وقال الفراء لاذكروني جوابان احدهما كما والاخر اذكركم لانه لما كان يجب عليهم الذكر لتذكرهم الله رحمته ولما سلف من نعمته اشبه من هذا الوجه الجواب لانه يجب الثاني فيه بوجوب الاول وقوله ويزكيكم معناه يعرضكم لما يكونون به ازكياء من الامر بطاعة الله واتباع مرضاته ويحتمل ايضا ان يكون المراد ينسبكم الى انكم ازكياء فشهادته لكم بذلك ليعرفكم الناس به وانما قال الكتاب والحكمة والكتاب هو الحكمة لاختلاف الفائدة في الصفتين وان كان الموصوف واحدا كقولك هو العالم بالامور

الغالب عليها ويحتمل ان يكون اراد بالكتاب القران وبالحكمة الوحي من السنة و
الكاف في قوله فيكم خطاب للعرب على قول جميع اهل التاويل وقوله ويعلمكم معناه يعلمكم
ما لا سبيل لكم الى علمه الا من جهة السمع يذكركم الله بالنعم فيه ويكون التعليم لما عليه دليل من
جهة العقل تابعا للنعم فيه ولا سيما اذا وقع موقع اللطف ومعنى الارسال هو التوجيه
بالرسالة والتحميل لها ليؤديها الى من قصد فالدلالة والرسالة جملة متضمنة من يصل اليه
من قصد بالمخاطبة والتلاوة ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام متسق بالمرتبة والتزكية النسبة الى
الزكى من الافعال الحسنة ليبين بمشو بره ويقال ايضا على معنى التعريض لذلك مما لا يدعى
اليه واللطف فيه والحكمة هي العلم الذى يمكن به الافعال المستقيمة قوله تعالى
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون اية
بلا خلاف الذكر المامور به في الاية والموعود به قيل فيه اربعة اقوال احدها ما قال
سعيد بن جبير اذكروني بطاعتي اذكركم برحمتي الثاني اذكروني بالشكر اذكركم
بالثواب الثالث اذكروني بالدعاء اذكركم بالاجابة الرابع اذكروني بالثناء
بالنعمة اذكركم بالثناء بالطاعة والذكر حضور المعنى للنفس وقد يكون بالقلب وقد يكون
بالقول وكلاهما يحضر به المعنى للنفس وفي اكثر الاستعمال الذكر بعد النسيان وليس
ذلك بموجب الا يكون الا بعد النسيان لان كل من حضره المعنى بالقول او العقل او الخطور
بالبال ذاكر له واصله التنبيه على الشئ فمن ذكرنا شيئا فقد نبهنا عليه واذا ذكرناه
نحن فقد نبهنا عليه ونقيض الذكر النسيان وانه لذكر لك اى شرف لك والفرق
بين الذكر والخاطر ان الخاطر مرور المعنى بالقلب والذكر قد يكون ثابتا في القلب وقد يكون
بالقول وقوله واشكروا لي معناه اشكروا لي نعمتي فحذف لان حقيقة الشكر هو الاعتراف
بالنعمة مع ضرب من التعظيم ولا وقوله تكفرون فيه حذف وتقديره ولا تكفروا نعمتي
لان الكفر هو ستر النعمة وجحده لا ستر المنعم وقولهم حمدت زيدا وذممت عمرا ولا حذف فيه
وان كنت انما تحمد من اجل الفعل الحسن وتذم من اجل الفعل القبيح كما انه ليس في قولك
زيد متحرك حذف وان كان انما تحرك من اجل الحركة وليس كل كلام دال على معنى غيره مذكور
يكون فيه حذف لان قولك زيد ضارب دال على مضروب وليس بمحذوف وكذلك زيد
قاتل دال على مقتول وليس بمحذوف فالحمد للشئ دلالة على انه محسن والذم له دلالة على

انه مبني

انه مبني كقولك نعم الرجل زيد وبئس الرجل عمرو وكذلك قولك زيدا المحسن وعمرو
المسيئ ليس فيه محذوف ويقال شكرتك وشكرت لك وانما قيل شكرت لك لانه اوقع
اسم المنعم موقع النعمة فعدى الفعل بغير واسطة والاجود شكرت لك النعمة لانه
الأصل في الكلام والأكثر في الاستعمال قال الشاعر
هم جمعوا بؤسى ونعمى عليكم فهلا شكرت القوم اذ لم يقاتل
ومثل ذلك نصحتك ونصحت لك وانما حذفت الياء في الفواصل لانها في نية الوقف
وكذلك قال ولا تكفرون بغير ياء وهي في ذلك كالقوافي التي يوقف
عليها بغير ياء كقول الاعشى ومن شانئ كاسف باله اذا ما ذكرت له
انكرن يعني انكرني فحذف الياء قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر و
الصلوة ان الله مع الصابرين
اية واحدة بلا خلاف الصبر هو حبس النفس عما يدعو اليه من الامور والصابر
هو الحابس نفسه عما يدعو اليه مما لا يجوز له وهو صفة مدح ووجه الاستعانة بالصبر
ان في توطين النفس على الامور تسهيلا لها واستشعار الصبر انما هو توطين النفس و
وجه الاستعانة بالصلاة ما فيها من الذكر لله واستشعار الخشوع له وتلاوة القران
وما فيه من الوعظ والتخويف والوعد والوعيد والجنة والنار وما فيه من البيان الذي يوجب
الهدى ويكشف العمى وكل ذلك داع الى طاعة الله وزاجر عن معاصيه فمن هاهنا
كان فيه المعونة على ما فيه المشقة من الطاعة واما الاستعانة فهي الازدياد في القوة
مثل من يريد ان يحمل مائة رطل فلا يتهيا له ذلك فاذا استعان بزيادة قوة فاق ذلك و
كذلك ان عاونه عليه غيره وعلى ذلك السبب والالة لانه بمنزلة الزيادة في القوة وقوله
ان الله مع الصابرين اى معهم بالمعونة والنصرة كما تقول اذا كان السلطان معك فلا
تبال من لقيت وقد يكون مع في الكلام على معنى الاجتماع في المكان وذلك لا
يجوز عليه تعالى وفي الاية دلالة على ان الصلاة فيها لطف لان الله تعالى امرنا بالاستعانة
بها ويوضحه قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولولا هذا النص لجوزنا
ان يكون في غير ذلك والذى يستعان عليه بالصبر والصلوة قيل فيه قولان احدهما طاعة

الله كانه قال استعينوا بهذا الضرب من الطاعة على غيرها فيها والثاني على الجهاد
في سبيل الله لا عدائه وموضع الذين رفع لا يجوز غير ذلك عند جميع النحويين الا
المازني وانما اجاز يا ايها الرجل اقبل والعامل فيه ما يعمل في صفة المنادى عند جميع
النحويين الا الاخفش فانه يجعله صلة للذي كانه قيل يا من هم الذين امنوا الا انه
لا يظهر المحذوف مع اي وانما حمله عليه لزوم البيان له وقال الصلة يلزم والصفة لا تلزم
قال الرماني والوجه عندي ان يكون صفة بمنزلة الصلة في اللزوم وانما لزمت اي ها هنا
في النداء لان الغرض بحرف التنبيه وقع في موضع التنبيه فلزم ولا يجوز ان يقول نعم
الذين في الدار لان نعم انما هو يعمل في الجنس الذي له نكرة اذا اضمر فسرها قوله تعالى

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون

اية بلا خلاف

فان قيل هل الشهداء احياء على الحقيقة ام معناه انهم سيحيون وليسوا احياء قلنا الصحيح
انهم احياء الى ان يقوم الساعة ثم يحييهم الله في الجنة لا خلاف بين اهل العلم فيه الا قولا شاذا
من بعض المتاخرين وهو الاول قول الحسن ومجاهد وقتادة والجبائي وابن الاخشاد والرماني وجميع
المفسرين والقول الثاني حكاه البلخي وقال ان المشركين كانوا يقولون ان اصحاب محمد
يقتلون نفوسهم في الحروب بلا معنى فانزل الله تعالى الاية واعلمهم ان ليس الامر على ما قالوه وانهم
سيحيون يوم القيامة ويثابون ذلك ولم يذكر ذلك غيره وقيل ليس هم امواتا بالضلال
بل هم احياء بالطاعة والهدى كما قال او من كان ميتا فاحييناه فجعل الضلال موتا والهداية
حياة وقيل معناه ليس هم امواتا بانقطاع الذكر عند الله وثبوت الاجر عنده واستدل
ابو علي الجبائي على انهم احياء في الحقيقة بقوله ولكن لا تشعرون فقال لو كان المعنى
سيحيون في الاخرة لم يقل للمومنين المقرين بالبعث والنشور ولكن لا تشعرون لانهم يعلمون
ذلك ويشعرون به فان قيل ولم خص الشهداء بانهم احياء والمومنون كلهم في البرزخ
احياء قيل يجوز ان يكونوا ذكروا اختصاصا تشريفا لهم وقد يكون على جهة التقديم للبشارة
بذكر حالهم ثم البيان لما يختصون به من انهم يرزقون كما قال تعالى بل احياء عند ربهم
يرزقون وانما قيل الجهاد في سبيل الله لانه طريق الى ثواب الله عز وجل والقتل هو نقض
بنية الحياة والموت عند من قال انه معنى عرض يضاد الحياة منافاة للتعاقب ومن قال ليس بمعنى

ويجوز رفعه بانه خبر ابتداء محذوف

بل هم احياء ببقاء الذكر

قال هو عبارة عن فساد بنية الحياة فاما الحياة فهي معنى بلا خلاف وقوله اموات
رفع بانه خبر ابتداء محذوف كانه قال لا تقولوا هم اموات ولا يجوز فيه النصب
على قولك قلت خيرا لان الخبر في موضع المصدر كانه قال قلت قولا حسنا فاما قوله ويقولون
طاعة فيجوز فيه الرفع والنصب في العربية الرفع على منا طاعة والنصب على نطيع طاعة والفرق
بين بل ولكن ان لكن نفي لاحد الشيئين واثبات للاخر كقولك ما قام زيد لكن عمرو وليس
كذلك بل لانها للاضراب عن الاول والاثبات للثاني ولذلك وقعت في الايجاب كقولك قام
زيد بل عمرو فاما اذا تعمد التكلم فانما هو ليدل على ان الثاني احق بالاخبار عنه من
الاول كقولك قام زيد بل عمرو كانه لم يعتد بقيام الاول والشعور هو ابتداء العلم بالشيء
من جهة المشاعر وهي الحواس ولذلك لا يوصف تعالى بانه شاعر ولا انه يشعر وانما يوصف
بانه عالم ويعلم وقد قيل ان الشعور ادراك ما دق للطف الحس ماخوذ من الشعر لدقته
ومنه شاعر لانه يفطن من اقامة الوزن وحسن النظم بالطبع لما لا يفطن له غيره فان قيل
هل تكون عقولهم صحيحة اذا كانوا احياء وكيف يجوز ان يصل اليهم ثوابهم مع نقصان
عقولهم قبل الثواب لم يصل اليهم على كماله وانما يصل اليهم طرف منه ومثلهم في ذلك
مثل النائم على حال جميلة في روضة طيبة يصل اليهم طيب ريحها ولذيذ نسيمها على
نحو ما جاء في الحديث من انه يفسح له مد بصره ويقال له نم نومة العروس فاما الذين
قتلوا في سبيل الله فعلى ما ذكرناه من الاختصاص بالفضيلة فان قيل كيف يجوز ان يكونوا احياء
ونحن نرى جثثهم على ما كانت عليهم في الدنيا قيل ان النعيم والعذاب انما يصل الى الروح وهي الحية
وهي الانسان دون الجثة والجثة كالجبة واللباس لصيانة الارواح ومن زعم ان الانسان
هذه الجملة المعروفة وجعل الجثة جزءا منها فانه يقول تلطف اجزاء من الانسان
يوصل اليه النعيم وان لم يكن الانسان بكماله على نحو ما ذكرنا ان النعيم لا يصل اليه نفسه

قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين

اية واحدة بلا خلاف الخطاب بهذه الاية متوجه الى اصحاب النبي صلى الله عليه
واله على قول عطا والربيع وابي علي والرماني ولو قيل انه لجميع الخلق لكان ايضا

صحيحا لان ذلك جائز في جميعهم والابتلاء في الاصل الطلب لظهور ما عند العادة
على الامرين من خير او شر والابتلاء والاختبار والامتحان بمعنى واحد والابتلاء بهذه
الامور المذكورة في الاية بامور مختلفة والخوف هو انزعاج النفس لما يتوقع من الضرر
وكان ذلك لقصد المشركين لهم بالعداوة والجوع كان لفقرهم وتشاغلهم بالجهاد
في سبيل الله عن المعاش ونقص من الاموال الانقطاع بالجهاد عن العمارة والانفس
بالقتل في الحروب مع رسول الله صلى الله عليه واله والجوع ضد الشبع يقال جاع
يجوع جوعا واجاعه اجاعة وجوعه تجويعا وتجوع تجوعا قال صاحب العين الجوع
اسم جامع للمخمصة والمجاعة عام والنقص نقيض الزيادة قال صاحب العين النقص
هو الخسران في الحظ تقول نقص نقصا وانتقص انتقاصا وتناقص تناقصا ونقصه تنقيصا
واستنقص استنقاصا وتنقص تنقصا والنقصان يكون مصدرا واسما كقولك نقصانه
كذا اي قدر الذاهب ونقص الشئ ونقصته ورجل عليه نقص في عقله ودينه ولا
يقال نقصان والنقيصة الوقيعة في الناس وتنقيصه تناقص حق ذي الرحم وتنقص
تنقصا اذا تناول عرضه واصل الباب نقص الحظ من التمام والمال معروف واموال
العرب انعامهم ورجل مال اي ذو مال ونال اي ذو نوال تقول تمول الرجل
تمولا غيره واصل الباب المال المعروف والثمرة افضل ما تحمل الشجرة ووجه المصلحة في
ذلك هو ما في ذلك من الامور المزعجة الى الاستدلال والنظر في الادلة الدالة على النبوة
وليعلم ايضا انه ليس فيما يصيب الانسان من شدة في الدنيا ما يوجب نقصان منزلة في ذلك
ضروب العين فان قيل اذا كان الله قد فعل الابتلاء هذه الاشياء والمشركون اوقعوها
بالمؤمنين في ذلك ايجاب فعل من فاعلين قلنا لا يجب ذلك لان الذي يفعله الله غير الذي
يفعله المشركون لان علينا ان نرضى بما فعله الله ونسخط ما فعله المشركون وليس يقدرون
على شئ مما ذكر في الاية ولكنهم يقدرون على التعريض لهم بما هو محرم عليهم وقبيح منهم
وفتحت الواو في ولنبلونكم لامرين احدهما للعلة التي فتحت في لنضربنكم وهو انه بني على
الفتحة لانها اخف اذا استحق البناء على الحركة كما استحق يا حكم في النداء البناء على الحركة
والثاني انه فتح لالتقاء الساكنين اذ كان قبل معتلا لا يدخله الرفع وانما قال
بشئ من الخوف ولم يقل باشياء لامرين احدهما لئلا يوهم باشياء من كل واحد فيدل

على ضروب

على ضروب الخوف ويكون الجمع كجمع الاجناس الاختلاف فقدره شئ من كذا وشئ من
كذا واعنى المذكور عن المحذوف والثاني انه وضع الواحد في موضع الجمع للابهام الذي
فيه لمن والابتلاء بما ذكر الابدان يكون فيه لطف في الدين وعوض في مقابلته ولا
يحسن فعل بمجرد العوض على ما يذهب اليه قوم فان قيل الابتلاء بامر القبلة وغيره من
عبادات الشرع هل يجري مجرى الالم عند المصيبة قلنا لا بل الاختلاف ههنا فانه
لا بد ان يكون فيه لطف في الدين وان كان فيه خلاف في الالم لان هذه طاعات
تستحق بها الثواب وبالاخلال بها اذا كانت واجبات يستحق بها العقاب ولا يجري
مجرى الالم المحض والصبر واجب لوجوب العدل الذي لا يجوز عليه الانقلاب في الشرع
اذ الصبر حبس النفس عن القبيح من الامر وقد بينا فيما مضى ابتلاء الله تعالى العالم بالعواقب
وان المراد بذلك انه يعامل معاملة المبتلي لان العدل لا يصح الا على ذلك لانه لو اخذهم
بما يعلم انه يكون منهم قبل ان يفعلوه لكان ظلما وجورا فبين الله تعالى انه يعاملهم بالحق
دون الظلم والوزر على قوله وبشر الصابرين حسن وقال بعضهم لا يحسن وذلك
غلط من حيث كانت صفة مدح وعامل الصفة في المدح غير عامل الموصوف غلط من
حيث وانما وجب ذلك لان الصفة صار صفة مدح وعامل الصفة كصفة تقي كما
قال الله ان الله مع الصابرين والجوع الحاجة الى الغذاء ويختلف مراتبه في القوة والضعف
وقد يقال جوع كاذب لانه يتخيل به الحاجة الى الغذاء لبعض الامور العارضة من غير حقيقة
وقوله وبشر الصابرين فالتبشير في الاصل هو الاخبار بما يسر او يغم مما يتغير له البشرة غير انه كثر
استعماله فيما يسر والصبر المحمود هو حبس النفس عما يقبح من الامر قوله تعالى

الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا
انا لله وانا اليه راجعون الاية

بلا خلاف في قوله انا لله اقرار لله بالعبودية وانا اليه راجعون فيه اقرار بالبعث
والنشور وان مال الامر يصير اليه وانما كانت هذه اللفظة تعبيرا عن المصيبة
لما فيها من الدلالة على ان الله يجيرها ان كانت عدلا وينتقم من فاعلها ان كانت ظلما
وتقديره انا لله تسليما لامره ورضا بتدبيره وانا اليه راجعون ثقة بانا الى
العدل نصير والمصيبة هي المشقة الداخلة على النفس لما يلحقها من مضرة وهي

من الاصابة لانها تصيبها بالبلية ومعنى الرجوع الى الله الرجوع الى انفراده بالحكم كما كان اول مرة لانه قد ملكهم في الدنيا شيئاً من الضر والنفع لم يكونوا يملكونه ثم ترجع الامر الى ما كان اذا زال تمليك العباد واصل الرجوع هو مصير الشيء الى ما كان ولذلك يقال رجعت الدار الى فلان اذا صارت اليه مرة ثانية والرجوع والعود والمصير نظائر وفي الاية معنى الامر لانها مدح عام لكل من كان على تلك الصفة بتلك الخصلة واجاز الكسائي والفراء في انا لله الامالة ولا يجوز ذلك في غير اسم الله في مثل قولك انا لزيد لا يجوز امالته وانما جازت الامالة مع اسم الله لكثرة الاستعمال حتى صارت بمنزلة الكلمة الواحدة وانما لم يجز الامالة في غيره لان الحروف كلها وما جرى مجراها لا يجوز فيها الامالة مثل حتى ولكن وما اشبه ذلك لان الحروف بمنزلة بعض الكلمة من حيث يمتنع فيها التصريف الذي يكون في الاسماء والافعال قوله تعالى

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ

اية بلا خلاف اولئك اشارة الى الصابرين الذين وصفهم في الاية الاولى وقيل في معنى الصلوة ثلثة اقوال احدها انها الدعا كما قال الاعشى ؞ وصلى على دنّها وارتسم اي دعا لها الثاني انها مشتقة من الصلوين وهما مكتنفا ذنب الفرس والناقة فسميت الصلاة في الشرع بذلك لرفع الصلوين في الركوع والسجود الثالث قال الزجاج ان اصلها اللزوم من قوله تصلى نارا حامية اي يلزمها والصلاة من اعظم ما يلزم من العبادات وقال قوم معنى الصلوات ههنا الثناء الجميل وقيل بركات الدعاء والثناء يستحق دائما ففيه معنى اللزوم وكذلك الدعاء يدعى به مرة بعد مرة ففيه معنى اللزوم والمصلي من الخيل الذي يلزم اثر السابق يعني الى الحق الذي به ينال الثواب والسلامة من العقاب والرحمة الانعام على المحتاج وكل احد يحتاج الى نعمة الله والاهتداء الاصابة لطريق الحق وهو الاصابة للطريق المؤدي الى النعيم ومعنى المهتدين

قوله تعالى إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ

اية بلا خلاف قرأ حمزة والكسائي ومن يطوع بالياء وتشديد الطاء والواو وسكون

العين

العين الباقون بالتاء على فعل ماض الصفا في الاصل الحجر الاملس ماخوذ من الصفو قال المبرد الصفا كل حجر لا يخلط غيره من طين او تراب متصل به حتى يصير منه وانما اشتقاقه من صفا يصفو اذا خلص وهو الصافي الذي لا يكدره شيء وقيل واحد الصفا صفاة وقيل هو واحد يجمع اصفاء وصفي واصله من الواو لانك تقول في تثنية صفوان فلذلك لا يجوز فيه الامالة والمروة في الاصل هي الحجارة الصلبة اللينة وقيل الصفاة الصغيرة والمروة في المرو وقيل انه جمع مثل ثمرة وثمر قال ابو ذؤيب حتى كأني للحوادث مروة والمرو نبت والاصل الصلابة والنبت سمي بذلك الصلابة بزرته والنبت والصفا والمروة هما الجبلان المعروفان بالحرم وهما من الشعائر كما قال الله تعالى والشعائر المعالم للاعمال فشعائر الله معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة وهي اعلام متعبدات من موقف او مسعى او منحر وهو ماخوذ من شعرت به اي علمت وكل معلم لعبادة من صلوة او اداء فريضة فهو مشعر لتلك العبادة وواحد الشعائر شعيرة فشعائر الله اعلام متعبداته قال الكميت ابن زيد نقتلهم جيلا فجيلا نراهم شعائر قربان بهم نتقرب والحج قصد البيت بالعمل المشروع من الاحرام والطواف والوقوف بعرفة والسعي بين الصفا والمروة واشتقاقه من الحج الذي هو القصد على وجه التكرار والتردد قال الشاعر وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا يعني يكثرون التردد اليه لسودده قال الاخرج ياموه في قعرها الجحف واما العمرة في الاصل فهي الزيارة وهي هاهنا زيارة البيت بالعمل المشروع من طواف الزيارة والاحرام واخذت العمرة من العمارة لان الزائر للمكان يعمره بزيارته له وقوله فلا جناح عليه فالجناح هو الميل عن الحق واصله من جنح اليه جنوحا اذا مال اليه قال صاحب العين الاجتناح الميل اجتنح هذا فاجتنح اي امله هذا فمال وقوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها اي مالوا اليك للصلح فمل اليهم وجناحا الطائر يداه ويدا الانسان جناحاه وجناح العسكر جانباه وجناحا الوادي مجريان عن يمينه وشماله واجتنحت الابل في السير اذا اسرعت وانما قيل الاضلاع جوانح لاعوجاجها وجنحت السفينة اذا مالت في احد شقيها وكل مائل الى شيء فقد جنح اليه ولا جناح عليكم اي ميل الى ماثم وكل ناحية جناح ومنه جنح من الليل اي قطعة نحو نصفه واصل الباب الميل والطوف الدور حول البيت ومنه الطائف الدائر بالليل والطائفة الجماعة كالحلقة الدائرة بالليل والطائفة الجماعة ويطوف اصله يتطوف فادغمت التاء في الطاء لانها من مخرجها

والطاء اقوى بالجهر منها والفرق بين الطاعة والتطوع ان الطاعة موافقة الارادة في الفرض
والنافلة والتطوع التبرع بالنافلة خاصة واصلها الطوع الذي هو الانقياد وانما قال فلا
جناح عليه ان يطوف بهما وهو طاعة من حيث انه جواب لمن توهم ان فيه جناحا لما كانا   الصنمين
عليه احدهما اساف والاخر نائلة في قول الشعبي وكثير من اهل العلم وروي ذلك عن ابي
جعفر وابي عبد الله وكان ذلك في عمرة القضاء ولم يكن فتح مكة بعد وكانت الاصنام على
حالها حول الكعبة وقال قوم سبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما فكره
المسلمون ذلك خوفا ان يكون من افعال الجاهلية فانزل الله الاية وقال قوم عكس ذلك
ان اهل الجاهلية ~~فانزل الله الاية~~ كانوا يكرهون السعي بينهما فظن قوم ان في الاسلام
مثل ذلك فانزل الله الاية وجايز ان في الاية ردا على جميع من كرهه لاختلاف اسبابه
والطواف بينهما فرض عندنا في الحج والعمرة وبه قال الحسن وعايشة وغيرهما وهو مذهب
الشافعي واصحابه وقال انس بن مالك وعطاء وروي عن ابن عباس انه تطوع وبه قال
ابو حنيفة واصحابه واختاره الجبائي وعندنا ان من ترك طواف بينهما متعمدا فلا حج
له حتى يعود فيسعى وبه قالت عايشة والشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه والثوري ان عاد
فحسن والا جبره بدم وقال عطا ومجاهد كرهه ولا شي عليه وقوله ومن تطوع خيرا قيل
فيه ثلاثة اقوال اولها من تطوع خيرا اي بالحج او العمرة بعد الفريضة الثاني من تطوع
خيرا اي بالطواف بهما عند من قال انه نفل الثالث من تطوع خيرا بعد الفرايض
وهذا هو الاولى لانه اعم وفي الناس من قال وهو الجبائي وغيره ان التقدير
فلا جناح عليه الا يطوف بهما كما قال يبين الله لكم ان تضلوا ومعناه الا تضلوا
وكما قال ان تقولوا يوم القيامة ومعناه الا تقولوا وقال اخرون ان ذلك لا يجوز وهو
اختيار الجبائي الرماني وهو الصحيح لان الحذف يحتاج الى دليل ومعنى القراءتين
واحد لا يختلف ووصف الله تعالى بانه شاكر مجاز لان الشاكر في الاصل هو المظهر
للانعام عليه والله لا يلحقه المنافع والمضار تعالى عن ذلك ومعناه هاهنا المجازي
على الطاعة بالثواب وخرج اللفظ مخرج التلطف حثا على الاحسان اليهم كما قال من
ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا والله لا يستقرض من عوز لكنه تلطف في الاستدعاء
كانه قال من ذا الذي يعمل عمل القرض بان تقدم ليأخذ اضعاف ما قدم في وقت فقره وحاجته

الدلالة وكذلك كانه قال من تطوع خيرا فان الله يعامله معاملة الشاكر بحسن المجازاة و
ايجاب المكافاة والفرق بين التطوع والفرض ان الفرض يستحق بتركه الذم والعقاب
والتطوع لا يستحق بتركه الذم ولا العقاب وروي عن جعفر بن محمد ان ادم نزل على الصفا
وحوا على المروة فسمي المروة باسم المراة قوله تعالى

ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات
والهدى من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون آية

بلا خلاف قيل في المعنى بهذه الاية قولان احدهما قال ابن عباس ومجاهد
والربيع والحسن وقتادة والسدي واختاره الجبائي واكثر اهل العلم انهم اليهود
والنصارى مثل كعب بن اشرف وكعب بن اسيد وابن صوريا وزيد بن التابوه
وغيرهم من علماء النصارى الذين كتموا امر محمد ونبوته وهم يجدونه مكتوبا في
التورية والانجيل مبينا فيهما والثاني ذكره البلخي انه متناول لكل من كتم
ما انزل الله وهو اعم لانه يدخل فيه اولئك وغيرهم وروى عن ابن عباس ان
جماعة من الانصار سالوا نفرا من اليهود عما في التورية فكتموهم اياه فانزل الله
ان الذين يكتمون الاية وانما نزل هذا الوعيد لان الله تعالى علم منهم الكتمان وعموم
الاية يدل على ان كل من كتم شيئا من علوم الدين وفعل مثل فعلهم في الجرم العظيم   او اعظم منه
منه فان الوعيد يلزمه واما كان دون ذلك فلا يعلم بالاية بل بدليل اخر وقد
روي عن النبي عليه السلام انه قال من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيامة
بلجام من نار وقال ابو هريرة لولا اية في كتاب الله ما حدثتكم وتلا ان الذين يكتمون
ما انزل الله الاية فهذا تغليظ للحال في كتمان علوم الدين وكتمان الذي اخفاه
مع الداعي الى اظهاره لانه لا يقال لمن اخفى ما لا يدعو الى اظهاره داع كتم والكتاب
الذي عنى هاهنا قيل التورية وقيل كل كتاب انزله الله وهو اليق بالعموم وقال الزجاج
هو القران واستدل قوم بهذه الاية على وجوب العمل بخبر الواحد من حيث
ان الله تعالى توعد على كتمان ما انزله وقد بينا في اصول الفقه انه لا يمكن الاعتماد
عليه لان غاية ما في ذلك وجوب الاظهار وليس اذا وجب الاظهار وجب القبول

كما ان على الشاهد الواحد يجب اقامة الشهادة وان لم يجب على الحاكم قبول شهادته
حتى ينضم اليه ما يوجب الحكم بشهادته وكذلك يجب على النبي اظهار ما حمله ولا يجب على احد قبوله حتى
يقوم به المعجز الدال على المصدق وكذلك نظائر ذكرناها على ان الله تعالى بين ان الوعيد
انما توجه على من كتم ما هو بينة وهدى وهو الدليل من اين ان خبر الواحد بهذه المنزلة فاذا
لا دلالة في الآية على ما قالوه والبينات والهدى هي الادلة وهما بمعنى واحد وانما
كرر لاختلاف لفظها وقيل انه اراد بالبينات الحجج الدالة على نبوته عليه السلام وبا
لهدى ما تؤديه الى الخلق من الشرايع فعلى هذا لا تكرار واللعن في الاصل الابعاد
على وجه الطرد قال الشماخ ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل
اللعين اراد مقام الذئب اللعين واللعن في الحكم الابعاد من رحمة الله بايجاب
العقوبة فلا يجوز لعن ما لا يستحق العقوبة وقول القائل لعنه الله دعاء كأنه قال ابعده الله
واذا لعن الله عبدا فمعناه الاخبار بانه ابعده من رحمته والمعنى بقوله ويلعنهم اللاعنون
قيل فيه اربعة اقوال احدها قال قتادة والربيع واختاره الجبائي والرماني وغيرهما
انه الملائكة والمؤمنون وهو الصحيح لقوله تعالى في وعيد الكفار اولئك عليهم لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين فلعنة اللاعنين كلعنة الكافرين الثاني قال مجاهد وعكرمة
انها دواب الارض وهوامها تقول منعنا القطر بمعاصي بني آدم الثالث حكاه الفراء انه
كل شيء سوى الثقلين الانس والجن رواه عن ابن عباس الرابع قال ابن مسعود انه اذا
تلاعن الرجلان رجعت اللعنة على المستحق لها فان لم يستحقها واحد منهما رجعت
على اليهود الذين كتموا ما انزل الله فان قيل كيف يجوز على قول من قال المراد به الهوام
اللاعنون وهل يجوز على قياس ذلك الذاهبون قلنا لما اضيف اليها فعل ما يعقل
عوملت معاملة ما يعقل كما قال تعالى والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين
فان قيل كيف يجوز اضافة اللعن الى ما لا يعقل من البهيمة والجماد قيل لامرين
احدهما لما فيه من الآية التي تدعو الى لعن من عمل بمعصية الله والثاني ان يكون
البهائم تقول على جهة الالهام لما فيه من الاعتبار قوله تعالى

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ
أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ آية بلا خلاف

استثنى

استثنى الله تعالى في هذه الآية من جملة الذين يستحقون اللعن من تاب واصلح وبين
واختلفوا في معنى بينوا فقال اكثر المفسرين كقتادة وابن زيد والجبائي والرماني انهم والبلخي
بينوا ما كتموه من البشارة بالنبي عليه السلام وقال بعضهم بين التوبة واصلاح السريرة
بالاظهار لذلك وانما شرط مع التوبة الاصلاح والبيان لئلا يقع الايهام بان التوبة
فيما سلف من الكتمان تكفي في ايجاب الثواب ومعنى قوله اتوب عليهم اقبل توبتهم
والاصل في اتوب افعل التوبة الا انه لما وصل بحرف الاضافة دل على ان معناه اقبل
التوبة وانما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة والقابل لها للترغيب في صفة التوبة اذ
وصف بها القابل لها وهو الله تعالى وذلك من انعام الله على عباده لئلا يتوهم بما فيها
من الدلالة على مفارقة الذنب ان الوصف بها عيب فلذلك جعلت في اعلى صفات
المدح والتوبة هي الندم الذي يقع موقع التنصل من الشيء وذلك مواقعته والعزم على بالتحسر على
ترك معاودته ان امكنت المعاودة واعتبر قوم العزم على المعاودة الى مثله من القبيح وهو الاقوى
لاجماع الامة على سقوط العقاب عندها وما عداها مختلف فيه فان قيل ما الفائدة
في هذه الاخبار وقد علمنا ان العبد متى تاب لا بد ان يتوب الله عليه قلنا اما على مذهبنا
فله فائدة واضحة وهو ان اسقاط العقاب عندها ليس هو واجب عقلا فاذا اخبر بذلك
افادنا ما لم نكن عالمين به ومن خالف في ذلك قال وجه ذلك انه لما كانت توبة مقبولة
وتوبة غير مقبولة صحت الفائدة بالدلالة على ان هذه التوبة مقبولة ومعنى قبول التوبة
حصول الثواب عليها واسقاط العقاب والتواب فيه مبالغة لما كثر من يقبل عندها
واما انه لا بد ان يثيبنا مبتدئا اصلا وقبول التوبة بمعنى اسقاط العقاب عندها غير
واجب عندنا عقلا وانما علم ذلك سمعا تفضلا من الله تعالى علينا وعليه الاجماع
جماع على ذلك وقد بينا في شرح الجمل في الاصول انه لا دلالة عقلية عليه ووصفه
نفسه بالرحيم عقيب قوله التواب دلالة على ان الاسقاط عند التوبة تفضل منه
ورحمة من جهته ومن قال ان الفعل الواجب نعمة اذا كان منعما بسببه كالثواب و
العوض فانه لما كان منعما بالتكليف وبالآلام التي يستحق بها الاعواض جاز ان يقال في
الثواب والعوض انه تفضل وان كانا واجبين فقوله باطل لان ذلك انما قلناه
في الثواب للضرورة وليس هاهنا ضرورة تدعو الى ذلك واصلاح العمل هو اخلاصه

لم من قبح يشوبه والتبيين هو التعريض للعلم الذي يمكن به صحة التمييز وموضع الذين
نصب على انها استثناء من موجب الا حقيقتها الاستثناء ومعنى ذلك الاختصاص بالشئ
دون غيره كقولك جاءني القوم الا زيدا فقد اختصصت زيدا بانه لم يجئ فاذا قلت ما
جاءني الا زيد فقد اختصصت زيدا بانه جاء واذا قلت ما جاءني زيد الا راكبا فقد
اختصصته بهذه الحال دون غيرها من المشي والعدو وغير ذلك ما اشبه ذلك قوله تعالى

ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين ايه بلا خلاف

ان قيل كيف يلعن الكافر كافر مثله وهو الظاهر في قوله والناس اجمعين قيل
عنه ثلثة اجوبه اولها انه يلعنه الناس اجمعون يوم القيمة كما قال تعالى ثم يوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وهو قول ابي العالية الثاني قال السدي
انه لا يمتنع احد من لعن الظالمين فيدخل في ذلك لعن الكافر لانه ظالم الثالث انه اريد
به لعن المؤمنين خصوصا ولم يعتد بغيرهم كما يقال المؤمنون هم الناس وهو قول قتادة
والربيع هذا اذا حمل على ان اللعن في دار الدنيا لان من المعلوم ان اهل ملة لا يلعن
اهل ملته وحكي عن الحسن انه قرء والملائكة رفعا ويكون ذلك على حمله على المعنى
لان المعنى يلعنهم الله والملائكة والناس اجمعون كما يقول عجبت من ضرب زيد
عمرو بالرفع وهذه قراءة شاذة لا يعول عليها لان المعتمد ما عليه الجمهور ولا يجوز
رفع اجمعين وحده ههنا لان هذه اللفظة لا يكون الا تابعة وليس في الكلام مظهر ولا مضمر
يتبعه على ذلك وانما الحمل على المعنى بمنزلة اعادة معنى العامل الاول كانك قلت ويلعنهم
الملائكة والناس اجمعون والكفر ما يستحق به العقاب الدائم عندنا وعند من خالفنا
في دوام عقاب فساق اهل الصلاة انه ما يستحق به العقاب الدائم الكبير ويتعلق به
احكام مخصوصة وسواء كان الكفر في تشبيه الله بخلقه او بجوره في افعاله او الرد على النبي
عليه السلام او ما كان اعظم منه في القبح واللعنة الابعاد من الرحمة على ما بيناه مع ايجاب العقوبة
ويجري ذلك من الناس على وجه الدعاء ومن الله على وجه الحكم وانما قال وماتوا وهم كفار
وكل كافر فهو ملعون في حال كفره وان لم يكن ممن يوافي بالكفر للدلالة على خلودهم

في النار

في النار اذا ماتوا على عشرة وقد دل على ذلك ما بينه في الاية التالية وانما اكد باجمعين لرفع
الاحتمال والابهام قبل ان ينظر في تحقيق الاستدلال ولهذا لم يجز الاخفش رايت احد
الرجلين كليهما واجاز رايتهما كليهما لانك اذا ذكرت الحكم مقرونا بالدليل عليه ازلت
الابهام للفساد واذا ذكرته وحده فقد يتوهم عليك الغلط في المقصد فقولك احد الرجلين
لما ذكرت التثنيه وذكرت احدا كنت بمنزلة من ذكر الحكم والدليل عليه فلما ذكر التثنية
في رايتهما فبمنزلة ذكر الحكم وحده وواحد الناس انسان في المعنى فاما في اللفظ فلا واحد له
وهو كنفر ورهط مما يقال انه اسم الجمع قوله خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب

ولا هم ينظرون ايه بلا خلاف

الهاء في قوله فيها عائدة على اللعنة في قول الزجاج وقال ابو العالية هي عائدة
الى النار ومعنى قوله ولا هم ينظرون على قول ابي العالية دفع الابهام لاعتذار
كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون لئلا يتوهم ان التوبة والانابة هناك ينفع و
الخلود في اللعنة يحتمل امرين احدهما الاستحقاق للعنة بمعنى انه يحق عليهم ابدا و
الثاني في عاقبة اللعنة وهي النار التي لا يفنى وانما قال لا يخفف مع انهم مخلدون
لان التخفيف قد يكون مع الخلود بان يقل مقادير ما يفعل فاراد الله ان يبين انه يقع الخلود
ولم يقع التخفيف وخالدين نصب على الحال من الهاء والميم في عليهم كقولك عليهم المال
صاغرين والعامل فيه الاستقرار في عليهم والخلود اللزوم ابدا او البقا الوجود وقتين
فصاعدا ولذلك لم يجز في صفات الله تعالى خالد وجاز باق ولذلك يقال اخلد الى قوله
اي لزم معنى ما اتى به ومنه قوله ولكنه اخلد الى الارض اي مال اليها ميل اللازم اليها كانه
قيل المخلد فيها والفرق بين الخلود والدوام ان الدوام هو الوجود في الازل ولا يزال فاذا
قيل دام المطر فهو على المبالغة وحقيقته لم يزل من وقت كذا الى وقت كذا والخلود هو اللزوم
ابدا والتخفيف هو النقصان من المقدار الذي له اعتماد والالم العذاب الذي له امتداد
والانظار الامهال قدر ما يقع النظر في الخلاص واصل النظر الطلب بالنظر بالعين للطلب با
لعين وكذلك النظر بالقلب والبدن او بغيرها من الحواس ويقال نظر الثوب اين هو والفرق
بين العذاب والايلام ان الايلام قد يكون بجزء من الالم في الوقت الواحد والعذاب لم
استمرار من الالم في اوقات ومنه العذب لاستمراره في الحلق والعذبة لاستمرارها بالحركة

اي الطلب اين هو

قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم

اية بلا خلاف يوصف تعالى بانه واحد على اربعة اوجه اولها انه ليس بذي ابعاض
ولا يجوز عليه الانقسام الثاني واحد في استحقاق العبادة الثالث واحد لا نظير له ولا شبيه
الرابع واحد في الصفات التي يستحقها لنفسه نحو قديم واحد وقادر لا يعجزه
شيء لا ينقسم عدداً كان او غيره ويجري على وجهين على الحكم وعلى جهة الوصف فالحكم
كقولك الجزء واحد والوصف كقولك انسان واحد ودار واحدة ومعنى اله انه يحق
له العبادة وغلط الرماني فقال هو المستحق للعبادة ولو كان كما قال لما كان
تعالى الهاً فيما لم يزل لانه لم يفعل ما يستحق به العبادة ومعنى ما قلناه انه قادر
على ما اذا فعله استحق به العبادة وقيل معنى اله انه منعم بما يستحق به العبادة وهذا
باطل لما قدمناه ولا يجوز ان يحيا احد من الخلق بالالهية لانه يستحيل ان يقدر احد
سوى الله على ما يستحق به العبادة من خلق الاجسام والقدرة والحياة والشهوة والنفار
وكمال العقل والحواس وغير ذلك فلا يصح الالهية الا له لانه القادر على ما
عددناه فالاية يتصل بما قبلها كاتصال الحسنة بالسيئة لتمحو اثرها وتحذر من
مواقعها لانه لما ذكر الشرك واحكامه اتبع ذلك بذكر التوحيد واحكامه وايضاً لما
بما بعدها كاتصال الحكم بالدلالة على صحته لان ما ذكره في الاية التي بعدها حجة على صحة التوحيد
فان قيل كيف يتصل الوصف بالرحمة بما قبله قلنا لان العبادة تستحق بالنعمة التي هي
في اعلا مرتبة ولذلك بولغ في الصفة بالرحمة لتدل على هذا المعنى وهو في
موضع رفع ولا يجوز النصب فرفعه على البدل من موضع لا مع الاسم كقولك لا رجل
الا زيد كانك قلت ليس لا زيد فيما تريد من المعنى ذا لم يعتد بغيره ولا يجوز
النصب على قولك ما قام احد الا زيد الا ان البدل يدل على ان الاعتماد على الثاني
والمعنى ذلك والنصب يدل على ان الاعتماد في الاخبار انما هو على الاول وقوله
لا اله الا هو اثبات انه تعالى وحده وهو بمنزلة قولك الله ولا اله وحده وانما
كان كذلك لانه القادر على ما يستحق به الالهية ولا يدل على النفي في هذا الخبر
من قبل انه لا يدل على اله موجود ولا معدوم سوى الله لانه نقيض لقول

عالم لا يخفى عليه شيء فكل هذه
الصفات يستحقها وحده
والواحد شيء
١٢

فعله

وما بعدها اتصالها
بما قبلها

من ادعى الهاً مع الله وانما النفي اخبار بعدم شيء كما ان الاثبات اخبار
بوجوده

قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون

اية واحدة قرء نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم وابن عامر الرياح على
الجمع الباقون على التوحيد ولم يختلفوا في توحيد ما ليس فيه الف ولام
لما اخبر الله تعالى الكفار بان الههم اله واحد لا ثاني له قالوا ما الدلالة
على ذلك فقال الله وان في خلق السموات الاية الى اخرها ووجه الدلالة من
الاية ان في خلق السموات والارض يدل على ان لها خالقاً لا يشبهها ولا يشبهه
لانه لا يقدر على خلق الاجسام الا القديم القادر لنفسه الذي ليس بجسم ولا عرض
اذ جميع ذلك محدث ولا بد له من محدث ليس بمحدث لاستحالة التسلسل فاما الليل
والنهار فيدل لان على عالم مدبر من جهة انه فعل محكم واقع متقن واقع على نظام
واحد وترتيب واحد لا يدخل شيئاً من ذلك التفاوت ولا الاختلال واما الفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس فيدل على منعم دبر ذلك لمنافع خلقه ليس من جنس
البشر ولا من قبيل الاجسام لان الاجسام يتعذر عليها فعل ذلك واما الماء الذي
ينزل من السماء فيدل على منعم به يقدر على التصريف فيما يشاء من الامور لا يعجزه
شيء واما احياء الارض بعد موتها فيدل على الانعام بما يحتاج اليه العباد
واحياؤها اخراج النبات منها وانواع الثمار وبث فيها من كل دابة دال على ان
لها صانعاً على مخالفاً لها منعماً بانواع النعم وتصريف الرياح يدل على الاقتدار على
ما لا يمكن العباد ولو حرصوا كل الحرص واجتهدوا كل الاجتهاد لانه اذا هب جنوب

بلا خلاف

جنوب مثلا واجتمع جميع الخلق على ان تقبلوها شما لا او صبا او دبورا لما قدروا
على ذلك ولا تمكنوا عن رده من الجهة التي تجئ منها واما السحاب المسخر فيدل
على انه تمسكه القديم الذي لا شبه له ولا نظير لانه لا يقدر على تسكين
الاجسام الثقال بغير علاقة ولا دعامة الا الله تعالى ولذلك لا يقدر على
تسكين الارض لذلك الا القادر لنفسه فهي يدل على صانع غير مصنوع قديم
لا يشبهه شي قادر كثير لا يعجزه شي حي لا يموت واحد ليس كمثله شي سميع بصير
لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء لان صفات النقص لا يجوز
عليه تعالى ويدل على انه منعم بما لا يقدر غيره على الانعام بمثله وانه يستحق
بذلك العباده دون غيره والخلق هو الاحداث للشي على تقدير من غير احتذاء
على مثال ولذلك لا يجوز اطلاقه الا في صفات الله لانه لا احد جميع افعاله على
ترتيب من غير احتذاء على مثال الا الله تعالى وقد استعمل الخلق بمعنى المخلوق
واختلف اهل العلم فيه اذا كان بمعنى المصدر فقال قوم هو الارادة له وقال الاخرون
انما هو على معنى مقدر كقولك وجود وعدم وحدوث وقدم وهذه الاسماء يدل على
مسمى مقدر للتبيان على المعاني المختلفة والا فالمعنى بها هو الموصوف بالحقيقه وانما جمعت
السماوات ووحدت الارض لانه لما ذكر السماء بانها سبع في قوله ثم استوى الى السما
فسويهن سبع سموات وقوله خلق سبع سموات جمع لئلا يوهم التوحيد معنى الواحده
من هذه السبع وقد دل مع ذلك قوله ومن الارض مثلهن على معنى السبع ولكنه لم يجئ
على جهة الافصاح بالتفصيل في اللفظ ووجه اخر وهو ان الارض لتشاكلها تشبه الجنس
الواحد كالرمل والماء الذي لا يجوز جمعه الا ان يراد الاختلاف وليس يجري
السماوات مجرى الجنس المتفق لانه دبر في كل سماء امرها والتدبير الذي هو جمعها وفي
اشتقاق قوله واختلاف الليل والنهار قولان احدهما من الخلف لان كل واحد منهما يخلف
صاحبه على وجه المعاقبة له والثاني من اختلاف الجنس كاختلاف السواد والبياض لان
احدهما لا يسد مسد الاخر في الادراك والمختلفان ما لا يسد احدهما مسد الاخر فيما يرجع
الى ذاته والنهار اتساع الضيا واصله الاتساع ومنه قول الشاعر
ملكت بها كفي فانهرت فتقها ⁂ يرى قائم من دونها ما وراءها ⁂ اي اوسعت

عالم لا يخفى عليه شي

ويصلح

ويصلح ان يكون من النهر اي جعله كالنهر والنهر اوسع مجاري الما فهو اوسع من الجدول و
الساقيه وانما جمعت الليل ولم يجمع النهار لان النهار بمنزلة المصدر كقولك الضيا
يقع على الكثير والقليل واما الليل فخرجها مخرج الواحدة من الليل على انه قد جاء جمعه على وجه
الشذوذ نهر قال الشاعر ⁂ لولا الثريدان هلكنا بالضمر ⁂ ثريد ليل و
ثريد بالنهر ⁂ والفلك السفن يقع على الواحد والجمع بلفظ واحد ومنه قوله في الفلك
المشحون ومنه واصنع الفلك باعيننا والفلك فلك السماء قال الله تعالى وكل في
فلك يسبحون وكل مستدير فلك والجمع افلاك وقال صاحب العين قيل هو اسم للدوران
خاصة وقيل بل اسم لاطواق سبعة فيها النجوم وفلكت الجارية اذا استدار ثديها و
الفلكة فلكة المغزل معروف وفلكة الجدي وهو قضيب يدار على لسانه لئلا يرضع
واصل الباب الدور فالفلك السفينه لانها تدور بالما اسهل دور وانما
جعل الفلك للواحد والجمع بلفظ واحد لان فعل وفعل يشتركان كثيرا كالعرب والعرب و
العجم والعجم والنحل والنخل ومن قال في اسد اسد قال في فلك فلك يجمع على فعل وانما
انث الفلك اذا اريد به الجمع كقولك السفن التي تجري في البحر قوله وما انزل الله من
السماء يعني من نحو السما عند جميع المفسرين وقال قوم السماء يقع على السحاب
لان كل شي علا فوق شي فهو سماء له فان قيل هل السحاب بخارات تصعد من الارض
قلنا ذلك جائز لا نقطع به ولا مانع ايضا لا مانع من صحته من دليل عقل ولا سمع
والسماء السقف فسما البيت سقفه قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا فالسماء
المعروفة سقف الارض واصل الباب السمو وهو العلو فالسما الطبقة العالية على الطبقة
السافلة والارض الطبقة السافلة يقال ارض البيت وارض الغرفة فهو سماء لما تحته من الطبقه
وارض لما فوقه وقد صار الاسم كالعلم على الارض المعروفة وانما يقع على غيرها
بالاضافة والليل هو الظلام المعاقب للنهار وقد يقال لما لا يصل اليه ضو الشمس
هو الليل وان كان النهار موجودا والبحر هو المجرى الواسع الما الذي يزيد على سعة
النهر والمنفعه هي اللذة او السرور وما ادى اليهما او الى كل واحد منهما والنفع
والخير والحظ نظائر وقد يكون المنفعة بالالام اذا ادت الى لذات فالاحيا فعل
الحيوة وحياة الارض عمارتها بالنبات وموتها خرابها بالجفاف التي يمنع معه النبات

السافلة الا انها صارت غيرها
طبقة العالية على السماء المعروفة
وهي الطبقة التي من اجل السمو
كانت عالية على الطبقة السافلة

والبث التفريق وكل شيء تبثه تفرقه ومنه قوله كالفراش المبثوث ويقول
انبث الجراد في الأرض يقول بثثته سري وابثثته اذا اطلعته عليه والبث ما يجده الرجل
من كرب وغم في نفسه ومنه قوله اشكو بثي وحزني الى الله واصل الباب التفريق
وقال صاحب العين كل شيء مما خلق الله يسمى دابة مما يدب وصار بالعرف اسما
لما تركب ويقولون للبرذون دابة وتصغيرها دويبة ودب النمل يدب دبيبا ودب
الشراب في الانسان دبيبا ودب القوم الى العدو اي مشوا على هينتهم لم يسرعوا و
الدبابة تتخذ في الحروب ثم تدفع في اصل حصن فينقبون جوف الدبابة والدب نوع من
السباع والأنثى دبة والدبر لزوم حال للرجل في فعاله ركب فلان دبر فلان و
اخذ بدبره اي عمل بعمله قوله وتصريف الرياح التصريف والتقليب والتشكيل
نظائر وتصريف الرياح تصرفها من حال الى حال ومن وجه الى وجه وكذلك تصرف
الخيول والسيول والامور وصرف الدهر تقلبه والجمع صروف والصريف اللبن اذا سكنت
رغوته قال بعضهم لا يسمى صريفا حتى ينصرف به عن الزرع والصريف صريف الفحل
بنابه حتى يسمع لذلك صوت وكذلك صريف البكرة وغيرها صارف اذا ارادت الفحل و
الصرف صبغ احمر قال الاصمعي هو الذي يصبغ به الشرك والصرف فضل الدرهم
على الدرهم في الجودة وكذلك بيع الذهب بالفضة ومنه اشتق اسم الصيرفي لتصريفه
احدهما في الآخر والصرف النافلة والعدل الفريضة والصرفة منزل من منازل القمر كوكب
اذا طلع قدام الفجر فهو اول الخريف واذا غاب مع طلوع الفجر فذلك اول الربيع والصرف
للشراب غير ممزوج والصرفان تمر معروف اوزنه اجوده واصل الباب القلب عن الشيء
والسحاب مشتق من السحب وهو جر الشيء على وجه الأرض سحبه سحبا كما يسحب المرء ذيلها
وكما يسحب الريح التراب وسمي السحاب سحابا لانسحابه في السماء وكل منجر منسحب والتسخير
والتذليل والتمهيد نظائر تقول سخر الله لفلان كذا اذا سهله له كما سخر الرياح
لسليمان وسخرت الرجل تسخيرا اذا اضطهدته وكلفته عملا بلا اجرة وهي السخرة وسخر
منه اذا استهزأ به قال الله تعالى فيسخرون منهم سخر الله منهم وقال فاتخذتموهم
سخريا من الاستهزاء وسخريا من تسخير الخول وما اشبههم واصل الباب التسخير التذليل
وقيل في تصريف الرياح قولان احدهما هبوبها شمالا وجنوبا وصبا ودبورا الثاني

بل

قبل مجيئها بالرحمة مرة وبالعذاب اخرى وهو قول قتادة وقوله لقوم يعقلون
فيه قولان احدهما انه عام لمن استدل به ولمن لم يستدل من العقلاء والثاني انه
خاص لمن استدل به كما قال انما انت منذر من يخشيها وكما قال هدى للمتقين
لما كانوا هم الذين اهتدوا بها وخشوا عند مجيئها اضيف اليهم وانما اضيفت الآ
يات الى العقلاء لامرين احدهما لانها منصب لهم والثاني انها لا يصح ان ينتفع
بها سواهم قال ابو زيد قال العيسيون الرياح اربع الشمال والجنوب والصبا والدبور
فاما الشمال فمن عن يمين القبلة والجنوب من عن شمالها والصبا والدبور متقابلان
الدبور من قبل فالصبا من قبل المشرق والمغرب واذا جاءت ريح بين الصبا والشمال فهي النكباء
التي لا يختلف فيها والتي بين الجنوب والصبا فهي الجربياء وروي عن ابن الاعرابي
عن الأصمعي وغيره ان الرياح اربع الجنوب والشمال والصبا والدبور قال ابن الاعرابي
كل ريح بين ريحين فهي نكباء قال الأصمعي اذا انحرفت واحدة منهن فهي نكباء وجمعها
نكب واما مهبهن فان ابن الأعرابي قال مهب الجنوب من مطلع سهيل الى مطلع
الثريا والصبا من مطلع الثريا الى بنات النعش والشمال من بنات نعش الى
مسقط النسر الطائر والدبور من مسقط النسر الطائر الى مطلع سهيل والجنوب
والدبور لما هيف والهيف الريح الحارة والصبا والشمال لا هيف لهما وقال الا
صمعي ما بين سهيل الى طرف بياض الفجر جنوب وما بازائها مما يستقبلها من الغرب
شمال وما جاء من البيت الحرام فهو دبور وما جاء قبالة ذلك فهو صبا ويسمى الصبا
قبولا لانها تستقبل الدبور ويسمى الجنوب الازيب والنعامى ويسمى الشمال محوة ولا
تصرف لانها تمحو السحاب ويسمى الجربياء ويسمى مسعا ونسعا ويسمى الجنوب اللاقح
والشمال حائلا وتسمى [illegible] وتسمى الصبا [illegible] قال الله تعالى
وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهي التي لا تلقح السحاب والذاريات
التي تذرو التراب ذروا ومن قرأ بلفظ الجمع فلان كل واحدة من هذه
الرياح مثل الاخرى في دلالتها على التوحيد وتسخيرها لنفع الناس ومن
وحد اراد به الجنس كما قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم قوله تعالى
ومن الناس من دون الله اندادا يحبونهم من يتخذ

كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى
الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة
لله جميعا وان الله شديد العذاب

انداد واحدة بلا خلاف قرء نافع وابن عامر وابو جعفر من طريق الهرواني ولو ترى بالتا
الباقون باليا وقرء ابو جعفر ويعقوب ان القوة لله وان الله بكسر الهمزة فيهما والباقون
بفتحهما وقرء ابن عامر وحده اذ يرون بضم اليا الباقون بفتحها الانداد الامثال والاشباه
واحدها ند وقيل الاضداد واصل الند المثل المساوي والمراد به هنا قال قتادة والربيع
ومجاهد واكثر المفسرين الهتهم من الاوثان التي كانوا يعبدونها وقال السدي رؤساهم
اللذين يطيعونهم طاعة الارباب من الرجال وقوله يحبونهم فالمحبة هي الارادة الا
انه فيها صدقا وليس ذلك في الارادة فاذا قلت احب زيدا معناه اريد منافعه او مدحه
واذا احب الله تعالى عبدا فمعناه انه يريد ثوابه وتعظيمه واذا قال احب الله معناه
اريد طاعته واتباع اوامره ولا يقال اريد زيدا ولا اريد الله ولا ان الله يريد المؤمن
واعتيد الحذف في المحبة ولم يعتد في الارادة وفي الناس من قال المحبة ليست من جنس الارادة
بل هي من جنس ميل الطبع كما يقولون احب ولدي اي يميل طبعي اليه وذلك مجاز بدلالة انهم
يقولون احببت ان افعل بمعنى اردت ان افعل وضد الحب البغض ويقول احب احبابا
وحببت حبا ويحب محبة وحبب تحبيبا وتحابا تحابا والمحبة الحب والحب واحد حبة
من بر وشعير او عنب او ما اشبه ذلك والحبة بزور البقل وحبة القلب ثمرته والحبب
الجرة الضخمة والحب القرط من حبة واحدة وحباب الماء فقاقيعه والحبات الحبة واحب البعير احبابا
اذا برك فلا يثور كالحران في الخيل قال ابو عبيدة ومنه قوله احببت حب الخير عن ذكر ربي اي
لصقت بالارض لحب الخيل حتى فاتتني الصلاة واصل الباب الحب ضد البغض وقوله
كحب الله قيل في هذه الاضافة ثلثة اقوال احدها كحبكم الله الثاني كحبهم الله الثالث
كحب الله الواجب عليهم لا الواقع منهم كما قال الشاعر ❊ ولست مسلما ما دمت حيا ❊
على زيد بتسليم الامير ❊ اي مثل تسليم الامير فان قيل كيف يحب المشرك الذي
لا يعرف الله شيئا كمحبة الله قلنا من قال ان الكفار يعرفون الله قال كحبه الله
ومن قال هم لا يعرفون الله على ما يقوله اصحاب الموافاة قال معناه كحب المؤمنين الله

صعابه فقاقعه
وفي نسخه فقاقيعه

او كحب الواجب عليهم وقوله والذين امنوا اشد حبا لله قيل في معناه قولان احدهما
اشد حبا لله الاخلاص له من الاشراك بالله والثاني لانهم عبدوا من يملك الضر
والنفع والثواب والعقاب فهم اشد حبا لله بذلك ممن عبد الاوثان ويجوز
فتح ان من ثلثة اعلم اوجه وكسره من ثلثة اوجه مع القراءة باليا اولها يجوز فتحها
بايقاع الفعل عليها بمعنى المصدر وتقديره ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب
قوة الله وشدة عذابه الثاني ان يفتح على حذف اللام كقولك لان القوة
لله الثالث على تقديره ليروا العذاب ان القوة لله على الاتصال بما حذف
من الجواب والاول من الكسر على الاستيناف الثاني على الحكاية مما حذف من الجواب
كانه قيل لقالوا ان القوة لله جميعا الثالث على الاتصال بما حذف من الحال كقولك
يقولون ان القوة لله ومن قرا بالتاء يجوز ايضا في الفتح ثلثة اوجه وفي الكسر ثلاثة
اوجه اول الفتح على البدل كقولك ولو ترى الذين ظلموا ان القوة لله جميعا
اي تعلم وهو معنى قول الفراء الثاني لان القوة لله الثالث كرايت ان القوة لله
قال ابو علي الفارسي من قرء بالتاء لا يجوز ان تنصب ان الا بالفعل المحذوف
في الجواب واما البدل فلا يجوز لانها ليست الذين ظلموا ولا بعضهم ولا مشتملا عليهم هذا
ان جعل الرؤية من رؤية البصر وان جعلها من رؤية القلب فلا يجوز ايضا لان المفعول
الثاني في هذا الباب هو الاول في المعنى وقوله ان القوة لله لا يكون للذين
ظلموا فلم يبق بعد ذلك الا انه ينتصب بفعل محذوف والكسر مع التاء كالكسر
مع اليا واختار الفراء مع اليا الفتح ومع التاء الكسر لان الرؤية قد وقعت على الذين
وجواب لو محذوف كانه قيل لرأوا مضرة اتخاذهم الانداد ولرأوا امرا عظيما لا يحصر بالاوهام
وحذف الجواب يدل على المبالغة كقولك لو رايت السياط تاخذ فلانا و
الضمير في قوله يتخذ عائد على لفظ من وفي قوله يحبونهم على معنى من لان من يبهم
فترة يحمل الكلام منها على اللفظ واخرى على المعنى كما قال ومن يقنت منكن لله
ورسوله ويعمل صالحا بالتاء والياء حملا لمن على اللفظ والمعنى واتصلت الاية
بما قبلها اتصال انكار كانه قال ابعد هذا البيان والادلة القاهرة على
وحدانيته يتخذون الانداد من دون الله ومن قرء قوله ولو ترى بالتاء جعل

الخطاب للنبي عليه السلام والمراد به غيره كما قال يا ايها النبي اذا طلقتم النسا والذين
على هذا في موضع نصب ومن قرء بالياء يكون الذين في موضع رفع بانهم الفاعلون وقوله
جميعا نصب على الحال الكائنة وقيل ان القوة لله ثابتة في حال اجتماعها وهي صفة
مبالغة بمعنى اذا راوا مقدورات الله فيما تقدم الوعيد به علموا ان الله قادر لا يعجزه
شيء والشدة قوة العقد وهو ضد الرخاوة والقوة والقدرة واحد وترى في
قوله ولو ترى من رؤية العين بدلالة انها تعدت الى مفعول واحد لان التقدير يرون
ان القوة لله جميعا اي ولو يرى الكفار ذلك ومن قرء بالتاء يقوي انها المتعدية
لمفعول واحد ويدل على ذلك ايضا قوله اذ يرون العذاب في قوله واذا را الذين ظلموا
العذاب فلا يخفف عنهم فيتعدى الى مفعول واحد ويدل على ذلك قوله فيهما فان قيل كيف قال
ولو يرى الذين ظلموا وهو امر مستقبل واذ لما مضى قيل انما جاء على لفظ المضي لارادة التقريب
في ذلك كما جاء وما امر الساعة الا كلمح البصر وان الساعة لقريب وعلى هذا جاء في
هذه المعنى امثلة الماضي كقوله ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة هذا ذكره
ابو علي الفارسي قال وعلى هذا المعنى جاء في مواضع كثيرة في القران
كقوله ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ولو ترى اذ وقفوا على النار ولو ترى اذ الظالمون
موقوفون عند ربهم ولو ترى اذ فزعوا ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة
كذلك هذه الاية قوله تعالى

اذ تبرء الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب

اي بخلاف العامل في اذ قوله وان الله شديد العذاب اذ تبرء الذين كانوا قبل وقت
تبرا والتبري التباعد للعداوة واذا قيل تبرا الله من المشركين معناه باعدهم للعداوة
عن منازل من يجب له الاكرام والتنزيل والتفصي نظائر وفصل التبري التولي والاتباع
طلب الاتفاق في مكان او مقال او فعال فاذا قيل اتبعه ليلحقه فمعناه ليتفق
معه في المكان واذا اتبعه في مذهبه او في سيرة او غير ذلك من الاحوال فمعناه
طلب الاتفاق واتبعوا ضمت الالف فيه لضمة الثالث وضمه الثالث لما لم يسم
فاعله لانه انما يضم اول المتحرك من الفعل فيما بني عليه والف الوصل لا يعتد به
لانه وصلة الى المتكلم بالساكن فاذا اتصل بمتحرك استغني عنه والمعنى بقوله

اتبعوا

فلا فوت

من الذين اتبعوا

والتبرؤ في اصل اللغة

١٧٤

اتبعوا رؤساء الضلال من الانس والجن وقيل من الجميع والاول قول قتاده والربيع
وعطا والثاني قول السدي وقوله وتقطعت بهم الاسباب فالتقطع والتباعد
بعد اتصال والسبب الوصلة الى المتعدى مما يصلح من الطلب ومعنى الاسباب
ههنا قيل فيه ثلاثة اقوال احدها قال مجاهد وقتاده والربيع وفي رواية
ابن عباس هي الوصلات التي كانوا يتواصلون عليها الثاني روي عن ابن
عباس والارحام التي كانوا يتقاطعون بها الثالث قال ابن زيد الاعمال التي
كانوا يوصلونها وقال الجبائي تقطعت بهم الاسباب النجاة والسبب الحبل و[illegible]
ما يتسبب به من رحم او يد او دين ومنه قوله فليرتقوا في الاسباب يقول العرب
اذا كان الرجل ذا دين ارتقا في الاسباب والسبب الشتم والسب القطع والسب
الشقة البيضا من الثياب وهي السبيبة ومضت سبة من الدهر اي ملاوة
والسب الوتد والسبابة ما بين الوسطى والابهام والتسبب التوصل الى ما هو منقطع
عنك ويقال تسبب يتسبب تسببا واستبوا استبابا وسبب تسبيبا وابتبوا
استبابا وسب تسبيبا وسابه مسابة قوله تعالى

وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرء
منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم
الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار اية

بلا خلاف المعنى بقوله وقال الذين اتبعوا هم الذين تبرء منهم ساداتهم الذين
اتبعوهم لو ان لنا كرة يعني رجعة الى دار الدنيا قال الاخطل

ولقد عطفن على فزارة عطفة ... كر المنيح وجلن ثم مجالا

والعامل في لو ان محذوف كانه قال لو صح ان لنا كرة لان لو في التمني وغيره
تطلب وان سبب قد رد لو ثبت ان لنا كرة والكر نقيض الفر يقول كر يكر كرا وكرة
وتكرر تكرارا والكرة والفرة متقابلان والكر والرجع والفتل نظائر في اللغة
قال صاحب العين الكر الرجوع عن الشيء ومنه التكرار والكر الحبل الغليظ وقيل
الشديد الفتل والكرير صوت في الحلق والكر نهر والكرة سرقين وتراب يدق بخلابه
الدروع وقوله فنتبرء منهم فالتبرؤ والانفصال واحد وتبرا من مرضه اذا انفصل

وقال قوم هم من الجن

انها

منه بالعافية ومنه برا من الدين براه وبرا الله الخلق وانتصب فتبرء على انه جواب التمني
بالفاء كانه قال لو كان لنا كرة فنتبرء وكلما عطف الفعل على المصدر وتاويل
نصب باضمار ان ولا يجوز اظهارها وقوله كذلك يريهم الله اعمالهم وقع التشبيه
كانه قال كتبرء بعضهم من بعض يريهم الله اعمالهم حسرات وذلك لانقطاع
الرجا من كل واحد منهما وقيل ايضاً كما اراهم العذاب يريهم اعمالهم حسرات
عليهم وذلك لانهم ايقنوا بالهلاك في كل واحد منهما والعامل في الكاف يريهم
والاعمال التي يرونها حسرات قيل فيه ثلاثة اقوال احدها المعاصي يتحيرون عليها اعلموها
الثاني الطاعات يتحيرون عليها لم لم يعملوها وكيف ضيعوها ومثله زينا لهم اعمالهم
فهم يعمهون اي اعمالهم التي فرضنا ها عليهم او ندبناهم اليها وروي عن ابي جعفر
عليه السلام انه قال هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه خيراً فيرثه من يعمل فيه عملاً صالحاً
فيرى الاول ما كسبه حسرة في ميزان غيره فان قيل لو جاز ان يضاف الاعمال التي دعوا فيها ولم
يفعلوها بانها اعمالهم جاز ان يقال الجنة دارهم وحور العين ازواجهم لانهم
عرضوا لها قلنا لا يجب ذلك لانا انما حملنا على ذلك للضرورة ولو سمى الله تعالى الجنة بانها
دارهم لنا ولنا ذلك لكن كم يثبت ذلك فلا يقاس على غيره الثالث الثواب فان الله
تعالى يريهم مقادير الثواب التي عرضهم لها لو فعلوا الطاعات فيتحسرون عليه لم فرطوا
فيه والقول الاول قول الربيع وابن زيد واختيار الجبائي واحد قولي البلخي والثاني
قول عبد الله والسدي قولي البلخي وهو كما يقول الانسان اقبل على عملك واحد
واذا عقدت على عملك اثلث حسدت عملك والذي قولنا ان الكلام يحتمل الامرين فلا ينبغي ان
يقطع على واحد منهما الا بدليل الا ان الاول اقوى لانه الحقيقة والله اعلم بمراده
والحسرات جمع الحسرة وهي اشد الندامة والفرق بينها وبين الارادة ان الحسرة تتعلق با
لماضي خاصة والارادة تتعلق بالمستقبل لان الحسرة انما هي على ما فات بوقوعه او بنقضه
وقته وانما حركت السين لانه اسم على فعلة وسطه ليس من حروف العلة ولو
كان صفة لقلت صعبات فلم يحرك وكذلك جونات وبيضات وانما حرك ما يقبل
الاسم لانه على خلاف الجمع السالم اذ كان انما يستحقه والحيرة والندامة نظائر وهي نقيض
الغبطة ويقول حسرت العمامة عن راسي اذا كشفتها وحسر عن ذراعه حسراً والحسير المحسور

حسرة

وحسره يحسره حسراً وتحسر تحسيراً والحاسر في الحرب الذي لا درع عليه ولا مغفر
وحسر يحسر وحسر او حسرة اذا كلّ على الشيء الغائب وتلهف عليه وحسرت الناقة
حسوراً اذا اعيت وحسر البصر اذا كلّ عن النظر والمحسرة المكنسة والطير يحسر اذا خرج
من ريشه العتيق الى الحديث واصل الباب الحسر الكشف وفي الاية دلالة على انه
كان فيهم قدرة على البراءة منهم لانهم لو لم يكونوا قادرين لم يجز ان يتحسروا
على ما فات كما لا يتحسر الانسان لم لم يصعد السماء ولا من كونه في الارض قوله
تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالاً
طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه
لكم عدو مبين آية
بلا خلاف قرا نافع وابو عمرو وابو بكر الا البرجمي الا ابن فرح والزينبي الا الولي خطوات ٢ وحمزة وخلف
بسكون الطاء حيث وقع الباقون بضمها الاكل هو البلع عن مضغ وبلع الحصا ٣ والبزي
ليس باكل في الحقيقة وكذلك بلع الذهب وما اشبهه من لؤلؤ وغيره مما لا يقع
عليه اسم المضغ فليس باكل في الحقيقة وقد قيل النعام ياكل الجمر فاجروه مجرى فلان
ياكل الطعام ويقال مضغه ولم ياكله والحلال ههنا هو الجائز من افعال العباد ماخوذ من
انه طلق لم يعقد بحظر والمباح هو الحلال بعينه وليس كل حسن حلالاً لان افعاله تعالى حسنة
ولا يقال انها حلال اذ الحلال الاطلاق في الفعل لمن يجوز عليه المنع ويقول حل حلالاً
وحل يحل حلولاً وحل العقد يحله حلاً واحله احلالاً وحل العقد يحله حلاً وكل جائز مدة اذ بيته
فقد حللته وحل بالمكان اذا نزل به وحل الدين محلاً واحل من احرامه وحل والحل
الحلال ومن قرء يحل معناه ينزل ومن قرء يحل معناه يجب وحلت عليه العقوبة
اي وجبت والحلان الجدي الذي يشق عن بطن امه وتحلة اليمين ومنه قول الشاعر
محاسب وقعهن الارض تحليل اي هين والحليل والحليلة الزوج
والمرأة سميا بذلك لانهما يحلان في محل واحد موضع والحلة ازار ورداء وبرد وغيره لا يقال
حلة حتى يكون ثوبين والاحليل مخرج اللبن من طبي الفرس وخلف الناقة وغيرهما وهو
مخرج البول من الذكر واصل الباب الحل نقيض العقد ومنه احل من احرامه لانه حل عقد
الاحرام بالخروج منه وتحلة اليمين اخذ اقل القليل لان عقدة اليمين تحل به والطيب هو

من ثناء ينقص

الخالص من شائب ينقص وهو على ثلثة اقسام الطيب المستلذ والطيب الجائز والطيب الطاهر كقوله
فتيمموا صعيدا طيبا اى طاهرا والاصل واحد وهو المستلذ الا انه وصف به
الطاهر والجائز فسببها ان ما يزجر عنه العقل او الشرع كالذى يتكرهه النفس فى التصرف
عنه وما يدعوا اليه بخلاف ذلك ويقول طاب طيبا واستطاب استطابة وطاسه مطا
وتطيب تطيبا وطيبه تطيبا والطيب الحلال والطيب النظيف والطهور من الطيب
واصل الباب الطيب خلاف الخبث والخطوة بعد ما بين قدمي الماشي والخطوة المرة من
الخطو وهو نقل قدم الماشي وتقول خطوت خطوة واحدة والاسم الخطوة وجمعها خطى
وقوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تقتفوا اثاره ولا تقتدوا به واصل الباب الخطو
نقل القدم قدما والعدو المباعد عن الخير الى الشر والولي بنقيضه وانما قال حلالا طيبا
فجمع الوصفين لاختلاف الفائدتين اذ وصفه بانه حلال يفيد بانه طلق ووصفه بانه
طيب يفيد انه مستلذ اما فى الاجل او العاجل وخطوات الشيطان هيهنا قيل فيه خمسة
اقوال فقال ابن عباس اعماله وقال مجاهد وقتادة خطاياه وقال السدي طاعتكم اياه
وقال الخليل اثاره وقال قوم هي النذور فى المعاصي وقال الجبائي ما يتخطى بكم اليه بالامر
والترغيب وروى ان هذه الاية نزلت على ما حرموا اهل الجاهلية من ثقيف وخزاعة وبني مدلج من
الانعام والحرث البحيرة والسائبة والوصيلة فنهى الله تعالى عما كانوا يفعلونه فامر المؤمنين
بخلافه والاذن فى الحلال يدل على حظر الحرام على اختلاف ضروبه وانواعه فحملها على العموم
اولى والماكل والمنافع فى الاصل للناس فيها ثلاثة اقوال فقال قوم هي على الحظر وقال
آخرون هي على الاباحة وقال قوم هي على الوقف وحكى الرماني ان فيهم من قال بعضها
على الحظر وبعضها على الاباحة وقد بينا ما عندنا فى ذلك فى اصول الفقه الا ان
هذه الاية دالة على اباحة الماكل الا ما دل دليل على حظره وقوله انه عدو مبين
فى وصف الشيطان معناه انه مظهر العداوة بما يدعوا اليه من خلاف الطاعة انه
التي فيها النجاة من الهلكة والفوز بالجنة قوله تعالى

انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون

اية واحدة بلا خلاف الامر من الشيطان هو دعاؤه الى الفعل واما الامر فى اللغة
فهو قول القائل لمن هو دونه افعل واذا كان فوقه سمى ذلك دعاء ومسئلة وهل

يقتضي

يقتضي الامر الايجاب او الندب ذكرناه فى اصول الفقه فلا نطول بذكره هاهنا
والسوء كل فعل قبيح يزجر عنه العقل او الشرع ويسمى ما تنفر عنه النفس سوء يقول ساءنى
كذا يسوءنى سوءا وقيل انما سمي القبيح سوءا لسوء عاقبته لانه ما تلذذ به فى العاجل ولا
يخلوا المكلف من الزجر عن القبيح اما عقلا او شرعا ولو خلا منه لكان مغرى بالقبيح وذلك
لا يجوز والسوء فى الاية قيل فيه قولان احدهما قال السدي هو المعاصي وقال غيره ما يسوء الفاعل
يعني ما يضره والمعنى قريب من الاول والاول هو الصحيح والفحشاء هو العظيم القبح فى الفعل
وكذلك الفاحشة وقيل المراد الزنا من المحجور عن السدي والفحشاء مصدر فحش فحشا وفحشاء كقولك
ضره ضرا وضراء وشره شرا والفحشاء والفاحشة والقبيحة والسيئة نظائر ونقيضها الحسنة تقول فحش
فحشا وافحش افحاشا وتفاحش تفاحشا وفحش تفحيشا واستفحش استفحاشا وكل من تجاوز قدره فهو
فاحش وافحش الرجل اذا قال فحشا وكل شيء لم يكن موافقا للحق فهو فاحشة قال الله تعالى الا ان
يأتين بفاحشة مبينة يعني بذلك خروجها من بيتها بغير اذن زوجها المطلق لها وقال تعالى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي والقول كلام له عبارة ينبئ عن الحكاية وذلك ككلام زيد يمكن
ان ياتي عمرو بعبارة عنه ينبئ عن الحكاية له فيقول قال زيد كذا وكذا فيكون قوله قال زيد
يؤذن انه يجيء بعده كلام وليس كل الكلام اذا قال تكلم زيد لانه لا يؤذن بالحكاية والعلم ما اقتضى سكون
النفس وقيل هو تبيين الشيء على ما هو به للمدرك له فان قيل كيف يامرنا الشيطان ونحن
لا نراه ولا نسمع كلامه قلنا لما كان الواحد منا من يجد نفسه معنى الامر بما يجد من الدعاء
الى المعصية والمنازعة الى الخطيئة وكان ما نجده من نفوسنا من الدعاء والاغواء انما هو بامر
الشيطان الذى دلنا الله عليه وحذرنا منه صح اخبار الله بذلك فان قيل اذا كان الله
عز وجل يوصل معنى امره لنا الى نفوسنا فما وجه ذلك فى الحكمة وهو لو امر من غير ايصال
معنى الامر لم يكن فى ذلك مضرة قلنا فى ذلك اكثر النعم لان التكليف لا يصح الا مع
منازعة الى الشيء المنهي عنه وكان ذلك من قبل عدو نحذره اولى من ان يكون المنازعة
من قبل ولي نستنصحه وفى ذلك المصلحة لنا بالتعريض الثواب الذى يستحق بالخلاف
له والطاعة لله تعالى كما ان فى خلقه مصلحة من هذا الجهة واذا كان انما فهمنا ذلك بالتجربة
فهو كتعليم شيء بالجد لنعلم حلها وفى الاية دلالة على بطلان قول من قال ان المعارف ضرورة لانها
لو كانت ضرورة لما جاز ان يدعوهم الى خلافها كما لا يدعون الى خلاف ما هم مضطرون

من ان السماء فوقهم والارض تحتهم وما جرى مجراه مما يعلم ضرورة لان الدعاء الى ذلك
يجرى مجرى الدعاء الى خلق الاجسام وبعث الاموات مما لا يدخل تحت مقدورة القدرة
وقد استدل نفاة القياس والقول بالاجتهاد بهذه الآية بان قالوا القول بالاجتهاد والقياس
قول بغير علم وقد نهى الله عن ذلك فيجب ان يكون ذلك محظورا ومذهبنا وان كان المنع من
القول بالاجتهاد فليس في هذه الآية دلالة على ذلك لان للخصم ان يقول اذا دلني الله تعالى
على العمل بالاجتهاد ولا اعمل انا به الا بالعلم ويجرى ذلك مجرى وجوب العمل عند شهادة الشاهدين
والعمل بقول المقومين في اروش الجنايات وقيم المتلفات وجهات القبلة وغير ذلك من
الاشياء الذى هى واقعة على الظن فالظن شرط والعمل واقف على الدليل الموجب للعمل عنده
فلا يكون في الآية دلالة على ذلك وقد بيّنا ما يعتمد في بطلان القول بالاجتهاد والرأى
في اصول الفقه فلا وجه لذكره هاهنا قوله تعالى

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ
آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ

آية واحدة بلا خلاف القيناه وصادفنا ووجدنا بمعنى واحد والأب والوالد بمعنى
واحد قوله أولو هي واو العطف دخلت عليها حرف الاستفهام والمراد به التوبيخ والتقريع
فهى الف التوبيخ ومثل هذه الواو اثم اذا ما وقع امنتم او لم يسيروا في الارض وانما
جعلت الف الاستفهام للتوبيخ لانه يقتضى ما الاقرار به فضيحة عليه كما يقتضى الا
ستفهام الاخبار بما يحتاجون اليه والمعنى انهم يقولون هذا القول وان كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون والفرق بين دخول الواو وسقوطها في مثل
هذا الكلام انك اذا قلت اتتبعه ولو ضرك فمعناه اتتبعه على كل حال ولا ضرك فليس
كذلك اذا قال اتتبعه لا ضرك لان هذا خاص والاول عام وانما دخلت الواو لهذا المعنى
ومعنى قوله لا يعقلون شيئا ولا يهتدون يحتمل شيئين احدهما لا يعقلون شيئا من الدين
ولا يهتدون اليه والثانى على الشتم والذم كما يقال للاعمى اذا كان لا يبصر
الطريق الحق على الذم هنا قول البلخى والاول قول الجبائى وفى الآية دلالة على

بطلان

بطلان قول اصحاب المعارف لانها دلت على انهم كانوا على ضلال في الاعتقاد والضمير في قوله لهم
قيل فيه ثلاثة اقوال احدها انه يعود على من في قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
والثانى انه يعود على الناس من يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فعدل عن المخاطبة الى
الغيبة كما قال تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة الثالث انه يعود على الكفار
اذ جرى ذكرهم ويصلح ان يعود اليهم وان لم يجر ذكرهم لان الضمير يعود على المعلوم كما يعود
على المذكور قال ابن عباس ان النبى صلى الله عليه واله دعا اليهود من اهل الكتاب الى
الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا فهم كانوا اعلم وخيرا منا فانزل الله عز وجل
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الآية والفينا في الآية معناه وجدنا في قول قتادة كما
قال الشاعر فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا استجيب له والاتباع
طلب الاتفاق في المقال او الفعال اما في المقال فاذا دعا الى شئ واما في الفعال فاذا فعل
شيئا فعلت مثله والعقل مجموع علوم بها يتمكن من الاستدلال بالشاهد على الغائب وقال
قوم هو قوة في النفس يمكن بها ذلك والاهتداء الاصابة لطريق الحق بالعلم وفى الآية حجة
عليهم من حيث انه اذا جاز لهم ان يتبعوا اباءهم فيما لا يدرون احق هو ام باطل فلم
لا يجوز اتباعهم مع العلم بانهم مبطلون وهذا في غاية البطلان وفيها دلالة على فساد
التقليد لان الله تعالى ذمهم على تقليد اباءهم ووبخهم على ذلك ولو جاز التقليد لم يتوجه
اليهم توبيخ ولا لوم والامر بخلافه قوله تعالى

وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي
يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ
نِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ آية بلا خلاف

التشبيه في هذه الآية يحتمل ثلثة اوجه من التاويل احدها وهو احسنها
واقربها الى الفهم واكثرها في باب الفائدة ما قاله اكثر المفسرين كابن
عباس والحسن ومجاهد وقتادة والربيع واختاره الزجاج والفراء والطبرى
والجبائى والرمانى وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام ان مثل الذين كفروا
في دعائك اياهم كمثل الذي ينعق بالمنعوق به من البهائم التى لا تفهم كالابل والبقر والغنم لانها لا تعقل

استجيب له

اياهم كمثل الذى ينعق بالنائى
في دعائه

ما يقال لها وانما تسمع الصوت والحذف في مثل هذا احسن كقولك لمن هو سيئ
الفهم انت كالحمار وزيد كالاسد اي في الشجاعة لان المعنى في احد الشيئين
اظهر فيشبه به الاخر ليظهر ظهوره وهذا باب حسن في البيان الثاني حكاه
البلخي وغيره ان مثل الذين كفروا في دعائهم الهتهم من الاوثان كمثل
الناعق في دعائه ما لا يسمع بتعال وما جرى مجراه من الكلام وذلك ان البهائم
لا تفهم الكلام واذا سمعت النداء والدعاء واقصى احوال الاصنام ان يكون كالبهائم
في انها لا تفهم الكلام فاذا كان لا يشكل عليهم ان من دعا البهائم بما ذكرناه جاهل فهم في دعائهم
الحجارة اولى بالجهل وصفة الذم الثالث قال ابن زيد ان مثل الذين كفروا في دعائهم
الهتهم من الاوثان كمثل الناعق في دعائه ما لا يسمع بتعال وما جرى مجراه من الكلام
وذلك ان البهائم لا يفهم الكلام واذا سمعت النداء الصدا في الجبل وما اشبهه لانه
لا يسمع منه الا دعاء ونداء لانه اذا قال ما سمع زيد من الصدى يا زيد فيخيل اليه ان مجيبا اجابه
وليس هناك شيء فتقول يا زيد وليس فيه فائدة وكذلك يخيل الى المشركين ان
دعاهم الاصنام يستجاب وليس ذلك حقيقة ولا فيه فائدة وانما رجحنا الوجه الاول
لما بينا من حسن الكلام ولانه مطابق للسبب الذي قيل انها نزلت في اليهود فانهم لم يكونوا يعبدون
الاصنام ولا يليق بهم الوجه الثاني فاذا ثبت ذلك ففيه ثلثة اوجه من الحذف
اولها ومثل الذين كفروا في دعائهم كمثل الناعق في دعائه للانعام الثالث مثل
وعظ الذين كفروا كمثل نعق الناعق بما لا يسمع وهذا من باب حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه كقول الشاعر ؛ لقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ؛ على وعل في ذي
المطارة عاقل ؛ والتقدير على مخافة وعل فان قيل كيف قوبل الذين كفروا وهم
المنعوق به بالناعق ولا يقابل المنعوق بالمنعوق في ترتيب الكلام او الناعق بالناعق
قيل الدلالة على تضمن الكلام تشبيه الشيء بالشيء الداعي الايمان المدعو من الكفار
بالداعي الى المراد المدعو من الانعام فلما اريد الايجاز اتى بما يدل على ذلك فاتى
في الاول ذكر المدعو وفي الثاني ذكر الداعي ولا ترتيب على ما قال السائل لبطل
هذا المعنى وزعم ابو عبيدة والفراء ان العرب تجري مجراه القلوب التي موضع فيه
كلمة مكان كانه وضع الناعق موضع المنعوق به والشد كانت فريضه

المنعوق به والثاني مثل الذين كفروا في دعائهم للاوثان كمثل الناعق في دعائه

ما تقول

ما تقول كما ؛ كان الزنا فريضة الرجم ؛ والمعنى كما كان الرجم فريضة الزنا وكما يقال
ادخلت القلنسوة في راسي وانما هو ادخلت القلنسوة راسي قال الشاعر
؛ ان سراجا لكريم مفخره ؛ تحلى به العين اذا ما تجهره ؛
والمعنى تحلى بالعين فجعله تحلى به العين والاقوى ان يكون الامر على ما
بيناه من المعنى الذي دعا الى الخلاف في الحذف ليدل بما ابقى على ما القى قال
صاحب العين نعق الراعي بالغنم ينعق نعيقا اذا صاح بها زجرا ونعق الغراب نعاقا
ونعيقا والناعقان كوكبان من كواكب الجوزاء رجلها اليسرى ومنكبها الايمن و
هو الذي يسمى الهنعة وهما اضوأ الكوكبين في الجوزاء واصل الباب الصياح
والنداء مصدر نادى مناداة ونداء وتنادوا تناديا وندى تندية وتندى تنديا
والنداء والدعاء والسؤال نظائر قال صاحب العين الندى له وجوه في المعنى
ندى الماء وندى الخير وندى الشر وندى الصوت وندى الحضر فاما ندى الماء
فمنه ندى المطر اصابه ندى من طل ويوم ند وارض ندية والمصدر منه الندوة
والندى ما اصابه من البلل وندى الخير هو المعروف تقول اندى علينا فلان
ندى كثيرا وان يده لندية بالمعروف وندى الصوت بعد مذهبه وصحة
جرمه واسبق الندى في الصوت من الندى ناداه اي دعاه بارفع صوته من الندو
والاجتماع في النادي وهو المجلس ندا القوم يندون ندوا اذا اجتمعوا ومنه دار
الندوة فاصل الباب الندى البلل وندى الجود كندى الغيث ومعنى صم
بكم عمي فهم لا يعقلون اي صم عن استماع الحجة بكم عن التكلم بها عمي عن
الابصار لها وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي والاعمى من في بصره افة
تمنعه من الرؤية والاصم من كان في اله سمعه افة تمنعه من السمع والابكم من كان
في لسانه افة تمنعه من الكلام وقيل انه يولد كذلك والخرس قد يكون
لعرض يتجدد واجاز الفراء النصب في صم على الذم والاجود الرفع على ما عليه القراء
وتقديره هم صم وفيها دلالة على بطلان قول من زعم انهم لا يستطيعون سمعا
على الحقيقة لانه لا خلاف انه لم يكونوا صما لا يسمعون الاصوات وانما هو كما قال
الشاعر ؛ اصم عما ساءه سميع ؛ وفيها دلالة على بطلان قول من قال ان المعرفة

ضروره لانهم لو كانوا عالمين ضروره لما استحقوا هذه الصفة وقال عطا نزلت هذه الآية في اليهود ومعنى ينعق يصوت قال الاخطل ∴ فانعق فضانك فاحر برفانما منيتك نفسك في الخلا ضلالا ∴ والدعاء طلب الفعل من المدعو والاولى ان يعتبر فيه الرتبة وهو ان يكون فوق الداعي والسمع ادراك الصوت والمثل قول سائر يدل على ان سبيل الثاني سبيل الاول قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا لله ان
كنتم اياه تعبدون آية

بلا خلاف هذا الخطاب متوجه الى جميع المؤمنين والمؤمن هو المصدق بما وجب عليه و يدخل فيه الفساق بافعال الجوارح وغيرها لان الايمان لا ينفي الفسق عندنا وعند المعتزلة ان الخطاب لمجتنبي الكبائر وانما يدخل فيه الفساق على طريق التبع والتغليب كما تغلب المذكر على المؤنث في قولك الاماء والعبيد جاؤني وقد بينا فيما تقدم ان افعال الجوارح لا يسمى ايمانا عند اكثر المرجئة واكثر اصحابنا وان بعضهم يسمي ذلك ايمانا لما روي عن الرضا عليه السلام والايمان ماخوذ من امان العقاب عند من قال انه متناول لمجتنبي الكبائر وعند الاخرين من امان الخطاء في الاعتقاد الواجب عليه وفي المخالفين من يجعل الطاعات الواجب والنوافل من الايمان ومنهم من يجعل الواجبات فقط ايمانا ويسمي النوافل ايمانا مجازا وقوله كلوا ظاهره ظاهر الامر والمراد به الاباحة والتخيير لان الاكل ليس بواجب فالاية متى اراد الاكل فلا يجوز ان ياكل الا من الحلال الطيب ومتى كان الوقت وقت الحاجة فانه محمول على ظاهره في باب الامر سواء قلنا انه يقتضي الايجاب او الندب وفي الاية دلالة على النهي عن اكل الخبيث في قول البلخي وغيره كانه قيل كلوا من الطيب دون الخبيث كما لو قال كلوا من الحلال لكان ذلك دالا على حظر الحرام وهذا صحيح فيما له ضد قبيح مفهوم واما غير ذلك فلا يدل على قبح ضده لان قول القائل كل من مال زيد لا يدل على ان المراد تحريم ما عداه لانه قد يكون الغرض المراد البيان لهذا خاصة والاخر موقوف على بيان اخر وليس كل ما ضده قبيح لانه قد يكون من البيان قبح ضده والطيبات قد بينا معناها فيما تقدم وان المراد بذلك الخالص من شائب ينغص وان كان لا يخلو شي من شائب لكنه لا يعتد به في الوصف بانه حلال

طب واصله في الطعام ما يقتضيه الحاذ وصفه بانه لبن طيب والرزق للانبياء فيما مضى انه ما للحي الانتفاع به على وجه لا يكون لاحد منعه منه وقوله واشكروا لله والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم ويكون ذلك على وجهين احدهما الاعتراف بالنعمة متى ذكرها المنعم عليه بالاعتقاد لها الثاني الطاعة بحسب جلالة النعمة فالاول لازم على كل حال من احوال الذكر والثاني انما يلزم في الحال التي يحتاج فيها الى القيام بالحق واقتضى ذكر الشكر ههنا ما تقدم ذكره من الانعام في جعل الطيب من الرزق للانتفاع و استدفاع المضار وذكر الشرط ههنا انما هو على وجه المظاهرة في الحجاج ولما فيه من حسن البيان بعد ان يكون ذلك شرطا في وجود الشكر وتلخيص الكلام ان كانت العبادة لله واجبة بانه الهكم فالشكر له واجب عليكم بانه محسن اليكم واما العبادة فهي ضرب من الشكر الا انها غاية وليس فيها شكر ويقترن به ضرب من الخضوع ولا يستحق العبادة الا الله لانها تستحق باصول النعم من الحياة والقدرة والشهوة والنفار وانواع المنافع وبقدر من النفع الذي لا يوازنه نعمة منعم فلذلك اختص الله تعالى باستحقاقها

عليكم

قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير
الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم
عليه ان الله غفور رحيم آية

بلا خلاف قرء نافع وابن عامر وابن كثير والكسائي بضم النون في فمن اضطر الباقون بكسرها لفظة انما تفيد اثبات الشي ونفي ما سواه كقول الشاعر ∴

∴ وانما يدافع عن احسابهم انا او مثلي ∴ ومعناه لا يدافع عنهم وغير من هو مثلي وهو قول الزجاج والفراء والرماني والطبري واكثر اهل التاويل وانما كانت لاثبات الشي ونفي ما سواه من قبل انها لما كانت ان للتوكيد ثم ضم اليها ما للتوكيد ايضا اكدت هي من جهة التحقيق للشي واكدت ما من جهة نفي ما عداه فكانك اذا قلت اني بشر فالمعنى انا بشر على الحقيقة فاذا قلت انما انا بشر فقد ضممت الى هذا القول ما انا الا بشر وتقدير قوله انما حرم عليكم الميتة ولو كانت ما بمعنى الذي لكتبت مفصولة ومثله قوله

انما الله اله واحد اى لا اله الا واحد ومثله انما انت منذر اى لا منذر الا انت ومثله
انما ضربت اخاك اى لا اخاك فاذا ثبت ذلك فلا يجوز فى الميتة الا النصب لان ما كافة ماصرنت
ومعناها تحريم الميتة وتحليل المذكى ولو كانت ما بمعنى الذى لكان يجوز فى الميتة
الرفع والفرق بين الميت والميّت قيل فيه قولان احدهما قال ابو عمرو ما كان قد مات
فهو بالتخفيف مثل تخرج الحى من الميّت وما لم يمت فهو بالتثقيل كقوله انك ميّت وانهم
ميّتون ووجه ذلك ان التثقيل لما كان هو الاصل كان اقوى على التصريف بمعنى الحال
والمستقبل وقال القوم المعنى واحد وانما التخفيف لاستثقال الياء على الكسر قال الشاعر
ليس من مات فاستراح بميت ✤ انما الميت ميت الاحياء
فجمع بين اللغتين قوله وما اهل به لغير الله قيل فى معناه قولان احدهما قال الربيع و
ابن زيد وغيرهما من اهل التاويل معناه ذكر غير اسم الله عليه والثانى قال قتاده
ومجاهد وما ذبح لغير الله والاهلال على الذبيحة هو رفع الصوت بالتسمية وكان
المشركون هو رفع الصوت يسمون الاوثان والمسلمون يسمون الله ويقال انهل المطر
انهلالا وهو شدة انصبابه وتهلل السحاب ببرقه اى تلالا وتهلل وجهه اى تلالا
وتهلل الرجل فرحا والهلال غرة القمر لرفع الناس اصواتهم عند رؤيته بالتكبير
والمحرم يهل بالاحرام ويهل الرجل تكبيرا اذا نظر الى الهلال وهلل البعير تهليلا اذا تقوس
كتقوس الهلال وسمى به الذكر لان الهلال ذكر وتوتهل اى رقيق تشبيها بالهلال فى
رقته والتهليل الفزع واستهل الصبى اذا بكى حين يولد والهلال الحية الذكر لانه يتقوس
فمن اضطر من كسر النون فلالتقاء الساكنين ومن ضمها اتبع الضم فى الطاء وقرا
ابو جعفر بكسر الطاء والاضطرار كل فعل لا يمكن المفعول به الامتناع منه وذلك
كالجوع الذى يحدث للانسان ولا يمكنه الامتناع منه والفرق بينه وبين الاضطرار والالجاء ان الالجاء
يتوفر معه الدواعى الى الفعل من جهة الضرر والنفع وليس كذلك الاضطرار واكثر المفسرين على
ان المراد فى الاية ضرورة المجاعة وقال مجاهد ضرورة اكراه والاولى ان يكون محمولا
على العموم الا ما خصه الدليل ولحم الخنزير قال صاحب العين يقال رجل لحم اذا
كان اكولا للحم وبيت لحم يكثر فيه اللحم والحمت القوم اذا قتلتهم وصاروا لحما والملحمة
الحرب ذات القتل الشديد واستلحم الطريق اذا اتسع واللحمة قرابة النسب واللحمة ما تسدى

١٨٠

به بين السدين من الثوب واللحام ما تلحم به صدع ذهب او فضة او حديد حتى
يلتحم ويلتئم وكل شى كان فيه ساسائم ملائم فقد التحم وشجر ملتحم اذا بلغ التحم
واصل الباب اللزوم فمنه اللحم للزوم بعضه بعضا وقوله غير باغ ولا عاد قيل
فيه معناه ثلثه اقوال اولها غير باغ اللذة ولا عاد سد الجوعة وهو قول الحسن
وقتاده ومجاهد والربيع وابن زيد والثانى ما حكاه الزجاج غير باغ فى الافراط
ولا عاد فى التقصير الثالث غير باغ على امام المسلمين ولا عاد فى المعصية طريق المحقين
وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وهو المروى عن ابى جعفر وابى عبد الله عليهما السلام
قال الرمانى هذا القول لا يسوغ لانه تعالى لم يبح لاحد قتل نفسه بل حظر عليه ذلك والتعريض للقتل قتل فى حكم
الدين ولان الرخصة انما كانت لاجل المجاعة المتلفة لا لاجل الخروج فى طاعة الا باحة وفعل
وهذا الذى ذكره غير صحيح لان من بغى على امام عادل فادى ذلك الى تلفه فهو
المعرض نفسه للقتل كما لو قتل فى المعركة فانه المهلك لها فلا يجوز لذلك استباحة
ما حرم الله كما لا يجوز له ان يستبقى نفسه بقتل غيره من المسلمين وما قاله من ان
الرخصة لمكان المجاعة لا يسلم اطلاقه بل يقال انما ذلك لمجاعة الذى لم يكن هو
المعرض نفسه لها فاما اذا عرض نفسه لها فلا يجوز استباحة المحرم كما قلناه فى قتل
نفس الغير ليدفع عن نفسه القتل واصل البغى الطلب من قولهم بغى الرجل حاجته
يبغيها بغى كما قال الشاعر ✤ لا يمنعنك من بغاء الخير تعقاد
التمائم ✤ ان الاشائم كالايامن والايامن كالاشائم ✤ والبغاء طلب
الزنا وانما اقتضى ذلك المغفرة ههنا احد الامرين احدهما النهى عما كانوا
عليه من تحريم ما لم يحرمه الله من السائبة والوصيلة والحام فوعد بالمغفرة
عند التوبة والانابة الى طاعة الله فيما اباحه او حظره الثانى اذا كان يغفر المعصية
فهو لا ياخذ بما جعل فيه الرخصة ولا يجوز ان يقع فى موقع الغير الا لانها بمعنى
البغى ههنا ولذلك عطف عليها بلا لانها فى موضع لا واما الا فمعناها فى الاصل
الاختصاص لبعض من كل وليس ههنا كل يصلح ان يخص منه وغير باغ منصوب على
الحال وتقديره لا باغيا ولا عاديا والقدر المباح من الميتة عند الضرورة ما يمسك الرمق فيه
فقط عندنا وفيه خلاف ذكرناه فى خلاف الفقهاء ✤ قوله تعالى

ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا اولئك
ما ياكلون فى بطونهم الا النار
ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا
يزكيهم ولهم عذاب اليم

اية بلا خلاف المعنى بهذه الاية اهل الكتاب باجماع المفسرين الا
انها متوجهة على قول كثير منهم الى جماعة قليلة منهم وهم علماؤهم الذين
يجوز على مثلهم كتمان ما علموه فاما الجمع الكثير الذين لا يجوز على مثلهم ذلك لاختلاف
دواعيهم فلا يجوز والذى كتموه قيل فيه قولان قال اكثر المفسرين انهم كتموا امر النبي
عليهم السلام فان حرفوه عن وجهته فى التاويل وهذا اذا حمل على الجماعة والكبيرة
وان حمل على القليلة منهم يجوز ان يكونوا كتموا نفس التنزيل ايضا والثاني
قال الحسن كتموا الاحكام واخذ والرشا على الاحكام والكتاب على القول الاول
هو التورية وعلى الثاني يجوز ان يحمل على القران وساير الكتب قوله ويشترون
به ثمنا قليلا ليس المراد بانهم اذا اشتروا به ثمنا كثيرا كان جائزا وانما القصد
ان كل ما ياخذونه فى مقابلته من حطام الدنيا فهو قليل كما قال ويقتلون النفس
بغير حق وكما قال قوم يدعو مع الله الها اخر لا برهان له به وانما اراد ان قتل النفس لا
يكون الا بغير حق وان من ادعى مع الله الها اخر لا يقوم له عليه برهان وكما قال الشاعر

على لاحب لا يهتدى بمناره ⁘ والمعنى لا لاحب هنا ليهتدى به لانه لو
كان لا تهتدى به وقوله ما ياكلون فى بطونهم الا النار معناه على قول الربيع والحسن و
الجبائي واكثر المفسرين الاجر الذين اخذوه على الكتمان سمي بذلك لانه يؤديهم الى
النار وكما قال فى اكل مال اليتيم ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وقال بعضهم انهم
ياكلون فى جهنم النار جزاء على تلك الاعمال والاول احسن فان قيل اذا كان الاكل
لا يكون الا فى البطن فما معنى قوله فى بطونهم قلنا عنه جوابان احدهما ان العرب يقول
جعت فى غير بطني وشبعت فى غير بطني اذا جاع من يجرى جوعه مجرى جوع نفسه فذكر
ذلك لان له التلبس والثاني انه لما استعمل المجاز بالاجراء على الرشوة اسم النار حقق

بذكر البطن

بذكر البطن ليدل على ان النار يدخل اجوافهم والبطن خلاف الظهر والبطن الغامض
من الارض والبطن من العرب دون القبيلة وعرفت هذا الامر ظاهره وباطنه
اى سره وعلانيته ورجل بطين عظيم البطن ومبطن خميص البطن وفلان بطانته
دون اخوانى اى الذى ابطنه امرى واستبطنت امر فلان اذا وقفت على دخلته
ويقال فى المثل البطنة تذهب الفطنة وبطن الشئ بطونا اذا غمض والبطان حزام
الرجل والبطين نجم وهو بطن الحمل واصل الباب البطون خلاف الظهور
وقوله ولا يكلمهم الله قيل فى معناه قولان احدهما لا يكلمهم بما يحبون
وانما هو دليل الغضب عليهم وليس فيه دليل على انه لا يكلمهم بما يسوءهم لانه قد
دل فى موضع اخر فقال فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وقالوا
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها ولا تكلمون وهذا قول
الحسن وواصل وابو على الجبائي الثاني لا يكلمهم اصلا فيحمل ايات الشاملة على
ان الملئكة تسائلهم بامر الله وتناول قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون على ان الحال
دالة على ذلك وانما دل معنى الكلام على الغضب على الوجه الاول من حيث ان الكلام
وضع فى الاصل للفائدة فلما انتفى على جهة الحرمان للفائدة دل على الغضب
ولا يدخل فى ذلك الكلام للغم والايلام وقوله ولا يزكيهم معناه لا يثنى
عليهم ولا يصفهم بانهم ازكياء ويحتمل ان يكون المراد لا يقبل اعمالهم تقبل اعمال الازكياء
والاشتراء هو الاستبدال بالثمن العوض فلما كان هولاء استبدلوا بدينهم الثمن
القليل قيل فيهم انهم اشتروا به ثمنا قليلا والثمن هو العوض من العين والورق
والغلة هو نقصان المقدار عن مقدار غيره لانه لا يقال هو قليل بالاضافة
الى ما هو اكثر منه وكثير بالاضافة الى ما هو اقل منه والكلام ما انتظم
من حرفين فصاعدا من هذه الحروف المعقولة اذا وقع ممن يصح منه او من قبيله الافادة
وقال الرماني الكلام ما كان من الحروف دالا بتاليفه على معنى قال واصله من الاثار
وهي كالعلامات الدالة والكلم الجراح وما ذكرناه اولى لان هذا ينتقض بالمهمل
من الكلام فانه لا يفيد وهو كلام حقيقة قوله تعالى ⁘
اولئك الذين اشتروا الضلالة

بالهدى فما اصبرهم والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم
على النار آية بلا خلاف

معنى اشتروا الضلالة بالهدى استبدلوا الا ان اصل الشراء الاستبدال وليس
يقع في مثله اشكال فاما قولهم استبدل بالجارية غيرها فلا يجوز ان يقال
بدلا منه اشترى لانه يلتبس والضلالة التي اشتروه بالهدى كفرهم
بالنبي عليه السلام وجحدهم لنبوته لما استبدلوا بالايمان به وهم
وان لم يقصدوا ان يضلوا بدلا من ان يهتدوا فقد قصدوا الكفر بالنبي عليه السلام
بدلا من الايمان به وذلك ضلال بدلا من الهدى فقد قصدوا الضلال بدلا من الهدى
وان لم يقصدوه من وجه انه ضلال ولا يجوز ان يقول قصدوا ان يضلوا لانه يوهم
انهم قصدوه من هذا الوجه كما يبني علموا انهم يضلون غير انهم علموه من هذا الوجه
ويجوز قصدوا الضلال وعلموا الضلال لانه لا ينبئ عن الوجه وانما علموه وقصدوه
من وجه اخر وهو جحدهم بمحمد صلى الله عليه واله بدلا من التصديق به وقوله
فما اصبرهم على النار الفاء معناها معنى الجواب لان الكلام المتقدم قد تضمن
معنى من كان بهذه الصفة فما اصبره على النار فهو مثل المعاملة بالمعنى
الذي يتضمنه حتى كانه قد لفظ به والتعجب لا يجوز على القديم تعالى لانه عالم
بجميع الاشياء لا يخفى عليه شيء والتعجب يكون مما لا يعرف سببه وانما الغرض
بالاية ان يدلنا على ان الكفار حلوا محل من يتعجب منه فهو تعجب لنا منهم وقد
قيل في معنى ما في قوله فما اصبرهم على النار قولان احدهما قال قتادة ومجاهد
انها للتعجب الثاني قال ابن عباس وابن جريج وابن زيد والسدي انها الاستفهام وقيل
في معنى اصبرهم اربعة اقوال احدها ما اجراهم على النار ذهب اليه الحسن وقتادة
والثاني قال مجاهد ما اعملهم باعمال اهل النار وهو المروي عن ابي عبد الله ع
الثالث حكاه الزجاج ما ابقاهم على النار كما يقول ما اصبره على الحبس الرابع
ذكره الفراء ما صبرهم على النار اي حبسهم عليها وقال الكسائي هو استفهام
على وجه التعجب قال ابو العباس المبرد هذا حسن كانه توبيخ لهم وتعجب لنا
مثل قولك للذي وقع في هلكة ما اضطرك الى هذا اذا كان غنيا عن التعرض

للوقوع

للوقوع في مثلها يقال اصبرت السبع والرجل ونحوه اذا نصبته لما يكره وقال الحطيئة
قلت لها اصبرها دائبا ... وبحل امثال طريف قليل
معناها الزمها واضطرها فاما التعجب فمثل قولهم قتل الانسان ما اكفره
اي قد حل محل ما يتعجب منه وقيل ما اصبرك على كذا بمعنى ما اجراك قال ابو عبيدة
هي لغة يمنية واشتق اصبر بمعنى اجرا من الصبر الذي هو حبس النفس لان بالجراة
يصبر على الشدة فاما القول الاخر فحبسوا انفسهم على عمل اهل النار بدوامهم
عليه وانها لهم فيه وحكى الكسائي عن قاضي اليمن عن بعض العرب قال لخصمه ما
اصبرك على الله اي ما اصبرك على عذاب الله قوله تعالى

ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين
اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد آية بلا خلاف

ذلك رفع بالابتداء او بانه خبر الابتداء وهو اشارة الى احد ثلثة اشياء اولها
قال الحسن ذلك الحكم بالنار الثاني ذلك العذاب الثالث ذلك الضلال و
في تقدير خبره ثلثة اقوال قال الزجاج ذلك الامر او الامر ذلك فحذف
لدلالة ما تقدم عليه من الامر بالحق فكانه قال ذلك الحق واستغنى عن ذكر الحق
لتقدم ذكره في الكلام الثاني ذلك معلوم بان الله نزل الكتاب بالحق فقد
تقدم ذكر ما هو معلوم بالتنزيل فحذف لدلالة الكلام عليه الثالث ذلك
العذاب لهم بان الله نزل الكتاب بالحق وكفروا به فيكون الباء في موضع
الجر ويحتمل ان يكون رفعا على ما بينا ويحتمل ان يكون نصبا على فعلنا ذلك
لان في الكلام ما يدل على فعلنا ومعنى الكتاب ههنا قيل انه التورية وقال
الجبائي انه القران وغيره وهو اعم فائدة وقال بعضهم ان المراد بالاول
التورية وبالثاني القران ومعنى الاختلاف ههنا يحتمل امرين احدهما قول الكفار
في القران ومنهم من قال هو كلام السحرة ومنهم من قال كلام علمه ومنهم من قال
كلام يتقوله الثاني اختلاف اليهود والنصارى في التاويل والتنزيل من التورية
والانجيل لانهم حرفوا الكتاب وكتموا صفة النبي صلى الله عليه واله وجحدوا

اليهود الانجيل والقرآن قوله لفي شقاق بعيد قولان احدهما بعيد عن الالفة
بالاجماع على الصواب الثاني بعيد من الشقاق لشهادة كل واحد على صاحبه
بالضلال وكلاهما قد عدل عن السداد ومن ذهب الى ان المعنى ذلك العذاب
بان الله نزل الكتاب بالحق فدر وكفروا به وجعله مخرقا ومن ذهب ان المعنى ذلك
الحكم لا لان الله نزل الكتاب بالحق لم يجعله مخرقا والمعنى الذين اختلفوا على قول
السدي اليهود والنصارى وقال غيره هم جميع الكفار من عبدة الاوثان وغيرهم
من اهل الكتاب الضلال وهو الاولى لانه اعم وانما كسرت ان الثانية لالحاق اللام الخبر
وهي لام الابتداء فاخرت الى الخبر وكسرت معها ان لا انها للاستيناف ايضا فاما
ان المفتوحة فاسم يعمل فيه عوامل الاعراب كما يعمل في الاسماء وانما كسرت ان في قوله
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام لا للحاق اللام ولكن
لاحول الله لا على جملة مستانفة في التقدير كانه قيل الا هم ياكلون الطعام
ولو قلت ما ظننت الا انك لخارج لكسرت لاجل اللام والاختلاف الذهاب على جهة
التفرق في الجهات واصله من اختلاف الطريق تقول اختلفا الطريق فجاء هذا
من هاهنا وجاء ذا من هنا ثم قيل في الاختلاف في المذاهب تشبيها
بالاختلاف في الطريق من حيث ان كل واحد منهم على نقيض ما عليه الاخر
من الاعتقاد فاما اختلاف الاجناس فهو ما لا يسد واحد منهما مسد
الاخر فيما يرجع الى ذاته كالسواد والبياض وغيرهما والشقاق الحياد كل واحد
عن شق صاحبه للعداوة له وهو طلب كل واحد منهما على ما يشق على الاخر لاجل
العداوة والمشاقة مثله قوله تعالى

ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق و
المغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر
والملئكة والكتاب والنبيين واتى
المال على حبه ذوي القربى و
اليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفي الرقاب واقام

الصلوة

١٨٣

الصلوة واتى الزكوة والموفون
بعهدهم اذا عاهدوا وال
الصابرين في الباساء والضراء
وحين الباس اولئك الذين صدقوا
واولئك هم المتقون ١١

اية واحدة بلا خلاف قرء حفص الا هبيرة وحمزة ليس البر بنصب الراء الباقون
برفعها وقرء نافع وابن عامر ولكن البر بتخفيف النون ورفع الراء وقيل ان
هذه الاية نزلت لما حولت القبلة الى الكعبة وكثر الخوض في نسخ تلك الفريضة صار كانه
لا يراعى بطاعة الله الا التوجه للصلاة فانزل الله هذه الاية وبين فيها
ان البر ما ذكره فيها ودل على ان الصلاة انما يحتاج اليها لما
فيها من المصلحة الدينية وانه انما يامر بها في علمه انها تدعو الى الصلاح
ويصرف عن الفساد فان ذلك يختلف بحسب الازمان والاوقات وقوله ليس البر قيل
فيه قولان احدهما ذكره ابن عباس ومجاهد انه ليس البر كله في التوجه الى الصلوة بل حتى يضاف
الى ذلك غيره من الطاعات التي امر الله بها والثاني قال ذكره قتادة والربيع واختاره الجبائي
انه ليس البر ما عليه النصارى من التوجه الى المشرق وما عليه اليهود من التوجه الى المغرب ولكن البر
ما ذكره الله في الاية وبينه وقوله ولكن البر من امن قيل فيه ثلثة اقوال اولها ولكن البر بر من امن
بالله فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه واختاره المبرد كقوله ليس البر ان تولوا وقال
النابغة ❊ وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ❊ على وعل في ذي المطارة عاقل ❊
يعني على مخافة وعل وقالت الخنساء ❊ ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت ❊ فانما
هي اقبال وادبار ❊ معناه انما هي مقبلة تارة ومدبرة اخرى فبالغ فجعلها اقبالا وادبارا
وقال متمم ❊ لعمري وما دهري بتابين هالك ❊ ولا جزع مما اصاب فاوجعا ❊
معناه ولا ذي جزع والوجه الثاني ولكن ذا البر من امن بالله الثالث ولكن البار
من امن بالله فجعل المصدر في موضع اسم الفاعل وقد بينا فيما مضى حقيقة
الايمان والخلاف فيه فلا معنى لاعادته والضمير في قوله على حبه
الايمان لانه يحتمل ان يكون عائدا على حب المال ويحتمل ان يكون على حبه

القبلة

بها

الايتاء قال عبدالله بن مسعود على حبه المال لانه يامل العيش ويخشى الفقر واما
على حب الايتاء فوجهه الا يدفعه وانت متسخط لكاره ويحتمل وجها ثالثا وهو ان
يكون الضمير عايدا الى التقدير على حب الله فيكون خالصا لوجهه وقد تقدم ذكر الله في
قوله من امن بالله وهو احسنها والاية تدل على وجوب اعطاء مال الزكوة بلا خلاف
وتدل ايضا في قول الشعبي والجبائي على وجوب غيره مما له سبب وجوب كالانفاق
على من يجب عليه نفقته وعلى من يجب سد رمقه اذا خاف التلف وعلى ما يلزمه
من النذر والكفارات ويدخل فيها ايضا ما يخرجه الانسان على وجه التطوع والقربة
الى الله لان ذلك كله من البر وابن السبيل هو المنقطع به اذا كان مسافرا محتاجا
وان كان غنيا في بلده وهو من اهل الزكوة وقيل انه الضيف والاول قول مجاهد
والثاني قول قتادة وانما قيل ابن السبيل بمعنى ابن الطريق كما قيل للطير ابن الماء
لملازمته اياه ∴ قال ذو الرمة ∴ وردت اعتسافا والثريا كانها
على قمة الراس ابن ماء محلق ∴ والسائلين معناه والطالبين للصدقة لانه ليس
كل مسكين يطلب قوله وفي الرقاب قيل فيه قولان احدهما عتق الرقاب
والثاني المكاتبين وينبغي ان يحمل الاية على الامرين لانها تحتمل الامرين وهو اختيار
الجبائي والرماني والمراقبة المراعاة والمرقبة الانتظار والرقيب المشرف على القوم
يحرسهم والرقيب الحافظ تقول رقبته ارقبه رقبا وراقبته مراقبة وارتقبته ارتقابا
وترقبوا تراقبا وترقب ترقبا والرقوب الارملة التي لا كاسب لها لانها ترقب
معروفا وصلة والرقبة مؤخر اصل العنق واعتق الله رقبته ولا يقال عنقه والرقيب
ضرب من الحيات خبيث والرقوب المراة التي لا يعيش لها ولد والرقيب النجم الذي ينوء
من المشرق ويغيب رقيبه في المغرب قوله ذوي القربى قيل اراد به قرابة المعطي اختاره
الجبائي لقول النبي عليه السلام لفاطمة بنت قيس لما قالت يا رسول الله ان لي سبعين مثقالا
من ذهب قال اجعليها في قرابتك وقال عليه السلام لما سئل عن افضل الصدقة
فقال جهد المقل على ذي القرابة الكاشح ويحتمل ان يكون المراد به قرابة النبي عليه السلام
كما قال قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى وهو قول ابي جعفر
وابي عبدالله عليهما السلام وقوله في الباساء والضراء وحين الباس قال قتادة

الباساء

١٨٦ الباساء البوس والفقر والضراء السقم والوجع ومنه قوله مسني الضر وحين الباس حين القتال
وقال ابن مسعود الباساء الفقر والضراء السقم وانما قيل الباساء في المصدر ولم يقل منه
افعل لان الاصل في فعلاء وفعل الصفات التي للالوان والعيوب كذلك احمر وحمراء واعور
وعوراء فاما الاسماء التي ليست بصفات فلا يجب ذلك فيها وعلى ذلك ما ولوا قول زهير
∴ فتنتج لكم غلمان اشام ∴ كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم ∴
وانكر ذلك اقوام لانه لم يصرف اشام وقالوا انما هو صفة وقعت موقع الموصوف
كانه كان غلمان امر اشام فلذلك قالوا المعنى الخلة الباساء والخلة الضراء
والموفون بعهدهم رفع عطفا على من امن ويحتمل ان يكون رفعا على المدح وتقديرهم
الموفون ذكره الزجاج والصابرين نصب على المدح كقول الشاعر ∴ الى الملك القرم
وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وذا الراي حين تغم الامور
بذات الصليل وذات اللجم ويحتمل ان يكون نصبا بفعل مضمر وتقديره
واعني الصابرين ويحتمل ان يكون عطفا على قوله واتى المال على حبه ذوي
القربى والصابرين فعلى هذا يجب ان يكون رفع الموفين على المدح للضمير الذي
في صلة من لانه لا يجوز بعد العطف على الموصوف على ما في الصلة وهذا الوجه العطف
ضعيف لانه يؤدي الى التكرار لانهم دخلوا في قوله والمساكين وابن السبيل والسائلين
فيجب ان يحمل قوله والصابرين على من لم يذكر ليكون فيه فائدة وان كان ولو كان
ذلك وجها مليحا والقراء بالرفع اجود واقوى لانه اسم ليس بمقدم قبل الخبر والفائدة
في الخبر ولانه قوي ليس البر بان في كلام الفراء وقوله اولئك الذين صدقوا معناه
الذين جمعوا العمل بهذه الخصال الموصوفة هم الموصوفون بانهم صدقوا على الحقيقة
لانهم عملوا بموجب ما اقروا به واولئك هم المتقون يعني اتقوا بفعل هذه
الخصال نار جهنم واستدل اصحابنا بهذه الاية واولئك هم المتقون على ان المعني
بها امير المؤمنين عليه السلام لانه لا خلاف بين الامة ان جمع هذه الخصال كانت جامعة
فيه ولم يجمع في غيره قطعا فهو مراد بالاية بالاجماع وغيره مشكوك فيه غير مقطوع
عليه وقال الزجاج والفراء هذه الاية تتناول الانبياء المعصومين
لانهم الذين يجمعون هذه الصفات ومن قرأ ليس البر بالرفع جعل البر اسما وجعل

ان في موضع نصب ومن بنصب جعل ان تولوا في موضع رفع فقدم الخبر ومثل قوله
وما كان حجتهم الا ان قالوا وما كان جواب قومه وكان عاقبتهما ما اشبه ذلك قوله

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى
بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع
بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك
تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد
ذلك فله عذاب اليم اية بلا

خلاف معنى قوله كتب فرض واصل الكتب الخط الدال على معنى فاشتق منه الخط الدال
على معنى الفرض وقيل لانه مما كتبه الله في اللوح المحفوظ على جهة الفرض قال الشاعر

كتب القتل والقتال علينا ❊ وعلى المحصنات جر الذيول

وقال النابغة الجعدي

يا بنت عمي كتاب الله اخرجني ❊ عنكم وهل امنعن الله ما فعلا

ومنه الصلوة المكتوبة اي المفروضة فان قيل كيف قيل كتب عليكم بمعنى فرض والاولياء
مخيرون بين القصاص والعفو واخذ الدية قلنا عنه جوابان احدهما انه فرض ذلك ان
اختار اولياء المقتول القصاص والفرض قد يكون مضيقا ويكون مخيرا فيه والثاني
فرض عليكم ترك مجاوزة ما حد لكم الى التعدي فيما لم يجعل لكم والقصاص الاخذ
من الجاني مثل ما جنى وذلك لانه مال لمجانبة واصله التلو من قص الاثر وهو تلو الاثر
والقصاص المقاصة والمعاوضة والمبادلة نظائر يقال اقتص يقص قصاصا وقصصا واقتصه
اقتصاصا واتقص تقصاصا وتقاصوا تقاصا واستقص اذا طلب القصاص استقصاص
وقاصه مقاصة وقصاصا وقص الشيء بالمقص يقصه قصا وقص الحديث يقصه
قصصا وكذلك قصص اثره قصصا اذا قفا اثره والقص والقصص عظم الصدر
من الناس وغيرهم والقصة الخصلة من الشعر والقصة من القصص معروفة
والقصة الجص والقصاص التقاص من الجراحات والحقوق شيء بشيء والقصص
نبات ينبت في اصول الكماة واقتص الشاة فهي مقص اذا استبان ولدها واصل الباب التلو وقوله

الحر بالحر

الحر بالحر فالحر نقيض العبد والحر من كل شيء اعتقه والحر ولد الحية وولد الظبية وفرخ
الحمام واحرار البقول ما يؤكل غير مطبوخ والحر نقيض البرد حر النهار يحر حرا والحريرة ثياب
من ابريسم والحريرة دقيق يطبخ باللبن والحرة ارض ذات حجارة سود كانما احرقت بالنار
وتحرير الكتابة اقامة حروفها والحرورية منسوب الى حروراء قرية كان اول مجتمعهم
بها والمحرر المخلص لخدمة الكنيسة ما عاش ومنه قوله في بطني محررا واصل الباب
الحر خلاف البرد ومنه الحر لانه يشتد فابيه وقوله فمن عفي له من اخيه شيء
معناه ترك من عقبه المنازل اي تركت حتى درست والعفو عن المعصية ترك العقاب عليها
وقيل معنى العفو هيهنا ترك القود بقبول الدية من اخيه فالاخ يجمع اخوة اذا كانوا القود
لاب واذا لم يكونوا لاب منهم اخوان ذكر ذلك صاحب العين ومنه قوله فاصلحوا
بين اخويكم ومنه الاخاء والتاخي فالاخوة قرابة الاخ والتاخي اتخاذ الاخوان
بينهما اخا واخوتهم واخيت فلانا مواخاة واخاء واصل الباب الاخ من النسب
ثم يشبه به الاخ من الصداقة والهاء في قوله تعود الى اخ المقتول في قول الحسن من اخيه
وقال غيره تعود على اخ القائل فان قيل كيف يجوز ان تعود على اخ القائل وهي في
تلك الحال فاسق قيل عن ذلك ثلثة اجوبة احدها انه اراد اخوة النسب لا
في الدين كما قال والى عاد اخاهم هودا الثاني لان القائل قد يتوب فيدخل في
الجملة وغيره للتلبيس على وجه التغليب الثالث تعريفه بذلك على انه كان اخا
قبل ان يقتل كما قال طلقتم النساء فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن واذا
يعني الذين كانوا ازواجهن وقال جعفر بن مبشر عن بعضهم ان هذه
منسوخة بقوله النفس بالنفس قال وليس عندي كذلك لان الله تعالى
انه اخبرنا انه كتبها على اليهود قبلنا وليس في ذلك ما يوجب انه فرض علينا
لان شريعتهم منسوخة بشريعتنا والذي اقوله ان هذه الاية ليست منسوخة
لان ما تضمنته معمول عليه ولا تنافي قوله النفس بالنفس لان تلك عامة
وهذه خاصة ويمكن بناء تلك على هذه ولا يتناقض ولا يحتاج الى ان ينسخ احدهما ولا
بالاخرى وقال قتادة نزلت هذه الاية لان قوما من اهل الجاهلية
كانت لهم طول على غيرهم من اهل الجاهلية وكانوا يتعدون في ذلك

ولا يرضون بالعبد الا الحر ولا بالمرأة الا الرجل فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وقوله فاتباع
بالمعروف على العافي وعلى المعفو عنه اداء اليه باحسان وبه قال ابن عباس والحسن
وقتادة ومجاهد والشعبي والربيع وابن زيد وهو المروي عن ابي عبد الله وقال قوم
هما على المعفو عنه والاعتداء هو القتل بعد قبول الدية على قول ابن عباس والحسن
وقتادة ومجاهد والربيع وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وقال بعضهم من
اعتدى بعد البيان في الاية ويقتل غير قاتل وليه او بعد قبول الدية فله عذاب
اليم وهذا ايضا جيد يحتمل الاية وقوله واتباع رفع بانه ابتدا الخبر محذوف
كانه قيل فحكمه اتباع او فعليه اتباع وكان يجوز النصب في العربية على تقدير
فليتبع اتباعا ولم يقرا به احد والاداء اللي الحليل الذي فلان يؤدي ما عليه اداء
ومادية ويقال فلان الاداء للامانة من غيره والادوات الاعمال واداة الحرب
واصل الباب التادية تبليغ الغاية وقوله تخفيف من ربكم معناه انه جعل
لكم القصاص والدية او العفو وكان لاهل التورية قصاص وعفو ولاهل
الانجيل عفو ودية ويجوز قتل العبد بالحر والانثى بالذكر اجماعا وكقوله
ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وكقوله النفس بالنفس وقوله
في هذه الاية الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى بالذكر ولا العبد
لا يمنع من ذلك لانه تعالى لم يقل ولا يقتل الانثى بالحر اذا لم يكن في مما تضمنه بالذكر ولا العبد
الاية معمول به وما قلناه مستفاد مما تقدم من الادلة فاما قتل الحر بالعبد فعندنا
لا يجوز وبه قال الشافعي واهل المدينة وقال اهل العراق يجوز ولا يقتل
والذمي به ولد عندنا وعند اكثر الفقهاء وعند مالك يقتل به على بعض
الوجوه واما قتل الوالدة بالولد فعندنا تقتل به وعند جميع الفقهاء انها
جارية مجرى الاب فاما قتل الولد بالوالد فيجوز اجماعا فلا يقتل مولى بعبده ويجوز
قتل الجماعة بواحد اجماعا الا ان عندنا يرد فاضل الدية وعندهم لا يرد شيء
على حال واذا اشترك بالغ مع طفل او مجنون في قتل فعندنا لا يسقط القود عن البالغ
وبه قال الشافعي وقال اهل العراق يسقط ودية القصاص في قود النفس الف دينار
او عشرة الف درهم او مائة من الابل او مائتان من البقر او الف شاة او مائتا حلة

ولا يخير القاتل مع الدية عندنا وان رضي فهي عليه في ماله وقال الحسن يجبر
على العفو عن القصاص والدية على العاقلة والقتل بالحديد عمدا يوجب القود اجماعا
وعند اكثر الفقهاء والذي له العفو عن القصاص وكل من يرث الدية الا الزوج
والزوجة وهم لا يستثنونهما الا ان ابا حنيفة قال اذا كان المقتول وله صغار
وكبار فللكبار ان يقتلوا ويحتج بقاتل علي عليه السلام وقال غيره لا يجوز حتى تبلغ الصغار وعندنا
ان لهم ذلك اذا ضمنوا حصة الصغار من الدية اذا بلغوا ولم يرضوا بالقصاص واذا اجتمع مع القصاص
حدود فان كان حد الله فالقتل يأتي عليه وان كان حدا لادمي كحد القذف اقيم عليه الحد ثم يقتل
وقال اهل المدينة القتل يأتي على الكل ويقتل الرجل بالمرأة اذا رد اولياؤها
نصف الدية وخالف جميع الفقهاء في ذلك وما قلناه قول علي عليه السلام وقول
الحسن البصري وشرح مسائل الديات ذكرناها في النهاية والمبسوط لا يقتضي ذكره
ههنا قوله تعالى

ولكم في القصاص حيوة يا اولى الالباب لعلكم تتقون اية

بلا خلاف اكثر المفسرين على ان قوله ولكم في القصاص حيوة المراد به القصاص في
القتل وانما كان فيه حيوة من وجهين ما عليه اكثر المفسرين كمجاهد وقتادة والربيع
وابن زيد انه اذا هم الانسان بالقتل فذكر القصاص ارتدع وكان ذلك سببا
للحيوة والثاني قال السدي من جهة انه لا يقتل الا القاتل دون غيره
خلاف فعل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالطوائل والمعنيان جميعا حسنان
وقال ابو الجوزا معناه ان في القران حياة بالقصاص اراد به القران
وهذا ضعيف لانه تأويل خلاف الاجماع ولانه لا يليق بما تقدم ولا بما يأتي
وهو قوله كتب عليكم القصاص في القتلى فكانه قال بعد ولكم فيه حيوة ونظير
هذه الاية قولهم القتل انفى للقتل وبينهما من التفاوت في الفصاحة
والبلاغة ما بين السماء والارض وقيل الفرق بينهما من اربعة اوجه احدها
انه اكثر فائدة وثانيها انه اوجز في العبارة وثالثها انه ابعد من الكلفة بتكرير
الجملة ورابعها انه احسن تاليفا بالحروف الملائمة اما كثرة الفائدة ففيه جميع
ما في قوله القتل انفى للقتل وزيادة معان حسنة منها ابانة العدل لذكره القصاص

فاما غير الحديد كالمثقل فلا يوجب القود عند ابي حنيفة

ومنها اثابة الغرض المرغوب فيه لذكر الحيوة ومنها الاستدعا بالرغبة والرهبة
لحكم الله به واما الايجاز في العبارة فان الذي هو نظير القتل انفى للقتل قوله تعالى
في القصاص حيوة وهي عشرة احرف والاول اربعة عشر حرفا فاما بعده من التكليف
فهو ان في قولهم القتل انفى للقتل تكريرا غيره ابلغ منه ومتى كان التكرير كذلك فهو مقصور
في باب البلاغة فاما الحسن بتالف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس وموجود
باللفظ فان الخروج من الفاء الى اللام اعدل من الخروج من اللام الى الهمزة لبعد
الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد الى الحاء اعدل من الخروج من الالف
الى اللام فباجتماع هذه الامور التي ذكرنا كان ابلغ منه واحسن وان كان الاول
حسنا بليغا واخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال ابلغ ابا مالك عني مغلغلة وفي
العتاب حيوة بين اقوام وهذا وان كان حسنا فبينه وبين لفظ القران ما بين
اعلى الطبقة وادناها واول ما فيه استدعا الى العتاب وذلك استدعا
الى العدل لا الى العطف ذلك استدعا الى العدل وفي هذا ابهام وفي الاية بيان وفي الاية
بيان عجيب وقوله يا اولي الالباب فالالباب العقول وهو ماخوذ من لب النخل
على وجه التشبيه واللب العقل لب الرجل يلب اذا صار لبيبا ولب بالمكان والب
به لبا والبابا اذا اقام به ولب كل شيء خالصه وقال صاحب العين اللبيب
البال تقول الامر منه في لبب رخي اي في بال رخي واللبب من الرمل شبيه
خفف بين معظم الرمل وجلد الارض وتلبب بالثياب فاجمعها ويشبه به
المتسلح بالسلاح واللبب من المصدر هو طمع القلادة والتلبيب مجمع ما في موضع
اللبب من ثياب الرجل تقول اخذ فلان بتلبيب فلان واصل الباب لب الشيء داخله
الذي تركبه القشرة وتلزمه ومنه لبيك وسعديك اي ملازمة لامرك
واسعادا لك وقوله لعلكم تتقون قد بينا فيما مضى ان لعل معناه لكي وقيل
في معناه هاهنا قولان لكي تتقوا القتل بالخوف من القصاص ذكره ابن زيد الثاني
قال الجبائي وغيره لتتقوا ربكم باجتناب معاصيه وهذا اعم فائدة لانه
يدخل فيه اتقاء القتل وغيره وفي الاية دلالة على فساد قول المجبرة لان
فيها دلالة على انه انعم على جميع العقلاء ليتقوا ربهم وفي ذلك دلالة على انه اراد

منهم التقوى

منهم التقوى وانما خص الله تعالى بالخطاب اولي الالباب لانهم المكلفون المامورون
والمنهيون لان الغافل لا يصح تكليفه ولا يحسن فلذلك خصهم بالذكر قوله تعالى

كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك
خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف
حقا على المتقين ، اية ، بلا خلاف

هذا ابتداء قصة ولا بد فيه من واو العطف بان يقال وكتب لكنه حذف
اختصارا وقد بينا فيما مضى ان معنى كتب فرض وهاهنا معناه الحث والترغيب
دون الفرض والايجاب وفي الاية دلالة على ان الوصية جائزة للوارث لانه
قال للوالدين والاقربين والوالدان وارثان بلا خلاف اذا كانا مسلمين حرين غير
قاتلين ومن خص الاية بالكافرين فقد قال قولا بلا دليل ومن ادعى نسخ الاية
فهو مدع لذلك ولا نسلم له نسخها وبمثل ما قلناه قال محمد بن جرير الطبري
سواء كان ان ادعوا الاجماع على نسخها كان ذلك دعوى باطلة ونحن نخالف في ذلك
وقد خالف في نسخ الاية طاوس فانه خصها بالكافرين لمكان الخبر ولم
يحملها على النسخ وقد قال ابو مسلم محمد بن بحر ان هذه الاية مجملة واية المواريث
مفصلة وليست نسخا فمع هذا الخلاف كيف يدعى الاجماع على نسخها ومن ادعى
نسخها بقوله عليه السلام لا وصية لوارث فقد ابعد لان هذا اولا
خبر واحد لا يجوز نسخ الاية به اجماعا وعندنا لا يجوز العمل به في تخصيص عموم
القران وادعاؤهم ان الامة اجمعت على الخبر دعوى عارية من برهان
ولو سلمنا الخبر جاز ان نحمله على انه لا وصية لوارث فيما زاد على الثلث لانا
لو خلينا وظاهر الاية لاجزنا الوصية بجميع ما يملك للوالدين والاقربين
لكن خص ما زاد على الثلث لمكان الاجماع فاما من قال ان الاية منسوخة
باية الميراث فقوله بعيد من الصواب لان الشيء انما ينسخ غيره اذا لم يمكن الجمع
بينهما فاما اذا لم يكن بينهما تناف ولا تضاد بل امكن الجمع بينهما فلا يجب
حمل الاية على النسخ ولا تنافي بين ذكر ما فرض الله للوالدين وغيرهم من الميراث
وبين الامر بالوصية لهم على جهة الخصوص فلم يجب حمل الاية

على النسخ وقول من قال حصول الاجماع على ان الوصية ليست فرضا يدل على انها منسوخة
باطل لان اجماعهم على انها لا يقبل الفرض لا يمنع من كونها مندوبا اليها ومرغبا فيها
ولاجل ذلك كانت الوصية للاقربين الذين ليسوا بوارث ثابتة بالاية ولم يقل احد
انها منسوخة في غيرهم ومن قال ان النسخ من الاية ما يتعلق بالوالدين وهو قول الحسن
والضحاك فقد قال قولا بينا في ما قاله مدعو نسخ الاية على كل حال ومع ذلك فليس الامر على ما قاله
لانه لا دليل على دعواه وقال طاوس اذا وصى لغير ذي قرابته لم يجز وصيته وقال الحسن
ليست الوصية الا للاقربين وهذا الذي قالاه عندنا ما كان غير صحيح فهو مبطل قول من يدعي نسخ الاية
وانما قلنا انه ليس بصحيح لان الوصية لغير الوالدين والاقربين عندنا جايزة ولا خلاف بين الفقهاء
في جوازها والوصية لا يجوز باكثر من الثلث اجماعا والافضل ان يكون باقل من الثلث
لقوله عليه السلام والثلث كثير واحق من وصى له من كان اقرب الى الميت اذا كان
فقراء بلا خلاف وان كانوا اغنياء فقال الحسن وعمرو بن عبيد هم احق بها وقال
ابن مسعود وواصل الاحق بها الاحوج بالاحوج من القرابة وقوله ان ترك خيرا
يعني مالا واختلفوا في مقدار الذي يجب الوصية عنده فقال الزهري كلما وقع عليه
اسم مال من قليل او كثير فقال ابراهيم النخعي الف درهم الى خمسمائة وروي
عن علي عليه السلام انه دخل على مولى لهم في مرضه وله سبع مائة درهم او ستمائة
فقال الا اوصي فقال لا انما قال الله ان ترك خيرا وليس لك كثير مال وبهذا ناخذ
لان قوله حجة عندنا والوصية في الاية مرفوعة باحد امرين احدهما بكتب
لانه لم يسم فاعله الثاني ان يكون العامل فيه الابتداء او خبره للوالدين والجملة في
موضع رفع على الحكاية بمنزلة قيل لكم الوصية للوالدين وقيل اعراب ذا والعامل
فيه وان احدهما كتب عليكم معنى اذا حضر احدكم الموت اي عند المرض والوجه
الاخر قال الزجاج لانه رغب في حال صحته ان يوصي فتقديره ان يوصي كتب عليكم الوصية
للوالدين والاقربين بالمعروف في حال الصحة قايلين اذا حضر الموت ففلان كذا والمعروف
هو العدل الذي لا يجوز ان ينكر ولا حيف فيه ولا جور والحضور وجود الشيء بحيث
يمكن ان يدرك وليس معناه في الاية اذا حضره الموت اي اذا عاين الموت لانه في تلك
الحال في شغل عن الوصية لكن المعنى كتب عليكم ان يوصوا وانتم قادرون على

على الوصية

على الوصية فيقول الانسان اذا حضر الموت اي اذا مات فلفلان كذا والحق هو الفعل
الذي لا يجوز انكاره وقيل ما علم صحته سواء كان قولا او فعلا او اعتقادا وهو مصدر
حق يحق حقا وانتصب في الاية على المصدر وتقديره احق حقا وقد استعمل على وجه الصفة
بمعنى ذي الحق كما وصف بالعدل على المتقين معناه على الذين يتقون عقاب الله باجتناب
معاصيه وامتثال اوامره قوله تعالى

فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين
يبدلونه ان الله سميع عليم اية

بلا خلاف الهاء في قوله فمن بدله عايدة على الوصية وانما ذكر حملا على المعنى لان الايصاء
والوصية واحد والهاء في قوله فانما اثمه عايدة على التبديل الذي دل عليه قوله
فمن بدله قال الطبري الهاء تعود على محذوف لان عودها على الوصية المذكورة لا يجوز
لان التبديل انما يكون لوصية الموصي فاما امر الله عز وجل بالوصية فلا يقدر هو
ولا غيره ان يبدله وغيره قال الرماني وهذا باطل لان ذكر الله للوصية انما هو وصية
الموصي فكانه قيل كتب عليكم وصية مفروضة عليكم والها تعود على الوصية المفروضة
التي يفعلها الموصي وقوله فمن بدله فالتبديل هو تغيير الشيء عن الحق فيه فاما البدل
فهو وضع شيء مكان آخر ومن اوصى بوصية في ضرار فبدلها الموصى له بالحق قال ابن
عباس من اوصى في ضرار لم يجز وصيته لقوله غير مضار والوصي اذا بدل الوصية لم
ينقص من اجر الموصي كما لو لم يبدل لانه لا يجازي احد على عمل غيره لكن يجوز ان يلحقه
منافع الدعاء والاحسان والواصل الى الموصي له على وجه الاجر له لكن على وجه الجزاء لغيره
ممن وصل اليه ذلك الاحسان فيكون ما يلحق المحسن اليه من ذلك جزاء له يصح بما يصل
الى المحسن اليه من المنفعة وفي الاية دلالة على بطلان مذهب من قال ان الطفل
يعذب بابويه لان الله بين وجه العدل في هذا وقياس العدل في الطفل ذلك لغيبا من
فمن هنالك دل على الحكم فيه وفيها ايضا دلالة على قول من يقول ان الوارث اذا لم يقض
دين الميت انه يؤخذ به في قبره او في الاخرة لما قلناه من انه دل على ان العبد لا يؤاخذ
بجرم غيره اولا اثم عليه بتبديل غيره وكذلك لو قضى غير الوارث من غير ان يوصي
به الميت لم يزل عقابه بقضاء الوارث عنه الا ان يتفضل الله باسقاط عقابه قوله

ان الله سميع عليم معناه سميع لما قاله الموصى من العدل او الحيف عليم بما يفعله الوصي من التبديل او التصحيح فيكون ذكره ذلك واعيا لك الظاهر قوله تعالى

فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح

بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم آية

بلا خلاف قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم موص خفيفة الباقون مشددا وهما لغتان وصى واوصى بمعنى واحد فان قيل كيف قال فمن خاف من موص لما قد وقع والخوف انما يكون لما لم يقع قيل فيه قولان احدهما انه خاف ان يكون يدرك في وصيته فالخوف للمستقبل وذلك الخوف هو ان يظهر ما يدل على انه يدرك لانه من جهة غالب الظن الثاني لما اشتمل على الواقع وما لم يقع جاز فيه خاف ذلك فيامره بما فيه الصلاح وما وقع رده الى العدل بعد موته والجنف الجور وهو الميل عن الحق وقال الحسن هو ان يوصي في غير القرابة فالحسن اوصى لغير قرابته رد الى ان يجعل للقرابة الثلثان ولمن اوصى له الثلث وهذا باطل عندنا لان الوصية لا يجوز صرفها عن من وصى له وانما قال الحسن ذلك لقوله ان الوصية للقرابة واجبة عندنا ان الامر بخلافه على ما بيناه وقال صاحب العين الجنف الميل في الكلام والامور كلها يقول منه جنف علينا فلان واجنف في حكمه وهو مثل الجنف الا ان الجنف من الحاكم خاصة والجنف عام ومنه قوله غير متجانف اي متمائل متعمد فرجل اجنف في احد شقيه ميل على الاخر وقال ابن كثير جنف يجنف جنفا اذا صد عن الحق واصل الباب الميل عن الاستواء قال الشاعر في الجنف هم المولى وقد جنفوا علينا وانا من لقائهم لزور واذا حاف الموصي في وصيته فللوصي ان يردها الى العدل وهو المروي عن ابي عبد الله وبه قال الحسن وقتاده وطاوس وقال قوم واختاره الطبري ان قوله فمن خاف من موص في حال مرضه الذي يريد ان يوصي فيه ويعطي بعضا ويضر ببعض فلا اثم عليه ان يشير عليه بالحق ويرده الى الصواب ويشرع في الاصلاح بين الموصي والورثة والموصى له حتى يكون الكل راضين ولا يحصل جنف ولا ظلم ويكون قوله واصلح بينهم يريد فيما يخاف من حدوث الخلاف بينهم فيما بعد ويكون قوله فمن خاف على ظاهره فيكون الخوف مترقبا غير واقع وهذا قريب ايضا غير ان الاول اصوب لان عليه اكثر المفسرين

وهو المروي

وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عم وانما قيل المتوسط بالاصلاح ليس عليه اثم ولم يقل فله الاجر على الاصلاح لان المتوسط انما يجري امره في الغالب على ان ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله اياه فاحتاج ان يبين الله لنا انه لا اثم عليه في ذلك اذا قصد الاصلاح والذي اقتضى قوله غفور رحيم انه اذا كان يغفر المعصية فانه لا يجوز ان يؤاخذ بما ليس بمعصية مما بين انه لا اثم عليه والضمير في قوله بينهم عايد على معلوم بالدلالة عليه عند ذكر الموصي والاصلاح لانه يدل على الموصى لهم ومن ينازعهم وانشد الفراء في مثل فاصلح بينهم اعمى اذا ما جارتي خرجت ؛ حتى يواري جارتي الخدر ؛ ويصم عما كان بينهما ؛ سمعي وما بي غيره وقر ؛ اراد بينها وبين زوجها وانما ذكرها وحدها وانشد ايضا وما ادري اذا يممت وجها اريد الخير ايهما يليني الخير الذي انا ابتغيه ام الشر الذي لا يأتليني فكنى في البيت الاول عن الشر وانما ذكر الخير وحده وقيل بل يعود على مذكورهم الوالدان والاقربون والضمير في قوله فلا اثم عليه عايد على الوصي في قول الحسن ويجوز ان يكون على المصلح المذكور في من وقوله جنفا او اثما يريد على الجنف الميل عن الحق على جهة الخطا لانه لا يدري انه لا يجوز والاثم ان يتعمد ذلك وهو معنى قول ابن عباس والحسن والضحاك والسدي وروي ذلك عن ابي جعفر والجنف في الوصية ان يوصي بالاكثر من الثلث او يوصي بمال في معصية او انفاق في غير ما يرضي الله تعالى فان ذلك كله يرد ولا ينفذ فاما ان يوصي الرجل لابن بنته وله اولاد فلا يجوز رده على وجه عندنا وخالف فيه طاوس وكذلك ان وصى للعبيد دون القريب لا يرد وصيته وخالف فيه الحسن

ولد اولاد او يوصي لزوج بنته ٢

قوله تعالى

يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون آية

بلا خلاف هذه الاية ظاهرها يتوجه الى من كان على ظاهر الايمان فاما الكافر فلا نعلم بهذا الظاهر انه مخاطب بالصيام وقوله كتب معناه فرض على ما بيناه فيما مضى والصيام والصوم مصدر صمت صوما وصياما والصوم في اللغة هو الامساك وقال ابن دريد كل شيء مكث حركته فقد صام يصوم صوما قال النابغة

خبل صيام وغير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجا وقال صاحب العين الصوم والصمت واحد لقوله انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا والصوم قيام بلا عمل صام الفرس على اذا لم يعتلف وصامت الريح اذا ركدت وصامت الشمس حين تستوى في منتصف النهار وصام الفرس موقفه والصوم ذرق النعام والصوم شجر واصل الباب الامساك والصوم الصمت لانه امساك عن الكلام والصوم في الشرع هو الامساك عن اشياء مخصوصة على وجه مخصوص ممن هو على صفات مخصوصة في زمان مخصوص ومن شرط انعقاده النية وقوله كما كتب على الذين من قبلكم قيل فيه ثلثة اقوال احسنها انه كتب عليكم الصيام ايام وهو اختيار الجبائى وغيره ويكون الصيام لانه رفعا مالم يسم فاعله ويكون موضع كما نصبا على المصدر والمعنى فرض عليكم فرضا كالذى فرض على الذين من قبلكم ويحتمل ان يكون نصبا على الحال من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام مفروضا اى في هذه الحال والثانى ما قاله الشعبى والحسن انه فرض علينا شهر رمضان كما كان فرض شهر رمضان على النصارى وانما زادوا فيه وحولوه الى زمان الربيع والثالث ما قاله الربيع والسدى انه كان الصوم من العتمة الى العتمة لا يحل بعد النوم ماكل ولا مشرب ولا منكح ثم نسخ والاول هو المعتمد وقال مجاهد وقتادة المعنى بالذين من قبلكم اهل الكتاب وقوله لعلكم تتقون اى لكى تتقوا المعاصى بفعل الصوم في قول الجبائى قال السدى لتتقوا ما حرم عليكم من الماكل والمشرب وقالت فرقة معناه لتكونوا اتقيا بما لطف لكم في الصيام لانه لولم يلطف به لم يكونوا اتقيا وانما قلنا الاول هو المعتمد لانه يصح ذلك في اللغة اذا كان فرض علينا صياما ايام وان اختلف ذلك بالزيادة والنقصان

صفات

ثمنه

كما كتب عليهم ايام

عليهم صيام ايام كما فرض

قوله تعالى

اياما معدودات فمن كان منكم مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر وعلى الذين
يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع
خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم
تعلمون. اية بلا خلاف واحدة

قرا ابن نافع وعامر فدية طعام مسكين على اضافة الفدية وجمع المساكين الباقون فدية منون طعام مسكين على التوحيد والقراءتان متقاربتا المعنى لان المعنى

لكل يوم

لكل يوم يفطر طعام مسكين والفراء اباه يعنى ان ذلك قوله اياما معدودات منصوبة باحد شيئين احدهما على الظرف كانه قيل الصيام في ايام معدودات وهو الذى اختاره الجبائى الثانى ان يكون قد عدى الصيام اليه كقولك اليوم صمته وقال الفراء هو مفعول مالم يسم فاعله كقولك اعطى زيد المال وخالفه الزجاج قال لانه لا يجوز رفع الايام كما يجوز رفع المال واذا كان المفروض في الحقيقة هو الصيام دون الايام فلا يجوز ما قاله الفراء الا على سعة الكلام وقال عطا وقتادة الايام المعدودات كانت ثلثة ايام من كل شهر ثم نسخ وكذلك روى عن ابن عباس وقال ابن ابى ليلى المعنى به شهر رمضان وانما كان صيام ثلثة ايام من كل شهر تطوعا وقوله فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر تقع عدة على الابتداء وتقديره فعليه عدة من ايام اخر وروى عن ابى جعفر ع ان شهر رمضان كان واجبا صومه على كل نبى دون امته وانما اوجب على امة نبينا صلى الله عليه واله وسلم فحسب وانما قال اخر ولا يوصف بهذا الوصف الا جمع المونث لان كل واحد انثى والايام جمع يوم وهو مذكر حملا له على لفظ الجمع لان الجمع مونث كما يقال الخاتم الايام واخر لا ينصرف لانه معدول عن الالف واللام لان نظائرها من الصغر والكبر لا يستعمل الا بالالف واللام ولا يجوز نسوة صغر ويجوز في العربية فعدة على معنى فليصم عدة من ايام اخر لا مما افطر وهذه الاية فيها دلالة على ان المسافر والمريض عليهما الافطار لانه تعالى اوجب عليهما القضا مطلقا وكل من اوجب القضاء بنفس السفر والمرض اوجب الافطار واوجب القضا وخير في الافطار فان قدروا في الاية فافطر كان ذلك خلاف الاية ووجوب الافطار في السفر قال عمر بن خطاب وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن عوف وابو هريرة وعروة بن الزبير وابو جعفر محمد بن على الحسين وروى سعيد بن جبير عن قتادة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال الافطار في السفر عزيمة وروى يوسف بن الحكم قال سالت ابن عمر عن الصوم في السفر قال ارايت لو تصدقت على رجل بصدقة فردها عليك الا يغضب فانها صدقة من الله تصدق بها عليكم وروى عبد الملك بن حميد قال قال ابو جعفر كان ابى لا يصوم في السفر وينهى عنه وروى عن عمر ان رجلا صام في السفر فامره ان يعيد صومه وروى عطا عن المحرر بن ابى هريرة قال كنت مع ابى في سفر في شهر رمضان وكنت اصوم ويفطر فقال ابى اما انك اذا اقمت قضيت وروى عن عاصم مولى قريبة ان

الزجاج

ومضت الايام

مع

ان رجلا صام في السفر فامره عروة ان يقضي وروى الزهري عن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال قال رسول الله صلى الله عليه واله الصائم في السفر كالمفطر في الحضر وروى عن معاذ ان النبي صلى الله عليه واله قدم المدينة وكان يصوم عاشورا وثلثة ايام من كل شهر ثم نسخ ذلك شهر رمضان في قوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام واختار الطبري هذا الوجه قال لانه لم ينقطع العذر برواية صحيحة انه كان ههنا صوم متعبد به فنسخه الله بشهر رمضان واصل السفر الكشف يقول سفر البعير سفرا اذا كشف واسفر وجهه اسفارا والسفر الابل اذا انكشفت ذاهبة انسفارا وسفرت سفرا وسفرت الريح السحاب اذا قشعته قال العجاج سفر الشمال الزبرج المزبرجا الزبرج السحاب الرقيق ومنه السفر لانه يظهر به ما لم يكن ظهر وينكشف به ما لم يكن انكشف والسفرة طعام المسافر وبه سميت الجلدة التي يحمل فيها الطعام سفرة والمسفرة المكنسة والسفير الداخل بين اثنين للصلح والسفير ورق الشجر اذا سقط وسفر فلان شعره اذا استاصله عن راسه ومنه قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة مضيئة والصبح اذا اسفر اي اضاء والاسفار جمع سفر بالكسر اي كتب وقوله وعلى الذين يطيقونه يقال طاق يطوق طوقا وطوقه وهي القوة واطاقه اطاقة وطاقة ايضا اذا قوي عليه وطوقته تطويقا البسته الطوق وهو معروف من ذهب كان او فضة لانه يكسبه قوة بما يعطيه من الجلالة وكل شيء استدار فهو طوق وطوق الرحا الذي يدير القطب مشبه بالطوق المعروف في الصورة وتطوقت الحية على عنقها اي صارت كالطوق فيه والطاقة شعبة من مكان او شعر ونحو ذلك والطاق عقد البناء حيث ما كان الجمع الاطواق وذلك لقوته وطوقه الامر اذا جعله الطوق في عنقه وقال الحسن واكثر اهل التاويل ان هذا الحكم كان في المراضع والحوامل والشيخ الكبير فنسخ من الاية وقال ابو عبد الله عليه السلام ذلك في الشيخ الكبير يطعم لكل يوم مسكينا ومنهم من قال نصف صاع وهم اهل العراق وقال الشافعي مد عن كل يوم وعندنا ان كان قادرا فمدان وان لم يقدر الا على مد اجزاه وقال السدى لم ينسخ وانما المعنى وعلى الذين كانوا يطيقونه وقوله فمن تطوع خيرا يعني اطعم اكثر من مسكين في قول ابن عباس وعمل برا في جميع الدين في قول الحسن وهو اعم فائدة ومنهم من قال من جمع بين الصوم والصدقة ذهب اليه ابن شهاب والهاء في قوله يطيقونه عند اكثر اهل العلم عائدة على الصوم وهو الاقوى

المراضع والحوامل وبقي الشيخ الكبير

اهل

وقال قوم

وقال قوم عائدة على الفداء لانه معلوم وان لم يجر له ذكر والمعنى بقوله الذين يطيقونه قيل فيه ثلثة اقوال اولها انه سائر الناس من شاء صام الناس ومن شاء افطر وافتدى لكل يوم اطعام مسكين حتى نسخ ذلك في قول ابن عباس والشعبي الثاني قال الحسن وعطا انه في الحامل والمراضع والشيخ الكبير فنسخ من الاية الحامل والمرضع وبقي الشيخ الكبير قال السدى انه فيمن كان يطيقونه اذا صار الى حال العجز عنه ومن في قوله فمن تطوع الظاهر والاليق انها للجزاء ويحتمل ان يكون بمعنى الذي وما روي في الشواذ من قراه من قرا يطوقونه قيل فيه قولان احدهما يكلفونه على مشقة فيه وهم لا يطيقونه لصعوبته الثاني ان يكون معناه يلزمونه وهم الذين يطيقونه فيؤول الى معنى واحد ومن قرا فدية طعام مسكين على اضافة الفدية وجمع المساكين من ابن عامر ونافع فان معنى يؤول الى قراءة من ينون فدية طعام مساكين لان المعنى لكل يوم يفطر طعام مسكين والاول يفيد هذا ايضا لانه اذا قيل طعام مساكين الايام بمعنى لكل يوم مسكين صار المعنى واحدا وفي الاية دلالة على بطلان قول المجبرة ان القدرة مع الفعل لانه لو كانت الاستطاعة مع الفعل الذي هو الصيام لسقطت عنه الفدية لانه اذا صام لم يجب عليه فدية وقوله وان تصوموا خير لكم رفع خيرا لانه خبر الابتداء وتقديره وصومكم خير لكم كان هذا مع جواز الفدية واما بعد النسخ فلا يجوز ان يقال الصوم خير من الفدية مع ان الافطار لا يجوز اصلا قوله تعالى

شهر رمضان الذي انزل فيه القران هدى
للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن
شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا
او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما
هديكم ولعلكم تشكرون اية واحدة

بلا خلاف قرا ابو بكر عن عاصم ولتكملوا العدة بتشديد الميم الباقون بتخفيفها قال ابو العباس اكملت وكملت بمعنى الواحد الا ان في التشديد مبالغة ومن قرا بالتخفيف فلقوله اليوم اكملت لكم دينكم الشهر معروف وجمعه الاشهر والشهير ظهور الامر في شنعة

وشهرت الحديث اظهرته وشهر فلان سيفه اذا انتضاه والمشهور الذي ظهر عليه شهرته واشهرت المرأة اذا دخلت في شهر ولادتها وانا ان شهره اي عرضه ضخمه والمشاهرة
المعاملة شهرا بشهر وسمي الشهر شهرا لاشتهاره بالهلال واصل الباب الظهور وقال
ابن دريد الرمض شدة وقع الشمس على الرمل وغيره والارض رمضاء ورمض يومنا رمضا
اذا اشتد حره ورمضان مرمضاء اشتقاقه لانهم سموا الشهور بالازمنة التي فيها فوافق رمضان ايام
رمض الحر وقد جمعوا رمضان رمضانات قال صاحب العين والرمض حرقة غيظ
يقول ارمضني هذا الامر ورمضت له والرمض مطر يكون قبل الخريف واصل الباب
شدة الحر وشهر رمضان رفع لاحد ثلثة اشيا اولها ان يكون خبر ابتداء محذوف يدل
عليه اياما معدودات وتقديره هي شهر رمضان الثاني على ما لم يسم فاعله ويكون بدلا
من الصيام وتقديره كتب عليكم الصيام شهر رمضان الثالث ان يكون مبتدا وخبره الذي
انزل فيه القران ويجوز في العربية شهر رمضان بالنصب من وجهين احدهما صوموا
شهر رمضان والاخر على البدل من اياما وقوله انزل فيه القران قيل في معناه قولان
احدهما قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ان الله تعالى انزل جميع القران في
ليلة القدر الى السماء الدنيا ثم انزل على النبي عليه السلام بعد ذلك نجوما وهو المروي
عن ابي عبد الله والثاني انه ابتدى انزاله في ليلة القدر من شهر رمضان فان قيل
كيف يجوز انزاله كله في ليلة القدر وفيه الاخبار عما كان ولا يصلح ذلك قبل ان يكون
قلنا يجوز ذلك في مثل قوله ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة وقوله ولقد نصركم الله
في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض
بما رحبت ثم وليتم مدبرين على اذا كان وقت كذا انزل لقد نصركم الله كما قال تعالى
ونادى اصحاب الجنة اي اذا كان يوم القيمة نادى اصحاب الجنة وقوله هدى للناس
موضعه نصب على الحال كانه قال انزل فيه القران هاديا للناس ولا يحتمل سواه
كقوله وبينات من الهدى والفرقان اشتقاقه قرا يقرا قراة وقرانا وقراه اقرا وقال
صاحب العين رجل قاري اي عابد ناسك وفعله التقوى والقراه واقرات المرءة
اذا حاضت وقرات الناقة اذا حملت والقرء الحيض وقد جاء بمعنى الطهر واصل الباب
الجمع لقولهم ما قرات الناقة سلا قط اي ما جمعت رحمها على سلا قط وفلان

اصحاب النار

قراءة لانه جمع الحروف بعضها الى بعض والقرء الحيض لاجتماع الدم في ذلك الوقت والفرقان
هو الذي يفرق بين الحق والباطل والمراد به القران ههنا وقوله فمن شهد منكم
الشهر فليصمه قيل في معناه قولان احدهما من شاهد منكم الشهر مقيما والثاني
من شهده بان حضره ولم يغب لانه يقال شاهد بمعنى حاضر ويقال مشاهد
بمعنى شاهد وروي عن ابن عباس وعبيدة السلماني ومجاهد وجماعة من المفسرين
ورووه عن علي عليه السلام انهم قالوا من شهد المشهر بان دخل عليه الشهر
وهو حاضر فعليه ان يصوم الشهر كله وان سافر فيما بعد فليصمه في الطريق
ولا يجوز له الافطار وعندنا ان من دخل عليه الشهر كره له ان يسافر حتى يمضي
ثلث وعشرون من الشهر الا ان يكون سفرا واجبا كالحج او تطوعا كالزيارة فان لم يفعل
وخرج قبل ذلك كان عليه الافطار ولم يجزه الصوم وقوله فمن شهد منكم الشهر
فليصمه ناسخ للفدية على قول من قال بالتخيير وناسخ للفدية ايضا في الحوامل
والمراضع عند من ذهب اليه ونفي الشيخ الكبير له ان يطعم ولم ينسخ وعندنا ان المرضع
والحامل اذا خافا على ولدهما افطرا وكفرا وكان عليهما القضا فيما بعد اذا زال العذر
وبه قال جماعة من المفسرين كالطبري وغيره وقوله ومن كان مريضا او على
سفر فعدة من ايام اخر قد بينا انه يدل على وجوب الافطار في السفر لانه اوجب القضا
بنفس السفر والمرض وكل من قال ذلك اوجب الافطار ومن قدر في الاية او
على سفر فافطر فعدة من ايام اخر زاد في الظاهر ما ليس فيه فان قيل هذا
كقوله ومن كان منكم مريضا او على سفر او به اذى من راسه ففدية من صيام ومعناه فحلق
قلنا انما قدرنا هناك فحلق للاجماع على ذلك وليس ههنا اجماع فيجب الا نترك الظاهر ولا نزيد
فيه ما ليس فيه وقوله يريد الله بكم اليسر قال صاحب العين الارادة اصلها الواو لانك
تقول راودته على ان يفعل كذا وكذا مراودة ومنه وادبر ودرودا فهو رائد يعني الطالب
شيئا ويقال ارود فلان اروادا اذا رفق في مشي او غيره ومنه رويدا فلانا اي امهله
بفتح متصرفا ومنه ارتاد ارتيادا كقولك طلب العلم طلبا والمرود الميل وفي المثل
الرائد لا يكذب اهله اي الطالب صلاحهم لا يكذبهم لانه لو كذبهم غشهم
واصل الباب الطلب والارادة بمنزلة الطلب للمراد لانها كالسبب له والنهضة